معنى (مِنْ) واستعمالها فى القرآن

جمعاً ودراسة

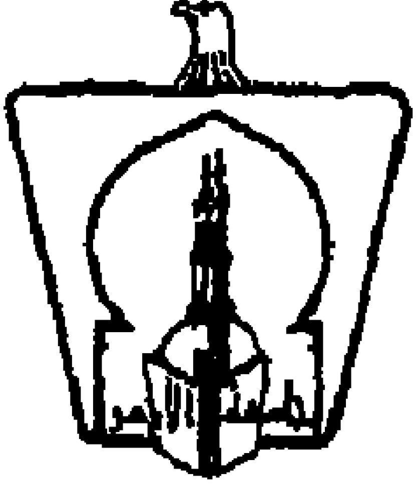
الجزء الثالث



الدكتور محمد يسري زعير

أستاذ اللغويات وعميد كلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة سابقاً

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالقاهرة



معنى (مِن) واستعمالها في القرآن جمعاً ودراسة

الجزء الثالث

الدكتور محمد يسري زعير
أستاذ اللغويات وعميد الكلية سابقاً

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
زعير، محمد يسرى
معنى من واستعمالها فى القرآن
: جمعا ودراسة/ محمد يسرى زعير
. ــ القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، ٢٠٠٧
ص ؛ سم.
تدمك ١ ٥٣٦ ٢٢٤ ٩٧٧
١- القرآن ــ ألفاظ
٢- القرآن- أحكام
أ- العنوان
٢٢٤
رقم الإيداع: ٢٠٧٢٨ / ٢٠٠٧

جرا فيك- جمع كمبيوتر- طباعة
مركز آيات للطباعة والكمبيوتر ٠١٢/٣٧٩٧٦٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ . عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾

قرآن كريم
١-٤ سورة الرحمن

(إن لغة القرآن أفصح أساليب العربية علي الإطلاق)

أبو زكريا الفراء

(إذا كانت كلمة الإيجاد (كن) فأصل الموجودات (من))

المؤلف

الباب الثالث

بين البعضيـــة والابتدائيـــة

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: آيات لم يزعم فيها النحاة التضمين مع (مِنْ) .
- الفصل الثانى: آيات زعم النحاة فيها التضمين مع (مِنْ).

الفصل الأول

آيــات (من) التى تحتمل البعضية والابتدائية دون دعوى التضمين

تمهيــــــد:

لعــل القارئ يستحضر ذهنه هنا ما سلف ذكره فى الباب الأول من أن (مِنْ) إمــا اســم بمعنى (بعض) وهى (البعضية) وإما حرف بمعنى (الابتداء) وهى التى أطلقنا عليها الابتدائية فليس معنى (الابتدائية) هنا أنها تقع مبتدأ أو تكون مثل الجملة الابتدائية فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ١ القدر.

ولعله – أى القارئ – يذكر هنا أن من العلماء – كالأستاذ عباس حسن – من اســتغرب أن تكون (من) الابتدائية حرفاً بل تعجب من هذا لأنه لا فرق بين معنى (الابتداء) و (من) فلم يكون (الابتداء) اسما و (من) بمعناه حرفاً ؟!

وأزِيــدُ هــنا أن هذا الأستاذ مسبوق بهذه الفكرة فقد قال الإمام الرضى: "إن معنى (من) الابتداء فمعنى (من) ومعنى لفظ (الابتداء) سواء" .

غير أن الرضى لم يقف وقفة تأمل عند هذا لأن لو فعل ذلك لصرح بأنها – أى (من) الابتدائية – اسم.

ولكــنه غُلِــبَ على أمره فاستسلم للفكر النحوى الذى قرر أن (من) حرف و(الابــتداء) اســم. فقــد أردف نــصه السابق قائلاً: "إلا أن الفرق بينهما أن لفظ (الابتداء) ليس مدلوله لفظ آخر بل مدلوله: معناه الذى فى نفسه مطابقة.

ومعنى (من) مضمون لفظ آخر ينضاف ذلك المضمون إلى معنى ذلك اللفظ الأصــلى. فلهذا جاز الإخبار عن لفظ الابتداء نحو: الابتداء خير من الانتهاء. ولم

يجز الإخبار عن (من) لأن الابتداء الذى هو مدلولها فى لفظ آخر فكيف يخبر عن لفظ ليس معناه فيه بل فى لفظ غيره. فالحرف وحده لا معنى له أصلا"(١).

وليس الرضى بدعا فى هذا الفهم وإنما هو يسير مع الركب أينما سار وكيفما سـار دون استبصار للطريق. ولعلى ألتمس له عذراً لأن (الكثرة) تغلب (الشجاعة) و(الشهرة) تلغى (الفكرة) والاكتفاء بـ (الإتباع) يئد فى العقل (الإبداع) ويمنع عنه إدراك الفرق الدقيق بين (الإبداع) و (الابتداع) . فليس إبداع العقل شيئا أنشأه العدم فـالله وحـده هو الذى يوصف بهذا. وإنما (الابتداع) فى أدق معانيه هو خلق شئ يجهله الناس من شئ يعلمونه – وذلك المعلوم إنما هو خلق الله وحده.

أقـول: ليس الرضى بدعا فى حكمه بتفريغ كلمة (من) من (الابتداء) بل هو متـبع للجمهـرة الغالـبة مـن العلماء. وقد اسـتوفينا الكلام فى هذه الحقيقة فى الباب الأول.

ومما أزيده هنا أننى وجدت من يكشف التناقض فى كلام الرضى السابق فقد قال: محرم أفندى : "قوله – أى الرضى – فمعنى (من) ومعنى لفظ الابتداء سواء" هـذا باطل قطعا إذ لو كان معناهما واحداً لصح الإخبار عن معنى (من) كما صح الإخبار عن معنى : الابتداء"(٢).

ومقتضى هذا أن الرضى قد ذكر فى مستهل كلامه ما نقضه فى سائره.

فكان عليه أن يحذف قوله (فمعنى (من) ومعنى لفظ (الابتداء سواء) وهذا ما فعلـه السكاكى حيث قال: "من : معناها: إبتداء الغاية و (إلى) معناها: انتهاء الغاية و(كى) معناها: الغرض. فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض ليست معانيها إذ لو

---

(١) شرح الكافية ١/ ٩: ١٠.

(٢) هامش شرح الكافية ١/ ١٠.

كانـــت هى معانيها والابتداء والانتهاء والغرض أسماء لكانت هى أيضا أسماء لأن الكلمة إذا سميت اسما سميت لمعنى الاسمية فيها.وإنما هى متعلقات معانيها أى إذا أفادت هذه الحروف معانى رجعت إلى هذه بنوع استلزام"(١).

وبالـــتأمل فى هذا النص نجد فيه من التناقض ما فى نص الرضى فقد استهل كلامـــه قائلا (من: معناها ابتداء الغاية ..... الخ) ثم أردفه قائلا (فابتداء الغاية .... ليست معانيها).

أليس ذلك ما وقع فيه الرضى ؟!

وقد حققنا الكلام فى مسألة معنى الحرف وأثبتنا أن معناه فى لفظه لا فى لفظ آخر. وأما احتياجه إلى غيره فهذا فى المعنى التركيبى الذى يتألف من عدة كلمات. وشتان بين المعنى الإفرادى والمعنى التركيبى.

وأمـــا (مـــن) الابتدائـــية فالـــذى منع أسميتها ليس هو ما ذكره العلماء بل الاســـتعمال العربـــى للكلمة هو الذى أقتضى ذلك لأننا قد وجدنا (من) الاسمية تقع موقـــع الاســـم مبـــتدأ وخبرا وفاعلا ومفعولا وغير ذلك. على حين لم نجد (من) الحـــرفية تقع فى أحد هذه المواقع ولما وجدنا آيات من القرآن يمكن أن تكون فيها (مِنْ) تحتمل الاسمية لأنها (بعضية) كما تحتمل الحرفية لأنها ارتبطت بحدث يمكن أن تكون ابتداء له.

لَمَّـــا وجـــدنا ذلـــك خصصنا لها فصلاً وجعلناه آخر فصول (البعضية) لأننا وجـــدنا اســـميتها واضـــحة فضلا عما يترتب عليها من إيجاز فى النص القرآنى. والبلاغة هى الإيجاز بل الإيجاز القرآنى هو أساس الإعجاز فيه.

هـــذا: وممـــا ينبغـــى التنبـــيه إليه أن آيات هذا الفصل قد سبقت فيها (من) بفعـــل – غالباً – يمكن أن تكون حرف ابتداء لما تضمنه من حدث. كما وليها اسم

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

يمكن للعقل أن يدرك مضافا إليه بينها وبينه. وبذلك يتحقق معنى (البعضية) فتكون اسما.

وقد تبين لنا أن (مِنْ) في آيات هذا الفصل لها نسقان.

النسق الأول: ذكرها بعد نكرة أو معرفة فتعرب نعتا أو حالا.

النسق الثانى: ذكرها قبل النكرة أو المعرفة.

النسق الأول

آيـات ذِكْر (مِنْ) بعد النكرة

رتبت هذه الآيات باعتبار المادة اللغوية للنكرة.

١- آيـــة:

وردت (من) بعد (آية) عشر مرات فى الآيات الآتية:

قــوله تعالـــى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٤٩، ٥٠ آل عمـران. وقـوله: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ ١١٤ المائدة، وقوله : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٣٧ الأنعام، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٢٠ يونس، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ ، ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٧، ٢٧ الرعد، وقوله: ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن

رَّبِّهِۦٓ ﴾ ٤٧ ، ١٣٣ طـــه. وقــولــه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٥٠ العنكبوت.

وبالتأمل فى هذه الآيات ندرك ما يأتي:

١- (أ) أن آيتى آل عمــران وآيـــة المائـــدة فـــى شـــأن عيـــسى بـــن مـــريم عليه السلام.

(ب) والآيـــة الأولـــى من آيتى طه فى شأن موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون عليه لعنة الله وغضبه.

(جـــ) وأمـــا سائر الآيات وهى ست آيات فهى فى شأن الرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والسلام مع قومه.

٢- أن (آية) فى غير آية المائدة قد سبقت بفعل وهو: جاء، نُزّل، أُنزِل، يأتى. وأما فى آية المائدة (وآية منك) فلم تُسبق بفعل.

٣- أن (آية) مفردة إلا فى آية العنكبوت فهى جمع : (آيات).

٤- أننا لو جعلنا (من آية) و (من آيات) مرتبطا بالفعل قبلها كانت (من) حرف ابتداء أى أن الآية أو الآيات: ابتداء مجيئها أو تنزيلها أو إنزالها أو إتيانها هو (ربكم) أو (ربه) أو (ربك) أى المضاف إليه (آية) أو (آيات).

وعلـــى هذا يستغنى الأسلوب عن تقدير شئ فى الآية مما يفتعله النحاة إذ شأن (من) هنا شأن (فى) من قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٦: ٣٧ الـنور. فـ (فيها) مرتبط بالفعل (يسبح) فى المعنى. وهو ما يسميه النحاة: الظرف اللغو. أى الذى لا يحـــتاج إلـــى مـــتعلّق مقـــدَّر ولا يتحمل ضميرا. كما يقدرون ذلك فى مثل

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ٢ الفاتحة. وقد سبقت مناقشة ذلك فى الباب الأول.

٥- ولـو جعلنا (من آية) و (من آيات) ملحوظا فيه مضاف إليه. لأنه يدركه العقل مـن السياق بعد (من) أى بآية من آيات ربكم، أو من آيات ربه أو من آيات ربـك. كانت (من) بعضية أى اسما إذ ما بعدها يقبل التبعيض أى بعض آيات ربكم. وتعرب نعتا لـ (آية) إما فى محل خفض وإما فى محل رفع. أو تعرب حالا فتكون فى محل نصب.

٦- بالموازنة بين (من) من حيث حرفيتها وأسميتها فى هذه الآيات تدرك أن الراجح بل اللائق بجلال القرآن وكماله هو الثانى لما يلى:

(أ) أن ملاحظـة المضاف إليه بعد (من) أمر عقلى مبنى على الاستدلال بما ذكـر علـى ما لم يذكر لأننا عند سماعنا قوله تعالى: (بآية من ربكم) لا يمكن أن يتسرب ولو من طرف خفى شعاع كاذب إلى عقل المفكر المتدبر لآيـات القرآن الحكيم أن ما عند الله: هو آية واحدة . لأن خزائنه من كل شـئ لا تـنفد مهما أعطى الله منها فقد قال: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ ٩٦ النحل.

(ب) أننا قد تعلمنا من شيوخنا الأجلاء المحققين أن النسبة بين آيات الله التكامل لا الـتقابل أى أن آياته يُكمل بعضها بعضا لا يقابله. وتطبيقا لذلك أقول: ممـا يصحح أن (من) اسم فى تلك الآيات على ملاحظة مضاف إليه أننا

وجدنا فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ٤ الأنعام ، ٤٦ يس.

أفلا تكون هذه الآية مفتاحاً لمغاليق العقل البشرى حتى يدرك ما لم يذكر مما ذكـــر. وبذلك يتحقق فضيلة الإيجاز التى هى عنصر مهم من عناصر الإعجاز فى كلام الله عز وجل ؟!!

منهج النحاة فى هذه الآيات

وإنما حرصنا على ذكر هذا المنهج ليستبين للقارئ: أىُّ المنهجين أقوم سبيلا وأقوى دليلا.

يقـــول أبو حيان فى الآيــــة الأولى. يجوز أن يكون (من ربكم) فى موضع الـــصفة لأنــــه يتعلق بمحذوف . ويجـــوز أن يتعلق بـــ (جئتكم) أى : جئتكم من ربكم بآية"[١].

قال الألوسى: "و (من) على التقديرين لابتداء الغاية مجازاً"[٢].

"ولمَّا لم يوجد فى آية المائدة (وآية منك) فعِل اكتفوا فيها يجعل (منك) صفة لـــ (آية) يقول أبو البقاء: "من السماء: يجوز أن يكون صفة لـــ (مائدة) وأن يتعلق بـــ (أنْزِل) و (آية) عطف على (عيدا) و (منك) صفة لها"[٣].

وقـــال الألوسى : "منك : متعلقة بمحذوف وقع صفة لـــ (آية) أى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة بنوتى"[٤].

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٦٥.

(٢) روح المعانى ١/ ٥٨٧.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣٠.

(٤) روح المعانى ٢/ ٤٠٩.

ولست أدرى ما فائدة (كائنة) هنا ؟ هل أفادت شيئا جديداً ؟ هل إذا قلنا : محمد فى المسجد. احتاج هذا الأسلوب إلى (كائن) ؟ أو أن المعنى يدركه العقل من اللفظ وحده دون إضافة شئ إليه وشتان بين هذا المقدَّر (كائن) فتقديره تكدير. وبين المضاف إليه الذى أدركه العقل من نص الآيات ومِنْ ثَمَّ كان سبيلا إلى الإيجاز ودليلا على الإعجاز القرآنى.

ولما ذكر المضاف إليه فى آيتى الأنعام ويس (من آيات ربهم) قال الزمخشرى:" إن (من) الثانية للتبعيض"[(١)].

ولذا رأينا أبا حيان يقدر مضافاً إليه فى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ ٥٧ البقرة. حيث قال: "أى من صلوات ربهم . ومن ثَمَّ جعل (من) بعضية كما سيأتى بيانه.

وخلاصة القول أن (مِنْ) فى هذه الآيات العشر بين أن تكون حرف ابتداء متعلقة بالفعل قبلها. وفى هذا الفعل بينها وبينه كما ذكر أبو حيان فى (جئتكم بآية من ربكم) حيث جعله : جئتكم من ربكم بآية.

وأن تكون بعضية أى اسما ويدرك العقل مضافا إليه بعدها من سياقها ومن نظائرها فى القرآن التى ذكر فيها المضاف إليه. وهذا ما أراه لائقا بجلال وكمال كلام الله إذ لا يترتب عليه دعوى التقديم والتأخير المترتبة على الفضل بين الفعل وما يرتبط به.

٢- أمنة:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ ١١ الأنفال إننا نرى فى هذه الآية فعلا (يغشيكم) وفاعله هو (الله) عز وجل و (أمنة) مفعول لأجله

---

(١) الكشاف ٤/٢.

أى أن تغشية الله إياكم النعاس لأمنكم. (ومنه) ليس فى حاجة إلى ارتباطه بالفعل بل اللائق ارتباطه بـ (أمنة) وأن تكون (من) ابتدائية أي أن الله هو مصدر الأمن والأمان لهم.

يقول الزمخشرى: "المعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى: أمنا أى لأمنكم و (منه) صفة لها أى: أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل"[١].

فلو قلنا إن (من) الابتدائية يجوز أن تكون اسما لكان تقدير (منه): مصدرها الله فهو فى قوة جملة اسمية واقعة نعتا لـ (أمنة) فى محل نصب.

ولكن ذلك غير معهود فى نصوص عربية أصيلة فلا مناص من جعلها حرفاً وإن كان هذا محفوفاً بالغموض والإبهام فقد قال الأستاذ عباس حسن : "إن كلمة (ابتداء) وحدها التى تفهم من الحرف (من) هى اسم. وكلمة (من) نفسها هى حرف مع أنها تفيد عند وضعها في الجملة معنى الابتداء فكلاهما يتوقف فهمه على أمرين: شئ كان هو المبتدئ. وشئ آخر كان المبتدأ منه.

هل السبب ما سطروه من دليل جدلى مرهق هو: أن معانى الأسماء تتوقف على أمور كلية معلومة لكل فرد بداهة فكأنها مستقلة مستغنية عن غيرها: فلفظة (ابتداء) عندهم معناها مطلق ابتداء شئ من شئ آخر بغير تخصيص ولا تعيين ولا تحديد .. فيمكن أن يعرفه كل أحد يدركه بالبداهة كل عقل.

بخلاف معنى (الابتداء) فى لفظة (من) حين نقول مثلاً: سرت من القاهرة. فإن الابتداء هنا خاص مقيد بأنه ابتداء سير لا ابتداء قراءة أو أكل أو كتابة وأنه ابتداء سير من مكان معين هو القاهرة .... إلى أن يقول:

---

(١) الكشاف ١٥٨/٢.

أى أن المعنى إن لوحظ فى ذاته مجرداً من كل قيد كان مستقلا وكان التعبير عنه من اختصاص الاسم (كالابتداء).

وإن لوحظ حاله بين أمرين كان غير مطلق وغير مستقل وكان التعبير عنه مقصورا على الحرف.

فهل تقبل هذه العلل المصنوعة الغامضة ؟ وهل عرف العرب الأوائل الفصحاء قليلا أو كثيراً منها؟ وهل وازنوا واستخدموا القياس والمنطق وعرفوها فى جاهليتهم"[١].

مما لا شك فيه أن الإجابة على هذه التساؤلات غير ممكنة لأن العربى إنما صاغ لغته صياغة فطرية سلسة لا يشوبها تصنع ولا تعقيد وحينما نطقها كان مدركا لما يريده إدراكاً واضحاً لا يعتريه غموض ومن ثمَّ أدركه المخاطب على نفس الصورة الفطرية الواضحة.

فاللغة معنى نفسى قبل أن تكون نطقاً لفظياً. والمعنى نابع من القلب مندفع نحو القلب. وما اللفظ إلا دعاء حسى ينطقه اللسان وتتلقفه الآذان ليستقر المعنى فى الوجدان.

وإنما أعدت ذكر نص الأستاذ عباس حسن هنا بعد أن ذكرته فى الباب الأول ثم أشرت إليه في مستهل هذا الفصل لأني رميت من وراء ذلك إلى أن يقف القارئ على الفرق الدقيق بين (من) الاسمية و (من) الحرفية. فحينما تلمسنا الدلالة على اسمية الأولى وجدنا السبيل نحوها واضحة والحجة لها قوية صريحة فكم قرأنا للنحاة من لدن سيبويه إلى الآن أن (من) الاسمية بمعنى (بعض) وتستعمل استعمالها مع خفة اللفظ وجمال جرسه بخلاف لفظه (بعض) كما حققنا ذلك.

---

(١) النحو الوافى ١/ ٨٨: ٨٩. وانظر الإيضاح "وبغية الإيضاح ٣/ ١٣٦: ١٣٧.

فلـم تعـد اسمية (من) البعضية فى حاجة إلى حجة إذ حجتها فى اللغة ومن اللغة وإلى اللغة. وحسبها ذلك.

أمـا زعم اسمية (من) الابتدائية فبعيد المنال بل هو من المحال. وحسبك أن تـتأمل صياغة الآية التى نحن بصددها فستدرك أن استبدال كلمة (ابتداء) بـ (مِنْ) غير واردة ولا جائزة. فلا مناص من كونها حرفا والذى نحتاج إليه فى هذا المقام أنـنا نـؤكد ما سلف ذكره من أن الحرف ليس فى حاجة إلى ما يزعم النحاة وهو (المـتعلَّق) الذى يقدرونه بـ (كائن) فقد كررنا القول بفساد ذلك بعد أن قررناه لأن المعنى يدركه العقل فليس فى حاجة إلى هذا المقدر (المكدِّر) لصفو النص.

وقـد رأينا الزمخشرى يعبر بـ (حاصلة من الله) وما ذاك إلا شرح للمعنى وتوضيح. والآية فى غنى عنه إذ ما من أحد يقرأ قوله تعالى: "أَمَنَةً منه" إلا وأدرك أن الأمن والأمان من الله. وخاصة أنه فاعل التغشية أى التغطية عليهم بالنعاس.

ومما يلفت الذهن – فى هذا المقام – أن الخائف لا ينام ولا يسكن قَلْبُه وعينَه النعاس. فالذى يُحْدِث ذلك هو الله الذى يحيي ويميت. وينيم ويوقظ أليس هو القائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ٢٣ الـروم.

وهـو القائـل : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ ٩ النـبأ . قال الزمخشرى: "موتا . والمـسبوت المـيت. من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة . والنوم أحد الوفاتين – معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ ٤٢ الزمر – .. ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أى حياة فى

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ ١١ النبأ أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم. وقيل: السبات الراحة"[١].

فالنوم فى آية النبأ والمنام فى آية الروم والتوفية فى آية الزمر والنعاس فى آية الأنفال تتفق فى الغاية وهى قطع الحركة عن الجسد وقطع الضوء عن العين وقطع اليقظة عن الحواس الظاهرة كلها. ولا يقدر على ذلك كله إلا الله.

ومن ثم كان قوله (أمنة منه) واضحاً أن النعاس لأجل أمن أصحاب بدر وهم النبى عليه السلام وصحبه الكرام فهل يشك أحد فى أن هذا الأمن والأمان من الله: فلا حاجة بالنص إلى تقدير (كائنة) فهذا تكدير لصفو أمن الله عز وجل.

كما أنه لا حاجة إلى تكلف دعوى اسمية (من) الابتدائية فى مثل هذه الآية إذ لو قيل: و أمنة ابتداؤها الله. لكان رذلا من القول ولا يفوه بالرذل إلا الأرذلون.

٣- برهـــــان:

فـى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ ١٧٤ النساء. وقوله: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ ٣٢ القصص.

ففى آية النساء يقول الزمخشرى: "البرهان والنور المبين: القرآن أو أراد بالبرهان: دين الحق أو رسول الله صلى عليه وسلم. وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز"[٢].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤٨.

(٢) الكشاف ١/ ٤٦٤.

فـ (من) فى الآية إما ابتدائية أى حرف ابتداء إذ قبلها فعل يمكن ارتباطها به فالبرهان مصدره الله عز وجل سواء أكان المراد: القرآن أم الدين الإسلامى أم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإما بعضية أى اسم بمعنى (بعض) إذ العقل يدرك مضافا إليه بعدها أى من براهين ربكم. إذ لله براهين لا يعلم مداها إلا هو عز وجل وعلى كلا الوجهين لا يرد اعتراض لأن إدراك المضاف إليه ينطوى تحت فضيلة الإيجاز الذى هو دليل الإعجاز. ومن ثَمَّ فإنى أرجحه.

أما آية القصص (فذانك برهانان من ربك). فهى في حق موسى عليه السلام والمشار إليه هو قوله تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ ﴾ وفى سورة طه يقول الله: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٢٢.

وقد سبق الكلام على قوله تعالى (من غير سوء) فى آيات (من) المِثْلِيَّة أى التى بمعنى (مثل) كما سيأتى الكلام على قوله (من الرهب) فى آيات (من) التعليلية. فكلا منا هنا عن (من) فى (من ربك) . وفى آية القصص يقول الزمخشرى: "ومعنى : " واضمم إليك جناحك" وقوله : "اسلك يدك فى جيبك" على أحد التفسيرين واحد. ولكن خولف بين العبارتين . وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين. وذلك أن الغرض فى أحدهما: خروج اليد بيضاء. وفى الثانى: إخفاء الرهب.

فإن قلت: قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما إليه وذلك قوله فى سورة طه :" واضمم يدك إلى جناحك" وقوله فى سورة القصص: "اسلك يدك فى جيبك" فما التوفيق بينهما ؟

قلت: المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى. وبالمضموم إليه: اليد اليسرى. وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ..... (برهانان) حجتان بينتان نيرتان.

فإن قلت : لم سميت الحجة برهانا ؟ قلت: لبياضها وإنارتها من قولهم للمرآة البيـضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا. والدليل على زيادة النون قولهم: أبره الرجل إذا جاء بالبرهان.

ونظيره تسميتهم إياها- أي الحجة - سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها"(١).

وممـا يلفت الذهن أن (من ربك) فى هذه الآية غير مذكور قبلها فاعل يمكن ارتباطها به فتكون (من) ابتدائية أى حرف ابتداء. وعليه يكون معنى (من) مرتبطا بما يدركه العقل من المضاف إليه بعدها أى (برهانان من براهين ربك). فهى اسم بمعنى (بعض).

وبهـذا يتـضح أن (من ربك) فى آيتى النساء والقصص وصف لما قبله أى بعض براهين ربك. فـ (من) فى محل رفع . ولو قيل فى محل نصب حالا لجاز.

٤- بصائـــــر:

وذلـك فى آيتيـن هما قوله تعالـى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ١٠٤ الأنعام. وقوله: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ٢٠٣ الأعراف.

وهـنـاك آيـة أخرى وهى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ٢٠ الجاثية.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢١: ٣٢٢.

يقـول الزمخشرى فى آية الأنعام: "هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البـصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر"(١).

ويقـول فى آية الأعراف: "هذا القرآن بصائر من ربكم أى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمي. أو هو بمنزلة بصائر القلوب"(٢).

ويقـول فـى آيـة الجاثية: "هذا القرآن بصائر للناس. جعل فيه معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن. وقرئ: هذه بصائر أى هذه الآيات"(٣).

فالمـراد بالبـصائر فى الآيات الوحى والقرآن. وفى الآية الأولى فعل وهو (جـاءكم) ويحـتمل ارتـباط (من ربكم) به فتكون (من) ابتدائية أى حرف ابتداء. كمـا يحـتمل – وهو الظاهر اللائق بجلال النص القرآنى – أن يكون التأويل (من بـصائر ربكـم) فتكون (من) بعضية وصفا لما قبلها إما فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

ولا يـوجد فعـل فى الآية الثانية فاحتمال حرفية (من) ضئيل هزيل وكونها اسمية بمعنى (بعض) قوى جميل أى بعض بصائر ربكم.

وفى (من) الوجهان السابقان من الرفع على النعت والنصب على الحال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣.

(٢) الكشاف ٢/ ١٥٠.

(٣) الكـشاف ٤/ ٢٢٩ وقوله (جعل فيه من معالم ... الخ) على تقدير (ما) أى جعل ما فيه من معالم ... الخ.

٥- بـــــــلاغ:

وذلـــك فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا . إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ ﴾ ٢٢، ٢٣ الجن.

والمقصود هنا (بلاغا من الله) ومن قبل هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ٢١.

وقـــد جعل الزمخشرى قوله (قل إنى لن يجيرنى .... الآية) جملة معترضة بين الآية من قبلها والآية من بعدها. واعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى: أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه.

و (الملتحد) : الملجأ. وأصله المدّخل من اللحد . ....

وقـــيل (بلاغا) بدل من (ملتحدا) أى لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغه عنه مـــا أرسلنى به. وقيل (إلا) هى: إن لا ومعناه: إن لا أبلغ بلاغا. كقولك إن لا قياما فقعـــودا. و (رســـالاته) عطـــف علـــى (بلاغـــا) كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرســـالات والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله فأقول: قال الله كذا ناسبا لقوله إليه وأن أبلـــغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان. فإن قلت: ألا يقال: بلغ عنه؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ... بلّغوا عنى بلّغوا عنى" ؟

قلـــت: (من) ليست بصلة للتبليغ إنما هى بمنزلة (من) فى قوله : "براءة من الله" براءة بمعنى: بلاغا كائنا من الله"[١].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٠٥: ٥٠٦.

وفى هذا النص ما يلى:

(أ) أن الزمخــشرى جعل آية كاملة اعتراضية بين آيتين وهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ فهـــــــى اعتراضــيه بين قوله: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ وقوله: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ وعليه يكون إلا (بلاغاً) مرتبطا بـــ (ضرا ولا رشدا). أى أنه لا يملك لهم الضر والرشد ولكنه يملك البلاغ من الله.

(ب) ثم عاد بعد ذلك فقال: (وقيل : بلاغا بدل من) (ملتحدا) أى لن أجد من دونه ملجــأ إلا أن أبلغ بلاغا. وعلى هذا لا يكون هناك جملة اعتراضيه لأنه عليه الــسلام أُمِــرَ بقوله ﴿ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ثم أُمِرَ بقوله ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ .... الـــخ﴾ فبعد أن أُمِرَ بنفى ملكه لهم ضرا ولا رشــداً. نفى أن لن يجيره من الله إلا البلاغ. ويرى ابن المنير أن البلاغ مــستفاد من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾ ٢٥ الجن"[1].

(جـــ) جعل الزمخشرى (إلا) فى الأصل (إن لا) والمعنى على ذلك أنه لا يجد من دون الله منجى إن لم يبلغ رسالات الله عنه. إذ كيف يمكن أن يحميه أحد مما يفعله الله به حينذاك ؟! ومقتضى هذا أن منجاة الرسول عليه السلام وسلامته مــن عقــاب الله إنما تكون بتبليغ الرسالة. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ٦٧ المائدة.

---

(١) هامش الكشاف ٤/ ٥٠٥.

ففى قوله (وإن لم تفعل ...) تهديد ما بعده تهديد.

(د) ذكر الزمخشرى أن (من) فى (بلاغا من الله) مثلها فى (براءة من الله) وجعل التقدير : كائنا من الله.

وفى آية التوبة يقول: "من الابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة – يعنى صلة لـ (براءة) – كما فى قولك : برئت من الدين. والمعنى : هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين.

يقال: كتاب من فلان إلى فلان."(١).

فقوله (من: متعلق بمحذوف. لا ضرورة إليه لأن العقل البشرى يدرك المعنى بدونه فمن يمكنه أن يدعى عدم فهمه لقوله تعالى (بلاغا من الله بدون (كائن) التى قدرها أو ذكرها الزمخشرى.

إن هذا التقدير تكدير لاستغناء النص عنه . واقتناع العقل بمعناه دون ذاك المقدر أى المكدِّر.

وإذا كان البلاغ من الله فلابد أن يكون إلى البشر أو إلى الإنس والجن. فالابتداء مفهوم من (من) والانتهاء مفهوم من (إلى) كما فى مثال الزمخشرى: من فلان إلى فلان.

٦- بـــــلاء:

وردت فى آيات ثلاث هى:

قوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ٤٩ البقرة، ١٤١ الأعراف، ٦ إبراهيم.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٩.

وهذه الجملة من قبيل الجملة الظرفية فالظرف (فى ذلكم) رفع (بلاء) فاعلا. وهــذا الإعراب هو الذى يليق بجلال القرآن وكماله. أما قول النحاة إن (فى ذلكم) مــتعلق بمحــذوف (كائن) خبرا مقدما و (بلاء) مبتدأ مؤخر فينطوى على دعويين باطلتين هما: دعوى : الحذف - وهو حيف - والتقدير - وهو تكدير - ثم دعوى: التقديم والتأخير وهى خلاف الأصل فينبغى تنزيه كلام الله عنه.

و (مــن ربكم) صفة لــ (بلاء) يدرك العقل أن البلاء من ربكم أى مصدره ربهم فتكون (من) ابتدائية أى حرف ابتداء. كما يدرك أن هذا البلاء بعض ما يبتلى الله به عباده فتكون اسمية بمعنى (بعض) وهو وصف أيضا أى فى محل رفع.

وعــن المعنــى الأول يقــول أبو السعود: "أى بلاء من جهة ربكم فــ (من) ابتدائية" وهذا ما يدركه العقل كما قلنا. ولو قيل: بلاء مما يبتلى الله من عباده لكان أولى وأجمل. وعليه تكون (من) اسمية بمعنى: بعض[1].

٧- بَـيِّـنَـــــة:

وردت فى عشر آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ٥٧، ١٥٧ الأنعــــام. وقولــه: ﴿ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ٧٣، ٨٥ ﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ١٠٥ الأعراف. وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ..... ﴾ ١٧ ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي...... ﴾ ٢٨، ٦٣، ٨٨ هــود. وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ ١٤ محمد.

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/ ٣١٤.

وبالنظر فى هذه الآيات العشر ندرك.

(أ) أن الآيــة الأولى لا يوجد فيها فعل يمكن ارتباطِ (من) به. فالراجح فيها أن تكـون من قبيل الإيجاز أى (على بينة من بينات ربى) فـ (من) اسم بمعنى بعض وصف لـ (بينة) فى محل خفض نعتا أو محل نصب حالا.

ويجوز أن تكون حرف ابتداء لأنها تثبت جهة البينة وهى الله عز وجل.

(ب) وفـى الآيـات الخمـس التالية للأولى فعل من مادة (ج ى ء) أى : جاءكم، جـاءتكم. جئتكم. فإن جعلنا (من) مرتبطة بهذا الفعل كانت ابتدائية فهى تفيد ابتداء الحدث وهى المجئ.

والأولَـى من ذلك أن تكون من قبيل الإيجاز أى من بينات ربكم بما فيه من تنـزيه الله عن الجهة أو ابتداء الحدث. ولما فيه من فضيلة الإيجاز التى هى حلية ثابتة لكلام الله عز وجل.

(جـ) وفى الآيات الأربع الباقية نجد (مِنْ) مسبوقة بالفعل (كان) أو (كنت). وفى إحـداهما يقـول أبو السعود: "من ربى: متعلق بمحذوف هو صفة لـ (بينة) مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية"(١).

ولعله بذلك ينأى بـ (من) أن تتعلق بـ (كان) لأنها عند بعضهم لا تتضمَّن معنـى الحدث . والحق أنها تتضمنه ومن ثَمَّ يجوز ارتباط (من) به فلا نحتاج إلى مـتعلَّق مقدر. وأما دلالة (بينة من ربى) على التعظيم فلا غبار عليه بل هو اللائق بالمقام. ولكن الأولَى من ذلك أن نجعل الكلام من قبيل الإيجاز أى من بينات ربى. ففـى هذا تكثير لتلك البينات مع تعظيمها بكونها من الرب. فـ (من) بعضية وهى

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٢٨.

وصـــف لـــــ (بيـــنة). وقد سلك أبو حيان هذا المنهج فى قوله تعالى: ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٢٧٩ البقرة كما سيأتى.

٨- توبـــــة فى:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٩٢ النـــساء. يقـــول فيها الزمخشرى: "فمن لم يجد رقبة بمعنى: لم يملكها .. فعليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه. من : تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني: شرع ذلك توبة منه"(١).

وعلـــى هـــذا التقدير تكون (فعليه صيام ...) جملة ظرفية أى أن (صيامه) مرفوع بظرف يدركه العقل من المقام وهو (عليه) الذى يفيد الإلزام والوجوب. ولذا أرى أن مــا يلمحه العقل فى هذا المقام هو (فيلزمه) أو (فيجب عليه) لتكون الجملة فعلـــية وبـــذلك نقطع الطريق على من تسول له نفسه فيدعى أن (فعليه صيام) فيه تقديم وتأخير فضلا عن الحذف والتقدير . وما أغنانا بل ما أغنى النص عنه.

وأما قول الزمخشرى (قبولا من الله ورحمة منه) ففيه إشارة إلى أن من صام هـــذين الشهرين بهذه الكيفية قَبِلَ الله منه توبته. وعلى هذا تكون (من) حرف ابتداء إذ القبول مصدره : الله عز وجل.

٩- جـــــزاء فى:

قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ ٣٦ النبأ، وقد وردت هذه الآيـــة بعـــد خمـــس آيات فى صفة جزاء المتقين وهى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا .

---

(١) الكشاف ١/ ٤٢٦.

حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا . وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا . وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا . لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ ٣١ : ٣٥.

فمعانى هذه الآيات هى المقصودة بـ (جزاء من ربك) أى مجازاة ومكافأة ومصدرها ربك الذى لا ينفد عطاؤه ولا ينتهى مدده.

١٠- محبـــة فى:

قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ ٣٩ طه.

قال الزمخشرى: "منى: لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت . فيكون المعنى على : إنـــى أحببـــتك ومن أحبه الله أحبته القلوب. وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـــ (محبة) أى محبة حاصلة وواقعة منى"[١].

ومعنى الآية على هذا الوجه يدركه العقل دون تقدير؛ إذ ما الذى يفهمه العقل غير هذا من نصها ؟ ولا شئ سواه. ولو قيل: التقدير محبة من محبتى لكانت (من) بمعنـــى (بعـــض) إذ حـــب الله لعـــبـــاده مـــتعدد متنـــوع. وبذلك تكون الآية من قبيل الإيجاز.

١١- حبـــل فى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ١١٢ آل عمران.

"فـــسر مجاهد الحبل بالعهد أى بعهد الله وعهد الناس[٢] وذكر الزمخشرى أن المراد بـــ (الناس) المسلمون حيثُ قال: يعنى: ذمة الله وذمة المسلمين"[٣].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٢) جامع البيان ٤/ ٣٠.

(٣) الكشاف ١/ ٣٠٨.

فـ (من) إما ابتدائية بدون تقدير لشئ إذ المعنى يدركه العقل من النص وإما أن نجعـل الآية مما فيه حلية الإيجاز أى بعهد من عهود الله. ومن عهود الناس . فتكون (من) بعضية وهى صفة لـ (حبل) بطريق النعت فتكون فى محل خفض أو بطريق الحال فتكون فى محل النصب.

١٢- حـــرب فى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ٢٧٩ البقرة.

ذكر الزمخشرى: "أن قوله (بحرب من الله ورسوله) أبلغ مما لو قال: بحرب الله ورسوله. لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله"(١).

وقـال أبو حيان: "إنما قيل: بحرب من الله لأن فيها نصا بأن من الحرب من الله لهم فالله تعالى هو الذى يحاربهم. ولو قيل: بحرب الله لاحتمل أن تكون الحرب مـضافة للفاعل فيكون الله هو المحارب له وأن تكون مضافة للمفعول فيكونوا هم المحاربين لله. فكون الله محاربهم أبلغ وأزجر فى الموعظة من كونهم محاربين الله ... ثـم ذكر أن (من) يجوز أن تكون لابتداء الغاية وفيه تهويل عظيم. إذ الحرب من الله ومن نبيه عليه السلام لا يطيقه أحد. وأن تكون للتبعيض على حذف مضاف أى من حروب الله"(٢).

فعلـى الأول تكـون (مـن) حرفا. وعلى الثانى تكون اسما ذات محل من الأعراب نعتا أو حالا. وهو الراجح.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٤٦.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٣٩.

١٣- تخفيـف فى:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٌ ﴾ ١٧٨ البقرة.

١٤- درجـــة فى:

قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةً وَرَحۡمَةً ﴾ ٩٦ النساء.

أما آية (تخفيف) فهى فى شأن العفو من ولى المقتول عن القصاص إلى الدية وبـــيان أن ذلك تخفيف من ربنا عن القاتل ورحمة به. ولا شك أن التخفيف يسير. والله يـــريد بنا فى تشريعاته لنا اليسر ولا يريد العسر فلو جعلنا (من) حرف ابتداء كانت مرتبطة بـــ (تخفيف) وإذا جعلناها بعضية كان ملحوظا بعدها مضاف إليه أى ذلك تيسير من تيسيرات ربنا فهى فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

وأما آية النساء فـــ (درجات .. ومغفرة ورحمة) منصوبات لأنها بيان لقوله فى الآية من قبلها: : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا. دَرَجَٰتٍ مِّنۡهُ ..... الخ ﴾.

ولـــك أن تجعل (من) حرف ابتداء إذ مصدر هذه الدرجات هو الله عز وجل وأن تجعلهـــا اســـما بمعنى (بعض) أى درجات ما عنده من درجات غزيرة وفيرة متنوعة. وهى فى محل نصب نعتا كانت أو حالا.

١٥- ذكـــــر: فى أربع آيات هى:

قـــوله تعالـــــى: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ٦٣، ٦٩ الأعـــراف. وقـــوله: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢ الأنبياء. وقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ٥ الشعراء.

قال أبو البقاء فى الأولى: "من ربكم: يجوز أن يتعلق بـــ (جاءكم) ويجوز أن يكون صفه لـــ : ذكر"(١).

وقـــال فـــى آية الأنبياء: "من ربهم: يجوز أن يتعلق بـــ (يأتيهم) وأن يكون صفة لـــ (ذكر) وأن يتعلق بـــ (محدث) وأن يكون حالا من الضمير فى (محدث)(٢).

فعلى جعل (من ربكم) و (من ربهم) صفة يكون الكلام على ملاحظة مضاف إلـــيه أى من أذكار ربكم وهى الرسائل التى ينزلها الله على أنبيائه ورسله ليبلغوها إلى أُمَمِهِمْ لتحفظهم من الضياع فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة أما قول أبى البقاء (وأن يتعلق بـــ (محدث) وأن يكون حالا من الضمير فيه) فليس بمقبول لما يترتب عليه من دعوى التقديم والتأخير إذ يكون نسق الآية (ما يأتيهم من ذكر محدث من ربهـــم .... الخ) وهذا لا يتفق والنسق القرآنى فضلا عما فيه من افتئات على حق كلام الله عز وجل.

ثـــم إنـــه ما دام المعنى مفهوما من النص على نسقه دون تعديل أو تأويل أو حذف وتقدير فما الداعي إلى الإثقال والتطويل ؟؟

هـــذا : وممـــا ينبغى الالتفات إليه أن (من ذكر) فى آيتى الأنبياء والشعراء ليـــست مـــناط بحثنا هنا بل سَلَفَ القول عنه فى فصل (مِنْ) المزعوم زيادتها وبينا هناك أنها اسم بمعنى (بعض) فاعل (يأتيهم).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٨.

وإذا كـــان الأمر كذلك فالأولى جعل قوله تعالى (من ربهم) و (من الرحمن) مــرتبطا بالفعــل (يأتيهم) فتكون (من) حرف ابتداء أى من جهة ربهم أو من جهة الــرحمن. لأن (من) فى قوله (من ذكر) اسم بمعنى (بعض) وبذلك يكون (من) فى هاتين الآيتين مرتين اسما ومرتين حرف ابتداء.

أمـــا فـــى آيتى الأعراف فهى اسم على الراجح أى بعض ذكر ربكم. وبذلك يكون نعتا لــ (ذكر) فى محل رفع ويجوز أن تكون حالا فى محل نصب.

١٦- رحمـــــة: فى ثمانى عشرة آية هى:

قـــوله تعالــى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ١٥٩ آل عمـــران. وقـــوله: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ ١٧٥ النـــساء. وقـــوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ ٧٢ الأعراف. وقوله: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ ٢١ الـــــتوبة ، ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ ، ﴿ نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ ، ﴿ نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ ٥٨، ٦٦، ٩٤ هود . وقوله: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ ، ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ ، ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ..... ﴾ ٢٨، ٨٧ الإســـراء . وقوله: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، ﴿ قَالَ هَٰذَا

رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ ٨٢، ٩٨ الكهف. وقوله: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ ٢١ مريم . وقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ... ﴾ ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ٤٦، ٨٦ القصص . وقوله: ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ . إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ٤٤ يس ، وقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ٤٣ ص. وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى .... ﴾ ٥٠ فصلت. وقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ٥، ٦ الدخان.

وبدقة الملاحظة فى هذه الآيات يدرك القارئ أن (رحمة من الله) و (رحمة منه) و (رحمة منا) و (رحمة من ربك) و (رحمة من ربى) فيها (من) غير مرتبطة فى المعنى بالأفعال فى هذه الآيات. بل معناها مرتبط بـ (رحمة) والراجح – إن لم يكن الصواب – أن تكون ملحوظا فيها مضاف إليه يقبل التبعيض أي (من رحمات ربك) وعليه فـ (من) بعضية فى محل نصب حالا ويجوز أن تكون نعتا تابعا لمنعوته فى الإعراب.

ولكن أبا السعود يأبى إلا ادّعاء حذف شئ تتعلق به (من) دون ما فائدة حيث يقول: "منه: متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لـ "رحمة" [1].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٧٩.

ولو صرح به لذكر كلمة (كائن) وبأدنى ثقافة ذهنية يدرك القارئ أن هذا لا يضيف معنى إلى النص بل هو ثقل فى اللفظ فقط. وأما أن نلحظ جمعاً مضافاً إليه تكـون (من) بعضية ففى ذلك اعتراف وتنبيه إلى فيض رحمة الله أليس هو القائل: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ١٥٦ الأعراف. فهى متنوعة تنوع المرحوم.

١٧- رسول: فى خمس آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٦١، ٦٧، ١٠٤ الأعـراف. وقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ٢ البينة.

و (رسـول) فى هذه الآية بيان كقوله فى الآية من قبلها (حتى تأتيهم البينة) فرسول الله هو البينة التى يهتدى بها الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون.

وفيها يقول أبو البقاء: "من الله: إما صفة لــ (رسول) أو متعلق به"[1] . فعلى كـونه صـفة نلحظ مضافاً إليه أى من رسل الله أى بعضهم فهو صفة إما بطريق النعت فهو فى محل رفع وإما بطريق الحال فهو فى محل نصب.

وأما على كونه مرتبطا بـــ (رسول) فلأن (رسول) بمعنى (مُرْسَل) ففيه معنى الحدث الذى يرتبط به حرف الإضافة وهو (من) الابتدائية هكذا قدره المجد"[2].

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٧.

(٢) انظر القاموس ٣/ ٣٨٤.

وقــد جــاء (مرسل) فى الآية الخامسة حيث يقول الله: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٧٥ الأعــراف. فهــذا يزكى ما ذكره المجد و(مِنْ) فيها حرف إضافة ومعناه الابتداء.

١٨- رضــوان: فى آيتين هما:

قــوله تعالـــى: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ ١٥ آل عمــران وقــوله: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ ٧٢ التوبة.

أما الآية الأولى فــ (رضوان) معطوف على (جنات) فى الآية نفسها ونصها: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ .

و (جنات) مرفوع بالظرف (للذين اتقوا) فلا داعى فيه لدعوى أنَّ تقدير الآية (جــنات تجــرى من تحتها الأنهار كائنة للذين اتقوا) ففى هذه الدعوى زعم التقديم والتأخيــر وهو خلاف الأصل بلا داع إليــه. وزعم الحذف وهو (حيف) والتقدير وهو (تكدير).

وعلى هذا يكون (جنات) فاعل الظرف و (أزواج مطهرة) معطوف عليه وكذا (ورضوان من الله). و(من) إما ابتدائية تثبت أن الله هو مصدر هذا الرضوان. فهى حرف. ولا غبار على ارتباط (من الله) بــ (رضوان) لأنه مصدر سواء أكان بضم الراء أو كسرها.

قال الرازى: "قرأ عاصم (ورضوان) بضم الراء والباقون بالكسر. أما الضم فهــو لغة قيس وتميم قال الفراء: يقال رضيت رضا ورضوانا . ومثل (الرضوان) بالكسر: الحِرْمان والقِرْيان. وبالضم : الطغيان والرجحان والكفران والشكران"(١).

وقال السفاقسى : "قرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر"(٢).

واضح من هذا أن الكلمة مصدر. والمصدر لا يحتاج الظرف بعده إلى تقدير شئ يتعلق به بل هو صالح لذلك.

ولكن أبا السعود يأبى إلا التقدير حيث يقول: "والتنوين للتفخيم وقوله (من الله) مــتعلق بمحــذوف وقع صفة له مؤكده لما أفاده التنوين من الفخامة أى: ورضوان وأى رضوان لا يقدر قدره كائن من الله عز وجل"(٣).

ولــست أدرى وجها لذلك ما دام (رضوان) عظيم بتنوينه أى بذاته إذ التنوين جزء منه. فلم الإثقال والإرهاق بدعوى ما يكدر هذا الصفو ؟؟

وأمــا آيــة الــتوبة (ورضوان من الله أكبر) فهى جملة فيها (رضوان) مبتدأ و (مــن الله) مرتبط به على ما سبق توضيحه و (أكبر) خبر. ولا يغيب عن الذهن هنا أن (رضوان) فيه من التعظيم ما سبق فى آية آل عمران.

ومــع عظمته يوصف بأنه (أكبر) مما سبق فى الآية نفسها وهو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾ . ثــم قال (ورضوان من

(١) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٣٤ وفى لسان العرب: قرُب الشئ بالضم يقرب قُربا وقُربانا أى دنا.

(٢) غيث النفع ص ٧٩.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢/ ٣٣٩.

الله أكبــر) . أى أعظم وأكبر من الجنات ذات الأنهار الجارية والمساكن الطيبة. وكــيف لا ؟ والرضوان من صفات الله عز وجل فهى النعيم كل النعيم. فشتان بين النعيم الحسى الذى يفنى ويتجدد والنعيم السرمدى الذى لا يزول ولا ينفد.

هذا على أن (من) حرف ابتداء.

ويمكنـــنا أن نلحظ مضافا إليه بعدها فتكون بعضية أى أن هذا الرضوان مع عظمـــته وســـرمديته لأنه من صفات الله عز وجل. يكون بعض رضوان الله. فـــ (مـــن) فى محل رفع نعت لـــ (رضوان) ويجوز أن يكون فى محل نصب حالا أى حالة كونه بعض رضوان الله.

١٩- روح : فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ ١٧١ النساء. وقوله: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ ٢٢ المجادلة.

ففى الآية الأولى كانت كلمة (من) محور البحث والدراسة من العلماء لأنه قد يفهم منها أن المسيح ذو علاقة بالله تغاير علاقة غيره من البشر به. ومن ثم لزمنى هنا أن أطيل الحديث عنها بذكر ما يراه العلماء فيها.

(أ) ذكر ابن العربى أن فى (روح) ستة آراء هى:

(١) أنها نفخة نفخها جبريل فى جيب درعها. وسميت النفخة روحا لأنها تكون من الريح. (٢) أن الروح: الحياة. (٣) أنه رحمة. (٤) أن (روح) صورة لمّا خلق الله آدم أخرج من صلبه ذريته وصورهم ثم أشهدهم على أنفسهم: ألست بـــربكم؟ قالـــوا : بلـــى ثم أنشأهم كرة أخرى أطوارا وجعل لهم الدنيا قرارا.

فـــ (عيــسى) من تلك الأرواح أدخله فى مريم. واختار هذا ابن أبى كعب. (٥) روح: صورة ضورها الله تعالى ابتداء وجهها مريم. (٦) سر روح منه. يعنى: جبريل. وهو معنى الكلام ألقاها إليه روح منه إلقاء الكلمة كان من الله ثـم مـن جبـريل. قـال الطبرى: وهذه الأقوال كلها محتملة غير بعيدة عن الصواب. قال القاضى وفقه الله : وبعضها أقوى من بعض"(١).

(ب) وخــوفا مــن إعطاء الفرصة الأصحاب عقيدة التثليث بادر علماؤنا فقالوا إن (مِنْ) هنا ابتدائية أى حرف ابتداء لا بعضية أى ليست اسما بمعنى (بعض).

يقــول أبو حيان: "و (من) هنا لابتداء الغاية وليست للتبعيض كما فهم بعض النــصارى فأدعـــى أن عيـــسى جـــزء من الله فردَّ عليه علىّ ابن الحسن بن وافد المَــرْوَزِي حـــين اســـتدل النـــصرانى بأن فى القرآن ما يشهد لمذهبه وهو قوله (وروح منه).

فأجابـــه ابـــن وافـــد بقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ١٣ الجاثـــية. وقال: إن كان يجب بهذه أن يكون عيسى جزءا منه وجب أن يكون (ما فى السماوات وما فى الأرض) جزءا منه.

فانقطع النصرانى وأسلم. وصنف ابن وافد إذ ذاك كتابة : النظائر"(٢).

(ج) هكـــذا قرر أبو حيان – وربما يروق ذلك بعض الباحثين– ولكن الحقيقة غير ذلـــك لأن (مِـــنْ) تكون اسما بمعنى (بعض) مع إدراك الفعل مضافا إليه أى (وروح من أرواح الله التى يحيى بها لا التى يحيا بها)، وفى ذلك يقول الإمام

(١) أحكام القرآن ق ١ ص ٥١٧.

(٢) البحر المحيط ٣/٤٠٠.

الرازى :" أدخل التنكير فى لفظ (روح) وذلك يفيد التعظيم فكان المعنى: روح من الأرواح القدسية الشريفة العالية وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم"(١).

وبـــذلك يتساوى المسيح مع غيره من البشر فى أنه من أرواح الله التى يحيى بها الكائنات الحية، وليست روحا يحيا بها الله تقدس فى علاه. فهو كما قال الله فى حق آدم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ٢٨: ٢٩ الحجر. أى من الروح التى أُحْيِى به الكائنات الحية. لا التى أحيا بها.

(د) يقول الله فى الآية التى نحن بصدد دراستها (وكلمته ألقاها إلى مريم) ويقول فى آية أخرى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ ٤٥آل عمران.

يقـــول الزمخـــشرى:" وقـــيل لـــ (عيسى) : (كلمة الله وكلمة منه) لأنه وُجِدَ بكلمـــته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة. وقيل له (روح الله) و (روح مـــنه) لـــذلك لأنه ذو روح وُجِدَ من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحى. وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة"(٢).

---

(١) من مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣.

(٢) الكشاف ٤٦٠/١.

ألــيس في هذا معنى: أن المسيح روح من أرواح الله التى يُحْيِى بها لا التى يحــيا بها. وبذلك تكون (من) بعضية فى محل رفع نعتا وإن قيل: فى محل نصب حالا فلا بأس.

(هـ) ومما يثبت بعضية (من) فى هذه الآية ما جاء فى تفسير المنار من أن الإمام محمــد عــبده حــاول تقــريب خلــق عيــسى مــن غير أب إلى الأذهان ونــصه:" ويمكــن تقــريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة فى نظام الكون بوجهين:

(الأول) أن الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب وعلى المجموع العصبى يُحْدِث فى علم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد. فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا. وليس فى بدنه شئ من جراثيم هذا المرض فولَّد له اعتقاده تلك الجراثيم وصار مريضا... والحوادث فى هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب.

وإذا اعتبــرنا بهــا فى أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالــى ســيهب لها ولدا. بمحض قدرته وهى على ما هى عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعال فعل فى الرحم فعل التلقيح كما يفعل الاعتقاد القوى فى مزاج السليم فيمرض أو يموت. وفى مزاج المريض فيبرأ. وكان نفخ الروح متمما لهذا التأثير.

(الثانــى) وهــو أقــرب إلى الحق وإن كان أخفى وأدق. وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزة فى تأثير الأرواح فى الأشباح وهى:

أن المخلــوقات قــسمان: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة وأن اللطيف هو الذى يُحْــدِثُ فــى الكثيف الحى ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد الذى يكون من الــنمو. أو يكــون النمو منه. فلولا الهواء لما عاشت هذه الأحياء. والهواء: روح. ولذلك كان من أسمائه إذا تحرك: الريح. وأصلها رِوْح بكسر الراء ولأجل الكسرة قلبت الواو ياء لتناسبه. والماء الذى منه كل شئ حى من روحين لطيفين وهو يكاد

يكون فى حال التركيب بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب إلى الثانى والكهربائية من الأرواح وناهـيك بفعلها فى الأشباح فإذا كان الأمر كذلك فى الأرواح التى لا دليل عـندنا علـى أنهـا تُـدْرِك وتُـرِيد. فلِمَ لا يجوز أن يكون تأثير الأرواح العاقلة المريدة أعظم.

إذا تمهـد هـذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المنبثة فى الكائنات قد أرسل روحا من عنده إلى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح فى رحمها فحملت بعيسى عليه السلام. وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ الله أعلم"[١].

ففى هذا النص يتضح أن معنى البعضية هو المراد بـ (منه) لتعدد الأرواح التـى يحيا بها الكائنات والله وحده هو الذى يعلم سرها كما أنه الذى يقدر على بثها ونشرها فى الأجساد.

هذا: ويرى الدكتور عبد الله شحاته أن الإمام محمد عبده متأثر فى حديثه عن المعجـزات الإلهية والنبوات بالمؤلفين الفرنسيين فهو يحاول أن يُقَرِّبَ إلى الأذهان المعجـزات الإلهـية ويعلـل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ويُقَرِّبُها من خضوع الأسباب للمسببات. فمن ذلك حديثه عن خلق عيسى عليه السلام من غير أب حيث يقول: " ويمكن تقريب هذه الآية... إلى آخر نص الإمام محمد عبده"[٢].

أقول: لا غبار على الإمام محمد عبده فى هذا المنهج الذى ينير العقل بالفكر المستقيم ويُطَمْئِنُ القلب بنور الهدى واليقين.

هـذا عن آية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى سورة النساء. أما قوله تعالـى: "وأيدهم بروح منه" فى المجادلة. فيقول فيها الزمخشرى:" بلطف من عنده حَيِـيَتْ بـه قلـوبهم. ويجـوز أن يكون الضمير لـ (الإيمان) – يعنى فى قوله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٠٩.

(٢) منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن ص ٩٨.

(أولـئك كـتب فى قلوبهم الإيمان)- أى بروح من الإيمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به"(١).

فعلـى المعنى الأول تكون (من) بعضية لأن لطف الله متعدد متكاثر فتأييده للمؤمنـين مـتعدد متـنوع علـى حـسب الواقـع فالمعنى: وأيدهم بقوة من قواه التى لا تقهر.

وكذا على المعنى الثانى فالمراد (روح الإيمان) قوته التى لا تضعف وقدرته التى لا تتخلف. والإيمان ذو قوى قاهرة إذ يجعل المؤمن متعدد جوانب الدفاع عنه.

ومـع هـذا يأبـى بعض علمائنا الأجلاء إلا أن يَحْمِلَ الآية على تأويل من الـتأويلات المفروضة على نصوص القرآن الكريم فرضا يجعلها فى مقام المنكر المـرفوض. فهاهـو ذا أبو السعود يقرر أن (من) تجريدية على الوجه الأخير من وجهى الزمخشرى(٢).

أى أنـنا افترضـنا أن الإيمـان متفـرع عـنه تلـك الروح كما فى قولهم (لـى مـن محمـد صديق) أى يتفرع عن محمد صديق. وفى هذا دليل قوى على صداقة محمد للقائل إذ كيف لا يكون صديقا له مع أن الصديق يتفرع منه.

ألـيس فى هذا ما يشبه اللف والدوران حول المعنى المراد وإن صح ذلك فى الـشعر أو فـى كلام البشر فلا يجوز أن نتخيله فى كلام الله عز وجل. فلكل كلام منهج فى الفهم والإفهام.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩٦.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ٥/ ١٤٨.

٢٠- سخط: فى

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ١٦٢ آل عمران. ومما ينبغى استحضاره هنا أنه قد سبق آيتان وهما: (ورضوان من الله) بذكــر (من) بعد (رضوان) ولم تذكر هنا حيث لم يكن النص (رضوانا من الله كما ذكــرت فى (سخط من الله). وقد عرفنا هناك أن (من) بعضية لأن رضوان الله لا يدرك مداه إلا الله.

ويــبــدو أن المعنى هنــا على ملاحظة (سبيل) أى أفمن اتبع سبيل رضوان الله كمن باء بسخط من سخطه. أى رجع إلى ربه يوم القيامة بذلك. فبوءه على الله يــوم القــيامة بهــذا السخط يقتضى أنه لم يتبع فى الدنيا سبل رضوانه وغفرانه. فــ (من) بمعنى (بعض فى محل خفض نعتا لــ (سَخَطٍ) ولو أعربت بالنصب حالا لما منع مانع.

٢١- سكينة: فى

قوله تعالى: ﴿ إن آيـة ملكـه أن يأيتكم التابوت فيه سكينة من ربكم ﴾ ١٦٨ البقرة. يقول الألوسى :" من: لابتداء الغاية أو للتبعيض أى من سكينات ربكم"(١).

ولا شك أن الثانى أرجح وأقوى دليلا على سعة فضل الله. فــ (من) فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

٢٢- صلاه: فى

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ ١٥٧ البقرة.

---

(١) روح المعانى: ١/٤٥٥.

قالَ أبو حيان:" وصفها بكونها (من ربهم) ليدل بـــ (من) على ابتدائها من الله أى تنشأ تلك الصلوات وتبتدئ من الله. ويحتمل أن تكون (من) تبعيضية على حذف مضاف أى صلوات من صلوات ربهم"(١).

ولا يخفـــى على القراء وجاهة الوجه الثانى لأن فيه إثبات فيوضات الله عز وجل على عباده الصابرين.

٢٣- طائف : فى

قوله تعالى: ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ ١٩ن.

والواضح أن (من ربك) مرتبط بـــ (طائف) فهو اسم فاعل يصح تعلق حروف الإضافة به ومع تعليقه له يفيد أنه صفة له. دون حاجة إلى تقدير شئ (يكـــدر) صـــفوه. ولكن بعض علمائنا يأبى إلا ذلك التكدير، يقول الجمل:" مِنْ رَّبك: يجوز أن يتعلق بـــ (طائف) وأن يتعلق بمحذوف صفة لـــ: طائف"(٢).

ولا داعـــى للثانـــى إذ تعلقـــه بـــه يفيد أنه صفة له إذ المعنى: طائف مصدره ربك.

٢٤- غضب: فى ست آيات هى:

قـــوله تعالـــــى: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٦١ البقـــرة، ومـــثلها ١١٢ آل عمـــران غير أن (وباءوا) بالواو. وقوله تعالى: ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن

---

(١) البحر المحيط ٤٥٢/١.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٣٨٦/٤.

رَّبِّهِمْ ﴾ ١٥٢ الأعــراف. وقوله: ﴿ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ١٦ الأنفال، وقوله:﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ١٠٦النحل. وقوله: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ ٨٦ طه.

ففــي آيات البقرة وآل عمران والأنفال سبقت (من) بالفعل (باْء) وقد ذكر أبو حــيان أنــه يحتمل معانى أربعة وهي: الرجوع، والاستحقاق، والنزول، والتمكن، و(مــن الله) يحــتمل أن يكون متعلقا به إذا كان بمعنى (رجع) وكأنهم كانوا مقبلين علــى الله فبعــصيانهم رجعــوا منه أى من عنده بغضب ويحتمل أن يكون متعلقا بمحــذوف ويكون في موضع الصفة أي بغضب (كائن) من الله وهذا الوجه ظاهر إذا كان (باء) بمعنى: استحق أو بمعنى: نزل وتمكن ويبعد هذا الوجه الأول"[١].

وإنمــا لــم تكن (من) وصفا على الوجه الأول وهو تعلقه بالفعل لأن الفعل لا يوصــف. هــذه واحدة وأما تقديره (كائن) فلا حاجة بالنص إليه لأن أى قارئ للآيــة يعلــم أن (غضب من الله) فيها موصوف وصفة. غير أن الآية من باب ما يدركــه العقــل من المذكور أى من غضب الله فتكون (من) بمعنى (بعض) وبهذا يتحقق معنى الوصف. وإفادة أن (غضب الله) يقابل (رحمته) ولما كانت رحمته تسع كــل شئ فكذلك يكون غضبه ومن العجيب أن أبا حيان يقر هذا القول الذى يترتب عليه فضل الإيجاز في القرآن كثيرا كما سلف ذكره.

وأما آية الأعراف (ونالهم غضب من ربهم) وآية طه (أن يحل عليكم غضب من ربكم) فالظاهر فيهما أن (من الله) على لمح مضاف إليه أى من غضب ربهم أو

---

(١) البحر المحيط: ٢٣٦/١.

ربكم. فـ (من) وُصِفَ بـ (غضب) وإنما كان الظاهر لأنه يترتب عليه ارتباط كل كلمة بما قبلها دون فاصل بينهما. وهذا أعلى درجة فى البلاغة والبيان.

وتبقى آية النحل (فعليهم غضب من ربهم) وهى من قبيل الجمل الظرفية إذ الظرف (عليهم) رَفَعَ (غضب) فاعلا له. و(من ربهم) على تقدير من غضب ربهم. تكون بعضية فى محل رفع نعتا لـ (غضب).

٢٥- مغفرة: فى سبع آيات:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلاً﴾ ٢٦٨ البقرة، وقوله:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ، ﴿ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ ، ﴿ لَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ ١٥٧،١٣٦،١٣٣آل عمران

وقوله: ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ ١٥محمد، وقوله: ﴿ وَفِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٌ ﴾ ،﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ٢٠، ٢١الحديد.

يقول أبو البقاء فى الأولى : (والله يعدكم مغفرة منه):" منه: يجوز أن يكون صفة. وأن يكون مفعولا متعلقا بـ (يعد) أى: يعدكم من تلقاء نفسه"(١).

والذى يفهمه القارئ من قول أبى البقاء: (يجوز أن كون صفة) أنه يقدر له مستعلقا وهو (كائن) أى يعدكم مغفرة كائنة منه. وقد علمنا أن هذا لا حاجة بالنص

إليه. والحق أن يُقدَّرَ مضافٌ إليه أى (من مغفرات الله) فـ (من) اسم بمعنى بعض كما يفهم من قوله (وأن يكون مفعولا...) ما يقرره النحاة من أن (بمحمد) من قولنا (مررت بمحمد) فى محل نصب مفعولا لـ (مررت) وقد سبق توضيح ذلك عن سيبويه وغيره من العلماء.

هذا: وقد اقتصر الإمام الرازى على الأول حيث يقول:" وفى الآية لفظان يدلان على كمال هذه المغفرة:

أحدهما: التنكير فى لفظه المغفرة والمعنى: مغفرة أىُّ مغفرة.

الثانى: قوله (منه) فهو يدل على كمال حال هذه المغفرة لأن كمال كرمه ونهاية جوده معلوم لجميع العقلاء. وكون المغفرة منه معلومة أيضا لكلٍّ أحد. فلما خص هذه المغفرة بأنها (منه) علم أن المقصود تعظيم حال هذه المغفرة لأن عِظَمَ المُعْطِي يدل على عظم العطية"(١).

وإذا كان الأمر كذلك فالجدير بالمقام جعل الآية من باب الإيجاز وكَأَنَّ الأصل "مغفرة من مغفراته عز وجل" وقد صرح السمين بذلك فى الآية الثالثة (فجزاؤهم مغفرة من ربهم) فنقل عنه الجمل أنه يجعل (من) للتبعيض مع تقدير مضاف أى من مغفرات ربهم"(٢).

وعلى هذا تكون (من) بعضية فى اسم تابع لـ (مغفرة) فى إعرابها رفعا أو نصبا أو خفضا.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣٥٩/٢.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين: ٣٧٩/١.

٢٦- فتـــح:

في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾

١٤١النساء.

وتكملة الآية: ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ ،

وأسلوب (كان) هنا بألف النحويون فيه الإعراب على أن (كان) فعل ناسخ و (لكم) أو (للكافـرين) متعلق بمحذوف خبرهما مقدما تقديره (كائنٌ) و (فَتْح) و (نَصِيبٌ) اسـمها مؤخـرا فنسق الآية على هذا (فإن كان فتح من الله كائنا لكم). وإن كان نصيب كائنا للكافرين.

وليس بعد هذا اجتراء على النص القرآني بافتراء ما لا يليق به عليه. ومنشأ هـذا كله أنهم لا يتأملون في نوع (كان) هنا ولو تأملوا لأدركوا أنه فعل تام معناه: حـدث و (لكـم) و (للكافرين) متعلق به و (فتح) و (نصيب) فاعله. وبهذا يستقيم الـنص ويبقى على ما نزل به إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دون دعوى التقديم والتأخير التي هي خلاف الأصل ودون دعوى الحذف لما يَسْتَغْنِي عنه النص فهو حيف وأما (من الله) فهو وصف لـ (فتح) فإنْ كانت (من) حرف إضافة بمعنى الابـتداء أفادت أن الفتح مصدره الله عز وجل. والراجح في نظرنا أن تكون اسما بمعنى (بعض) لإدراك العقل مضافا إليه أي من فتوح الله. فهي في محل رفع نعتا. ولو قيل: في محل نصب حالا لما منع مانع.

يقـول الزمخشري في هذه الآية:" وسمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نـصيبا تعظـيما لـشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم" وأمَّا ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دَنِيٌّ ولمظة من الدنيا يصيبونها".

قال ابن المُنَيِّر:" وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن فإن الذى كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطئوها.

وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التى لا يبلغ شأنها أن تسمى فتحا. فالتفريق بينهما مطابق أيضا للواقع والله أعلم[1].

وهكذا يكون البحث فى مفردات كلام الله حتى يصل الباحث إلى الفروق الدقيقة بينها وأن غيره لا يؤدى مؤداها ولا يقوم بمعناها.

٢٧- فريضة: فى آيتين هما:

قوله تعال: ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ١١النساء، ٦٠التوبة.

والأولى فى شأنه تنظيم توزيع التركات على الورثة. والثانية فى شأن تنظيم مصارف الزكاة، يقول الألوسى:" فريضة: إما مصدر ناصبه فعله أى فرض ذلك فريضة. وإما اسم مفعول وقع حالا أى هذه السهام لمستحقيها حال كونها مفروضة. وإما مصدر مؤكد لفعله لا لنفسه كما فى الوجه الأول وهو (يوصيكم) على غير لفظه، إذا المعنى يفرض عليكم"[2].

وواضح أن هذا النص فى آية النساء. وأما آية التوبة فأولها: " إنما الصدقات للفقراء...إلخ" فلا يستساغ فيه الوجه الأخير مما ذكره الألوسى. وعليه تكون (فريضة) فيها إما مصدر وإما اسم مفعول. ومن البدهى أن أنصباء الورثة وأنصباء الفقراء والمساكين...إلخ. تسمى سهاما إذ لكُلٍّ من هؤلاء وأولئك سهم معين مخصوص.

---

(١) الكشاف ٤٤٨/١، وحاشيتها، واللمظة بقية الطعام الذى يتتبعه الإنسان بلسانه.

(٢) روح المعانى: ٤٢/٢.

وســواء أكانت (فريضة) مصدرا أم اسم مفعول فهى تصلح لتعلق (من الله) بها كما فى (فُرِضَتْ من الله).

ويجوز أن يُلْحظَ مضافٌ إليه أى (من فرائض الله) وهذا هو الأوضح اللائق بجلال القرآن وكماله فـ (من) بعضية فى محل نصب نعتا أو حالا.

٢٨- فضل: فى ثمانى آيات هى:

قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ١٩٨البقرة

وقــوله تعالـــى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ ﴾ ٧٣ النساء، وقوله: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ٢ المائدة، وقوله: ﴿ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ٥٧ الـدخان، وقــوله: ﴿يَبْتَغُون فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ٢٩ الفتح، وقوله : ﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ ٨ الحجرات.

أ- ومــن هذه الآيات خمس سُبِقَ (فضل) فيها بفعل (يبتغون) إما مرفوعا بثبوت النون وذلك فى ثلاث آيات وإما منصوبا بحذفها فى آيتين.

ب- وآية سبقت فيها (من) بالفعل (أصاب).

ج- وآيتان لم تسبق فيهما بفعل وهما (فضلا من ربك) و (فضلا من الله ونعمة).

يقول أبو البقاء فى آية من آيات الفعل (تبتغونه):" من ربكم: يجوز أن يكون متعلقا بـ (تبتغوا) فيكون مفعولا به. ويجوز أن يكون لـ (فضلا) فيتعلق بمحذوف[١].

ولا يخفى على القارئ أنه يعنى بـ (المحذوف) : (كائن) وقد صرح به أبو حيان ثم زاد وجها ثالثا هو: أن تكون (من) للتبعيض فيحتاج إلى تقدير مضاف محذوف أى من فضول ربكم[٢].

ومن البدهى أن تقدير(كائن) لا فائدة فيه ولا معنى له، فالصواب ملاحظة المضاف إليه فتكون (من) اسما بمعنى (بعض) نعتا تابعا لـ (فضل) فى إعرابه رفعا أو نصبا أو حالا فى محل نصب. وما قِيلَ فى آيات (تبتغون) يقال فى آية (أصاب).

والذى لا ينقضى منه العجب ما نقله الجمل عن السمين وهو: أن (من) ابتدائية على الأوجه الثلاثة السابق ذكرها. وأن الثانى والثالث وجه واحد ونصه:" من: لابتداء الغاية لكن يحتاج إلى حذف مضاف أى فضلا كائنا من فضول ربكم"[٣].

فذكره (كائنا من فضول ربكم) يشعر بأن النص محتاج إلى (كائنا) وهذا – كما علمنا– لا معنى له. وإلى (فضول) وهذا هو اللائق. وعليه لا نرى إلا ما سبق ذكره وهو أن المعنى (يبتغون فضلا من فضول ربهم). وجرى أبو السعود

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٨/١.

(٢) البحر المحيط:٩٥/٢.

(٣) حاشية الجمل عن الجلالين:١٩٠/١.

علـــى أن (مـــن) في قوله.(ولئن أصابكم فضل من الله) إما متعلق بـــ (أصابكم) أو بمحذوف وقع صفة لـــ (فضل) أى فضل كائن من الله"[1].

والـــصواب الـــصحيح أن المعنـــى على لحظ لفظ يدل عليه المذكور أى من فضول ربكم حتى يكون متوفرا فيه فضل الإيجاز و (من) اسم بمعنى (بعض).

وتبقـــى آيـــتا الـــدخان والحجرات وهما اللتان لم تُسْبَقْ فيهما (من) بفعل بل الأولـــى قبلها قوله تعالى:﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾٥٦، فضلا من ربك وقبل الثانـــية: قوله تعالى:" أولئك هم الراشدون، فضلا من الله ونعمة" يقول الزمخشرى فـــى الأولـــى:" عطاء من ربك وثوابا يعنى: كل ما أعطى للمتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار. وقرئ (فضل) أى ذلك فضل"[2].

ويقـــول فى الثانية :" و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله فإن قلت مـــن أيـــن جاز وقوعه مفعولا له و(الرشد) فعل القوم و (الفضل) فعل الله تعالى. والـــشرط أن يَتَّحِدَ الفاعل؟ قلت: لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين يعنى: قـــوله: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم". والتكريه- يعنى: قوله"وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان"- مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه.

أولا ينتـــصب عـــن (الراشدون) ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى - يعنـــى: حـــبب إلـــيكم الإيمـــان وزيـــنه فى قلوبكم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان- والجملة التى هى (أولئك هم الراشدون) اعتراض.

---

(١) الكشاف: ٢٢٣/٤.

(٢) الكشاف: ٢٨٨/٤: ٢٨٩.

أو عن فعل مقدر كأنه قيل: جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله. وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع (رشدا) لأن (رشدهم) فضل من الله لكونهم موفقين فيه. والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام: وخلاصة هذا النص:

(أ) أن (فضلا) مفعول له من (الراشدون) وجاز ذلك – وإن كان الفاعل غير مُتَّحِد فى (حبَّب وزَّين وكرَّه) و (الراشد)- لأن الرَّشَد بمثابة فعل الله إذ هو مترتب على فعله.

(ب) أن ناصبه فعل مقدر يفهمه العقل من السياق وتقديره: كان – أى: حدث- ذلك لفضل الله عز وجل.

(ج) أن (فضلا) مصدرٍ لـ (الراشدون) أى من غير فعله إذ لو اعتبر ذلك لكان (الراشدون رشداً من الله). وإنما عبر بـ (فضلا) لأن الرشد من فضل الله عز وجل.

وأما (من ربك) و (من الله) فـ (من) فيهما إما مرتبطة بـ (فضلا) فهى توضح وتبين وتثبت جهة الفضل وهى الله العلى القدير مع ملاحظة تنزيهه عن الزمانية والمكانية. فـ (من) حرف إضافة للابتداء وإما على لحظ مضاف إليه بعد (من) أى (من فضول ربك أو الله) فـ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب وصفا لـ (فضلا) سواء أكان نعتا أم حالا.

٢٩ – كتاب: فى

قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ٦٨ الأنفال.

أى لولا حكم من الله. فـ (من) إما مرتبط بـ (كتاب) يثبت جهته فهى (حرف). وإما على تقدير حكم من أحكام الله فهى اسم بمعنى (بعض) فى محل رَفْعٍ نعتا أو نَصْبٍ حالا.

٣٠- كلمة: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ ٣٩، ٤٥آل عمران.

والأولى فى شأن يحيى بن زكريا عليهما السلام، والثانية فى شأن عيسى بن مريم عليهما السلام.

يقول أبو السعود فى الأولى:" و (من) لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لـ (كلمة) أى بكلمة كائنة منه"(١).

وقال أبو البقاء فى الثانية(منه) فى موضع جر صفة لـ (الكلمة) و (من) للابتداء الغاية"(٢).

وقال الرازى:" ليست (من) للتبعيض هاهنا إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئا متبعضا محتملا للاجتماع والافتراق وكُلُّ من كان كذلك فهو محدث وتعالى الله عنه بل المراد بكلمة(من) هنا ابتداء الغاية. وذلك: لأنها فى حق عيسى عليه السلام لمَّا لم تكن واسطة الأب موجودة صار تأثير كلمة الله تعالى فى تكوينه أتما"(٣).

وقد عرفنا أن تقدير (كائنة) فى نص أبى السعود جرى وراء المشهور غير الصواب المهجور. إذ (من الله) يفيد المعنى المراد بحيث يدركه العقل المستنير دون (كائن). على أنه يجوز أن تكون (من) مضافة إلى ما يدركه العقل من المذكور أى

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣٦٨/٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن: ٧٦/١.

(٣) من مفاتيح الغيب ٤٧٠/٢.

بكلمة من كلمات الله. وعليه تكون اسما بمعنى (بعض) وهو وصف لـــ (كلمة) في محل نصب نعتا أو في محل نصب حالا. ولعل نص أبي البقاء في الثانية أجمل من نص أبي السعود في الأولى لأنه قرر أن (منه) في موضع جر صفة لـــ (الكلمة) مع أنها لابتداء الغاية. فهو لم يَجْرِ في غبار المشهور من تقدير (كائن).

أمـــا قول الرازي (ليست (من) للتبعيض... إلخ) ففيه من المجازفة في الرأي مـــا لا يخفـــي على ذي عقل بصير وفكر مستنير. إذ ما المانع من قولنا (مبشرك بكلمـــة من كلماته) ثم قولنا: اسمه المسيح... إلخ. فالتبعيض لكلمات الله. وحاشا أن يكون له سبحانه وتعالى ذلك علوا كبيرا.

٣١- نصر: في آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ ١٠ العنكبوت. وقوله: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ ١٣ الصف

ففي الآية الأولى يجوز ارتباط (من ربك) بالفعل (جاء) فلا حذف ولا تقدير لأنهمـــا (حـــيف وتكديـــر). ومـــن: حـــرف ابتداء. كما يجوز أن تكون مرتبطة بـــ (نصر) على تقدير ما يدركه العقل أي من نصر ربك وكذا يقال في الثانية أي نـــصر مـــن الله. فـــ (من) بعضية في محل رفع نعتا أو نصب حالا. وإن قيل أنها حرف ابتداء مرتبطة ب(نصر) في الآيتين لأنه مصدر يرتبط به الحرف إذ هو دال على الحدث لما منع مانع وفيه معنى الوصف لـــ (نصر).

٣٢- نعمة: فى خمس آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ ، ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ١٧١، ١٧٤ آل عمران. وقوله: ﴿ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾ ، ﴿ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾، ٨، ٤٩ الزمــر، وقوله: ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ ٤٩ ن .

ففى هذه الآيات سبقت (من) بالفعل (يستبشر) و (انقلب) و (خوّل) و (تدارك) ويجوز ارتباط (من) بهذا الفعل غير أنه لا يكون واضح المعنى الدال على المراد. ولعــل هذا هو سر قول أبى السعود فى آيتى آل عمران: من الله: متعلق بمحذوف وقــع صفة لــ (نعمة) مؤكدةٌ لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة منه تعالى"[١].

وقــال أبــو الــبقاء فى آية الزمر الأولى (إذا خوله نعمة منه):" منه: يتعلق بــ(خول) أو صفة لــ: نعمة"[٢].

وقــد عرفنا أن تقدير (كائنة) تكدير لصفاء النص لأنه لا يمت إليه بصلة ولا تربطه علاقة والذى يليق بجلال كلام الله أن تكون (مِنْ) بعضية على تقدير مضاف يــشير إلــيه نص الآية هكذا: أى من نعم الله. أى بعضها وبذلك يثبت تعدد نعم الله على خلقه مع عظمتها.

وأما نص أبى البقاء ففيه أن (من) حرف ابتداء مرتبط بالفعل (خوّل) كما فى قولنا (ذهبت من البيت إلى الجامعة). أو تكون صفة لــ (نعمة) وهنا نرى أبا البقاء

(١) إرشاد العقل السليم: ١٠٣/٣: ١٠٤.

(٢) الكشاف ٤٩١/١.

لا يقــدر – أى لا يكــدر– صفوا النص بــ (كائنة) كما فعل أبو السعود. ولعله لم يــصرح بذلك حتى يصح لنا أن نجعلها على تقدير مضاف إليه أى: إذا خوله نعمة من نعمه أى بعضها. فــ (من) هى الوصف سواء أكان نعتا أم حالا.

٣٣- نكال: فى

قوله تعالى: ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٣٨المائدة .

وصدر هذه الآية:" والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما..." يقول الزمخشرى : " ودخــول الفــاء لتضمنهما معنى الشرط، لأن المعنى: والذى سرق والتى سرقت فاقطعــوا أيــديهما. والاسم الموصول يُضَمَّن معنى الشرط. وقرأ عيسى بن عمر بالنــصب. وفــضلها سيبويه على قراءة العامة – يعنى : الرفع– لأجل الأمر لأن: زيدا فاضربه أحسن من: زيد فاضربه. و (أيديهما): يديهما. ونحو: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ٤ التحريم اكتفى بتثنية المضاف... والمقدار الذى يجب به القطع عشرة دراهــم عند أبى حنيفة وعند مالك والشافعى رحمهما الله ربع دينار. وعن الحسن: درهم. وفى مواعظة: احذر مِنْ قَطْعِ يدك فى درهم. و (جزاءً) و (نكالاً) مفعول لهما[١].

ويشير إلى مذهب الشافعى ما جاء فى هذين البيتين من أنه لو أن إنسانا قطع يــد آخــر جناية وجبت الدية بخمسمائة دينار على حين السارق تقطع يده لو سرق ربع دينار.

ففى البيت الأول سؤال

يَــدٌ بخمــسِ مئــين عــسجدٌ وديَت ... مــا بالهــا قطعــت فــى ربع دينار

وجوابه:

عِــزُّ الأمانــة أغلاهــا وأرخــصها ... ذُلُّ الخــيانة فــافهم حكمــة البارى

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/١١٢.

وقوله تعالى (بما كسبا) مرتبط بـ (جزاء) والباء سببية. و (من الله) مرتبط بـــ (نكالا) و (من) تثبت مصدر هذا النكال. فهي حرف ابتداء. ويجوز أن يكون الكلام على تقدير ما يدركه العقل اى نكالا من تنكيل الله. فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو نعتا. وهذا أرجح.

٣٤- نور: فى

قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٢٢الزمر .

وصــــدر هذه الآية :" أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" وهــذا الآية مثل قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا ﴾ ٩الزمر .

وقــال فيها الزمخشرى:" ومن: مبتدأ خبره محذوف تقديره : أمن هو قانت كغيره. وإنمــا حــذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله – يعنى فى قوله:" قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار– وقوله بعده:" قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون". وقيل معناه: أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر".

ثــم ذكر الزمخشرى أن قوله (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " نظير (أمن هو قانت) فى حذف الخبر "[١].

فـ (من ربه) يثبت مصدر هذا النور ففيه معنى الوصف مع أن (من) حرف. والأعلــى أن يكون (من نور ربه) فـــ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل خفض نعتا. وإن نصب حالا فلا غبار عليه.

---

(١) الكشاف ٤/٩٠،٩٥.

٣٥- هدى: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ ٥ البقرة، ومثله ٥ لقمان.

وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ ٥٠ القصص.

قال الزمخشرى فى الأولى :" أى مُنِحُوه من عنده وأُوتُوه من قبله"(١).

وقال أبو حيان:" من: لابتداء الغاية. أو للتبعيض على حذف مضاف أى من هدى ربهم. وفى وصف (الهدى بأنه من ربهم أى كائن من ربهم تعظيم للهدى الذى هم عليه"(٢).

وبالـــتأمل فى نص الزمخشرى ندرك أن (من) ابتدائية وليست فى حاجة إلى تقدير (كائن) فذكرها مقترنة بـــ (ربهم) يثبت أنها صفة لـــ (هدى) بدون تقدير شئ وهو (كائن) كما قدره أبو حيان.

أمـــا إذا كان بمعنى (بعض) على تقدير الآية (من هدى ربهم) فهى اسم فى محل خفض نعتا لـــ (هدى) وإن جعل فى محل نصب حالا فلا غبار عليه.

٣٦- توثيق: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللهِ﴾ ٦٦، ٨٠ يوسف.

---

(١) الكشاف: ٣٥/١.

(٢) البحر المحيط: ٤٣/١.

قــال الزمخشرى فى الأولى :" حتىٰ تعطوني ما أتوثق به من عند الله. أراد: أن يحلفــوا لـــه بالله. وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد. وقد أذن الله فى ذلك. فهو إذن منه"[1].

ويفهــم من هذا النص أن (من) ابتدائية حيث يقول الزمخشرى (ما أتوثق به من عند الله) وفى هذا معنى الوصف.

وأوْضَــحُ مِــنْه أن يكون التقدير: مَوْثقاً من مواثيق الله. فتكون (من) بعضية والوصف بها واضح فهى فى محل نصب نعتاِ أو حالاً.

٣٧- وصية: فى

قوله تعالى: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾. ١٢النساء.

وهــذا النص فى نهاية آيتى المواريث فى الإسلام. وفيه يقول الزمخشرى:" وصية: مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية كقوله: ﴿ **فريضةً من الله** ﴾ ١٢النساء، ويجوز أن تكون منصوبة بقوله (غَيْرَ مُضَارّ) أى : لا يضار وصية من الله – وهو الثلث فما دونه- بزيادة على الثلث.

أو وصية من الله بالأولاد وألا يدعهم عالة بإسرافه فى الوصية، وينصر هذا الوجه قراءة الحسن: (غير مُضَارٍّ وصية من الله) بالإضافة"[2].

فــإذا كانت (وصية) مصدرا تعلق بها (من الله) فتكون حرف إضافة بمعنى الابتداء أى مصدرها الله عز وجل. وتكون اسما بمعنى (بعض) على تقدير مضاف

---

(١) الكشاف ٢/٣٧٩.

(٢) الكشاف ١/٣٧٥.

إليه بعدها أى (من وصايا الله) فهى فى محل نصب نعتا لـ (وصية) أو حالا منها. وهذا أوضح وأقوى دليلا وأهدى سبيلا.

٣٨- موعظة: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾

٢٧٥ البقرة. وقوله: ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ ٥٧.

ومما ينبغى الإلتفات إليه (جاءه موعظة) في الأولى ثم (جاءته موعظة) فى الثانية وقد فسر الزمخشرى (موعظة) فى الأولى قائلا:" ممن جاءه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى واقتنع (فله ما سلف) أى فلا يؤخذ بما مضى منه لأنه أُخِذَ قبل " نزول التحريم"[(١)].

ثم قال فى الثانية:" أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة. إلخ[(٢)].

فلم يُعْنَ بذكر الفرق بين (جاءه) و(جاء به) ولكنه اكتفى فى الأولى بتغير (موعظة) بـ (بوعظ) وهذا يتفق مع عدم ذكر التاء فى (جاءك). وأما فى الثانية فشرح (موعظة بـ (كتاب) وهذا لا يتفق مع ذكر التاء فى (جاءتكم).

والأمر فى ذلك سهل لأن (موعظة) ليست من باب المؤنث الحقيقى يراعى فيها جانب اللفظ وجانب المعنى.

وفى الآيتين نرى الفعل (جاء) قبل (موعظة من ربه) و (من ربكم) فلو ارتبطت (مِنْ) به كانت حرف ابتداء. ولو قدَّرْنا مضافا إليه بعدها أى من مواعظ ربِّه ورَبِّكم. فهى اسم بمعنى (يعلن) فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

---

(١) الكشاف ٣٧٥/١.

(٢) الكشاف ٢٤٥/١.

يقـــول أبو السعود فى الأولى:" من ربه: متعلق بـــ (جاء) أو بمحذوف وقع صـــفة لـــ (موعظة) والتعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة للإشعار بكون مجئ الموعظة للتربية"[1].

وقال الألوسى:" ومن: لابتداء الغاية. أو للتبعيض وحذف المضاف"[2].

ويعنـــى أبو السعود بالمحذوف الواقع صفة لـــ (موعظة): كائن. كما عرفنا ذلك وألفناه من النحاة.

ولعل الألوسى يعنى بـــ (من) الابتدائية أنها متعلقة بالفعل. ثم يعنى بالبعضية وحـــذف المـــضاف أن تكون اسما بمعنى (بعض) أى من مواعظ ربكم. والحق أن المحذوف مضاف إليه لا مضاف إذ (من) هى المضاف.

ولكـــن أبـــا حيان وأبا السعود فى الآية الثانية يذكران أن (من) لابتداء الغاية متعلقة بـــ (جاءتكم). ويحتمل أن تكون فى موضع الصفة فتتعلق بمحذوف وتكون للتبعيض أى: موعظة كائنة من مواعظ ربكم"[3].

والصواب أن الآية على كون (من) بعضية لا تحتاج إلى متعلَّق بل هى اسم بمعنى (بعض) ومضاف إلى (مواعظ ربكم) وفى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا. هذا ما يليق بجلال وكمال كلمات الله.

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٢/٢٦٣.

(٢) الكشاف ١/٣٧٥.

(٣) روح المعانى ١/٤٩٨.

ثانيا: آيات ذكر (من) بعد المعرفة:

ومن البديهى أن (من) فيها إذا كانت اسما تعرب حالا فقط اللهم إلا إذا سبقت باسم معرفة منصوب فإنه حينئذ يجوز أن تكون نعتا.

وقد وردت المعرفة من قبل (من) من ثلاث مواد لغوية هى (ب ى ن) بينات، و(ح ق ق) (الحق) و(ف ض ل) والفضل.

١- البينات فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي ﴾ ٢٨، ٦٦غافر.

فـ (من) إذا قلنا إنها مرتبطة بالفعل كانت حرف إضافة وفيها بيان مصدر هذه البينات وهو (ربكم) فى الأولى وهى على لسان الرجل الذى آمن من قوم فرعون. و (ربى) فى الثانية وهى فى شأن الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ويمكن – بل هو الراجح الواضح– أن تكون (من) بعضية ويقدر مضاف إليه بعدها لأنه معلوم مما فيها أى البينات حالة كونها بعض بينات ربكم أو ربى فهى فى محل نصب حالاً.

٢- الحق: فى خمس عشرة آية هى:

قوله تعالى: ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ، ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ، ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ، ﴿ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٢٦، ١٤٤، ١٤٧ ١٤٩ البقرة، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٦٠ آل عمران، وقوله:

﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ١٧٠ النساء، وقوله:

﴿ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٩٤ ،﴿ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ١٠٨يونس، وقوله: ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ١٧هود، وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ٢٩الكهف، وقوله: ﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٥٤ الحج، وقوله: ﴿ إنه الحق من ربنا ﴾ ٥٧ القصص، وقوله: ﴿ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٣ السجدة، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ٢،﴿ ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ٣ محمد.

وبالتأمل فى هذه الآيات ندرك أنها نوعان:

(أحدهما) ما يظهر فيه أن (من) واقعة موقع الحال من (الحق) وهو اثنتا عشرة آية وذلك فى الآيات : الأولى والثانية والرابعة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشر. وأولاها (فيعلمون أن الحق من ربهم). وأُخْراها (ابتغوا الحق من ربهم) أى حالة كونه من ربهم. وليس فى هاتين فعل يصح تعلق (من) به. ومن هذه الآيات ما فيه فعل (جاءكم) أو (جاءك) نحو (جاءكم الرسول بالحق من ربكم) و (جاءك الحق من ربك) وفى هذا النوع يجوز أن تتعلق (من) بالفعل تعلق الباء فى (مررت بمحمد) بالفعل (مَرَّ). فلا يكون (من ربك) حالا. إذ هو من تمام معنى الفعل والذى ينبغى تحقيق القول فيه هنا أن (من ربهم) أو (من ربك) لو جعل حالا فما توجيه ذلك فيه؟

هل يجوز أن تكون (من) اسما بمعنى (بعض) على ملاحظة مضاف إليه أى (أن الحق حالة كونه بعض حق ربهم) أو (بعض حق ربك) أو لا؟

يقول أبو البقاء فى الآية الأولى (فيعلمون أن الحق من ربهم):" إن (من) فى موضـــع نصب على الحال والتقدير: أنه ثابت أو مستقر من ربهم والعامل: معنى الحق. وصاحب الحال الضمير المستتر فيه"[١].

وذكـــر أبو السعود أن (من) على هذا الوجه لابتداء الغاية مجازا وقدر عامل الحال: كائنا وصادرا من ربهم[٢].

وفـــى موطن آخر ذكر أن (من) متعلق بمحذوف صفة لـــ (الحق) على رأى من يُجَوِّز حذف الموصول مع صلته أى الكائن من ربهم[٣].

ويـــرى الألوســـى أن (من ربهم) خبر بعد خبر. لأن (الحقّ) خبر (أنّ) و (من) لابتداء الغاية المجازية[٤].

فهذه النصوص لا تشتمل على التصريح بأن (من) بعضية بل كلها يقرر أنها حرف ابتداء. مع التصريح بأنها فى موضع نصب على الحال. وبذلك يكون نظير قولـــنا رأيـــت محمـــدا بالمنزل. فالذى يدركه العقل أن (بالمنزل) مع كونه خافضا ومخفوضـــا محلـــه النصب على الحال. وما ذلك على النحاة بغريب فقد عرفنا أن ســـيبويه وهـــو إمامهم فى تدوين علم النحو قد قرر أن (بمحمد) من قولنا (مررت بمحمـــد) فـــى محل نصب مفعولا به. فلا غرابة إذاً من جعل (بالمنزل) فى محل نـــصب حـــالا دون تقديـــر لـــــ (كائن) أو (ثابت) أو (مستقر) لأن هذا هو معنى الخافض والمخفوض.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن: ١٥/١.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٢٣٢/١.

(٣) إرشاد العقل السليم:٥/٢.

(٤) روح المعاني: ١٧٥/١.

وإن دل صنيع النحاة هنا على شئ فإنما يدل على أنهم لم يجيزوا أو يستبيحوا لأنفسهم تقدير مضاف إليه بعد (من) حتى يتهيأ لها أن تكون اسما بمعنى (بعض).

وكـــذلك الحال لو جعلنا (من ربهم) خبرا ثانيا بعد الخبر الأول وهو (الحق) فهو خبر (أنه) فلسنا فى حاجة إلى تقدير (كائن) أو غيره إذ المعنى يفهم من النص دون أى ملاحظة لذلك المقدر بدون داع.

(الـــنوع الثانـــى) مـــا فـــيه (من) واقعة موقع الخبر. وهو ثلاث آيات هى: (الحـــق مـــن ربك) ١٤٧البقرة، ٦٠آل عمران، ٢٩ الكهف (وقل الحق من ربكم) على احتمال. وسبق أنه محتمل فى آيتى البقرة الأولى والثانية على أن يكون خبرا لــ (أنه) بعد خبر.

يقول الزمخشرى فى آية البقرة (الحق من ربك) يحتمل أن يكون (الحق) خبر مبـــتدأ محذوف أى هو الحق. أو مبتدأ خبره (من ربك). وإذا كان (الحق) خبرا فــ (مـــن ربـــك) يجوز أن يكون خبرا بعد خبر. وأن يكون حالاً وقرأ علىّ: الْحَقَّ من ربك بالنصب على الإبدال من الأول أى يكتمون الحق. الحق من ربك[1].

ويعنـــى الزمخشرى قوله تعالى" وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" ١٤٦، " الحق من ربك..." ١٤٧.

والذى يعنينا هنا أن النحاة لم يُعْنَوْا بالتقدير لــ (كائن) أو (مستقر) بل ظاهر نصوصهم أن (من ربك) خبر لـــ: كان ، أو حال هو ذاته الخبر أو الحال لأن العقل يدرك المعنى من ذات النص بدون تقدير ولا تكدير.

وهذا ما نراه لائقا بجلال القرآن وقدسيته.

---

(١) الكشاف ١٥٣/١.

ومـــثل هذا يقال فى الآية ٦٠ من آل عمران (الحق من ربك) فــ (من ربك) خبـــر وأما آية الكهف (وقل الحق من ربكم) فيجوز أن يكون (الحق) مبتدأ و (من ربكم) خبر. كما يجوز أن يكون (الحق) خبرا لمبتدأ يدركه العقل أى قل (هو الحق) و(من ربكم) فى محل نصب حالا.

وخلاصـــة القول فى هذه الآيات أننا فى أشد الاستغناء عما يثقل النحاة مثل هذه النصوص به من تكدير لصفائها ويتمثل فى دعوى تقدير: كائن أو مستقر. لأن النحاة أنفسهم قد قرروا أن هذا لا يمكن التصريح به لأن الضمير الذى كان فيه نُقِلَ إلى الظرف أو الخافض والمخفوض.

أقــول: ولسنا أيضا فى حاجة إلى هذا التخيل الممقوت لأن العنصر الأساسى فـــى إدراك المعنى هو العقل فمادام العقل مطمئنا بالمعنى راضيا به وعنه فلا علينا بعد ذلك مما يزعمه الزاعمون أو يتوهمه المتوهمون.

٣- الفضل: فى

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ٧٠ النساء.

يقول الزمخشرى : "ذلك: مبتدأ و (الفضل) صفته و (من الله) الخبر ويجوز أن يكون (ذلك) مبتدأ و (الفضل من الله) خبره"(١).

ويقول أبو البقاء:" الفضل: خبر فــ (من الله) حال"(٢).

ولعــل الزمخــشرى قد لحظ فى الوجه الأول أن (الفضل) لا تتم به الجملة فجعلــه مـــن تـــتمة المبتدأ أى صفة له. غير أننا هنا نرى الزمخشرى يَخْرُجُ على عُــرْفٍ نَحْــوِىٍّ وهو أن المُحَلَّى بأل بعد اسم الإشارة يكون بدلا أو عطفَ بيان فلمَ

---

(١) الكشاف ٤١١/١.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١٠٥/١.

خَــرَجَ علــى هذا وجَعَلَه هنا وصفاً؟ الأمر في ذلك سهل ميسور لأن المراد الحكم على أن (ذلك) غير مستقل بذاته ليكون مبتدأ حتى يردفه ما يتم به معناه.

هــذه واحدة وأخرى في كلام الزمخشري ألا وهي أنه جوَّز أن يكون (ذلك) مبتدأ و (الفضل من الله) خبره. ففي هذا إشارة إلى أن (الفضل) وحده لا يصلح أن يكون خبرا. إذ هو مفتقر إلى (من الله) حتى يتم معناه. ولعله يعني أن (الفضل من الله) جملــة مــن مبتدأ (الفضل) وخبر (من الله) وعليه يكون الخبر جملة اسمية لا مفردا.

وأمــا أبو البقاء فقد قرر أن (الفضل) خبر و(من الله) حالا. وبالتأمل في هذا ندرك أن الحال هنا لازمة على حد تعبير النحاة إذ لا يستغنى عنها المقام لأنها من تمام المعنى.

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ هنا سؤال خلاصته:

لِــمَ لَــمْ يجعل أحد النحاة مثل هذه الآيات على تقدير مضاف إليه بعد (من) فيقول: ذلك الحق حالة كونه بعض حق ربكم. أو ذلك الفضل بعض فضل الله. حتى تكون اسما ذا محل من الإعراب حالا أو نعتا؟

وكــذلك لو جعلت (من) خبرا في مثل قوله تعال:" الحق من ربك" أي بعض حق ربك".

وأرى أن هذا هو اللائق بمثل هذه الآيات لأنه:

من ناحية: يغلق باب الحذف – أي الحيف– والتقدير– أي التكدير.

ومــن ناحــية: يجعل النص في حُلَّةِ الإيجاز البهية التي هي دليل الإعجاز.

وبــذلك ينتهــي الكلام على آيات النسق الأول وهو ما وقع فيها قبل (من) نكرة أو معرفة فتعرب هي نعتا أو حالا.

النسق الثانى

آيات وقعت فيها (من) قبل النكرة أو المعرفة

وهى نوعان لأنه إما أن يوجد فعل قبلها وإما لا يوجد.

أولا: آيات النوع الأول:

وقد رتبتها ترتيبا معجميا حسب المادة اللغوية للفعل قبل (من) كما يلى:

١- أتى: فى خمس آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٣٨ البقرة، وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ﴾ ٦٣ هود. وقوله: ﴿ لعلى آتيكم فيها بقبس﴾ ١٠، وقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ ١٢٣ طه. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ ١٠سبأ.

فـ (من) فى هذه الآيات مرتبطة بالفعل (يأتى) و (آتانى) فالأول فى آية البقرة (يأتينكم منى هدى) والآية الثانية من طه. وهو فعل ثلاثى يكون لازما كما فى قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ١ النحل. ويكون ناصبا للمفعول كما فى الآيتين السابقتين. تستعمل معهما (من) الابتدائية فيقال: أتيت من الحقل أو من المصنع أو من الجامعة. وكما فى الآيتين السابقتين ويمكن أن نقول فيهما فى غير القرآن (يأتى إليكم منى هدى). بِكَلِمَتَىْ الابتداء والانتهاء وأما (آتى) فينصب

مفعولـــين كما فى قوله: (وآتانى منه رحمة) و (آتينا داود منا فضلا) وهو فى قوله (لعلى آتيكم منها بقبس) معه مفعول يه صريح وهو على علامة ضمير الجمع (كُمْ) وآخر غير صريح وهو (بقبس).

يقـول الألوســى فــى آية البقرة:" منى: متعلق بما قبله ونكر (الهدى) لأن المقصود هو المطلق ولم يسبق فيه عهد فيُعَرَّف[1].

وبهذا لا يكون فى النص تقديم وتأخير ولا حذف وتقدير .

ولكــن أبــا البقاء يقول فى آية طه الأولى (لعلى أتيكم منها بقبس) :" منها: يجوز أن يتعلق بـــ (آتيكم) أو حالاً من " قبس"[2].

ولا يخفى على القارئ ما فى الثانى من دعوى التقديم والتأخير عملا بقاعدة وضــعها النحاة وكم رددناها فى هذه الدراسة وهى:" أن نعت النكرة إذا قدم عليها أعــرب حــالا. فكــأنهم بتلك القاعدة يقررون: أن أصل النص (لعلى آتيكم بقبس منها). ولو كان كذلك لكانت (مِنْ) بمعنى (بعض) فى محل خفض نعتا أو فى محل نصب حالا لأن القبس بعض النار.

ومِــنْ ثَمَّ أرى أن الراجح بل الصواب تعلق (منها) بالفعل فالمعنى المراد أن النار مصدر هذا القبس.

٢- بــلاء : فى

قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ ﴾ ١٧ الأنفال.

يقول الزمخشرى:" وليعطيهم عطاء جميلا قال زهير:

---

(١) روح المعاني: ١/١٩٩-٢٠٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/٦٣.

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ∴ وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فَعَلَ ما فَعَلَ. وما فعله إلا لذلك[١] فـ(يبلى) بمعنـى (يعطى). غير أن بينهما فرقا وهو أن العطاء ليس فيه معنى الاختبار وأما الـبلاء ففـيه هذا المعنى. والمقام هنا للاختبار. كما فى قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ ٣٥ الأنبـياء. فـلا داعـى إذاً لقـول الشيخ محمد عليان المرزوقى:" وأبلى مُضَمَّن معنى: أعطى يقال: بلاه الله وأبلاه وابتلاه بمعنى: اختبره والاسم البلاء"[٢].

فالتضمين لا داعى إليه لأن الكلمة فيها هذا المعنى بدونه.

فـ (مِـنْه) بَيَّنَ أن الله هو مصدر هذا العطاء الحسن والفضل العظيم فهى حـرف إضافة معناه: بيان جهة صدور الحدث. مع ملاحظة أن الله منزه عن الأين والكيف والزمان.

٣- جـاء: فى

قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ ١٥ المائدة.

قال أبو السعود:" من الله: مُتعلق بـ (جاء) و (من) لابتداء الغاية مجازا. أو بمحذوف وقع حالا من (نور).

(١) الكشاف ٢/١٦٢: ١٦٣.

(٢) هامش الكشاف ٢/١٦٢.

وتقــديم الجــار والمجرور على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون المجئ من جهته العالية والتشويق إلى الجائى"[١].

وقــوله (لابــتداء الغاية مجازا) يعنى به تنزيه الله عز وجل عن الجهة. ولذا أرى أن التعبير الدقيق هو أن (من) تثبت أن الله مصدر مجئ النور إلى البشر. وأما قوله (أو بمحذوف وقع حالا من نور) فلا داعى إليه لأنه بنى على القاعدة المكررة التــى يمجها الذوق السليم. ولعله يعنى بالمحذوف الذى وقع حالا من (نور) قولهم: جاءكم نور كائنا من الله. وهذا مردود أيضا لما فيه من دعوى التقديم والتأخير وهى حالات الأصل. ومن دعوى الحذف – وهو حيف – والتقدير – وهو تكدير.

ثــم قــوله (وتقديم الجار والمجرور.... إلخ). أرى أن نسق الآية جاء على تــرتيب معناها. فهى تثبت أن مصدر مجئ النور إلى البشر هو الله عز وجل. فإذا ما قيل (جاءكم من الله) أفاد معنى أتى إليكم من الله ثم تذهب النفس مذاهب شتى فى تــرقبها الآتــى من الله. فإذا ما قيل (نور) سُرَّت أيَّما سرور وسعدت أيَّما سعادة. وحسبنا ذلك من نسق الآية.

٤- ذاق: فى ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ ٩ هود. وقوله: ﴿ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ ٣٣الروم.وقوله: ﴿ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ ٤٨ الشورى.

يقــول الزمخــشرى فــى الأولى:" الإنسان: الجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وَجِدَة"[٢].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/٣٥.

(٢) الكشاف ٢/٢٩٨.

فـــ (مـــنا) مـــتعلق بـــ (أذقنا) وهى تدل على مصدر رحمة الله وهو الله عز وجل.

وقوله (جده) أصلها (وجد) قال ابن منظور: والوُجْد والوَجْد والوِجْد: اليسار والسعة وفي التنزيل: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ ٦ الطلاق.

وقـــد قرئ بالثلاث – بضم الواو وفتحها وكسرها. أى من سعتكم وما ملكتم: وقال بعضهم: من مساكنهم.

والواجد الغنى قال الشعر:

(الحمـــد لله الغنـــى الـــواجد) وأوجـــــده الله أعـــــناه

هى أسماء الله عز وجل: الواجد هو الغنى الذى لا يفتقر. وقد وجد يجد جِدَه أى استغنى غنى لا فقر بعده[1].

٥- مس:فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٤٨ هـــود، وقـــوله: ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٨يس. والمعنى واضح.

٦- مـــلك: فى :

قوله تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ ٣٧ النبأ.

---

(١) اللسان: ٤٧٧٠.

يقول الزمخشرى:" الضمير فى (لا يملكون) لأصل السماوات والأرض – فى صــدر هــذه الآية- أى ليس فى أيديهم ما يُخَاطَبُ به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه.

أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه"(١).

فـــ (مـــنه) معـــناه مرتبط بمعنى (يملكون) أى لا يملكون شيئا مصدره الله ومالكه الله عز وجل. فلا حذف وتقدير ولا تقديم وتأخير.

٧- وقـــع: فى

قوله تعالى: ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ ٧١ الأعراف.

وهـــذا خطـــاب من هود إلى قومه عاد. وفيه الظرف (عليكم) يثبت موضع وموقع الرجس والغضب. و (من) تثبت مصدر ذلك كله وهو رب الأرباب. وبهذا نستنبط المعنى من نسق النص دون مساس به من أى جهة.

ولكـــن أبـــا البقاء يأبى ذلك حيث يقول:" من ربكم: يجوز أن يكون حالا من (رجس) وأن يتعلق بـــ : وقع"(٢).

والقـــارئ – بعدما سبق تكرار ما فى هذا من تدخل فى النص بدون حاجة – يدرك ما فى قول أبى البقاء (يجوز أن يكون حالا من : رجس) مِنْ أنَّه كان ينبغى أن يكون النص:" وقد وقع عليكم رجس وغضب من ربكم". وحينئذ يكون من ربكم وصفا لـــ (رجس) أو (غضب) أو هما معا ويكون على تقدير مضاف إليه أى من غـــضب ربكـــم. فـــيكون اســـما بمعنـــى (بعـــض) إمـــا نعتا وإما حالا. ويدعى

---

(١) الكشاف: ٥٥٢/٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن: ١٥٥/١.

أبـــو البقاء أنه قدم (من ربكم) فلما قدم لم يصلح أن يكون نعتا ولذا صلح أن يكون حـــالا على قاعدة (النعت إذا قدم على المنعوت أعرب حالا) وهذه قاعدة مخلخلة قلقة لا تصلح لبناء دراسة اللغة العربية عليها.

ثانيا: آيات وقوعها قبل المعرفة:

وهي مرتبة ترتيبا معجميا حسب المادة اللغوية للفعل قبل (من) كما يلي:

١- جاء: في

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ ٢٣ النجم.

أظن – إن لم أعتقد اعتقادا جازما– أنه لا يمكن لأحد من النحاة دعوى كون (مـــن ربهم) حالا من (الهدى) لأنه معرفة. ولو ورد (من ربهم) بعده فقيل (ولقد جـــاءهم الهـــدى من ربهم) لكان حالا. فهل يجوز دعوى تقديم الحال على صاحبها دون مـــا يدعـــو إلـــى ذلك؟ كلاّ. فلا مناص من تعلق (من ربهم) بالفعل فهو يثبت مصدر الهدى وهو (ربهم).

٢- سـبق: في

قـــوله تعالـــى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ١٠١ الأنبياء .

ومعناه سبق الحسنى لهؤلاء من الله عز وجل. وبذلك يبعدون عن جهنم.

فالظـــرف (لهم) و (منا) مرتبطان بالفعل (سبق) أي سبق خاصا بهم منا لا من غيرنا فـــ (من) حرف ابتداء.

٣- علـم: في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٦٢ الأعراف،٨٦يوسف،

ثم قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٩٦ يوسف.

قـــال الزمخـــشري فـــي الأولى:" أي من صفات الله وأحواله بمعنى: قدرته الباهرة. وشدة بطشه على أعدائه . وأن بأسه لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين. أو أراد: وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إليَّ بها"(١).

وهذه الآية من قول نوح لقومه. و(من) على الوجه الأول تكون اسما بمعنى (بعـــض) إذ في الكلام مضاف إليه ملحوظ أي بعض صفات الله فـــ (من) في محل نـــصب مفعولا به. و(ما) في (ما لا تعلمون) تفخيم وتعظيم لذلك الذي يعلمه كما فـــي قـــوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ٧٨ طه. غير أن هذا تفخيم للفاعل وهو (من الْيَمّ) والأول تفخيم للمفعول وهو (من صفات الله). فهي في محل نصب بيان لـــ (من صفات الله).

وأمـــا علـــى الـــوجه الثاني فقوله (من جهة الله) يثبت أن (من) حرف ابتداء يوضح جهة ذلك العلم ومصدره.

ويـــرى بعـــضهم تقدير المضاف إليه على الوجهين. فقد صرح به الألوسي قائلا:" ولابد في الوجهين من تقدير مضاف"(٢).

ولكن الشهاب يرى أن تقديره على جعل (من) ابتدائية(٣).

وهـــذا مـــا نـــراه إذ لا فـــرق بـــين (من الله) و (من جهة الله) بل الأول هو اللائق بالمقام.

وفـــي الآيـــة الأولى من آيتي يوسف يقول الزمخشري:" أي أعلم من صُنْعِه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب"(٤).

---

(١) الكشاف: ٢/٩١.

(٢) روح المعاني: ٣/٦٠.

(٣) انظر حاشية الشهاب ٤/ ١٨٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٩.

ومثل ذلك يمكن أن يقال فى الآية الثانية. وعليه نكون (من) اسما بمعنى (بعض) أى أعلم بعض صُنْعه.. و (ما) تفخيم وتعظيم لـ (من صنع الله) فمحلها النصب بيانا لـ (من) المفعول به:

وهذا الذى قررناه وأيدناه وارتضيناه منهجاً ملائما لجلال كلام الله أحق بالقبول وأجدر من جعل الشهاب الخفاجى والألوسى (من) : بيانا لـ (ما) مقدما عليها. ومن جعل أبى البقاء (من) حالا من (ما) مقدما عليها أيضا [(١)].

فهذا غير مستساغ إذ تقديم البيان على المبين غير معقول ومن ثَمَّ فهو غير مقبول إذ الأصل ذكر المبهم قبل بيانه. وإنما جعلنا (ما) بيانا لـ (من) لما فيها من تفخيم وتعظيم لا يوجد فى (من).

ثانيا: آيات النوع الثانى:

وهى ما لم تسبق (من) فيه بفعل وقد ورد ذلك فى تسع آيات من السور الآتية يونس: ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ٢٧ . هود: ﴿ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ٢. الرعد: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ٣٤، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ٣٧. الأحزاب: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ ٤٧. غافر: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ٢١، ﴿ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ٣٣. الذاريات: ﴿ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٥٠، ٥١.

ومما ينبغى التنبيه إليه أن بعض هذه الآيات فيه (من) التى يزعم زيادتها وقد سبقت دراستها وهى خمس آيات "من عاصم "من واق" ، " من ولى ولا واق" مرتين

---

(١) أنظر حاشية الشهاب ١٨٠/٤، وروح المعانى ٦٠/٣، وإملاء ما من به الرحمن ١٥٥/١.

" مــن عاصــم" وهى فى أربع منها فاعل للظرف بعد (ما) وهذا الظرف إما (لهم) وإمــا (لك). وأما الآية الخامسة فهى - أى (من)- فاعل لــ (كان) وذلك فى قوله تعالى:" وما كان لهم من الله من واق" فــ (كان) فعل. تام و (لهم) ظرف مرتبط به و (من واق) فاعل له.

وقد سبق تحقيق القول فى ذلك بالتفصيل.

أمــا الذى نريد دراسته هنا فهو (مِنْ) الداخلة على لفظ الجلالة (من الله) أو ضميره (منه).

ففى الآية الأولى - آية يونس- يقول الزمخشرى :" أى لا يعصمهم أحد من ســخط الله وعذابــه. ويجوز ما لهم من جهة الله و مِنْ عنده مِنْ بعضهم كما يكون للمؤمنين"[1].

ويقــول الــشهاب:" فعلــى تقديــر المضاف وهو سخطه تكون (من) متعلقة بــــ (عاصم) وعلى كون المعنى: من جهة الله وعنده. هو صفة لــ (عاصم) قُدِّمَ فصار حالا. ويتعلق بالظرف: لهم"[2].

واقتصر السمين على الأول[3].

والفرق بين تعلق (من) بــ (عاصم) وكونه صفة له أنها على الأول لا تحتاج إلــى تقدير شئ مثلها فى (مررت بمحمد) وأما على الثانى فتحتاج إلى ما ألفناه من الــنحاة وهو تقدير (كائن). ولا يخفى على القارئ ما فى الآية على هذين الوجهين

---

(١) الكشاف ٢٦٩/٢.

(٢) حاشية الشهاب.الخفاجى ٢٣/٥.

(٣) انظر حاشية الجمل: ١٤/٣.

مـــن التقديم والتأخير بدون داع وهو خلاف الأصل. كما فيها الحذف وهو -حيف- والتقدير- وهو تكدير- بلا حاجة إليه.

فالـــصواب فـــى نظرنا أن (من الله) مرتبط بالظرف (لهم) لما فيه من معنى الحـــدث. و (من) تبين الجهة التى ينتقى العاصم منها وهى جهة الله عز وجل كما قال الزمـخشرى.

ويقـــول الزمخـــشرى فى الثانية (إننى لكم منه نذير وبشير):" والضمير فى (منه) لله عز وجل أى : إنى لكم نذير وبشير من جهته كقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٢ البينة.أو هو صلة لـــ (نذير) أى أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم. وأبشركم بثوابه إن آمنتم"[١].

وعلى الوجه الأول تكون (من) مرتبطة بـــ (إننى) بمعنى: أنا رسول لكم من الله. كما وضحه الزمخشرى بآية البينة فلا تقديم ولا تأخير.

وأمـــا على الوجه الثانى فواضح ما فيه من دعوى التقديم والتأخير بلا حاجة إليه. ولذا فإنى لا أقره ولا أوافق عليه.

وهذان الوجهان يمكن إيرادهما عند آيتى: الذاريات (إنى لكم منه نذير مبين) مع ملاحظة أن الوجه الأول هو الصواب الصحيح.

وفـــى آية الرعد (وما لهم من الله من واق) يقول الزمخشرى:" وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته"[٢].

ولـــو تأملت الوجه الأول لأدركت أن تقدير النص عليه: (ما لهم من واق من عذاب الله) وهذا لا ضرورة بل لا حاجة إليه.

---

(١) الكشاف: ٢/٢٦٩.

(٢) الكشاف ٢/٤١٤.

وأما على الوجه الثانى فـ (من الله) مرتبط بـ (لكم) والمراد بالواقى رحمة الله. أى ليس له من عذاب الله واق من رحمته. أى بمعنى: لا تدركهم رحمة الله لتقيهم من عذابه. وهذا هو الوجه اللائق بجلال الله وكلماته.

ويأبى الألوسى إلا ارتكاب الصعب فى هذا الآية حيث يقول:" من: الأولى - من الله- صلة لـ (واق). ويجوز أن يكون ظرفا مستقرا وقع حالا من (واق) وصلته محذوفة والمعنى:" ما لهم واق وحافظ من عذاب الله حالة كون ذلك الواقى من جهته تعالى: ورحمته. و (من) على هذا للتبيين.

ويجوز أن تكون لغوا متعلقة بما فى الظرف أعنى (لهم) من معنى الفعل وهى للابتداء. والمعنى: ما حصل لهم من رحمة الله واق من العذاب"(١).

وهكذا نجد الألوسى يشقق القول بما يشق على النفس والعقل. فلست أدرى ما الداعى إلى جعل (من الله) مرتبطا بـ (واق) سواء أكان صلة أى متعلقا به أو حالا وصلته محذوفة ؟ وما معنى كون (من) للتبيين؟

أرى أن كل هذا تعقيد بدون احتياج إليه لأن نص الآية واضح صريح بنسقه وترتيب كلماته على ما وردت عليه. وهذا ما انتهى إليه الألوسى حينما قرر أن (من الله) مرتبط بـ (لهم) لما فيه من معنى الحدث أى مالهم من رحمة الله من واق يقيهم من العذاب.

وعلى تقدير مضاف إليه بعد (من) أى من رحمة الله. تكون (من) اسما بمعنى (بعض) وهى فاعل الظرف (لهم) أى ما لهم بعض رحمة الله. و (من واق) بيان لذلك. وشتان بين كونه بيانا وكونه تبيينا لأن معنى التبيين لـ (من) غريب عنها غير لائق بها لما علمنا من أنه يقتضى زيادتها.

---

(١) روح المعانى ١٩٣/٤ ببعض تصرف.

هــذا: وقد سبقت إشارة إلى أن (كان) فى آية غافر (وما كان لهم من الله من واق) تامة والظرف (لهم) مرتبط بها و (من واق) فاعلها.

وفيها يقول الألوسى:" ويجوز أن يكون (من) الأولى – من الله – للبدلية أى وما كان لهم بدلا من الله المتصف بصفات الكمال واق. وأريد كذلك شركاؤهم. وأن تكــون ابتدائــية على أن الأخذ فى غاية العنف لأنه إذا لم يبتدئ من جهته سبحانه واقية لم يكن لهم باقية"(١).

وقــد عــرفنا أن معنــى (البدل) لا اتفاق عليه لأنه ليس من المعانى اللائقة بــــ (من) ولعلك تلحظ ذلك فى عبارة الألوسى (بدلا من الله) حيث عبر بــ(بدلا) ثــم أردفــه بــ (من الله) فجمع بين معنى الكلمة والكلمة. فما معنى هذا؟ ثم إننا لو جعلنا المعنى وما كان لهم بدل الله وهو شركاؤهم من واق. فما الذى ندركه من هذا الأسلوب.

وبهذا يتبين أن الذى يصلح معنى لهذه الآية هو أن (كان) تام و (لهم) ظرف مــتعلق به مما يسمى الظرف اللغو أى الذى لا يتحمل ضميرا. و (من الله) أى من جهــته و (من واق) فاعل (كان). ولو جعلنا فى (من الله) مضافا أى (من رحمته) لكانت (من) فاعل (كان) أى وما كان لهم بعض رحمة الله. و (من واق) بيان له أى بعض هذا الجنس.

هــذا وقد قال الجمل:" من الله: متعلق بــ (واق) و (مِنْ) فيه ابتدائية ومفعول (واق) محــذوف قــدَّرَه – أى شــيخه– بقــوله: عــذاب. والواقــى: المانــع. و (كان) للاستقرار أى ليس لهم واقٍ أبدا"(٢).

---

(١) روح المعانى ٤٤٧/٧.

(٢) انظر حاشية الجمل: ١٤/٣.

ففـــى هــذا النص ما فى غيره مما سبق من تشتيت لكلماته. وتمزيق لنسجه وبعثرة لمفرداته مع أن المعنى المراد به واضح كل الوضوح إذا انتبهنا إلى أنه نابع من النص تابع لترتيب كلماته إذ كلام الله مبين لا يعتريه غموض. متين لا يدنو منه خلــل أو قلق. فكل كلمة فى نصها قد وضعت فى مكانها اللائق بها فلا تبغى عنه حولا ولا بدلا.

عدد مرات (من) فى هذا الفصل هو: ١٦٢ ثنتان وستون ومائة مرة ،

والله ولى التوفيق.

الفصل الثانى

آيات (من) التى تحتمل البعضية والابتدائية وفيها دعوى التضمين

حققنا فى الباب الأول أن التضمين لم يثبت أمام الأدلة التى تعارضه وتناقضه بل تنقضه ولذا رأينا عدم الاعتراف به ولا تطبيقه على نصوص اللغة العربية ولا سيما النصوص القرآنية لأنه لا يليق بها ولا تحتاج إليه إذ معنى النص يدركه العقل بدون افتراضية ولا افترائه.

وإن شـــاء الله سأقوم بإحصاء آيات القرآن الكريم التى زعم فيها النحاة هذا التضمين الذى لا يخرج عن دائرة التخمين وأجعلها بحثا مستقلا.

وأما الذى يعنينا هنا فهو الآيات التى زعم النحاة التضمين فيها مع كلمة (من) التى هى موضوع دراستنا وموضع اهتمامنا وعنايتنا. ولما كان منهج دراستنا قائما علـــى التـــرتيب المعجمى رتبنا هذه الآيات باعتبار المادة اللغوية للكلمة التى زعم النحاة فيها التضمين أو فرضوه عليها. وقد بنوا ذلك كله على عدم استقلال الحرف بمعناه الإفرادى. وهذا ما رددناه وفنّدنا حجته وأبطلنا أدلته.

١- ألى: فى

قوله تعالى: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ ٢٦٦ البقرة.

وبادئ ذى بدء أنبه القارئ إلى أنه ليس فى هذه الآية تقديم وتأخير كما يزعم الـــنحاة فعندهم أن (للذين) متعلّق بمحذوف خبر مقدم وهذا المحذوف (مستقر) وإذا صـــرحوا بـــه ذكروه فى نهاية الجملة هكذا للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشـــهر مـــستقر. هذا أول تأويل فى النص ويليه قولهم: تربص أربعة أشهر مستقر للذين يؤلون من نسائهم.

هذا ما يزعمه جمهرة النحويين. ولست أدرى سببا يدعوهم إلى هذا التكلف والتعسف وهم أنفسهم الذين قرروا أن الظرف (للذين) فيه معنى الحدث ومن ثم يرفع ما بعده وهو (تربص أربعة أشهر). فلا تقديم ولا تأخير. لأن نسق الآية موحى به من عند الله اللطيف الخبير. وبعد هذه البداية الشارحة الواضحة لمنهج النحاة في مثل هذا النسق نقول: إن المعنى المقصود بالآية أن الذين يحلفون ألاّ ينكحوا نساءهم أى أزواجهم يلزمهم ويختصهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا وباشروهن فلا حرج عليهم. وإلا وجب عليهم الطلاق.

فقوله (يؤلون من نسائهم) معناه: يبتعدون عن نسائهم ويمتنعون عن معاشرة أزواجهم مع ملاحظة حلفهم على ذلك وإقسامهم عليه تشديدا على أنفسهم حتى لا يهنوا ولا يضعفوا فيعودوا إليهن. فَكَأَنَّ الكلمة تدل على الإِقْسَام والحَلِف للامتناع عن الجماع.

وتلك دقيقة من دقائق اللغة إذ بها يثبت الفرق الدقيق بين (أقسم على كذا) و (آلى من كذا) فالأول يدل على اليمين ولكنه لا يقتضى الامتناع عن القسم عليه إذ ربما يظل مباشرا له.

وأما الثانى (آلى من كذا) فيقتضى الامتناع من المقسم عليه بالقسم ومع دلالتها على الامتناع لابد من فرق بينهما لأن الامتناع لا يقتضى القسم على عكس الألية فإنها تقتضى القسم المانع.

ومن هنا يتبين أنه لا غرابة فى ذكر (مِنْ) هنا بعد (يؤولون) لما فيه من معنى الامتناع – غير أنه امتناع عن الجماع- وإنما أقول: لا غرابة فى ذلك لأن (منع) يأتى بعدها (مِنْ) فى القرآن حيث يقول الله: ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٤١ النساء. ويقول: ﴿ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ ٦٣ يوسف،

ويقول: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ ٤٣ الأنبياء، ثم يقول: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٢ الحشر.

هذا عن نص الآية واستعمال (من نسائهم) مع (يؤلون).

ومما يؤيد ذلك ويؤكده ما جاء فى معاجم اللغة يقول ابن فارس: قولهم آلى يُولِى إذا حلف آليَّة وإلوة – مثلثة الهمزة ساكنة اللام- .. قال الخليل: يقال: ما ألوت عن الجهد فى حاجتك. وما ألوتك نصحا. قال: نحن فصلنا جهدنا لم تأتله.

أى لم ندع جهداً. قال أبو زيد يقال: ألوت فى الشئ آلو إذا قصرت فيه. ونقول فى المثل: إلا حَظيَّه فلا أليَّه. يقول: إن أخطأتك الحظوة فلا تتأل أن تتودد إلى الناس. الشيبانى : آليت: توانيت وأبطأت قال: فما آل بَنِىٍّ وما أساءوا. "وألى الكلب عن صيده إذا قَصَّر..."(١).

والذى نستخلصه من هذا النص:

(أ) أن (آلى) بمعنى: حلف. (ب) وبمعنى التقصير فى الشئ.

وبالتأمل فى هذين المعنيين يتبين أنهما يجمعهما خيط رقيق دقيق وهو عدم الحصول على ما يحلف عليه أو الوصول إلى ما يريد فعله وكلاهما بمعنى : الامتناع.

ويقول الراغب:" إلى حرف – لعله يعنى: كلمة لأننا عرفنا أنها اسم- يُحَدُّ به النهاية من الجوانب الستة.- يعنى : الأَمَام والخَلْف. والفوق والتحت. واليمين والشمال- وألوت فى الأمر: قصرت فيه هو منه. وكأنه رأى فيه الانتهاء. وألوت فلانا أى أوليته تقصيرا نحو: كسبته أى أوليته كسبا. وما آلوته جهدا أى ما أوليته

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/١٢٧: ١٢٨.

تقصيرا بحسب الجهد. فقولك (بهذا) تمييز. وقوله تعالى: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ ١١٨ آل عمران. منه أى لا يقصرون فى جلب الخبال. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ ٢٢ النور.

قيل: هو يفتعل من : ألوت، وقيل: هو من: آليت: حلفت..... إلى أن يقول: وحقيقة الإيلاء والآلية الحلف المقتضى لتقصير فى الأمر الذى يحلف عليه. وجعل الإيلاء فى الشرع للحلف المانع عن جماع المرأة(١).

وبهذا النص يثبت بما لا يدع شكا فى النفس أن المادة اللغوية من (أ ل ى) أو (أ ل و) تدل على الوصول إلى شئ دون الحصول عليه. فإذا ما قلنا: خرجت من البيت إلى الجامعة. دل ذلك على انتهاء الخروج عند الجامعة. ومع هذا لا أحصل على الجامعة. بمعنى: أننى لا أستطيع أن أملكها أو استولى عليها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ ١ الإسراء.

فابتداء الخروج: المسجد الحرام وانتهاؤه: المسجد الأقصى. ولكن ذلك لا يعنى أن الرسول المصطفى محمداً ﷺ قد ملكهما أو استولى عليهما. ومثل ذلك: ألوت فى الأمر أو ألوت فلانا. أى قصرت فى الأمر. وأوليت فلانا تقصيرا أى جعلته مقصرا فيه.

وقوله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل.....) إما بمعنى (يُقَصِّر) أو بمعنى (يحلف) وكلاهما يفيد الامتناع.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص٢٢.

وبهذا كله يستبين الحق فى آية البقرة (للذين يؤلون من نسائهم) أى يمتنعون من جماع نسائهم لا كسلا عن ذلك بل بسبب اليمين أى الحلف.

وهذه دقيقة من دقائق اللغة إذ الكلمة الواحدة تجعل العقل مؤمنا والقلب مطمئنا بالامتناع وسببه. فلو قيل: للذين لا يجامعون نساءهم ما حصل المعنى المراد. فالمقام يُحتِّم التعبير بـ (يؤولون) لأنه يثبت الامتناع عن الفعل مع بيان سببه وهو الحلف.

ولكن علماءَ اللغة على العموم والنحاةَ على الخصوص يأبون إلا تحميل النص ما لا يحتاج إليه المقام والمعنى.

ومن ثَمَّ وجدناهم يُشَتِّتُون ذهن القارئ بذكرهم فى هذه الآية عدة أوجه هى:

(أ) أن (يؤلون) ضُمِّنَ معنى (البعد والاعتزال) فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أو مُقْسِمِينَ.

وممن ذكر هذا الوجه: الزمخشرى والنسفى وابن العربى وأبو حيان وابن هشام ... وغيرهم. وحسبنا هنا: نص الزمخشرى لأنه - فى الغالب- مصدر لهؤلاء يعتمدون عليه ويغترفون من نهره. فهو يقول: قرأ عبد الله: آلَوْا من نسائهم. وقرأ ابن عباس: يقسمون من نسائهم. فإن قلت: كيف عُدِّيَ بـ (من) وهو مُعَدَّى بـ (على)؟

قلت: قد ضُمِّن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل: يَبْعُدُون من نسائهم مُؤْلين أو مقْسمين"(١).

(١) الكشاف ٢٠٤/١، وانظر: مدارك التنزيل ١١٣/١، وأحكام القرآن ١٧٧/١، والنسفى ١٩٣/٢، والبحر المحيط ١٨١/٢، ومن مفاتيح الغيب ٢١٥/٢، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٤٢: ١٤٣.

فالزمخـــشرى ومن جرى فى غباره وسار على دربه يَرَوْنَ أن (يؤلون) ليس فــيه معنى (يمتنعون) ومن قبل ذلك يقررون أنه فعل لازم لا ينصب المفعول به وإنما يحتاج إلى أحد حروف الإضافة ليستعين به على التأثير فيه.

كما يرون أن (من) و (على) حرفان ليس لهما وظيفة فى اللغة إلا أن يجعلا الفعــل قــادرا على الاتصال بالاسم من بعده. فهما من حروف التعدية أو التعدى. ولعلك تدرك لأول وهلة ما فى هذا اللفظ ومعناه من ظلم صارخ وقهر غالب وحاش للكلمة أن تكون بهذه المثابة.

وقــد حققــنا فى الباب الأول ما فى دعوى (التضمين) من افتراض فى اللغة يترتب عليه افتراء عليها. كما أثبتنا أن (على) اسم دائما فليست من حروف: التعدى كما وَصَلْنا بالبحث والدرس إلى أن (مِنْ) نوعان: اسم بمعنى (بعض) أو (مثل) أو (مع) وحرف ابتداء.

وبــذلك يثبت أن ما ذكره الزمخشرى ومن يدور فى فلكه بمنأى عن الحقيقة وبمعزل عن المنهج اللغوى الدقيق اللائق بجلال اللغة وكمالها.

وممــا ينبغــى التنبــيه إليه قول الزمخشرى:" يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين).

لأنه بهذا التفسير وضع منهجا للعلماء من بعده وخلاصته: تأويل ما فيه كلمة ضمنت معنى آخر يجعل معناها حالاً من فاعل الفعل الذى ضمن معناه. فلما ضَمَّن الزمخشرى (يُؤْلون) معنى: يَبْعُدون جعل معناه وهو الحلف أو القسم حالا من فاعله قائلا (فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مُؤْلِينَ أو مُقْسمين).

والحق أن الآية ليست فى حاجة إلى ذلك. لأن الفعل (يؤلى) فيه معنى يمتنع كما سلف تحقيق القول فيه. فكيف نفرض عليه معنى يمتلئ به ويفيض عنه.

إننا بذلك نشبه من يؤدى خَيَالُه إلى خيال فيذهب إلى إناء ملئ بالعسل ويتخيل أنه فارغ منه فيذهب يصب فيه العسل صبا متوهما أنه يضع فيه ما هو خال عنه. وهذا أبعد ما يكون عن الحق والحقيقة.

ومن العجيب أن هذا الوجه يرى بعضهم أنه أوجه الوجوه المحتملة فى الآية؟!.

(ب) الوجه الثانى: أن (من) متعلقة بما تعلق به (للذين) أى بمحذوف يقول الزمخشرى:" ويجوز أن يراد: لهم من نسائهم تربص أربعة كقوله: لى منك كذا"(١).

وهذا ما يعرف بأسلوب التجريد أى أنه جرَّدَ من شخص المخاطب شيئا ثم زعم أنه أصله ومنبعه. فحينما يقال: لى من محمد صديق كريم. يكون القائل قد انتزع من ذات محمد شخصا آخر وجعله صديقا حميما له. ومقتضى هذا أن يكون (محمد) صديقاً حميما للقائل إذ كيف لا يكونه وهو مصدر للصديق الحميم وأصل له ومنبع.

هل يكون النهر هواء لو قلنا: لى من النهر ما يشفى العليل ويروى الغُليل؟ أو لابد أن يكون ماء؟!

والذى يعنينا هنا أن الآية ليست فى حاجة إلى هذا التخيل الذى يجعل الخيال خيالا.

وحسبك أن تتأمل فى قول الزمخشرى (لهم من نسائهم تربص أربعة اشهر) لتدرك معنى التجريد فيه ؟ فهل تستطيع ذلك؟ بمعنى: هل يمكنك أن تزعم تجريد أربعة أشهر من نساء الذين يؤلون. كيف تتخيل ذلك؟

---

(١) الكشاف ١/٢٠٤.

فلو سلمنا بالتجريد فى (لى من محمد صديق) لا يمكننا أن نسلم: أن للمؤلين من نسائهم أربعة أشهر؟ إذ كيف يتفرع عن الذوات زمان. إن الزمان منبعه ومصدره حركة الليل والنهار. فهل النساء كذلك؟

لا أيها العلماء فحسبكم نص القرآن بذاته ولذاته دون تدخل فيه. أو عبث به أو جعله كلعبة الأطفال لا يستمتعون بها إلا إذا أتوا عليها وحطموها.

الوجه الثالث: أن مِنْ بمعنى (على):

والذين يرون ذلك إنما يدورون فى فَلَكٍ غير مستقيم الحركة ولا ثابت الوجود لأنهم يجعلون (يؤلون) بمعنى (يحلفون) فحسب. والحق أنها ليست كذلك. بل معناها: يمتنعون باليمين من جماع زوجاتهم.

فالمقام لـ (مِنْ) لا (على). فلا يصلح أن تكون (مِنْ) بمعنى (على) لأن المقصود هنا ابتعاد الرجال من النساء، لا استعلاؤهم عليهن. إذ لو صح ذلك لكان المراد أنهم يجامعوهن. وهذا بعيد.

يضاف إلى هذا أن (من) هنا حرف إضافة وأما (على) فَاسْمٌ دائما وكيف يكون الحرف بمعنى الاسم ؟ أليس ذلك بمحال!!

هذا: ويرى أبو البقاء أن الوجه هو الثانى الذى فيه معنى التجريد. ثم منع الوجه الثالث قائلا:" ولا يجوز أن يُقَامَ (مِنْ) مقَام (على) فعند ذلك تتعلق (مِنْ) بمعنى الاستقرار"(١).

وكذا مَنَعَه ابن العربى حيث قال:" عادة العرب أن تَحْمِلَ معانى الأفعال على الأفعال. لما بينهما من الاتصال والارتباط. وجَهِلَتْ النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضُها من بعض ويَحْمِل بعضها معنى: بعض. فخفى عليهم

---

(١) إملاء ما من به الرحمن: ٥٣/١.

وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس. ولجوا بجهلهم إلى الحروف التى يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال"(١).

وبهـذا كلـه نجـد الوجهـين الثانـى والثالث مردودين بما ذكره أبو البقاء وابن العربى.

الوجه الرابع: أن (مِنْ) بمعنى (فى).

وهذا مردود بما ذكره ابن العربى من أن الحرف لا يكون بمعنى حرف آخر. وقد سبق تحقيق ذلك كله تحقيقا كاملا فى الباب الأول.

الوجه الخامس: أن (مِنْ) زائدة:

ولعـل القـارئ لم يعد فى حاجة إلى تنبيه ليذكر فساد القول بالزيادة لأننا قد تكلمنا عن ذلك وحققناه عمقا وسطحا حتى جعلنا سطحه رائقا رائعا وعمقه واضحا لامعا.

وقـد تكفل أبو حيان برد ما عدا الوجه الأول. حيث قال:" قيل (مِنْ) بمعنى (علـى). وقـيل بمعنـى (فى) ويكون ذلك على حذف مضاف أى على ترك وطء نـسائهم أو فـى ترك وطء نسائهم. وقيل: (من) زائدة والتقدير: يُؤْلُون أن يعتزلوا نساءهم. وقيل يتعلق بمحذوف والتقدير للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر. فيـتعلق بمـا يـتعلق به (لهم) المحذوف. قاله الزمخشرى. وهذا كله ضعيف يُنَزَّه القرآن عنه"(٢).

وعلـى مـنهج أبـى حيان يكون الوجه الأول هو المَرْضِيُّ عنه. ألا وهو: تضمين (يؤلون) معنى: يعتزلون.

---

(١) أحكام القرآن ق١ ص ١٧٧.

(٢) البحر المحيط ٢/١٨١.

وقـد عـرفنا أن دعوى التضمين باطلة لأن (يؤلون) ينبع منه ويصدر عنه معنـى الابـتعاد. وهـذا المعنى يقتضى ذكر (من) الابتدائية إذ يقال:" ابتعدت من المريض: ففي الابتعاد معنى الامتناع. و(يؤلون) معناه: يمتنعون من نسائهم بالقَسَم ومن العجيب أن نرى أبا حيان بعد أن يَرُدَّ الأوجه الأربعة يقول:" وإنما تتعلق (مِنْ) بـ (يؤلـون) علـى أحد وجهين : إما أن يكون (مِنْ) للسبب أى يحلفون بسبب نسائهم. وإما أن يُضَمَّنَ الإباء معنى الامتناع"[١].

ولـو كانت (من) سببه لما أفادت المعنى المراد وهو الامتناع من الجماع إذ يكون المعنى: للذين يحلفون بسبب نسائهم تربص أربعةِ أشهر فأين معنى الامتناع من الجماع؟.

أمـا قـوله بالتضمين فقد عرفنا أنه ظن وتخمين. إذ أن القرآن مصدر -بل أوثق مصدر- للغة فلم لا يكون قوله (للذين يؤلون من نسائهم) دليلا على أن (مِنْ) تـستعمل مع (يؤلون). فذكر (مِنْ) بعد (يؤلون) لا تطوف حوله شبهة ولا يدنو منه شك لأن المعنى المراد يحتاج إلى ذلك.

وبـذلك تسقط دعوى التضمين. وتبقى الآية كما وردت نصا فى المراد بها. أى للذين يمتنعون من جماع زوجاتهم تربص أربعة أشهر.

٢- ظاهر: فى ثلاث آيات:

ممـا ينبغى الوقوف عنده والتأمل فيه أننا بترتيب آيات القرآن التى افترض الـنحاة فـيها مـالا يليق بها. وقع لنا ذكر (آلى) فى قوله تعالى (للذين يُؤْلون من نسائهم) ومن بعده (ظاهر) فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ﴾ ٢، ٣ المجادلة.

---

(١) البحر المحيط: ١٨١/٢.

قــال الزمخــشرى: فإن قلت فما وجه تعديته وأخواته بـ (مِنْ)؟ قلت: كان الظهــار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المُظَاهرَ منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم: ظَاهَر منها: تباعد منها. بجهة الظهار وتَظَهَّر منها: تحرز منها وظاهر منها: حاذر منها وظهر منها: ووحش منها أى خلا منها وظهر منها: خلص منها. ونظيره: آلى من امرآته لمَّا ضمن معنى التباعد منها عُدِّى بـ: مِنْ"[١].

وهناك آية أخرى وهى قوله تعالى:" أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء"٣١ الــنور. وفيها (عليها). وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على وجوب ملاحظة اختلاف النصوص القرآنية من مقام إلى مقام. إذ مما لا شك فيه أن (ظهر منْه) خلاف (ظهر عليه) ولا بد له من سر يجب الحرص على كشفه والوصول إليه ثــم الحــصول عليه. ومن ثَم وجدنا الزمخشرى يقول فى هذه الآية:" إما مِنْ ظَهَرَ على الشر إذا اطلع عليه. وإمَّا مِنْ ظَهَرَ على فلان إذا قوى عليه"[٢].

فــ (على) ظرف يثبت القوة واستطاعة عمل الشئ.

و(مِنْ) حرف يفيد المباعدة بين الشيئين فقولك: خرجت من المنزل يفيد تلك المباعدة والمباينة.

وما دام هذا الفرق موجودا لا محالة فلا غنى لنا عن فهم كل كلمة فى مقامها والحرص على معناها الذى وضعت له.

ولــذا فإننا لو أمعنا النظر فى (ظَاهَرَ مِنْ امرأته) لعلمنا أن المراد ابتعد منها وأدبــر عنها فولاها ظَهْره وتلك كناية رقيقة دقيقة عن الجفوة لها وجفاف العاطفة المتدفقة اللازمة للإقبال عليها.

---

(١) الكشاف: ٣/٤١٢: ٤١٣.

(٢) الكشاف: ٣/١٨٣.

ولعلـك تلحـظ مـن نَـصَّى الزمخشرى فى آية (يؤلون من نسائهم) وآية (تظاهرون منهن). أنه قد سوى بينهما فى دعوى التضمين. وما هو بلازم لها. إذ. الفعل بذاته صالح لارتباط (من) به.

٣- علم: فى ثلاث آيات : هى

قـوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ ١٤٣، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ ٢٢٠ البقرة، قوله: ﴿ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ ٢١ سبأ.

والذى يمعن النظر فى (لنعلم) فى الآيتين الأولى والثالثة يدرك أنه ربما تثور شـبهه فـى نفوس بعض الدارسين حولهما من حيث حدوث علم الله. كما فى قولنا – ولله المثل الأعلى– جئت إلى القاهرة لِأُعلّمَ النحو أو غيره من العلوم. فبوجودى فى القاهرة حصل علمى بما أريد أما آية (والله يعلم المفسد من المصلح) فليس فيها ما يثير ذلك إذ العلم ثابت لله بالفساد والصلاح ثم بالمفسد والمصلح.

ومن ثَمَّ رأينا الزمخشرى يقول فى الآيتين الأولى والثالثة:" لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٤٢ آل عمران.

وقــيل: ليعلم رسول الله والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى. وقيل معناه: لنميز التابع من الناكص كما قال:" ليميز الله الخبيث من الطيب" ٣٧ الأنفال. فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز به"(١).

ففى هذا النص أوجه ثلاثة لبيان المراد بقوله تعالى (لنعلم) فى الآيتين.

(الوجه الأول) أن علم الله ثابت لا يزول قديم لا يحدث. وهذا ما نفهمه من قول الزمخشرى (وهو يعلمه موجودا حاصلا) ولكنه حينما يُفَصِّل ويُفَرِّق بين (مَنْ يتبع الرسول ومَنْ ينقلب على عقبيه) فى الأولى. وبين (من يؤمن بالآخرة ومن هو مــنها فــى شــك) فى الثالثة، إنما يفعل ذلك لبيان استحقاق كل منهم جزاءه على الإحــسان بالإحــسان" وهــل جزاء الإحسان إلا الإحسان" ٦٠ الرحمن. والإساءة بالإساءة ، " وجزاء سيئة سيئة مثلها" ٤٠ الشورى.

(الــوجه الثانــى) أن المــراد لــيعلم الرسول عليه أزكى الصلاة والسلام والمؤمنون رضى الله عنهم. وبذلك يثبت تحويل الإسناد مِنْ (يعلم) إلى (لتعلم) لأنهم خواصــه وأهل الزلفى عنده فكأن علمهم مستمد من علمه. وعلمه أعم وأتم وأشمل وأكمل.

(الــوجه الثالث) أن (نعلم) بمعنى (نميز) وقد أسند التمييز إلى الله عز وجل فــى قــوله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾٣٧ الأنفال. فوضع العلم موضع التمييز.

وعلى الوجه الأول والثانى يكون الفعل (يعلم) فى معناه وهو كشف المجهول بالنــسبة للبشر وإدراكه. أما بالنسبة لله فمعناه. صفة ثابتة لك ينكشف بها ما نظنه مــستورا على الله. وأما على الوجه الثالث فقد فهم العلماء – بعد الزمخشرى– أن

(١) الكشاف ١/١٥٠.

(الــتعلم) ضُمّن معنى (تمَيَّز). فقد قال الألوسى فى الأولى:" الرابع أنه ضَمّن العلم معنـــى التمييـــز أو أريـــد به التمييز فى الخارج وتجوّز بإطلاق اسم السبب على المسبب. ويؤيده تعديه بـــ (من) كالتمييز"(١).

ونقله الجمل عن السمين فى الثالثة(٢) وكذا قال أبو السعود(٣) وذكره فى الثانية أبـــو حيان حيث قال:" مِنْ: متعلقة بـــ (يعلم) على تضمين ما يتعدى بـــ (من) كأن المعنى: والله يميز بعلمه المفسد من المصلح"(٤).

وهكذا نجد الزمخشرى مصدر هذه الدعوى التضمينية، ولسنا فى حاجة إليها لأن الـــنص ذاتـــه مستغن عنها. إذ لو كان محتاجا إلى التمييز لنزل به الوحى كما نزل فى قوله:" ليميز الله الخبيث من الطيب"، فهذا أبلغ حجة وأدمغ برهان على أن المقام فى تلك الآيات غيره فى هذه الآية فالكلمة بطلبها المقام لا محالة.

ولـــست أدرى: إذا لم يصلح العلم لتمييز الخير من الشر والحق من الباطل. والعدل من الظلم والخبيث من الطيب والمفسد من المصلح. والمؤمن راسخ العقيدة مِنَ الذى يكون إيمانه فى لسانه غير مستقر فى قلبه ووجدانه.

أقول: إذا لم يصلح العلم لذلك فلماذا يصلح إذاً.

ومما يزيدنا يقينا بما نقول: أن ابن هشام ذكر من معانى (مِنْ) الفصل وسوّى فـــى هذا المعنى بن (علِم) و (ميّز) وارتضى أن تكون (مِنْ) معهما ابتدائية. ونص عـــبارته:" الثانـــى عـــشر – أى مِنْ معانى: مِنْ- الفصل وهى الداخلة على ثانى المتضادين نحو (والله يعلم المفسد من المصلح) (حتى يميز الخبيث من الطيب) قال

---

(١) روح المعانى: ٣٢٩.

(٢) انظر حاشية الجمل ٣/٤٧.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ٤/٢٣٠.

(٤) البحر المحيط٢/١٦٢، وانظر المغنى بحاشية الأمير ٢/١٩٣.

ابن مالك وفيه نظر لأن الفصل مستفاد من العامل فإنّ (ماز) و (ميز) بمعنى (فصل) والعلم صفة فوجب التمييز.والظاهر أن (من) فى الآيتين للابتداء أو بمعنى:عن[١].

وخـــلاف ابن هشام مع ابن مالك هين وليس جوهريا لأن خلاصته أن ابن مالـــك يجعل (مِنْ) هى الفاصلة بن المعنيين المتضادين. وأما ابن هشام فيجعل هذا المعنى للفعل. والحق أن النص يحتاج إليهما معا فالعلم والتمييز يلزم منهما الفصل بـــين المعنيـــين. و(مـــن) يقوم بهذا المعنى لأنها لابتداء الحدث الذى يبتعد به أحد المعنيين عن الأخر، أما قول ابن هشام عن (مِنْ) إنها بمعنى (عن) فلسنا فى حاجة إلـــيه لأن (عن) اسم يثبت مجاوزة شئ لشئ. وهذا المعنى لا يقصد هنا. إنما الذى يقصد هنا هو المباينة بين معنيين متضادين. وشتان بين هذا وذاك!!

وعلـــيه فالآيات التى نحن بصدد دراستها ليست فى حاجة إلى تضمين كلمة معنـــى أخـــرى. لأن النص غَنِىَ بذاته ولذا يكون غنيا عن سواه. فالغَنِىّ هو الذى يـــستغنى عـــن الـــشئ لا بالـــشئ إذ الغَنِـــىّ بالشئ محتاج إليه وليس كذلك الغنىّ عن الشئ.

٤- غنى: فى عشر أيات: هى

قوله تعالى: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ١٠، ١١٦ آل عمران، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾٣٦يونس، وقـــوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾٢١ إبـــراهيم، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾١٩ الجاثية. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/١٦.

لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾٢٨ النجم. وقوله: ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾١٧ المجادلة. وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ١٠ التحريم. وقوله: ﴿ لا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾٣١ المرسلات. وقوله: ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾٧ الغاشية.

والفعل (أغنى يغنى) معناه: دفع يدفع، ويبدو أن مادة (غ ن ى) تفيد هذا المعنى فقولنا (غَنِيَ يَغْنَى) بمعنى دفع غناه ذُلَّ الحاجة والمسكنة ولذا يقال (غنى بكذا) كأنه تحصن به وامتنع غما يصيبه من أذى و (أغنى عنه الحاجة) أى دفعها.

هذه مقدمة لا بد منها حتى يستبين للقارئ منهج الرشد فى فهم هذه الآيات بدون دعوى التضمين.

ومما ينبغى ملاحظته أن (من الله) قد ذكرت خمس مرات فى خمس آيات هى آيتا آل عمران. وآية الجاثية وآية المجادلة وآية التحريم.

وأن (من الحق) قد ذكرت مرتين فى آيتى يونس والنجم. وأن (من عذاب الله) قد ذكرت مرة واحدة فى آية إبراهيم (من عذاب الله من شئ) وأن (من اللهب) ذكرت فى آية المرسلات و (من جوع) ذكرت فى آية الغاشية.

أما (من الله) فقد لا حظ العلماء فيه مضافا إليه يدركه العقل يقول الزمخشرى:" مِنْ: فى قوله (مِنَ الله) مثله فى قوله (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) أى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق"[1].

---

(١) الكشاف: ١/٢٦٠.

فالزمخشرى يجعل المال والأولاد لا تصلح أن تكون بدل رحمة الله وطاعته. ويقتــضى هذا أن يكون معنى(مِنْ) هو (البدل) وقد يجوز القول بإسميتها لأنه يمكن أن يقال فى غير القرآن (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم بدل رحمة الله.

ولكنــنا قد حققنا أن هذا المعنى غير لائق بـــ (مِنْ) إذ الجدير بها هو معنى (بعض) فتكون اسما على الصواب الصحيح.

وحينئذ يتضح أن تقدير رحمة الله وطاعته كما يرى الزمخشرى غير دقيق إذ لا معنـــى لقولنا" لن تغنِى عنهم أموالهم ولا أولادهم بعض رحمة الله". أى لا تدفع عـــنهم ذلك. لأن معنى (تُغنِى) تدفع: كما علمنا. ولذا رأينا أبا البقاء يقدر المضاف إلـــيه قائلا:" فـــ (من الله) فى موضع نصب لأنَّ التقدير (من عذاب الله) والمعنى: لـــن تدفـــع الأمـــوال عـــنهم عـــذاب الله و (شـــيئا) على هذا فى موضع المصدر تقديره: غنَىً.

ويجوز أن يكون (شيئا) مفعولا به على المعنى لأن معنى (تغنى عنهم) تدفع عنهم ويكون (من الله) صفة لـــ (شيئا) فى الأصل قدم فصار حالا.

والتقدير: لن تدفع عنهم الأموالُ شيئا من عذاب الله(١).

ويؤخذ على أبى البقاء – مع أن ملاحظته تقدير المضاف إليه (عذاب) دقيقة جمـــيلة – أنـــه أهمـــل معنـــى (من) فى قوله:" لن تدفع الأموال عنهم عذاب الله) والـــصواب (بعض عذاب الله) و (شيئا) بيان لـــ (بعض) فهو منصوب، ويجوز أن يكون مصدرا أى دفعا.

هـــذه واحـــدة فى نص أبى البقاء وأخرى وهى أنه حَمَل النَّص على دعوى الـــتقديم والتأخيـــر وهى باطلة حيث جعل تقدير نسقه: لن تغنى عنهم أموالهم ولا

(١) إملاء ما من به الرحمن: ١/٧١.

أولادهم شيئا من الله. وقرر على هذا أن (من الله) نعت لـ (شيئا) ثم قرر بعد هذا تقديمـه أي (من الله شيئا) وَبَيَّنَ أنه كان نعتا في الأصل فلما قُدِّمَ صار حالا. أيليق هذا المنهج لدراسة النص القرآني؟ كلا.

فالصواب في نص أبي البقاء أن المضاف إليه تقديره (من عذاب الله) أما تقديره (من رحمة الله) كما يرى الزمخشري فليس بدقيق وما دام الأمر كذلك فـ (من عذاب الله) في محل نصب مفعولا به أي بعضه أما جعل الزمخشري (مِنْ) بمعنى (بدل) فهو مردود وقد رَدَّه أبو حيان كما رد أن تكون بمعنى (عند) حيث يقول:" مِنْ: لابتداء الغاية عند المبرد. وبمعنى (عند) قاله أبو عبيدة وجعله كقوله (أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) ٤ قريش، قال: معناه: عند جوع وعند خوف. وكون (من) بمعنى (عند) ضعيف جدا. وإثبات البدلية لـ (من) فيه خلاف. أصحابنا – يعني: الأندلسيين- ينكرونه. وغيرهم قد أثبته. .. ثم ذكر أن معنى (لن تغني): لن تدفع أو تمنع: وأن (من) للتبعيض في موضع نصب حالا من: شيئا"[1].

وهكذا يأبى علماؤنا إلا أن يؤخذ عليهم ما لا يليق بجلال القرآن وجماله. فقد أخذنا على الزمخشري وأبي البقاء ما وضحناه آنفا وهنا نأخذ على أبي حيان ما أخذناه على أبي البقاء من دعوى تغيير نسق الآية في التقدير.

ولو تأمل أبو حيان وتنبه إلى جعله (مِنْ) بعضية لما وقع في هذا المحظور. فما دامت اسما بمعنى (بعض) فهي مفعول به في محل نصب و (شيئا) بيان. ويجوز أن يكون مصدرا.

---

(١) البحر المحيط ٢/٣٨٨.

هذا: ومما ينبغى التنبيه إليه أن أبا حيان قد سكت عن معنى الابتداء الذى نقله عن المبرد. والحق أنه غير لائق بهذه الآيات. ومما يحمد عليه أبو حيان رده معنى (بدل) و (عند) لـ (مِنْ).

وبهذا يخلو وجه المعنى لكون (من) بعضية ويلحظ بعدها مضاف أى (بعض عذاب الله) على ما سبق بيانه.

وأما (من الحق) فقد سبق عن الزمخشرى أنه يجعله مثل (من الله) أى بدل الحق. وقد عرفنا ما فيه. ويرى الجمل أنها بمعنى (عن) أى (عن الحق) وأن المراد بـ (الحق): العلم(١).

وإذا كان بمعنى " العلم" فـ (من) بعضية أى إن الظن لا يدفع بعض العلم و(شيئا) بيان يقصد به أدنى مستوى من العلم. ويجوز أن يكون مصدرا كما سبق ذكره. فالضعف فى الظن مسئول عليه فلا ينهض فى وجه أدنى شئ من العلم. وإذا عجز عن الأدنى كان عجزه عن الأعلى من باب أولى.

وأما قوله (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) فمعناه صار واضحا لما سبق أى أنتم عاجزون عن دفع بعض العذاب ولو قليلا عنا. فـ(من) بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعولا به فى (من عذاب الله) وفى (من شئ) بيان أى ولو كان بَعْضَ شئ يسير.

ويجوز فى (من شئ) أن تكون (من) مصدرا لإضافتها إلى (شئ) الذى يجوز فيه ذلك. وقد سبق دراسة مثل هذا النص.

وأما (من اللهب) فى آية المرسلات فيقول فيها الشيخ المغربى:" يغنى: هذا بمعنى قولهم:ولا يغنى عنك فلان شيئا. أى لا يُجْدِى ولا ينفع ولا يفيد. وهو يتعدى

---

(١) حاشية الجمل ٣/٢٣٢.

بـــ (عـــن) و (عـــن) : فى الآية مقدرة مع مجرورها: أى لايغنى عن الجهنميين المـــستظلين بـــه ويقـــيهم (من اللهب) أى ألسنة النار. و (من اللهب) : متعلق بـــ (تغنى) لتضمنه معنى: الوقاية والحفظ".

ثـــم قال: وذهب قطرب إلى أن (اللهب) هنا بمعنى العطش لا بمعنى الشواظ الـــذى يعلـــو الـــنار. يقال: لهب الرجلَ لَهَباً ولَهَباناً إذا عطش فهو لهبان. والمعنى علـــيه:أن ذلـــك الظل لا يظل من وهج الحر. ولا ينفع فى تخفيف العطش كما هى عادة الظلال الباردة"[١].

ففـــى هـــذا النص نرى المغربى يُقَدِّرُ (عن) بدون داع لأن المعنى: لا يدفع بعـــض اللهـــب. ويلزم ذلك ألا يدفع كله لأن نفى الأدنى يستلزم نفى الأعلى. كما كررنا ذلك.

هـــذه واحدة. وأخرى وهى: أنه قرر أن (عن) لازمة لـــ (يغنى) حيث يقول (وهـــو يتعدى بـــ (عن) . وأرى أن ذلك ليس بلازم لأننا نرى بعض الآيات التى نحن بصددها بدونها. وإذا تحقق ذلك فلا داعى لتقديرها ما دام المعنى يفهم بدونها.

وثالـــثه وهـــى أنـــه بعـــد أن قرر تقدير(عن) كان يلزم القول بأنها متعلقة بـــ (يغنى) كما فى قوله تعالى:" لن تغنى عنهم أموالهم... الآية" ولكنه لم يفعل ذلك بـــل ذكـــر أن (مـــن اللهب) متعلق بـــ (يغنى) ثم زعم أن (يغنى) متضمن معنى الوقاية والحفظ.

والحـــق أن الآيـــة ليـــست فى حاجة إلى التضمين إذ (يغنى) بمعنى (يدفع) فالمعنى: أنه لا ظليل ولا يدفع بعض اللهب كما سبق.

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ١٣١.

وتبقى آية الغاشية (لا يسمن ولا يغنى من جوع). وقد نقل الجمل عن الشهاب قوله فيها:" ولا يغنى من جوع: أى لا بدفع جوعا فـ (من) زائدة"[١].

وكم علمنا أن دعوى الزيادة باطلة فـ (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) أى لا يدفع بعض الجوع. ويلزمه أنه لا يدفعه كله لقاعدة: نفى الأدنى يستلزم نفى الأعلى.

وبهـذه الدراسـة لهـذه الآيات يتضح أنها ليست فى حاجة على ما يزعمه الـزاعمون وبظنه الظانون من قواعد وضعوها ثم سيرتهم كما شاءت حيث ملكتهم واستولت عليهم وأول تلك القواعد هى قاعدة: التضمين. فهو غريب على جسم اللغة نـشاز فى نغمها ومن قبل هؤلاء رأينا الألوسى يزعمه بل يتوهمه فى قوله تعالى: ﴿ فهـل أنتم مغنون عنا من نصيبا من النار﴾ ٧ غافر. حيث يقول: ونصيبا (بمعنى) حـصة مفعول لما دلَّ عليه من الدفع أو الجمل أوله – أى لـ (مغنون)- بتضمين أحدهما : أى: دافعين أو حاملين عنا نصيبا"[٢].

والصواب أن المعنى: فهل أنتم دافعون عنا نصيبا من النار. و (من النار) فى محل نصب وصفا لـ (نصيبا) حالا أو نعتا. أى بعض النار. وقد سبقت دراسة هذه الآية فى فصل ما يحتمل أن يكون حالا أو نعتا.

٥- قبل: فى عشر آيات اثنتا عشرة مرة وهى:

قـوله تعالـى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾، ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ ٤٨، ١٢٣، ١٢٧ البقـرة، وقـوله: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾ ، ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم ﴾ ٣٥، ٨٥، ٩١ آل عمـران.

---

(١) حاشية الجمل ٣/٢٣٢.

(٢) روح المعانى ٧/ ٤٥٧.

وقوله: ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، ﴿ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ ٢٧، ٣٦ المائـــدة، وقـــوله: ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ ﴿ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴾ ٥٣، ٥٤ التوبة.

فى هذه الآيات نجد (مِنْ) وليت فعلا من مادة (ق ب ل) على النحو الآتى:

(أ) يقـــبل: مبنيا للمفعول من الثلاثى أى (قبل) وذلك فى خمس آيات هى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ ﴾، ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ٤٨، ١٢٣ البقـــــرة، ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ ﴾ ، ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ ٨٥، ٩١ آل عمران، ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ ﴾ ٥٤ التوبة.

ونائـــب الفاعـــل (شفاعة) و (عدل) و (ملء الأرض ذهبا) و (نفقاتهم) وهذه أسـماء ظاهـرة. وأما قوله: (فلن يقبل منه) فنائب الفاعل مضمر يعود على (غير الإسلام) فى صدر الآية:" ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

(ب) تقـــبل: فعـــل دعاء فى آيتين هما قوله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ ١٢٧ البقرة ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾ ٣٥ آل عمران.

(ج) تتقـــبل مبنيا للفاعل فى آية واحدة هى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ٢٧ المائدة.

(د) (تقـــبل) مبنيا للمفعول فى ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾ ٢٧، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ ٣٦ المائدة.

(هـ) ويتقبل: مبنيا للمفعول فى ﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ ٢٧ المائدة ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ ٥٣ التوبة

ومـــن البدهى لغةً أن ترد (مِنْ) بعد أى صيغة من مادة (ق ب ل) لأن الذى يــريد أن يقــدم شيئا إلى غيره إنما ينتهى هذا الشئ عند المقدم إليه. و (إلى) كلمة انــتهاء الغايـــة. ولا يعقـــل أن يوجد انتهاء غاية بدون ابتداء إذا الابتداء والانتهاء طـــرفان لشئ لا يستغنى بأحدهما عن الآخر لا عقلا ولا لغة. فإذا ما قيل جئت من النزل إلى الجامعة. كان الابتداء والانتهاء ملفوظا بهما.

وإذا مـــا قـــيل جـــئت من المنزل. فلابد من أن يلحظ العقل الانتهاء أى إلى الجامعـــة. وإذا مـــا قـــيل: جـــئت إلـــى الجامعة فلابد أن يلحظ العقل الابتداء أى من المنزل.

وهكـــذا ندرك أن آيات مادة (ق ب ل) وجد فيها كلمة ابتداء الغاية فلابد من أن يتصور العقل انتهاءها على أى كيفية كانت.

والذى يعنينا هنا هو أن الفعل من هذه المادة لابد له من ذكر (من) معه فهذا أمر يقتضيه الفكر اللغوى المستقيم والمنهج النحوى المستنير ولكن علماء النحو قد ضـــربوا فـــى وادى التيه حيث زعموا أن هذه الآيات لابد من فرض شئ زعموه وتوهمـــوه علـــيها ألا وهو (التضمين) جاء فى حاشية الجمل: " والقبول يعدى إلى مفعـــول ثـــان بـــــ (من) و (عن) لِتضمّـــنه معنى الأخذ والإبانه. أ.هـــ بيضاوى. فلتـــضمّـــنه معنى الأخذ يعدّى بـــ (مِن) يقال: قبلته منه أى أخذته. ولتضمنه معنى: الإبانة والتفريق يعدّى بـــ (عن). يقال: قبلته عنه أى أزلته وأبنته عنه. أ. هـــ زاده"

وهذا الذى نقله الجمل عن البيضاوى وزاده بمنأى عن الدقة المعنوية فى لغة العـــرب . فـــشتان بـــين (قَبِلَ) و (أَخذ) فى الدلالة والمعنى. ومما يثبت ذلك قول الراغب:" الأخذ حوز الشئ وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو قوله تعالى:

﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ ٧٩ يوسف. وتارة بالقهر نحو قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ٢٥٥ البقرة.

ثم قوله: " وإنما قيل فتقبلها ربها بقبول حسن" ٣٧ آل عمران. للجمع بين الأمرين التقبل الذى هو الترقى فى القبول. والقبول الذى يقتضى الرضا والإنابة. وقيل: القبول هو من قولهم: فلان عليه قبول إذا أحبه من رآه"[١].

فهل يستطيع أحد أن يفهم من هذه النصوص علاقة بين القبول والأخذ بعد إثبات هذا الفرق الدقيق العميق بينهما؟!

لا: أيها النحاة. لا داعى إلى الجرى فى غبار قواعد قد اخترعها سلفكم اختراعا ثم راحوا يطبقونها بل يفرضونها على نصوص القرآن فرضا.

إن قصارى أمرنا فى هذا المقام. أن نستنتج شيئا من القبول وهو أخذ المقدم من المقدم إليه. بمعنى: أننى لو قدمت شيئا إلى آخر فأخذه دل ذلك على قبوله ذلك الشئ. كما أنه: لو قدمت شيئا على آخر فقبله اقتضى ذلك أخذه لهذا الشئ.

وليس معنى هذا أن الفعلين تشملهما دائرة واحدة فى المعنى كلا. فقد سبق الفرق الدقيق بين القبول والأخذ.

وربما أراد المجد هذه العلاقة بقوله:" وتَقَبَّلَه وقَبِلَه كعلمه قبولا وقد يضم – أى قبولا- آخذه[٢].

وبهذا يثبت يقينا أن (قَبِل) و (تَقَبَّل) وغيرهما من صنع هذه المادة (ق ب ل) لا تضمين فيها إذ التضمين – كما قررنا وكررنا- ظن وتخمين.

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٦٣/٤.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص١٠، ص٤٠٠.

٦- ملك: فى خمس آيات هى:

قــــوله تعالـــــى : ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ﴾ ، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ١٧، ٤١ المائـــــدة. وقـــــوله: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ٨ الأحقـاف. وقـوله: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ﴾ ١١ الفتح. وقوله : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ٤ الممتحنة.

وقــد فسر الزمخشرى : يَمْلِكُ بـــ (يمنع) وقَدَّرَ مضافا فقال:" فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا"(١).

ومقتـــضى هذا أن (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعولا به فهى فـــى محل نصب. أى بعض قدرته ومشيئته. و (شيئا) بيان للمراد بـــ (بعض) أى أنهـــم لا يمنعون بعض مشيئة الله ولا بعض قدرته ولو أدنى جزء منها. وإذا امتنع بعـــضها فمـــنع جميعها من باب أولى . فهى من باب استغراق النفى للمنفى. وقد تكـــون (شـــيئا) بمعنـــى المصدر كما عرفنا ومما يثبت ذلك الاستغراق أن الآيات الخمـــس وقعت (مِنْ) فيها فى سياق نفى صريح، وذلك فى ثلاث منها. أو ما يشبه النفى وذلك فى آيتين وهما : الآية رقم ١٧ من المائدة، والآية رقم ١١ من الفتح.

---

(١) الكشاف ١/٤٨٠.

هـــذا: ولـــم يُـــشِر الزمخشرى من قريب أو بعيد إلى تضمين (يملك) معنى (يمـــنع). كما أنه لم يزعم فى الآية تقديما وتأخيرا. وهذا هو المنهج اللائق بجلال وجمال وكمال النص القرآنى.

أما غيره فقد زعم التقديم والتأخير. فقول أبو البقاء:" من الله: يجوز أن يكون حالا متعلقا بــ (يملك) وأن يكون حالا من : شيئا"[١].

ويـــبدو أنـــه لابد على الوجهين من ملاحظة مضاف إليه. فعلى الأول يكون المعنـــى: فمـــن يملك حالة كون المملوك بعض مشيئة الله أو بعض قدرته. وعلى الثانى فمن يملك (شيئا) حالة كونه بعض قدرته أو مشيئة.

وهذا خلاف الأصل أذ فيه دعوى التقديم والتأخير ولا داعى إليه. وأما الأول فلا تقديم ولا تأخير فيه غير أنه غير واضح الدلالة على صاحب الحال بل هو فى حاجة إلى تكلف فى تقديره.

ولـــذا كان الوجه الذى ذكره الزمخشرى واضح الدلالة على المراد إذ ترتب علـــيه أن تكـــون (من قدرة الله) مفعولا به فـــ (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) و (شيئا) بـــيان لهـــذا المفعـــول أو مفعـــولا مطلقـــا. كمـــا صرح به الألوسى[٢]. وهذا هو الوجه الصحيح.

وربمـــا يزعم بعضهم أن (مَلَكَ) تضمن معنى (منع) وهو بذلك يغفل عن أن (ملك) فيه معنى المنع لأن الذى يملك شيئا يمنع غيره من التعدى عليه أو النيل منه. ولذا قال المجد:" مَلَكَه يَمْلِكُه مِلْكا.... احتواه قادرا على الاستبداد به"[٣].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١١٩/١.

(٢) روح المعانى: ٣٠٨/٢.

(٣) القاموس ٣٢٠/٣.

٧- نصر: في ست آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ ٣٠، ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ﴾ ٦٣ هـود، وقوله : ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ ٧٧ الأنبياء، ﴿ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ ٦٥ المؤمنون. وقوله: ﴿ يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ ٢٩غافر. وقوله: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ ٤ محمد.

فهذه الآيات ورد فيها (مِنْ) مع الفعل (نَصَرَ). وهناك آيات أخرى ورد فيها (على) مع الفعل نفسه. ومنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٥٠، ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٥١البقرة. ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٨٦البقرة، ١٤٧ آل عمران... إلى غير ذلك.

والباحث لابد أن يتحلى بالدقة والعمق فلا تخدعه المظاهر عن الجواهر ولا تأخذه بهرجة منهجٍ ما فتَصْرِفَه عن قيمته.

والذى يقوم عليه الدرس العميق هو البحث عن سر استعمال (من) فيما وردت فيه واستعمال (على) كذلك.

وبادئ ذي بدء أقول: إن ما يسمى بالحرف أو بالظرف في اللغة العربية هو مكمن المعنى والمرشد إليه كما عرفنا أنها مفاتيح البيان في لغة العرب. فلابد مِنَ اختلاف المقام بين (نصر من) و (نصر على). مع أن الفعل صالح لارتباطه بكل منهما.

وفي معاجم اللغة نجد (نصر) تتفق مع (نصل) في صوتين. كما تتفق مع (نجى) في صوت. وهذا الاتفاق يجعل الكلمتين ذواتي منهج واحد في الاستعمال يقول المجد:" ونصره منه نجاه وخلصه" ويقول:" وفَصل: خرج فهو ناصل:" ثم يقول: نجا: خلص واستنجى الجلد كشطه. ونجا الحدث خرج. واستنجى منه حاجته تخلصها كانتجى"[1].

هذا عن استعمال (من) مع (نصر) فهي تثبت النجاة بدون حرب. لأن الحرب لابد فيها من نصر وغلبة أو قهر وَمَذَلة. ولذا رأينا (على) تأتي في هذا النوع فلو تأملت قوله تعالى :" وانصرنا على القوم الكافرين) لأدركت لأول وهلة أن المقام للاستعلاء. ولا استعلاء بدون غلبة وضَرْبٍ وكَرٍّ وفر.

وكأني بالفعل (نصر) يحمل معنيين متقابلين ولكن الذي يحدد المراد منهما إنما هو الحرف أو الظرف. فالحرف (مِن) يدل على استخلاص شئ من شئ في سكون وهدوء وانتظام كالخروج من المنزل والتوبة من الذنب.

وأما الظرف (على) فيدل على استعلاء شئ على شئ فالنصر على العدو غير النصر منه. ففي الأول حرب وغلبة وقهر، وفي الثاني نجاة من هذا كله.

ويا ليت علماءنا نهجوا هذا المنهج في تفسير وتوضيح كلمات القرآن الكريم فلو فعلوا لأراحوا غيرهم بعد أن استراحوا من تَكَلُّف وتعسف لا حاجة بكلمات القرآن إليه.

---

(١) انظر القاموس، ١٤٣/٢، ٥٧/٤، ٣٩٣/٤.

وللحق والحق أقول: إن منهم من التزم الطريق السهل اليسير فكان واضحاً. فمثلا نرى الزمخشرى يقول فى قوله تعالى (من ينصرنى من الله) وهو على لسان نوح عليه السلام: " من يمنعنى (من الله) أى من انتقامه".

ويقــول فى آية الأنبياء وهى فى حق نوح أيضا:" ونصرناه: هو نصر الذى مطاوعــه انتصر. وسمعت هُذليًّا يدعو على مارق: اللهم انصرني منه أى اجعلهم منتصرين منه". ثم يقول فى آية المؤمنون (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) لا تُغاثــون ولا تُمْــنَعُون مــنا أو من جهتنا". ثم يقول فى آية محمد (ولو يشاء الله لانتصر منهم):" لانتقم منهم ببعض أسباب الهلك من خسف أو رجف أو حاصب أو غرق أو موت جارف"[١].

فالزمخــشرى فــى هذه النصوص يجعل (نَصَر): بمعنى (منع) أو (انتقم) لا بمعنــى هــزم ودحــر. والمــنع مــن الوقوع فى الخطر نجاة وفى النجاة: نصر وأى نصر.

ولكن أبا حيان لا يقف عند هذا المعنى الذى يوحى به الفعل ويدل عليه بذاته. بــل يقول:" عدّى (نصر) بــ (من) لتضمنه معنى (نجى) أو (منع) أى نجيناه من القوم. أو منعناه من مكروه القوم كقوله تعالى:" فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا" وقال أبو عبيدة : (من) بمعنى (على) أى نصرناه على القوم"[٢].

فهل المقام فى هذه الآيات كالمقام فى آيات (نصر على)؟ إن استعمال القرآن لابد أن يكون هو المرجع فى تحديد المعانى بعد الوقوف على ما يطلبه المقام. إننا نجد لوطا عليه السلام يحذر قومه وينذرهم على ما كانوا يفعلون من إتيان الذكران دون الإنــاث. فــيقول لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ

---

(١) انظر الكشاف: ٣٠٥/٢، ١٠٠/٣، ١٥٢، ٢٥٢/٤.

(٢) البحر المحيط: ٣٣٠/٦.

أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٢٨ ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٢٩، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ٣٠ العنكبوت.

ومعنى هذا أن لوطا يدعو الله أن يقضى على هؤلاء الذين يأتون الفاحشة لا أن ينجيه ويمنعه منهم. ومن ثم وجدنا الله عز وجل. يقول فى حق قريتهم. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ . فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ ٥٣: ٥٤ النجم.

يقول الزمخشرى:" والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال: أفكه فائتفك. وقرئ: والمؤتفكات. (أهوى) رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها"(١).

فهل المقام هنا لـ (نصر من) أو لـ (نصر على)؟ لا شك فى أنه للثانى لما فى الآية من تدمير وإهلاك بطريقة غير مألوفة ولا معروفة. إذ يألف البشر: الغرق كما فى قوم نوح وفرعون وقومه. أما أن تُرفع القرى وتخفض فهذا نوع معين اختص الله به قوم لوط وبه نصره عليهم بتدميرهم لا بنجاته منهم حتى يتركوهم لاهين غاوين ضالين منحرفين إلى ما تألفه ذكور الأنواع كلها.

فالانتقام منهم نصر للوط عليهم. فلكل كلمة مقام والحروف والظروف هى التى تحدد المعانى وتحرك الأفعال. وبذلك تسقط دعوى التضمين من علُ. كما أسقط الله قرى قوم لوط.

٨- نقم: فى إحدى عشرة آية هى:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ ٥٩، ٩٥ المائدة.

---

(١) الكشاف ٢٤١/٤.

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا ﴾ ، ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ ١٢٦، ١٣٦ الأعراف. ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُم ﴾ ٧٩ الحجر. ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ ٤٧الروم. وقوله: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ ٢٢ السجدة. وقوله: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾، ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ٢٥، ٤١، ٥٥الزخرف.

وقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ٨ البروج.

سبق القول فى أن (نصر) تتفق مع (نصل) فى صوتين كما تتفق مع (نجا) فى صوت واحد. ومن هنا كان التقارب فى المعنى محققا. ولما ثبت ذلك كان استعمال (من) مع الثلاثة أصلا لغويا لا تحوم حوله شبهة ولا يعتريه غموض.

وهنا تجد (نقم) تتفق مع (نجا) فى صوت النون ولذا لا يستغرب استعمال (من) معها كما استعملت مع (نجا).

ومقتضى ذلك كله أن (من) مع (نقم) حرف ابتداء مثلها مع (نجا). ولكننا وجدنا الراغب يقول:" نقمت الشئ ونقمته – بفتح القاف وكسرها– إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٧٤ التوبة

﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ٨ البروج. ﴿ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله﴾ ٥٥ المائدة[١].

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٢٤.

ويـؤخذ مـن هذه النصوص أن (نقم) بكسر القاف أو فتحها ينصب المفعول وهـذا واضح فى آية التوبة. وفيها يقول القرطبى:" وما نقموا إلا أن أغناهم... أى ليس ينقمون شيئا" [١].

ويقول المجد: " ونقم منه كضرب وعلم.. وانتقم عاقبه. والأمر كرهه"[٢].

وقـد يفهم من هذا النص أن (نقم) فى (نقم منه) لازما. ولكنه فى (نقم الأمر وانتقمه متعد أى كرهه.

ويـؤيد ذلـك أن المجد قد قرر فى (نقص) أنه لازم ومتعد أى يقال: نقص الشئ. ونقصت الشئ ثم قال:" وأنقصه وانتقصه ونقصه فانتقص"[٣].

فهـل يا ترى يجوز فى (نقِم) ما جاز فى (نقص) من اللزوم والتعدى؟ ظاهر هـذه النـصوص قـد يوحى بذلك. ولكننا إذا تأملنا أدركنا أن هناك فرقا بين (نقم) و(نقص) لأنه قد ورد لازما نحو "زاد المال ونقص". كما ورد ناصبا لمفعول واحد نحـو: زدت المال أو نقصته. والمفعولين كما فى قولنا (هل تنقمون منا) (فينتقم الله مـنه) (فانتقمـنا منهم) فيجوز أن يكون متعديا ومفعوله (من) التى هى اسم بمعنى (بعـض). ويمكنـنا تطبيق ذلك على الآيات كلها بالترتيب. أى هل تنقمون بعضنا بمعنى أنتم لا تنقمون بعضنا أى إيماننا بالله. فالإيمان بعض المؤمن لاشك فى ذلك. ومن عاد فينتقم الله منه أى ينتقص بعضه... إلخ.

ولكن ذلك ليس واضحا ولذا فإنا نربأ بتخريج القرآن عليه لأنه لا يليق به إلا أوضـح وجوه الإعراب الذى يكون نابعا من النص لا مفروضا عليه و (من) هنا

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٠٦٤.

(٣) القاموس ٣٢٠/٢.

ليست اسما بل حرف إضافة تدل على الابتداء وبهذا يتضح أنه لا فرق بين (نقم) و (انتقم) فى الاستعمال. ولكن أبا حيان لا يرى ذلك حيث يقول :" نقم أصلها أن تتعدى بـ (على) تقول: نقمت على الرجل أنقم. ثم يبنى منها افتعل فتُعَدَّى إذ ذاك بـ (من) وتُضَمَّن معنى الإصابة بالمكروه قال تعالى:": ومن عاد فينتقم الله منه" ومناسبة التضمين فيها أن من عاب على شخص فعله فهو كاره له لا محالة. ومصيبة عليه بالمكروه. فجاءت هنا -يعنى فى الآية الأولى- فعل بمعنى: افتعل ولذلك عُدِّيَت بـ (من) دون التى أصلها أن يعدى بها فصار المعنى: وما تنقمون منا وما تصيبوننا بما نكره إلا أن آمنا أى لأن آمنا. فيكون (أن آمنا) مفعولا من أجله ويكون (وأن أكثركم فاسقون) معطوف على هذه الصلة. وهذا – والله أعلم يسبب تعديته بـ (من) دون : على"[١].

فهنا نجد أبا حيان يفرق بين (نقم) و (انتقم) ولكننا وجدناه فى موضع آخر يسوى بينهما حيث يقول فى آية الأعراف:" وهذا الفعل فى لسان العرب يتعدى بـ (على) تقول: نقمت على الرجل أنقم إذا غلب عليه. والذى يظهر من تعديته بـ (من) أن المعنى: وما تنال منا كقوله:" ومن عاد فينتقم الله منه" أى يناله بمكروه. ويكون (فَعَل) و (افتَعل) فيه بمعنى واحد كـ (قدر) و (أقتدر)"[٢].

وهذا ما رجحه الألوسى فقد رَدّ التفرقة بينهما لأن أبا حيان لم يذكر له مستندا فى ذلك[٣].

---

(١) البحر ٥١٧/٣.

(٢) البحر: ٣٦٦/٤.

(٣) روح المعانى ٣/ ٣٣٤.

ونقـل الجمل عن السمين فى (هل تنقمون منا) قوله:" منا: متعلق به أى ما تكـرهون من جهتنا إلا الإيمان. وأصل (نقم) أن يتعدى بـ (على) وإنما عدى هنا بـ (من) لتضمنه معنى: تكرهون وتنكرون أ.هـ.[١]

وربما يكون المفسرون استندوا فى ذلك إلى قول الزمخشرى: هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها"[٢].

وهـذا لا يصح مستنداً لهم لأن ما ذكره الزمخشرى معنى المادة (ن ق م) . بدلـيل قوله فى الأساس:" انتقم منه وحلت به النقمة والنقم. ونقمت منه كذا أنكرته علـيه وعِبْـتُه: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ٨ البروج[٣].

فهـذا يثبت أن (مِنْ) معه لذاته لا لتضمينه وتحميله معنىً غيرَ معناه وعليه فـ (من) حرف إضافة. والنفى فى أشد الاستغناء عن دعوى التضمين لأنها باطلة.

فعدد مرات (من) فى هذا الفصل ستون مرة. وبالله التوفيق

وعليه يكون عدد مرات الباب الثالث على النحو الآتى:

أ- الفصل الأول: ١٦٢ مرة.

ب-الفصل الثانى: ٦٠ مرة.

والجملة هى ٢٢٢ ثنتان وعشرون ومائتا مرة، والله الموفق.

---

(١) حاشية الجمل ٦٠٧/١.

(٢) الكشاف: ٥٠٦/١.

(٣) أسامى البلاغة ص٩٨٨، دار الشعب.

الباب الرابع

آيات (من) الابتدائية فى القرآن

وهو فى أربعة فصول:

- **الفصل الأول: آيات (من) لابتداء الحدث مع الظرف فى القرآن.**
- **الفصل الثانى: آيات (من) لابتداء الحدث مع غير الظرف فى القرآن.**
- **الفصل الثالث: آيات (من) لابتداء التفضيل فى القرآن.**
- **الفصل الرابع: آيات (من) الابتدائية التى للتعليل فى القرآن.**

الفصل الأول

آيات (من) لابتداء الحدث مع الظرف فى القرآن

تمهيــــــد:

إنما عقدت هذا التمهيد لبيان أمور تتعلق بـــ (من) التى لابتداء غاية الظرف فى القرآن. وهى:

الغايـــة- من: الغائية- الغاية التى تكون (من) ابتداء لها- الآيات التى تكون (من) فيها لابتداء غاية الظرف.

الغايــــــة:

يقــول المجــد:" والغايـــة: المــدى والــراية جمعها غاى وغييتها: نصبتها وكذا أغييتها.

ثــم يقــول:" المــدى كالفتــى الغايـــة كالمديـــة بالــضم والمبتدأ بالكسر، وللبصر منتهاه"[١].

والمجــد هنا يجرى فى مضمارٍ جَرّى فيه مَنْ قبله من المعجميين ومن بعده ألا وهو محاولة تحديد معنى الكلمة بما حددت هى معناه. وتوضيح ذلك أن (المدى) جعلـــه المجــد تفسيرا لــ (الغاية) ثم جعل (الغاية) تفسيرا لـــ (المدى. ثم ذكر بعد الأولـــى (الـــراية) ومن المعهود أن (الراية) إنما تنصب انتهاء لشئ يريده ناصبها. ومِنْ ثَمَّ رأينا المجد يقرر أن مدى البصر: منتهاه.

---

(١) القاموس: ٣٧٢/٤ وهامشها، ٣٨٩.

وهذا ما يجعلنا نحصل على معنى كل من الغاية والمدى وهو: منتهى الشئ. فالمنـــية غايـــة كــل حـــى أى نهاية حياته. و (الْمُدْيَة) بلهجة بعض العرب يقابلها (السكين) بلهجة أخرى. وكلتاهما يقطعان الحياة ويمنعان أسبابها عن الحى. إذ هما معا من أدوات الذبح وهو قطع رقبة الحيوان بطريقة مخصوصة وبه تنتهى حياته.

ومــن ثَــمَّ قال الإمام الرضى:" ولفظ الغاية يستعمل بمعنى النهاية وبمعنى: المــدى. كمــا أن الأمـــد والأجل يستعملان بالمعنيين، والغاية تستعمل فى الزمان والمكان بخلاف الأمد والأجل. فإنهما يستعملان فى الزمان فقط"(١).

ومــن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ٢، ٦٠ الأنعام.

فالمراد بالأجل هنا الزمان المقدر للحى أن يعيشه. ويقول الله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ٣٤ الأعراف. فالأجــل للفــرد والأُمَّـــة. بــل لكــل حَـــىٍّ ســـوى الله عـــز وجل فهو منزه عن الزمان والمكان.

(١) شرح الكافية ٢/٣٢٠.

وأمـــا الأمد فمنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ١٦ الحديد.

أى طال عليهم الزمن.

وبهذا يثبت الفرق بين معنى (الغاية) حيث إنها تستعمل فى الزمان والمكان.

و (الأمد والأجل) حيث إنهما يستعملان فى الزمان فقط.

مِنْ: الغائية

إنما نعنى هنا (مِنْ) التى معناها ابتداء الغاية فى نحو قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ١ الإسراء.

فـ (مِنْ) فيه لا يمكن أن تكون اسما بمعنى (بعض) إذ مدخولها لا يقبل ذلك. وإنمـــا هـــى حرف ابتداء. وفى الآية مقابلها وهو (إلى المسجد الأقصى) فـ (إلى) لانـــتهاء الغاية. وفى ذلك يقول الرضى:" إن (مِنْ) الابتدائية تُعْرَفُ بأن يحسن فى مقابلـــتها (إلـــى) ومـــا يفيد فائدتها نحو قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. لأن معنى(أعوذ به) التجئ إليه وأفر إليه. فالباء ههنا أفادت معنى: الانتهاء"[1].

---

(١) شرح الكافية: ٢/٣٢١.

ومـــن ذلـــك قـــوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ٩٨ النحل. وقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ. مِن شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ. وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ١: ٥ الفلـــق. وقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ. مَلِكِ ٱلنَّاسِ. إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ. مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ ١: ٤ الناس.

فالباء تمثل انتهاء الالتجاء. و(من) تمثل معنى ابتداء الالتجاء. فالله هو الملجأ والمنتهى. والشيطان. وما خلق. والفاسق. والنفاثات. والحاسد. وشر الوسواس. هذه كلها هى ابتداء الالتجاء إلى الله.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ ٤٢ النجم.

بـــل هـــناك آية يجعل الله- مع تقديس ذاته عن الزمان والمكان- هو الملجأ والمنتهـــى وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ ١١٨التوبة.

وفـــى هـــذه الآية الأخيرة نجد ذكر (من) فى قوله (لا ملجأ من الله) كما نجد ذكـــر (إلـــى) فى قوله (إلا إليه) أى لا ملجأ من عذابه إلا إلى رحمته أما فى آيات الاســـتعاذة فقـــد عبر بالباء مكان (من) فلم يقل مثلا: فاستعذ إلى الله من الشيطان الرجيم. ولم يقل: قل أعوذ إلى رب الفلق.. من شر ما خلق.

وإنمـــا لـــم يذكـــر ذلك لأن آيات الاستعاذة فيها التحصين والحماية إذ يقال: تحصنت بكذا أى احتميت به.

ولـــذا أرى أن المقـــام هنا للباء ولا يجوز التعبير بـــ (إلى) أما إدراك معنى الانـــتهاء فهـــو بقرينة (من) التى لابتداء الغاية فهو يدرك بدون لفظ وفى ذلك من الإيجاز ما لا يخفى على ذى ذوق رفيع وعقل مستنير وقلب بصير.

ففـــى الـــنص مـــا ذكره الزمخشرى فى خاتمة كتابه (الكشاف) حيث يقول عنه: " المحيط بما لا يكتنه من بدع- أى بديع- ألفاظه ومعانيه. مع الإيجاز الحاذف للفضول. وتجنب التكره المملول"(١).

ومـــن استعمال الإستعاذة ما جاء فى دعاء الرسول ﷺ وهو:" اللهم إنى أعوذ بـــك مـــن الهـــمِّ والحَزَن. وأعوذ بك من الجبن والبَخَل؛ وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال".

وقـــوله:" اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك. وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك" أى برحمتك من عذابك.

هذا: وليس بلازم أن يكون لكل ابتداءٍ انتهاءٌ ينص عليه بأداته بل ربما يقصد ابتداء شئ ولا يقصد انتهاؤه وذلك فى قولنا: محمد أفضل من علِيٍّ. والمجتهد أنجح مـــن الكسول.. فالمراد هنا أن أفضلية محمد وأنجحية المجتهد أزْيَد من علِيٍّ. ومن الكسول، ولا يقصد هنا انتهاء هذه الغاية كما سيأتى تحقيق ذلك.

ومما ينبغى التنبيه عليه والالتفات إليه قولنا: ابتداء الغاية وانتهاء الغاية. ففيه يقـــول الرضـــى:" والمراد بالغاية - هنا- جميع المسافة إذ لا معنى لابتداء النهاية وانتهاء النهاية"(٢).

---

(١) الكشاف ٦٥٩/٤ الخاتمة.

(٢) شرح الكافية ٣٢٠/٢.

ومقتضى هذا أن فى الأسلوب مجازا من قبيل: إطلاق الجزء وإرادة الكل"(١).

وفــى ذلــك من الإيجاز في اللغة ما ينبغى الحرص عليه والبحث عنه حتى الوصــول إليه فهى فضيلة عليا من فضائل اللغة ولم تأخذ حقها كاملا إلا فى قرآن الله وكلامه عز وجل. (الغاية التى تكون (مِنْ) ابتداء لها).

حققــنا فى النقطة السالفة معنى الغاية وأنها تكون فى الزمان والمكان. فهل تصلح (من) لابتداء الغاية فى النوعين؟

اختلفت كلمة النحاة فى ذلك.

أولا: أن ظاهر بعض نصوص سيبويه أنها لا تكون إلا ابتداء لغاية المكان. حيث يقول:" وأما (مِنْ) فتكون لابتداء الغاية فى الأماكن. وذلك قولك: ومن مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان. فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها"(٢).

ويشرح الرضى معنى: الابتداء قائلا:" المقصود من معنى الابتداء فى (من) أن يكــون الفعــل المتعدى بـــ (مِنْ) الابتدائية شيئا ممتدا كالسير والمشى ونحوه؛ ويكــون المجــرور بـــ (مــن) الشئ الذى منه ابتداء ذلك الفعل نحو: سرت من البصرة؛ أو يكون الفعل المتعدى بها أصلا للشئ الممتد نحو: تبرأت من فلان. وكذا خــرجت مــن الــدار؛ لأن الخروج ليس شيئا ممتدا إذ يقال: خرجت من الدار إذا انفصلت منها ولو بأقل من خطوة"(٣).

ونستنبط من هذا النص النقاط الآتية:

الــنقطة الأولى: أن الرضى تمسك بأن وظيفة الحرف فى اللغة تنحصر فى توصيل معنى الحدث إلى ما يرتبط به. ففى (سرت من البصرة) توصل الحدث فى (ســرت) إلى البصرة بمعنى أنها تجعلها – أى البصرة بدء السير. وقد عبر عن ذلــك بقــوله: (الــتعدى) و (الفعــل المــتعدى بهــا) أى الذى نقل بواسطتها إلى المخفوض بها.

---

(١) انظر شرح الأجرومية للشيخ خالد ص٢٤.

(٢) الكتاب ٣٠٧/٢.

(٣) شرح الكافية ٣٢١/٢ وانظر حاشية الأمير على المغنى ١٤/٢.

والحق أن هذا المعنى مفروض على نصوص اللغة لأن لكل كلمة منها معناها التـي تذكر في النص فيحصل ذلك المعنى فيه. ثم تحذف فيذهب معها ذلك المعنى. لأن لكـل كلمـة مكانا ومكانة فلا يليق بها المكان إلا إذا تحققت مكانتها بحيث لا يستغنى المكان عنها.

الـنقطة الثانـية: أنه بمثابة الشارح لنص سيبويه فلو تأملنا ما ذكره من أن الفعـل الذى ذكرت بعده (مِنْ) يكون شيئا ممتدا كالسير والمشى. وإنما اشترط ذلك لأن الممتد هو الذى يكون شيئا ممتدا كالسير والشئ. وإنما اشترط ذلك لأن الممتد هو الذى يكون ذا بدء وذا نهاية. فإن لم يوجد الشئ الممتد لزم أن يكون أصلا لشئ ممتد وذلك نحو: برئت من فلان. وخرجت من الدار. فالبراءة تخليص شئ من شئ دون حركة أو امتداد. وكذا الخروج مبارحة الدار دون ابتعاد عنها أو مفارقة لها.

ولكـنهما مـع ذلك أصل لشئ ممتد إذ يمكن أن يتحرك الذى برئ من شئ ويبتعد عنه. وكذا الخارج من الدار يمكنه أن يتحرك فيفارقها ومن هذه الناحية صح أن تكون (مِنْ) ابتداء للحدث وهو (البراءة والخروج).

النقطة الثالثة: أن الرضى بهذا الشرح والتوضيح يدور فى فلك نص سيبويه الآنف الذكر: وخلاصته أن (مِنْ) لا تكون إلا ابتداء غاية مكانية لا زمانية.

ثانـيا: وممـا يؤكد مذهب سيبويه هنا قوله عقب النص السابق:" وأمَّا (مذ) فـتكون ابـتداء غايـة الأيـام والأحيان كما كانت (مِنْ) فيما ذكرت لك – أى فى المكـان– ولا نـدخل واحدة منهما على صاحبتها وذلك فى قوله: ما لقيته مذ يوم الجمعـة إلى اليوم.. فجعلت اليوم غايتك. فأجريت فى بابها كما جرت (مِنْ) حيث قلت: من مكان كذا إلى كذا"[1].

---

(١) الكتاب ٢/٣٠٧: ٣٠٨.

ففى هذا النص يفصل سيبويه بين (مِنْ) و (مذ) بفاصل لا يزول ولا يحول. فقد جعل لكل منهما مقاما يرد فيه المعنى لا يدل عليه الآخر. بل زاد ذلك عمقا وقوة بقوله: (ولا تدخل واحدةٌ منهما على صاحبتها) أى لا تستعمل إحداهما فى مقام ومكان الأخرى وظاهر هذا أن سيبويه لا يعترف باستعمال حرف مكان آخر على الرغم من أن هذه القاعدة ملأت أسماع دارسى النحو ومدرسيه.

وما ذكره سيبويه هو المشهور عند جمهور البصريين وتمسك به الحريرى على الرغم من أن بعض البصريين يعارضه كالمبرد(١).

وقد تمكن هذا الذى قرره سيبويه ومعه جمهور البصريين من عقول أغلب النحاة وسال على أقلامهم فملأ قراطيسهم حتى قرأنا فى (ذيل فصيح ثعلب): "باب ما يضعه الناس فى غير موضعه" وجعل منه استعمال (مِنْ) فى الأزمنة و (مذ) فى الأمكنة. ونصه:" وتقول: مذ اليوم ومنذ اليوم؛ تخص العرب (مذ) بالزمان و(من) بالمكان"(٢).

ومن المعروف أن (ثعلبا) من الكوفيين فهل يا ترى فد خالفهم فى هذا المقام لأننا سنذكر أنهم يُخالفون جمهور البصريين فيجيزون استعمال (من) فى الزمان.

هذه واحدة. وأخرى: وهى قوله (تخص العرب) فهو محل نظر لأن العرب أصحاب اللغة قد قالوا ما فيه (مِنْ) ابتداء للمكان وما فيه ابتداء للزمان كما سيأتى.

فالخلاف هنا خلاف علماء اللغة بوجه عام والنحو بوجه خاص. أما أصحاب اللغة ففى كلامهم سعة وتيسير كما نبينه.

---

(١) انظر درة الغواص ص٦٧، وهم ٦٥ و(العربية) ليوهان فُك ترجمة النجار ص٢١٨.

(٢) ذيل فصيح ثعلب ص٣.

ثالثا: ظاهر ما سبق أن سيبويه يحتم وقوع (من) لابتداء الحدث فى الأمكنة لا فى الأزمنة.

ولكننا وجدنا له نصا يوحى بغير ذلك حيث يجعل (من) لابتداء غاية الزمان. وذلك فى (باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف) حيث يقول:" ومن ذلك قول العرب: (من لد شولا فإلى إتلائها)

نصب لأنه أراد زمانا ، والشول لا يكون زمانا ولا مكانا فيجوز فيها الجر كقولك/ مِنْ لَدِ صلاة العصر إلى وقت كذا. وكقولك: من لد الحائط إلى مكان كذا.

فلما أراد الزمان حمل الشول على شئ يحس أن يكون زمانا إذا عمل فى الشول... كأنك قلت: من لد أن كانت شولا فإلى إتلائها"[1].

أليس معنى هذا النص استعمال (من) فى ابتداء غاية الزمان وبهذا يكون الذين أجازوا ذلك معتمدين على سيبويه ناهلين من معينه الصافى وكتابه الوثيق. وسواء أكان هؤلاء مصريين أم كوفيين فهم جميعا لا يستغنون عن (الكتاب) الملقب بأنه (قرآن النحو).

يقول ابن يعيش:" وقد أجاز الكوفيون استعمالها - أى: من- فى الزمان وهو رأى أبى العباس المبرد وابن درستويه. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ ١٠٨ التوبة. ويقول الشاعر:

---

(١) الكتاب ١/٢٦٤، ٢٦٥ هارون " الشول" التى ارتفعت ألبانها وجفت ضروعها وأتى من نتاجها سبعة أشهر وثمانيه وإحداها: شائلة وقيل شولا هنا مصدر: شالت الناقة بذنبها رفعته للضراب فهى شائل وجمع هذا شوّل قراقع ورقع. وحذف نون (لدن) لكثرة الاستعمال والاتلاء أن تسير الناقة مُتلية أى بلتو ها ولدها بعد الوضع" هامش الكتاب ١/٢٦٤.

لمـــن الـــديار بقـــنة الحجـــر ∴ أقـــوين مـــن حجج ومن دهر[١]

ويروى، مذ حجج ومذ دهر.

فهنا نرى (من) مستعملة فى ابتداء الزمان كما استعملت فى ابتداء المكان.

ويقـول ابن هشام: " قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه : وفى الـزمان بدلـيل (من أول يوم) وفى الحديث: فمطرنا من يوم الجمعة إلى الجمعة. وقال النابغة:

يُخَيَّـرْنَ مـن أزمـان يوم حليمة ∴ إلى اليوم قد جُرِّبْن كل التجارب[٢]

ومن قبل ابن هشام رأينا ابن مالك يذكر أمثلة كثيرة لاستعمال (من) فى ابتداء الزمان[٣]

ومـن بعـد ابن هشام رأينا السيوطى يذكر ذلك فى كتابه (همع الهوامع) ثم يشرح فى (البهجة) قول ابن مالك فى ألفيته:

(وقد تأتى لبدء الأزمنة)

ممـثلا بقـوله تعالى:" من أول يوم" ثم يقول:" ونفاه البصريون إلا الأخفش. ومذهبه هو الصحيح"[٤].

ولعل القارئ يقع فى لبس من أمر مرجع الضمير فى قوله (ومذهبه) هل هو ابـن مالـك. وهـذا مـا أراه. بدليل ما سبق ذكره عنه فى شرح التسهيل. أو هو الأخفش. لأن المقام مقام استفتائه من البصريين. وعلى كُلٍّ فالنتيجة واحدة ألا وهى ترجيح القول بجعل (مِنْ) لابتداء غاية الزمان.

---

(١) شـرح المفصل ١١/٨." قنة: بضم القاف وتشديد النون أعلى الجبل ومثله: القُلَّة.. والحجر بكسر الحاء المهملة بعد جيم ساكنة- منازل ثمود بناحية الشام عند وادى القرى. والباء فى قـوله (بقـنة الحِجْر) ظرفية متعلقة بمحذوف على أنه حال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور. وأقوين: أقفرن. والحجج جمع حجة بالكسر وهى السنة. والدهر: الأبد المحدود" هامش شرح المفصل ١١/٨

(٢) المغنى بحاشية الأمير: ١٤/٢.

(٣) انظر شرح التسهيل ١٣٠/٣: ١٣٣.

(٤) انظر الهمع ٣٤/٢، والبهجة المرضية ص٦٦.

ولـــو أنصف هؤلاء جميعا لرجعوا إلى مصدر هذا الرأى فى الكتاب لسيبويه كما نبهنا إلى ذلك.

رابعا: مما سبق يثبت أن مصدر هذا الخلاف فى مسألة استعمال (مِنْ) الخائية هـــو كـــتاب سيبويه على التحقيق الذى قمنا به وَوَثَّقْنَا نصوصَه من (الكتاب). وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة من بعد سيبويه. فانقسموا فريقين:

أحـــدهما: يرى أن ما نسب إلى الكوفيون والأخفش من استعمالها فى ابتداء غاية الزمان – وهو فى الأصل لسيبويه– ضعيف.

وحجتهم فى ذلك أن ما استدل به هؤلاء يحتمل غيره. ومن القواعد الثابتة فى الـــبحث العلمـــى: أن الدلـــيل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال فقد ذكر الرضـــى أن (مِنْ) فى قوله تعالى (من أول يوم) بمعنى (فى) إذ ليس التأسيس حدثا ممتدا ولا أصلا للمعنى الممتد؛ بل هو حدث واقع فيما بعد (من)؛ وهذا معنى (فى) فـــ (مِـــنْ) بمعنـــى (فى) وأنها فى قول الشاعر (من حِجَجٍ ومن دهر) للتعليل لا للابـــتداء. قال: لأن الإقواء لم يبتدئ من الحجج بل المعنى: من أجل مرور حجج ومن دهر[١].

ويقـــول الـــبغدادى عن هذا التوجيه: "وهو الحق فإن علة إقواء الديار مرور الدهور عليها لا ابتداء مرورها"[٢].

والرد على هذا سهل ميسور وخلاصته:

أن مـــا ذكـــره الرضى من أن (مِنْ) بمعنى (فى) لا أساس له يمكنه الاعتماد عليه أو الرجوع إليه. فلم تزل عبارة سيبويه يَرِنُّ صداها فـــى العقـــول ويختلـــج

---

(١) شرح الكافية ٢/٣٢١.

(٢) خزانة الأدب ٤/١٢٧.

فـــى الصدور وهى قوله فى (مذ) و (مِنْ) (ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها) فإذا كانت (مِنْ) لا تدخل على (مذ) فكيف تدخل على (فى)؟!

إن مسألة تناوب حروف الإضافة مسألة اختراعيه أى اخترعها النحاة ركونا إلـــى الدعة وهروبا من إعمال الفكر وتقليب النظر فى وضع الكلمة ودقة اختيارها كما حققنا ذلك فى الباب الأول. هذه واحدة.

وأخـــرى وهـــى: أن تأســـيس أى شئ حدث ممتد إذ يستغرق من الزمان ما يحتاج إليه فى تقويته حتى يصلح لقيام بناء عليه. ولا شك أنه يحتاج إلى إتقان من ابـــتدائه إلـــى انتهائه وإدراك ذلك كلن قاب قوسين أو أدنى من بصر هؤلاء الذين تكلفـــوا وتأولـــوا فـــإنهم لو قرأوا الآية التالية لتحركت ألسنتهم واستيقظت قلوبهم وانتـــبهت عقـــولهم إلى ما فيها ونصها: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾١٠٩ التوبة.

وفـــيها يقول الزمخشرى:" شفا جرف هار: فى قلة الثبات والاستمساك وضع (شفا الجرف) فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما بنا فى التقوى والشفا: الجرف والـــشفير. وجـــرف الوادى: جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا. والهار: وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط.

ووزنه -يعنى: هار- فَعِلٌ. قصر عن (فاعل) - يعنى: هائر كـــ (خلف) عن (خالـــف) ونظيره: شاك وصات من: شائك وصائت. وألفه ليست بألف (فاعل) إنما هى عينة وأصله: هَوِر وشَوِك وصَوِت.

ولا نرى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره[١].

وبهذا النص يثبت بما لا ريب فيه أن تأسيس أى شئ حَدَثٌ ممتد له ابتـداء وانتهاء. وفى هذه الآية اكتفى بذكر الابتداء (من أول يوم) لأنه يوحى ويرشد العقل إلى الانتهاء أى (إلى آخر يوم) أفلا يدل ذلك على امتداد التأسيس واستغراقه مـن الزمان ما يكفى لجعله صالحا لقيام بناء عليه بحيث لا يختل ولا يعتل.

هذا عن الآية أما قول الشاعر:

(أقوين من حجج ومن دهر)

فأرى أنه لا غبار على جعل (من) ابتدائية أى أن إقواء تلك الديار وتدميرها ابتداء من زمن سحيق. وكأنى بالشاعر قد استغنى عن ذكر انتهاء الغاية لأن هـذه الديار ستظل شاخصة للأبصار ما دام بصر فى وجه إنسان ونظر فى عينه. فهـذا مما يعرف ابتداؤه ولا يدرك انتهاؤه.

وأما بيت النابغة فقد أراح العلماء فيه لأنه ذكر الابتداء والانتهاء (من أزمان يوم حليمة) (إلى اليوم) أى يوم أن كان ينشئ قصيدته. ومن يدرى لعلها شاخصـة إلى يومنا هذا.ومما يؤكد ضعف مذهب جمهور البصريين أنهم أولـوا: (مـن أول يوم) بـ (من تأسيس أول يوم) و (من حجج ومن دهر) بـ (من قَرِّ حِجَجٍ ومَرِّ دهر). قال ابن يعيش:" فهذا فيه دلالة على استعمالها فى غير المكان لأن التأسيس والمـر مصدران وليسا بزمانين... وإن كانت المصادر تضارع الأزمنة من حيـث هـى منقضية مثلها"[٢].

---

(١) الكشاف ٢/٢٤٤.

(٢) شرح الكافية ٢/٣٢١.

فمآل هذا التأويل إلى الزمان. ومن ثَمَّ قال السهيلى:" لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان[١].

الفريق الثانى:

يـرى هذا الفريق صحة وجواز استعمال (مِنْ) لابتداء غاية الزمان وهذا ما نوافقه ونرتضيه لما يلى:

١- الرد سالف الذكر على حجة الفريق الأول. وهو ردٌ مقنع ممتع.

٢- يقـول الرضى:" والظاهر مذهب الكوفيين إذ لا منع من مثل قولك:" نِمْتُ من أول الليل إلى آخره. وصمت من أول الشهر إلى آخره. وهو كثير الاستعمال"[٢].

٣- يقول السيوطى:" وخَصَّها البصرية إلا الأخفش والمبرد وابن درستويه بالمكان وأنكـروا ورودهـا للزمان. قال ابن مالك: وغير مذهبهم هو الصحيح لصحة السماع بذلك. قال أبو حيان: لكثرة ذلك فى كلام العرب نظما ونثرا وتأويل ما كثر ليس بجيد".

ومما يجدر التنبيه إليه سقوط (إلا) من هذا النص فى بحث الدكتور عبد العال سـالم (القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية) حيث جاء هكذا (وخصها البصرية والأخفش) والصواب (إلا الأخفش).

٤- يـرى بعـض العلماء أن (مذ) أصلها (مِنْ وإذ) ولو أخذنا بذلك لترتب عليه اسـتعمال (مِـنْ) فى الزمان. يقول الرضـى:" إنهم أرادوا ابتداء غاية الزمان خاصـة فأخذوا لفظ (مِنْ) الذى هو مشهور فى ابتداء الغاية. وَرَكَّبُوه مع (إذ) الذى هو للزمان الماضى.

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٤/٢.

(٢) شرح الكافية ٣٢١/٢.

وإنما حمَلّنا على ارتكاب تركيبه من الكلمتين وجود معنى الابتــداء والوقــت الماضى فى جميع مواقع (منذ) وهما بمعنى (من) و(إذ) فغلب على الظــن تركيبــه منهما مع مناسبة لفظه للفظها؛ وأمور النحو أكثرها ظنى"[١].

ولست أدرى مرجعا للضمير فى قول الرضى (إنهم أرادوا .....إلخ) هل هم العرب أو هم النحاة؟

لو قلنا بالأول لكان أدنى من الظن الذى ذكره الرضى ولبلغ مبلغ الوهم الذى هو سبيل إلى الوهم ودليل عليه. إذ من الذى يسمح له عقله أن يزعم هــذا علــى العرب أصحاب اللغة؟.

وإذا بطل ذلك تعين أن يكون مرجع الضمير هم النحاة. وقول أبــى حيــان (وأمور النحو أكثرها ظنى) إنما المقصود به: النحاة لأن الظن ليس من النحو إنما من النحاة. وكم للنحاة من جريرة على النحو شَوَّهتْ جماله ونقصت كماله وحملت العقول على النفور منه. والنفوس على بعضه أشد البغض.

ومما يضعف دعوى التركيب أن الرضى قرر أنها مركبة من (من) و (إذ). على حين نرى السيوطى ينقل عن الفراء أن أصلها (من وذو) الطائيــة أى التــى بمعنى (الذى). ثم بذكر أن غيره يرى أصلها (من و إذ).

ثم يقول:" وعلى هذا فــ (مذ ومنذ) بمعنى (من) إن كان الزمــان ماضــيا. وبمعنى (فى) إن كان حاضرا . وبمعنى (من) و (إلى) جميعا إن كان معدودا نحو: ما رأيته منذ يوم الخميس أو منذ يومنا أو عامنا أو منذ ثلاثة أيام"[٢].

---

(١) الهمع ٢/ ٣٤ وانظر ارتشاف الضرب ٢/ ٤٤١.

(٢) الهمع١/ ٢١٧.

فهى فى (منذ يوم الخميس) بمعنى (من). وفى (منذ يومنا) بمعنى (فى) وفى (منذ ثلاثة أيام) بمعنى (من) و (إلى).

ولست أدرى كيف يُجَوِّز السيوطى أن يكون بمعنى (فى) مع أن الذين زعموا تركيبها (أى مذ) قرروا أنها مركبة من (من) و (إذ) الدالة على الزمن الماضى.

وقد سبق أن الفراء يراها مركبة من (من) و (ذو) الطائية وقد ذكر هذا الرأى الأشمونى(١).

ولم يذكر أحد معناه فى قولنا (ما رأيته منذ ثلاثة أيام) ولعل تقديره (من الذى هو ثلاثة أيام) وفى النفس منه شئ وأى شئ؟! ولعل عدم استقرار قلم النحاة تبعا لعدم تمكن عقولهم مما ذكروه حمل بعضهم أن يمتنع عن دعوى التركيب فيقول السيوطى:" منذ: بسيطة وقيل: مركبة"(٢).

ففى التعبير الأول نلمح علامات اليقين وأمارات الثبوت. على حين نرى فى التعبير الثانى (وقيل) قلقا واضطرابا. لما فيه من مخالفة الأصل بدعوى مزعومة موهومة. إذ أن العرب وهم أصحاب القول الفصل فى اللغة لم يخبرونا بذلك. وعلى النحاة أن يراجعو أنفسهم فيما تأولوه على العرب ليرجعوا عنه ويثوبوا إلى الطريق الصواب.

إنهم بزعمهم التركيب لم يفارقوا مساحة الظن والتخمين إلى منطقة الجزم واليقين. وهل ينفع الظن قاعدة يقوم عليها بناء متين.

إننا نرى فى لغتنا (مِنْ) و (مذ) و (منذ) ولكل منها مكانها ومقامها ومكانتها فلابد من أن نحافظ على حريتها واستقلالها فى الاستعمال. وفى ذلك إثراء اللغة فى مفرداتها وتكثير معانيها إذ لكل منها معنى ومقام.

---

(١) انظر منهج السالك ٢/٢٣٦.

(٢) الهمع ١/٢١٧.

معنى من (مع الظرف):

اختلف العلماء فى معنى (من) حينئذ على حين رأيناهم قد عبروا بـــ (ابتداء الغاية) كثيرا كما قدمنا فى الفقرة السالفة.

وإننا إذ نتكلم هنا عن معناها نستحضر دائما ما حققناه من أنها صالحة لابتداء غاية الزمان والمكان. وتفصيل ذلك:

(أ) يتضح لنا مما سبق أن معنى (ابتداء الغاية) فى المكان والزمان هو السائد الذائع الشائع على ألسنة النحاة وأقلامهم.

يقـــول ابن هشام:" واختلف فى (مِنْ) الداخلة على (قبل وبعد) فقال الجمهور: لابتداء الغاية. ورُدَّ بأنها لا تدخل عندهم على الزمان. وأجيب بأنهما غير متأصلين فى الظرفين؛ وإنما هما فى الأصل صفتان للزمان؛ إذ معنى جئت قبلك: جئت زمانا قبل زمن مجيئك فلهذا سهل ذلك فيهما"[١].

والحق أنهما اسمان للزمان سابقا ولاحقا لأمرين:

أحـــدهما: قـــول الرضى: " ومن تقليل ذات المصغر تصغير (قبل وبعد) فى نحو قولك: خروجى قبيل قيامك أو بعيده؛ لأن القَبْل هو الزمان المتقدم على الشيء؛ والبَعْد هو الزمان المتأخر عنه....

والغـــرض من تصغير مثل هذا الزمان قُرْب مظروفهما مما أضيف إليه من ذلـــك الجانب الذى أفاده الظرفان، فمعنى: خروجى قبيل قيامك: قرب الخروج من القيام من جانب القبلية"[٢].

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٨/٢.

(٢) شرح الشافية ١٩٠/١: ١٩١.

فهذا تصريح بأنهما يدلان على الزمان لا وصفان له. بدليل أن التصغير يقلل الفاصـــل الزمنـــى فيهما: فإذا قيل: خروجى قبل قيامك دلَّ ذلك على سعة مساحة الـــزمان بين خروجي وقيام المخاطب. وإذا قيل: خروجي قُبَيْل قيامك دل التصغير علـــى ضـــيق مـــساحة الـــزمان بينهما. وسيأتى أن (مِنْ) تدل على ذلك فى قولنا: خروجى من قبل قيامك.

الأمر الأخر: أننا لو سلمنا أنهما - قبل وبعد - وصفان لوجب أن يكون ذلك مُقَيَّداً بما إذا لم تدخل (من) عليهما. أما إذا دخلت عليهما فهما اسمان.

يقـــول الخلـــيل بن أحمد: " قبل وبعد رُفعًا بلا تنوين لأنها غائيان وهما مثل قـــولك: ما رأيت مثله قط، فإذا أضفته إلى شئ نصبت إذا وقع موقع الصفة كقولك: جاءنا قبل عبد الله، وهو قبل زيد قائم. فإذا أوقعت عليه (من) صـار فى حد الأسماء كقـــولك: من قبل زيد. فصارت (من) صفة و خُفِض (قبل) لأن (من) من حروف الخفض؛ وإنما صار (قبل) منقادا لـــ (مِنْ) وتحول من وصفيته إلى الاسمية لأنه لا يجتمع صفتان. وغلبة (مِنْ) لأن (مِنْ) صار فى صدر الكلام"(١).

وقـــول الخلـــيل (لأن (من) صفة وخفض) يثبت أن تسمية حروف الإضافة بحروف الصفات تسميه بصرية لا كوفية. كما يثبت أن عملها يسمى خفضا لا جرا. فشتان بينهما كما حققنا ذلك فى غير هذه الدراسة(٢).

وما ذكره الخليل عن (مِنْ قبل) نقل يونس عن أبى عمرو مثله فقد كان يقول: "دارى مـــن خلـــف دارك فرسخان؛ يشبهه بقولك: دارك منى فرسخان لأن (خلف) ههنا اسم. وجعل (مِنْ) فيها بمنزلتها فى الاسم"(٣).

---

(١) اللسان ١١/٥٣٦.

(٢) انظر أسرار النحو ١/٣١.

(٣) يونس بن حبيب ص١٣٣ عن الكتاب ١/ ٢٠٨.

فـــ (من) فى هذه الظروف لابتداء الغاية وتثبيت ضيق الفاصل المكانى أو الزمانـــى بـــين مـــا قبلها وما بعدها. فإذا ما قلنا: حضر محمد قبل خالد. كان بين حـــضورهما ســـعة مـــن الـــزمان، فلـــو قلنا (من قبل خالد) دل ذلك على مباشرة حضورهما والتعقيب بينهما.

ومـــثل ذلك لو قلنا: جلس محمد قبل عَلِيٍّ. ومن قبل عَلِيٍّ. ففى الأول يكونان متـباعدين. وفـــى الثانى يكونان متلاصقين. وسيأتى ذلك بكثرة فى آيات القرآن الكريم.

وحسبنا هنا هذا المثال: من المعروف أن (عن) تفيد البعد والمجاوزة كقولك: رَمَـــى عن القوس لأنها يقذف عنها بالسهم ويبعده... وجلس عن يمينه أى متراخيا عن بدنه فى المكان الذى بحيال يمينه"(١).

فإذا دخلت عليها - أى: عن- مِنْ أفادت الملاصقة قال ابن أدم قاسم: "مِنْ: مـــع (عَـــنْ) لابتداء الغاية قال بعضهم إذا قلت: (قعد زيد عن يمين عمرو) معناه: ناصـــية يمين عمرو. واحتمل أن يكون قعوده ملاصقا لأول ناحية يمينه وألا يكون وإذا قلت: قعدت من عن يمينه كان ابتداء القعود نشأ ملاصقا لأول الناحية"(٢).

(ب) سبق عن الرضى أن (من) مع الظرف بمعنى (فى) كما فى قوله تعالى:

﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ١٠٨ الـــتوبة، وقـــد علـــل لذلك بقوله:" لأن (من) فى الظـــرف كثيرا ما تقع بمعنى (فى) نحو : جئت من قبل زيد ومن بعده. ونحو قوله

---

(١) المفصل بشرح ابن يعيش ٨/ ٣٩-٤٠.

(٢) الجنى الدانى ص ٢٤٣.

تعالــى: ﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ ﴾ ٥ فــصلت، وكــنت من قدامك" ثم قال: "وإقامة بعض حروف الجر مقام بعض غير عزيزة"[١].

وقــد رددنا على ذلك فيما سبق. ونضيف هنا: اننا لو قلنا (وفى بيننا وبينك حجــاب) لما قَبِلَه السمع ولما انشرح له الصدر واطمأن به القلب والأصل فى اللفظ القرآنى أنه إذا سمعه الإنسان – ولو كافراً – علت وَجْهَهُ علائم الارتياح. وما ذلك إلا لما سَكَنَ نَفْسَه من السكينة وملأ قلبه من الاطمئنان. وحسبنا فى هذا المقام قول الوليد بن المغيرة : "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا مــن كــلام الجن. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى عليه"[٢].

فهــل هذه الصفات توجد لو قلنا فى قوله تعالى:" لله الأمر من قبل ومن بعد" ٤ الروم. فى قبل وفى بعد. ولو قلنا فى قوله تعالى:" ومن بيننا وبينك حجاب"؟؟!

أمــا دعوى الرضى أن (إقامة بعضٍ حروف الجر مقام بعضٍ غَيْرُ عزيزة) فهــى باطلة لأن لكل كلمة فى القرآن ظلها وجرسها ووقعها فى الأذن وتأثيرها فى الــنفس وتحــريكها للحس وتحويلها للفكر وعمقها فى الشعور ولذا قرأنا فى الباب الأول مــن هــذه الدراسة ما ذكره السيوطى من أنه: (لو أدير لسان العرب جميعا لاستبدال كلمة بكلمة من القرآن لما استطاع أحد إلى ذلك سبيلا).

هذا هو المنهج اللائق بجلال وكمال وجمال الكلمة القرآنية.

وعلــيه فالــصواب الــصادق أن تكون (مِنْ) مع الظرف ابتدائية إذ فى ذلك تحقيق مدلولها ومعناها وهو: التعقيب كما ذكرنا آنفا .

---

(١) شرح الكافية ٣٢١/٢.

(٢) انظر الكشاف ٥١٩/٤.

(جـــ) نقل الأستاذ عباس حسن عن حاشية الألوسى على كتاب (قطر الندى) لابن هشام ص٣٤ قوله :" الغالب فى (من) الداخلة على الظروف غير المتصرفة أن تكون للسببية أى بمعنى (فى) الدالة على السببية. أما مجيئها لابتداء الغاية فقلــيل نحــو: جــئت من عندك. ونحو قوله تعال:" فهب لى من لدنك وليا" ٥ مريم[1].

أرأيت أعجب من هذا؟ إننا لو تأملنا فى معنى (السببية) لعلمنا أنه لا يليق فى كثيــر من نصوص العربية بــ (مِنْ) إذ كيف نفهمه فيما سبق من قوله تعالى:" لله الأمر من قبل ومن بعد" وفى قوله: "ومن بيننا وبينك حجاب" وغيره كثير فيما يأتى من آيات (مِنْ) الداخلة على الظروف المتنوعة؟

هذه واحدة تمنع استبدال (فى) بــ (من) لتكون سببية.

وأخــرى وهى: أن (من) نفسها صالحة لمعنى السببية والتعليل كما سنذكره قريبا. ولكن فى نصوص معينة يليق بها هذا المعنى لأن المقام يتطلبه ويحتاج إليه. ومــنه مــا ســبق فى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ ١٨ إبراهيم.

فلو جاز هذا المعنى فيما سلف من نصوص لَمَا دعا الداعى إلى استبدال (فى) بـــ (مِــنْ) لتدل على السببية بل يصح القول بأن (مِنْ) ذاتهاللسببية. وأنى يكون ذلك؟! وقد علمنا أن المقام ينفر منه ولا يصلح له!!!.

(د) يرى ابن مالك وجماعة أن (مِنْ) مع (قبل وبعد) زائدة بناء على ما آختاره من زيادتها فى الإيجاب"[2].

---

(١) النحو الوافى ٢/٣٦٠.

(٢) انظر الهمع ٢/٣٦.

ولعل القارئ قد أَلِفَ وعرف بل علم واستيقنت نفسه أن دعوى زيادة كلمة في اللغة فضلا عن دعواها في القرآن باطلة إذ لا أساس لها حتى تقوم عليه.

ومما يثبت هذا في مقامنا هنا أن ابن مالك نفسه – وهو المنسوب إليه دعوى زيادة: من – قد صحح مذهب الكوفيين ومن وافقهم من البصريين في دخول (من) على الزمان"(١).

يقول السيوطي:" قال ابن مالك: إن مذهب الكوفيين ومن وافقهم من البصريين هو الصحيح لصحة السماع بذلك"(٢).

والدليل على ذلك قوله في الخلاصة:

بَعِّضْ وَبَيِّنْ وابتدئ في الأمكنة　　　بـ (من) وقد تأتي لبدء الأزمنة

وإذا صح ذلك كانت (من) لابتداء الغاية مع الزمان كما أنها لذلك مع المكان. فالزمان والمكان متلازمان وجودا فلا يوجد أحدهما بدون الآخر.

(هـ) يرى ابن السراج أن (من) تكون لابتداء غايتي الفاعل والمفعول لكون الفعل مشتركا بينهما نحو: رأيت الهلال من مكاني من خلل السحاب فمبدأ رؤيتك مكانك. ومبدأ كون الهلال مرئيا خلل السحاب. وكذا قولهم: شممت المسك من داري من الطريق(٣).

وربما يفهم أن هذا النص ليس من قبيل استعمال (من) مع الظرف. ولكنني أبادر فأقول: إن (مكان) و (خَلَل) فيهما معنى الظرف وكذا (دار) و (طريق).

فـ (من مكاني) في الأول مرتبط بتاء الفاعل في (رأيت) فهي وياء (مكاني) للمتكلم. و (من خَلَل السحاب) مرتبط بـ (الهلال) وهو مفعول. وكذا يقال في

---

(١) الحق أن أصل هذا المذهب في كتاب سيبويه كما حققنا ذلك فيما سبق.

(٢) الهمع ٣٤/٢.

(٣) شرح الكافية ٣٢١/٢.

(شـــممت) و (مـــن دارى) وفـــى (المسك) و (من الطريق) وهذا معنى كون (من) لابتداء غايتى الفاعل والمفعول.

ولكـــن ابن يعيش ذكر أن بعضهم يـــرى أن (مِنْ) التى مع المفعول فى مثل هـــذه الأساليب لانتهاء الغاية. ثم نقل عن ابن السراج قوله:" وهذا خلط معنى (من) بمعنـــى (إلـــى). والجـــيد أن تكـــون (من) الثانية لابتداء الغاية فى الظهور وبدلا من الأولى"[١].

ومقتضى ذلك أن ابن السراج لا يرى أن (من) تكون لانتهاء الغاية.

(و) والـــذى يقـــرأ نـــص سيبويه الآتى يدرك أنه يجعل (مِنْ) لانتهاء الغاية وهو:"

وتقول: رأيته من ذلك الموضع فجعلته غاية رؤيتك كما جعلته غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى.. وتقول: ما رأيته مذ يومين فجعلتها غاية كما قلت: أخذته من ذلك المكان فجعلته غاية ولم ترد منتهى"[٢].

ومـــن هذا النص يتبين أن سيبويه يُجَوِّزُ أن تكون لابتداء وانتهاء الغاية معا. كما فى (رأيته من ذلك الموضع) فهى لابتداء رؤية الفاعل ولانتهاء رؤية المفعول.

ويقـــول ابن هشام:" وزعم ابن مالك أنها فى هذه للمجاوزة. والظاهر عندى أنها للابتداء لأن الآخذ ابتدئ من عنده وانتهى إليك"[٣].

وهـــو يعنى قول سيبويه: (أخذته من ذلك المكان) إذ يرى ابن مالك أن (مِنْ) بمعنى (عن) فهى للمجاوزة. ولكن سيبويه يجعلها لابتداء الغاية. وليس فيها نهايتها.

---

(١) شرح المفصل ١٣/٨: ١٤.

(٢) الكتاب ٣٠٧/٢: ٣٠٨.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ١٦/٢.

الآيات التى تكون (من) فيها لابتداء غاية الظرف

عــرفنا أن الغاية المقصودة هنا تكاد تنحصر فى الزمان والمكان. وحققنا أن (من) صالحة لابتداء هذه الغاية بنوعيها. كما تبين لنا من التمهيد السالف الذكر أن الغايــة لابــد فيها من الابتداء بحيث تصلح أن تكون ذات ابتداء وانتهاء. وأن هذا الامتداد يكاد ينحصر فى الحدث. إذ الكون كله قائم على الحدث والزمان والمكان. وهذا ن هما الظرفان اللذان تقع فيهما الأحداث.

وربمــا وردت (مِــنْ) التى لابتداء الظرف بعد ما ليس بحدث صريح لأن المتبادر منه إلى الذهن ربما يكون ذاتا نحو كلمة (أحد) فهذه الكلمة مدلولها (الذات) وربما يفهم من ذلك أن (مِنْ) لا تصلح لابتداء غاية بعد هذه الكلمة.

والحق أن ذلك غير صحيح لأن الذات من لوازمها التى لا تستغنى عنها فى وجــودها الــزمان والمكـــان لما نبهنا إليه آنفا من أن الكون أركانه ثلاثة. وهى : القاعدة ويمثلها الذوات. ثم الزمان والمكان. وإنما جعلنا الذات هى القاعدة لأنها التى خُلِــقَ الزمانُ والمكانُ لأجلها. فهى المقصودة أولا وإن تأخر وجودها عن الزمان والمكان لأنهما هما اللذان تعيش الذات فيهما وتحيا على ما اشتملا عليه من عناصر الحياة كالماء والهواء والنبات والحيوان ثم المأوى والسكن.

وباســتقراء آيات (من) مع الظرف تبين أنها قد اقترنت بعشرين ظرفا سابقة علــيه معانقــة لـــه لا يفــصل بيــنهما أَيُّ حاجز حتى كأنها صارت جزء لفظة وبعض معناه.

وقد رتبت دراستها ترتيبا معجميا على حسب مادة الفعل التى ذكر قبل (مِنْ) لأنـــه يــدل علـــى الحــدث التى جاءت لتكون ابتداء غايته. أى المسافة من أولها إلى أخرها.

الظرف الأول: بعد

وهو مع الأفعال الآتية:

١- أتى: في أربع آيات:

قـوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ ٤٨، ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ ٤٩ يوسـف. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنْ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ٤٣ القـصص. وقوله: : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ ٦ الصف.

فآيـتا سـورة يوسف من آيات تأويله رؤيا الملك التي تضمنت سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. وكان البقرات رمزا لأربع عشرة سنه منها سَبْعٌ ينبغي لهـم أن يـزرعوا الأرض دأبا ثم يأكلوا بعض ثمار هذا الزرع ويدخروا أكثرها استعدادا لسبع شداد تأكل هذا المدخر.

وإنما ذكرت (من) هنا للتعقيب بين سِنِي الزرع والثمر وسِنِي الشدة.

إذ لا فاصـل بـين هذه وتلك. فالزمان لا يعرف التقسيم ولا الفواصل على عكس المكان الذي لا يصلح للاستعمال إلا بتقسيمه وإقامة الحواجز بين أجزائه.

وربما يقال إن (ثُمَّ) في قوله تعالى (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) يدل على تراخي السبع الشداد عن السبع الزراعية. فكيف تكون (من) للتعقيب؟

والجـواب: أن (ثـم) تدل على التراخي بين بدء السبع الزراعية وبدء السبع الـشداد. ولكنـنا لـو لاحظنا انتهاء الأولى لأدركنا أنه يكاد يكون ابتداء الثانية إذ الـزمان لا يعرف التقسيم والحواجز من أجزائه. وكذا يقال في التراخي بين ابتداء

السبع الشداد. وابتداء العام الذى يغاث الناس فيه وبهذا يثبت التناسق الرائع بين معنى (ثُمَّ) ومعنى (مِنْ) إذ لكل منهما مقامة ومكانه ولا يتخلف معناه بحسب أيٍّ منهما.

ومما ينبغى ويجدر الإشارة إليه ما جاء من التعبير بـ (سنين) فى آية الزرع والحصاد أى التعب والإجهاد وفى آية السبع الشداد التى تستنفد ما أحصنوه وحافظوا عليه. ثم ما جاء من التعبير بـ (عامٍ) فى قوله (عَامٌ يغاث فيه الناس وفيه يعصرون).

فهل يوجد فرق بين السنة والعام حيث آثر الأولى بمقام وذكر الثانية فى مقام آخر؟!.

الذى يطمئن به القلب ويرضى عنه العقل ويرتاح لكتابته القلم هو: أن السَّنة أوسع استعمالا من العام. فهو تطلق على أيام الشدة وأيام الرخاء. وهذا ما نراه فى الآيتين حيث قال:" تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله.." فلم توصف هذه السنون بالشدة لما فيها من الزرع والضرع والحصاد. وإن كان ذلك يقتضى الإجهاد. ثم قال:" ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد..." فمن هذا يتبين أن (سنة) تطلق على زمن الرخاء وزمن الشدة. ومن الثانى قول الرسول ﷺ :" اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف".

ومما يؤيد ذلك الفرق قول المجد: " السنه: العام، جمع سنون وسنوات وسنهات. والجدب والقحط" والأرض المجدبة وسنة سنواء شديدة"(١).

ففى هذا النص نجد السنة قد تكون خصبا كما تكون جَدْبا. وأما العام فلعلّه لا يكون إلا خصبا.

---

(١) القاموس ٤/٣٤٥.

ويقول الزمخشرى:" يغاث الناس: من الغوث أو من الغيث يقال: غِيثَتْ البِلَادُ وإذا مطــرت ومـــنه قــول الأعرابية: غثنا ما شئنا. (يَعْصُرُون) العنب والزيتون والسمــسم وقــيل: يحلــبون الضروع وقرئ (يُعْصَرُون) على البناء للمفعول. من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة. ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى: ينجون.

.. وقيل(يعصرون): يمطرون من أعصرت السحابة.. ثم قال: تأول البقرات السمان والسنبلات والخضر بسنين مخاصيب؛ والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجئ مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم[(١)].

هــذا عن آيتى سورة يوسف. وأما آية سورة القصص فمعناها أن الله أعطى موســى الكــتاب عقيب إهلاك القرون الأولى (بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكــرون). قــال الزمخشرى:" بصائر: نَصِب على الحال، والبصيرة: نور القلب الــذى يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به ، يريد: آتيناه التوراة أنــوارا للقلــوب لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل. وإرشادا لأنهــم كانــوا يخــبطون فــى ضـــلال، و (رحمة) لأنهم لو عملوا وصلوا إلى نيل الرحمة"[(٢)].

وممــا ينبغــى ملاحظته أن (آتى) فى هذه الآية غير (أتى) فى آيتى سورة يوســف وفــى آية سورة الصف الآتية. فــ (أتى) بمعنى (وصل) و (آتى) بمعنى (أعطى). فالإتيان غير الإيتاء.

وفى آية الصف يقول المسيح عيسى بن مريم:" يابنى اسرائيل إنى رسول الله إلــيكم مصدقا لما بين يَدَىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد".

---

(١) الكشاف: ٣٧١/٢.

(٢) الكشاف: ٣٢٨/٣.

وفيها أن إتيان محمد ﷺ إلى العالم كله رسولا مصدقا للكتاب الذى أنزله الله على موسى لتبليغه بنى إسرائيل. وهو التوراة. وأما الإنجيل فهو رسالة إلى عيسى عليه السلام ليبلغها إليهم أيضا. وأما القرآن فرسالة عامة خاتمة أى تشمل الدنيا كلها ولن ينزل بعدها رسالة إذ لا يبعث بعد محمد ﷺ رسول.

فقول عيسى عليه السلام (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يدل على أنه لا يوجد رسول بين عيسى ومحمد عليهما السلام. ومِنْ ثَمَّ كان التعقيب بـ (من) إذ ليس التعقيب مباشرة الرسالة للرسالة بحيث يكونان فى زمان واحد. كَلَّا بل التعقيب فى كل شئ بحسب معناه المراد. فالرسول محمد عليه السلام مباشر للرسول عيسى عليه السلام بمعنى أنه لا يفصل بينهما رسول أخر. ولو قيل (يأتى بعدى) بدون (من) لاحتمل المعنى وجود رسول ثالث بينهما يقول الزمخشرى:" كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة. وقيل: ستمائة. وقبل: أربعمائة ونيف وستون.

وعن الكلبى: كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة. وألف نبى. وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من العرب: خالد بن سنان العبسى. والمعنى : الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكون – لعله يكونون- إليه لِيَهُشُّوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة"(١).

فلعل أحد القَرَأَة يظن أو يتوهم أن هناك من يفصل بين عيسى ومحمد عليهما السلام؛ والحق غير ذلك لأن مَنْ ذكرهم الكلبى ليسوا برسل وإنما هم أنبياء وكم من نبى أُرْسِلَ إلى بنى إسرائيل بعد موسى وبعد عيسى عليهما السلام أمَّا هما فرسولان. والرسول نبى. وليس النبى رسولا. وهو المراد فى آية الصف.

---

(١) الكشاف ٤٨١/١.

ويرد هنا سؤال فحواه: لماذا بشر المسيح عيسى بن مريم بنى اسرائيل بالنبى محمد ﷺ ؟

والجواب يتضمنه قول الزمخشرى:" قيل: إنما قال: يا بنى إسرائيل؛ ولم يقل: يـا قوم. كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى: أرسلت إليكم فـى حـال تصديقى ما تقدمنى (من التوراة) وفى حال تبشيرى (برسول يأتى من بعـدى اسـمه أحمد) يعنى : أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر.."(١) .

وبذلك يثبت عموم رسالة محمد ﷺ للناس جميعا. وإنما اختص بنى إسرائيل بالبشارة لأنهم أتباع نبى الله موسى الذى آتاهم بالتوراة حثا لهم على اتباع الرسول محمد ﷺ وأنهم لو خالفوه ولم يتبعوه حقت عليهم كلمة العذاب.

بـل إنـنا نجد القرآن يزيدهم تبليغا - شأنهم شأن غيرهم من الناس فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾. ١٥٧ الأعراف.

فلـم يقتـصر ذكـره على لسان المسيح عيسى بن مريم ولا على ذكره فى الإنجيل بل زاد على ذلك ذكره فى التوراة وهى كتاب موسى إليهم.

٢- أحد فى:

قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ ٣٥ص.

(١) الكشاف ٤/ ٤١٩.

قد يبدو لأول وهلة للقارئ أن (مِنْ) هنا ليس مسبوقا بحدث ممتد يصلح لأن يكـــون ذا غاية وأمد ابتداء وانتهاء. اللهم إلا إذا تأملنا فى (ينبغى) لأنه (ينفعل) من (بغى) يقول المجد:" بغيته أبغيه... طلبته كابتغيته... وابتغى الشئ تيسر وتسهل.."(١).

فلو لاحظنا ذلك لترتب عليه أن نجعل (من بعدى) مرتبطا بالفعل (ينبغى) أى لا يطلب أو لا يسهل ولا يتيسر مثل هذا الملك من بعدى لأحد. ولا شك فى أن هذه الكلمات أحداث ممتدة.

ولكنـــى أقــول: إن الكلمة فى القرآن إنما وضعت فى مكانها واختير لها كما اختيــرت هــى له بحيث لا يستطيع أحد أن يشك فى هذا الموضع وذلك لأننا لو جعلنا (من بعدى) مرتبطا بـــ (لا ينبغى) لكان المعنى لا يتيسر من بعدى ومقتضى هذا ألا يؤتى أحد شيئا من ملكه وهذا غير مراد إذ المقصود لسليمان عليه السلام.

ففـــى مماثلـــة ما يعطى لغيره لما أعطيه هو. ونفى المماثلة لا تقتضى نفى الأصـــل فيكون المعنى المطلوب ألا يؤتى الله غير سليمان ملكا مماثلاً لملكه وإنما يؤتيه ملكا لا يدانيه فضلا عن أن يساويه.

ومـــن ثـــم رأيت أن أجعل (من بعدى) صلة لـــ (أحد) أى مرتبطا بهذا يقول الزمخـــشرى:" ولا ينبغـــى: لا يتسهل ولا يكون. ومعنى (من بعدى) دونى.. ولم يقـــصد بـــذلك إلا عِظَـــمُ المُلْـــك وسعته كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال..."(٢).

والمراد بـــ (أحد) ههنا الفرد من بنى البشر وكأن معناه: ذات واحده.

---

(١) القاموس ٤/ ٣٠٤.

(٢) الكشاف ٤/ ٧٣.

ومــن ثــم قــال المجــد:" الأحــد بمعنى: الواحد. ويوم من الأيام..."[١] .
وإنما قلنا ذات واحدة لأن كلمة (أحد) لا تكون وصفا إلا لله عز وجل كما فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ١ الإخلاص، لا يوصف بأنه ذو أجزاء كغيره من الذوات. وأما (الواحد) فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾ ١٦ الرعد، فمعناه الذى لا يتعدد.

وكلمــة (أحــد) فى آية سليمان عليه السلام هى التى توصل بــ (من بعدى) وتقتــضى ذلك أن أحدا فى أى زمان أو فى أى مكان من لدن زمان ومكان سليمان عليه السلام لا يتيسر له ملك مثل ملكي.

وقــد أشرنا فى مستهل الكلام على آيات (من) الابتدائية مع الظرف إلى أن الــذات تستلزم الزمان والمكان وأما المكان والزمان فلا يستلزم أى منهما ذاتا فكم من أمكنة لاشئ فيها.

فابــتداء الــزمان أو المكــان هو (أحد) مع ملاحظة العلاقة بينه وبين الفعل (ينبغى) مما يثبت أن الظرف مراد هنا.

٣- أخذ : فى:

قــوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾٥١، ٩٢ البقرة، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾١٥٣النــساء، وقــوله: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾١٤٨الأعراف.

---

(١) القاموس ١/ ٢٧٣.

واضـــح أن الآيات الأربع فى شأن بنى إسرائيل وعبادتهم العجل كما يلاحظ أن ثلاثا منها استهل بالحرف (ثم) وقد علمنا أنه للترتيب مع التراخى على حين أن (مـــن) للتعقيب. وإذا لم يكن النحاة قد تنبهوا إلى ذلك فى آيات المادة اللغوية (أى) فإنـــنا رأيـــناهم قد استدركوا ذلك فى هذه الآيات حيث قال أبو حيان فى آية البقرة الأولى:" من: تفيد ابتداء الغاية، ويتعارض مدلولها مع مدلول (ثم) لأن (ثم) تقتضى وقوع الاتخاذ بعد مهلة من المواعدة، و (من) تقتضى ابتداء الغاية فى التعدية التى تلـــى المواعدة إذ الظاهر عود الضمير على (موسى) ولا تُتَصَوَّرُ التعدية فى الذات فلابـــد مـــن حذف. وأقرب ما يحذف مصدر بدل عليه لفظ (واعدنا) أى : من بعد ذهابه إلى الطور، فيزول التعارض؛ إذ المهلة تكون بين المواعدة والاتخاذ".

وبـــين المهلـــة قـــصة الأعراف إذ بين المواعدة والاتخاذ هناك جمل كثيرة وابتداء الغاية يكون عقيب الذهاب إلى الطور، فلم تتوارد المهلة والابتداء على شئ واحد فزال التعارض"(١).

وبهذا يثبت أن أبا حيان مستمسك بلزوم دلالة (ثُمَّ) على التراخى. مما يجعلها تُنَاقِضُ دِلَالَةَ (مِنْ) على التعقيب الذى هو: الابتداء للغاية. وقد تخلص أبو حيان من هـــذا التعارض والتناقض بتقدير مضاف بعد الظرف فيكون التقدير "من بعد ذهابه إلى الطور".

وبالتأمل فى هذا التقدير ندرك أن النص مستغن عنه إذ أن مدلول (من بعده) لا ينفك دالا على عدم وجود موسى حينما عبدوا العجل. إذ ما الذى يدرك العقلُ من قولنا (لعب التلميذ من بعد والده) أليس المعنى (من بعد غياب والده عن المنزل على أى وجـــه كـــان هذا الغياب. أى للسفر أو للذهاب إلى مكان فى البلدة أو القرية أو للموت).

---

(١) البحر المحيط ١/٢٠٠.

هذا: وهناك من يرى أن (ثُمَّ) لا تتحتم دلالتها على التراخي والمهلة فقد ذكر ابن هشام:" أن الفراء يرى أن دلالتها على المهلة قد تتخلف بدليل قولك: " أعجبني مــا صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب؛ لأن (ثم) في ذلك لترتيب الأخبار ولا تراخــي بــين الإخــبارين وجعل ابن مالك منه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا ﴾١٥٤ الأنعــام. والظاهر أنها واقعة موقع الفاء في قوله:

كهَــزِّ الردينــي تحــت العجــاج جــرى فــي الأنابيب ثم اضطرب

إذْ الهَزُّ متى جرى في أنابيب الرمح يعقبه الاضطراب ولم يتراخ عنه"[١].

ويــبدو أن الفــراء وابن هشام قد شغلتهما الألفاظ عن المعاني فذهبا إلى أن التــرتيب والتراخي إنما ينحصران في ذكر الألفاظ. والحق أن المعاني لها النصيب الأوفر من هذين المعنيين وخاصة التراخي والتعقيب.

وإذا تأملــنا في (ثُمَّ) من قولهم (أعجبني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجب) ندرك أن (ثم) معناها التراخي في منزلة الثاني. بمعنى أنه يفوق الأول في عظمته التي تبلغ الزيادة الوفيرة في الإعجاب. وإننا لنجد الأمارة واضحة والدلالة صريحة في " أعجب" أليس هذا من اسم التفضيل أي الزيادة وما زيادة شئ عن شئ في الحسن أو السوء إلا من التراخي في المنزلة والمكانة.

وكذا في قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب). إنني لست أدري سرًا لجعل ابن مالك فيه (ثم) للتعقيب لا للتراخي. إن هذه الآية مسبوقة بثلاث آيات متضمنة عشر وصــايا مفتــتحة بقــوله (ألا تشركوا به شيئا) ومختتمة بقوله (وأن هذا صراطي

---

(١) المغني بحاشية الأمير ١/١٠٨.

مـــستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل" ١٥١: ١٥٣ الأنعام. فهذه وصايا مُنَزَّلة من الله إلـــى خـــاتم رســـله ومصطفاه محمد ﷺ ثم أردفها بقوله (ثم آتينا موسى الكتاب..) مشيرا بذلك إلى أن تلك الوصايا بينها وبين ما فى التوراة علاقة وثيقة ولكنها - أى الوصـــايا- تعـــوق ما فى التوراة. فأراد أن يلفت الذهن إلى أن القرآن أعلى شأنا وأقوى بيانا وأهدى سبيلا. بحيث يكون بين التوراة وبينه منازل. ولا أدل على ذلك مـــن قـــول الله عز وجل فى سورة المائدة وهى من قبل سورة الأنعام ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ٤٨ المائدة.

هـــذا مـــا نراه - والله أعلم- ولكن الزمخشرى يرى أن (ثُمَّ) للتراخى ولكن بمعنى آخر وهو أن (الكتاب) أى التوراه أعظم من تلكم الوصايا ونَصُّ كَلَامِهِ:" ثم أعظم من ذلك (أنا آتينا موسى الكتاب) و أنزلنا هذا الكتاب المبارك".

وهـــو بهـــذا يشير إلى أن التراخى فى المنزلة والمكانة لا فى المباعدة بين معانى الألفاظ فى النسق الواحد.

ثم أردف قائلا: " وقيل: هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾٨٤ الأنعام[1].

وظاهـــر أن التراخى فى الألفاظ لا فى المعانى فقد فصل بين هذه الآية وهى رقـــم٨٤ وآية (ثم آتينا موسى الكتاب) بسبعين آية. وهذا قدر كاف فى المباعدة بين الآيتين فيتحقق معنى التراخى.

---

(١) الكشاف٢/٦٣.

ولعل الذى حمل قائل هذا الرأى عليه هو ما جاء فى الآية رقم ٨٤ من قوله تعالى:" ومن ذريته" – أى إبراهيم عليه السلام أو نوح عليه السلام – داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين، والذى يروقنا غيره وهو ما ذكرناه آنفا فآية (ثم آتينا موسى الكتاب...) تفيد (ثم) فيها بُعْدَ المنزلة بين ما سبق من الوصايا العشر المنزلة على محمد ﷺ. والكتاب الذى آتاه الله موسى عليه السلام.

وأما قول الشاعر (جرى فى الأنابيب ثم اضطرب) فيمكن تحقيق القول بالتراخى من حيث المنزلة أيضا فالاضطراب أعنف وأقوى من الجرى فى الأنابيب.

وخلاصة ذلك كله أن قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل من بعده) لا تناقض فيه ولا تعارض بين دلالة (ثم) على التراخى و (من) على التعقيب لأن التراخى بين المواعدة واتخاذ العجل. والتعقيب بين اتخاذ العجل ومفارقة موسى لهم. فلم يكد يفارقهم ذاهبا إلى ربه حتى فتنهم السامرى بعبادة العجل.

على أننا مع ذلك لا نمنع أن تدل (ثم) على التراخى أحيانا وعلى التعقيب أحيانا ذلك على لغتنا العربية بقريب بل إننا نجد أن بعض الكلمات تدل على معنيين متقابلين أى بينهما ما يشبه التناقض مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ ٢٠ن~. يقول الزمخشرى :" كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل: الصريم الليل أى احترقت فاسودت. وقيل: النهار أى يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق شئ فيها من قولهم: بيض الإناء إذا فرغه"[(١)].

---

(١) الكشاف ٤/٤٧٣.

وعلـــى هذا لا يكون هناك ما يشير إلى التعارض أو التناقض بين (ثُمَّ) فى صدر الآية (ثم اتخذتم العجل) و (من) فى قوله (من بعده).

غيـــر أن الأرجح والأصح ما حققناه من دلالة كل كلمة على ما يتبادر إلى الذهن من معناها.

٤- أذن : فى قوله تعالى:

﴿ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ﴾ ٥٨ النور.

والمراد هنا (من بعد صلاة العشاء) والتعقيب هنا مقصود إذ أن المخدوم إذا فـــرغ من صلاة العشاء عَقَّبَ ذلك بالتجرد عن ثيابه تَهَيُّأً واستعدادا للنوم. فلا يجوز أن يدخل عليه أحد غلمانه أو أحد صبيانه بدون استئذان فيقتحم مضجعه فيطلع على مـــا لا يجـــوز الإطـــلاع عليه فذكر (مِنْ) فى (من بعد صلاة العشاء) للتعقيب بين الاســـتئذان ونهايـــة صـــلاة العشاء فيمتنع الغلام أو الصبى الذى لم يبلغ الحُلم من الدخول بدون استئذان.

٥- أذى: فى قوله تعالى:

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾١٢٩ الأعراف.

ومعنـــى ذلـــك أن قوم موسى وقع عليهم الإيذاء من قوم فرعون قُبَيْل إتيان موســـى وبُعَـيْد مجيئه إليهم. والذى يعنينا هنا هذا الثانى. ومقتضاه أن موسى لما جاءهم وجدهم فى عذاب فرعون غارقين وَظَلَّ هذا مستمرا فى أثناء وجوده بينهم. ولذا رجا الله عز وجل أن يهلك عدوهم ويستخلفهم من بعدهم فينظر ماذا يعملون.

٦- أمر: فى

قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

أي من قبل هزيمة الروم ومن بعد نصرهم. والمراد هنا (من بعد) التى سبق ذكرها فى قوله: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾ ١، ٢ الروم.

فالنصر مباشر للهزيمة يعقبها بدون مهلة ومن ثَمَّ جئ بالسين التى تدل على قلة الزمان فى قوله (سَيَغْلِبُون).

ومــن هــنا ينبغــى أن نــوقن أنه ما من هزيمة إلا ويعقبها النصر. يقول الزمخشرى: "من قبل ومن بعد" أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غُلِبُوا وحين يَغْلِبُون كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين"(١).

ومعنى هذا أن الأمر لله فى جميع الأوقات حيث اتصل القبل بالبعد بـــ (من) فكأنه لا قَبْل ولا بَعْد.

٧- أمــن: فى

قــوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾ ٧٥ الأنفال.

---

(١) الكشاف ٣/٣٦٨.

أى أنهم آمنوا عقيب إيمان مَنْ سبق ذكرهم بدون فاصل زمنى إذ (من) تفيد التعقـيب. وهؤلاء بإيمانهم ومهاجرتهم وجهادهم مع السابقين عليهم صاروا مثلهم. فقد عرفنا أن (مِنْ) فى (مِنكم) بمعنى (مثل). فـ (من) فى الآية متنوعة المعنى.

٨- بدل: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾٢١١ البقرة. وقوله: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾٥٥ النور.

يقول الزمخشرى فى الأولى:" معناه: من بعدما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾٧٥ البقرة، لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه"(١).

ويقــول أبــو حــيان :" وأتى بلفظ (من) إشعارا بابتداء الغاية وأنه يعقب ما جاءته ببدله"(٢).

فقول الزمخشرى (من بعد ما تمكن من معرفتها) يثبت أن التبديل لم يكن قويا عنـيفا إلا بعـد المعرفة الحقيقية فإذا ما حدثت تلك المعرفة باشرها وأعقباه التبديل والتحريف. وهذا ما صرح به أبو حيان.

وأمـا قـوله تعالى: " وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا" فيثبت أنه لم يكد يحدث الخـوف حتـى يـزيله الأمن. ويحل محله. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ ١١٠ يوسف.

---

(١) الكشاف ١٩٢/١.

(٢) البحر المحيط١٥٨/٢، وانظر من مفاتيح الغايب ٢٠٨/٢.

٩- بـــدا: فى:

قــوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ٣٥ يوسف.

يقول الزمخشرى:" والضمير فى (لهم) للعزيز وأهله (من بعدما رأوا الآيات) وهو الشواهد على براءته. وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الــذروة والغارب – أى دورانها من وراء خديعته- وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها فى سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به.."[1].

والذى يعنينا هنا قوله تعالى: (من بعد ما رأوا الآيات) فقد صور هذا التعبير نفــوس هؤلاء الذين تمكنت امرأة العزيز بخداعها وكيدها أن تسرع بإسدال العَمَى علـــى قلـــوبهم والغشاوة على أبصارهم فلم يكادوا أن يروا تلك الآيات على براءته حتى عميت عنها القلوب ولم تبصرهما الأبصار فنفذوا رغبتها فى سجنه. وفى ذلك التعجـيل تــأمن تلك المرأة أن يظهر عليها القلق والاضطراب فيفهموا براءته ولذا أرادت أن تباغته بالحكم قبل أن يفتضح أمرها وينكشف سرها. ولكن الباطل لجلج والحق أبلج. وهذا ما آل إليه أمرها حينما قالت بعد ذلك ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ٥١ :٥٢ يوسف.

---

(١) الكشاف: ٣٦٥/٢.

١٠- بعث: في ست آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾٥٦ البقرة، وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ ١٠٣ الأعـراف. وقـوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلاً ﴾ ٧٤ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ٧٥ يونس، وقوله: ﴿ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ ﴾٧هـود. وقوله: ﴿ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ﴾ ٣٤ غافر.

ومـن هـذه الآياتْ آيتان في البعث أي الإحياء بعد الإماتة وهما آيتا البقرة وهود. أما الأولى فأولها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٥٦. واضـح أن ذلـك في شأن بني إسرائيل حيـنما ارتكبوا شططا في التفكير حتى علقوا إيمانهم لموسى أي برسالته التي جاء بهـا إليهم من الله عز وجل على رؤية الله جهرة. أي عيانا قال الزمخشري:" وهي مـصدر مـن قولك: جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يَرَى بالعين جَاهَرَ بالرؤية والـذي يَـرَى بالقلب مخافت بها. وانتصبا بها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس.. فأخذتهم الصاعقة إما صعقتهم أي أماتـتهم قبل نار وقعت من السماء فأحرقتهم، وقيل: صيحة جاءت من السماء، وقـيل: أرسـل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة. وموسى

علـيه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله (فلما أفاق) والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله: (وأنتم تنظرون)"[١].

ويعنـــى بصعقه موسى ما جاء فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ١٤٣ الأعراف. فهذه لم يمت بها موسى كما مـــات بـــنوا إســـرائيل بـــتلك . فالموت كان حقيقة واستمر كما ذكر الزمخشرى يوما وليلة.

وهـــنا نقف وقفة مع (ثم) من (ثم بعثناكم) فريما يقال : إن يوما وليلة ليست مدة طويلة الأمد حتى يتهيأ لـــ (ثُمَّ) معنى التراخى ومِنْ ثَمَّ ينبغى أن تكون للتعقيب. وقد يقال: يؤيد ذلك (من) التى تفيد التعقيب وبهذا يكون البعث عقيب الموت.

وهـــذا لا غـــبار عليه وخاصة أننا قد ذكرنا أن الكلمة تحمل غير معنى فى لفظها ثم على القارئ أن يعين المعنى اللائق بالمقام.

ولكننـــى مع ذلك أرى أن (ثُمَّ) فيها من التراخى ما لابد منه. إذ المسافة بين الحياة والموت ليست مقيسة بالمقياس الزمنى بل لها مقياس آخر لا يعلمه إلا خالق الموت والحياة؛ وحسبنا أن نؤمن بذلك إيمانا صادقا قائما على اليقين الذى لا تحوم حوله شبهة ولا تقربه ذرة من شك. ولذا أرى أن (ثم) للتراخى. ثم تأتى (من) لتثبت أن الـــبعث يعقب الموت أى عدم الحياة ويستوى فى ذلك طول أمد الموت وقِصَرُه فحيـــنما يُبْعَث المَيّت يكون بعثه عقيب حاله التى كان عليها لا يحس ولا يشعر ولا يتردد نَفَسَه بين جسده.

---

(١) الكشاف ١/١٠٥: ١٠٦.

أمـــا آيـــة هود فأولها:" ولئن قلتم إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين".

فالــنقاش هـــنا فى شأن الموت الذى يجمع الكون كله يوم القيامة ثم يأتـــى من بعده البعث.

وكأنى بآية بنى إسرائيل نموذج تدريبى ليفهم البشر أن الحياة فى الآخرة آتيه لا محالة.

ومما يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه أن هذا النموذج قد ورد فى سورة البقرة عـــدة مـــرات.. الأولى فى الآية السابقة والثانية فى شأن البقرة التى أمروا بذبحها وضـــرب المقـــتول ببعـــضها ليحيا ونصها : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ٤٣ الأعراف. والثالثة فى قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ ٢٥٩ البقـــرة. وقـــوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٦٠ البقرة.

وفـــى هذه الآيات ما يثبت أن إحياء الموتى نَقْلَةٌ هائلة من حالة إلى حالة لا يعلم سرهما إلا خالق الموت والحياة. وذلك قول الذى مَرَّ على القرية الخاوية (أنى

يحيـــى هذه الله بعد موتها) فلم تَرِدْ كلمة (مِنْ) هنا إذ لو قيل (من بعد موتها) لربما يفهـــم أن هـــذا القائل يدرك أن الحياة قريبة من الممات. فعدم ذكر (من) دل على الاســـتبعاد الوارد فى قوله (أنى يحيى هذه الله بعد موتها). ولله فى كلماته أسرار لا يدركها إلا هو.

وأما الآيات الأربع الباقية فهى فى شأن بعث الرسل أى إرسالهم إلى أقوامهم: (ثـــم بعثـــنا من بعدهم موسى) (ثم بعثنا من بعده رسلا) (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون) (ولن يبعث الله من بعده رسولا).

أمـــا الأولى فجاءت فى سياق كلام الله عن القرى التى قص الله بعض أنبائها على رسوله الخاتم ﷺ. وأن رسلهم قد جاءتهم بالبينات فما آمنوا وما كان لأكثرهم مـــن عهد. وكان أكثرهم فاسقين. ثم مقال (ثم بعثنا من بعدهم موسى) فثُمَّ للتراخى فـــى الزمن. و(من بعهدهم) لعدم وجود رسول بين موسى وبينهم فـــ (موسى) هو المباشر لهم. فلكل كلمة معنى ذكرت من أجله.

وآيـــة يونس الأولى (ثم بعثنا من بعده رسلا) الضمير فى (بعده) لنوح عليه الـــسلام الـــذى ذكـــرت فـــيها الآيـــات الثلاث من قبل هذه الآية " واتل عليهم نبأ نـــوح....إلخ". ففى هذه الآية يخبرنا الله عز وجل أنه بَعَثَ مِنْ بَعْد نوح رسلا أى بدون نبى بينه وبينهم. فهم فى عقبه لم يَفْصِل بينه وبينهم رسول.

ثم ذكرت الآية من بعدها (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون) بدون رسول فاصل بينهم وبين موسى وهارون.

ولابد من ملاحظة معنى التراخى فى الزمان الذى ذكرت له (ثُمَّ).

وتبقى آية غافر (لن يبعث الله من بعده رسولا). وصدرها قوله تعالى:" ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب" ٣٤.

يقول الزمخشرى:" هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. أقام فيهم نبيا عشرين سنة.

وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف. عُمِّر إلى زمنه. وقيل: هو فرعون آخر.

وبَّخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى إذا) قُبِضَ (قلتم لن يبعث الله مِنْ بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان.. فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه. وفى هذا تكذيب لرسالة مَنْ بعده –أى يوسف– مضموما إلى تكذيب رسالته"(١).

وربما يقال فى هذه الآية إن (لن) واسعة المدى الزمنى المنفى بها وقوع بعث الرسول فيه. فكيف يأتى مباشرا لها قوله (من بعده رسولا) أى بعد يوسف إذ لو قيل (لن يبعث الله بعده رسولا) لكان – حسب ظاهر اللفظ– هناك اتفاق بين (لن) و (بعده) بدون (من) التى للتعقيب.

والحق أن المقام هنا يحتاج إلى (مِنْ) لأنها تثبت استغراق نفى بعث الرسول منذ زمان يوسف قد أراحهم وأراح من يأتى بعدهم من مجئ رسل إليهم يهدونهم سواء السبيل.

---

(١) الكشاف ٤/١٢٩.

١١- تبـــع: فى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٤٥ البقــرة. وقــوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ١١٧ التوبة.

وهـــناك آيـــتان لم تذكر فيهما (من) قبيل (بعد) وهما قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ١٢٠ البقــرة. وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ٣٧ الرعد.

ولأجـــل إدراك ســـر التعبيـــر بـــــ (مِنْ) فى الأوليين وعدم التعبير بها فى الأُخْرَيَيْنِ رأينا الخطيب الإسكافى يقول:" هنا – أى فى الأولين- فائدة تقتضى (من) وليست فى الآيتين الأخريين. وهى أن أمر القبلة مخصوص بفرائض ضيقة وأوقات مخـــصوصة لهـــا فى اليوم والليلة مؤقتة فخص بـــ (مِنْ) التى هى لابتداء الغاية.. ولـــيس كذلك فى الآيتين الأخريين إذ العلم الذى وقع فيه التوعد معه لم يتخصص وجوب العلم به بوقت دون وقت إذ كان واجبا فى الأوقات كلها فلم يحتج إلى لفظة (مِنْ) التى هى للحد وابتداء الغاية"[١].

واضـــح أن هذا النص فى الآية رقم ١٤٥ من البقرة فهى الواردة فى سياق آيات القبلة. مع الآية رقم ١٢٠ من السورة نفسها. وكذا آية الرعد. وفى نفس الآية يقول أبو حيان وأما المجئ بـــ (مِنْ) فهو دلالة على ابتداء بعدية المجئ. وأما قوله

---

(١) درة التنزيل ٢٢: ٢٣ بتصرف، وانظر أسرار التكرار فى القرآن ص ٣٣: ٣٤.

(بعـد) أي في الآيتين الأخريين فهو على معنى (مِنْ). والبعدية مقيدة بها من حيث المعنى: وإن كان إطلاق (بعد) لا يقتضيها"(١).

وفـي هـذا الـنص نرى أبا حيان يجمل المطلق عن ذكر (من) على المقيد بذكـرها ومقتـضى هذا المساواة بينهما في الدلالة والمعنى. والذى ذكره الخطيب الإسكافي أدق وأعمق لأن الأصل أن يكون هناك فرق بين ما تذكر فيه الكلمة وما لم تذكر فيه. ومن ثَمَّ لما قال ابن مالك:

وجُـرّ بالفتحـة ما لا ينصـرف ∴ ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

رأينا علماءنا يفسرون (ردف) بـ (تبع) ثم يقولون: قوله (ردف) ليس حشوا لأن البعدية – أي في قوله : بعد– لا تقتضي الاتصال به"(٢).

وبهـذا يثبت بما لا ريب فيه قيمة ذكر (مِنْ) إذ ذكرت في نص وإذا لم تذكر دل ذلك على أن معناها ليس مرادا.

١٢– تاب: في ثماني مرات هي:

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ ٨٩ آل عمران. وقوله: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾ ٣٩ المائدة. وقـوله: ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ٥٤ الأنعام. وقوله:

---

(١) البحر المحيط ٤٣٣/١.

(٢) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٠٦/١.

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ١٥٣ الأعـــراف. وقـــوله: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ ٢٧ التوبة. وقوله: ﴿ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ ١١٩النحل. وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ٥ النور.

فقد وردت (مِنْ) مع (بعد) فى هذه الآيات السبع تسع مرات. وقيمتها عظيمة لإنهـــا فى مقام التوبة. والمبادرة بها عقب اقتراف الذنب حتى يتطهر المذنب أولاً بأول من أثر الذنب فهذه الآيات تدل على دقة المعنى المراد وعمقه. ومثله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ ١٧ النساء.

وممـــا ينبغـــى الوقوف عنده والتأمل فيه ذكر (ثُمَّ) فى هذه الآية ومثلها فى الآيات السابقة ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ ٥٤ الأنعام. ﴿ ثُم تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ ١٥٣ الأعراف، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ ٢٧ التوبة ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ ١١٩ النحل.

ففـــى هذه الآيات الخمس نرى (ثُمَّ) وقد سبق أنها تفيد معنى التراخى. وربما يظن بعض الباحثين أن هذا يتعارض مع دلالة (من) على التعقيب.

والحق أنه لا تعارض ولا تناقض كما حققنا ذلك آنفاً إذ أن الوقوع في السيئة أو السيئات جرم أعظم وذنب أكبر. والذى يتوب من ذلك ينقل نفسه من الهاوية إلى العالـية فحمأة الذنب بينها وبين وضاءة التوبة بون شاسع وبعد سحيق ولذا وجدنا (ثُمَّ) هنا ذات دلالة عميقة عريضة.

وحينما تأتى (مِنْ) تكون مشيرة إلى شئ آخر ألا وهو: أن الذى ارتكب إثماً أو ذنـبا إذا مـا أخذ في التوبة وانتقل هذه النقلة من أسفل سافلين إلى أعلى عليين يكـون قـد أعقـب ذنبه بما يمحو أثره ويغسل دَرَنَه ويعود به إلى طهارة الإيمان ووضاءة الحس والوجدان.

ويبقـى بعـد ذلك قوله تعالى (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) فى سورتى الأعراف والنحل. فإننا نرى (من بعدها) يكافئ قوله (تاب من بعد ذلك) فالعبد إذا بادر بالتوبة ورجع عن ذنبه من فوره قابل الله ذلك بأن يتوب عليه من فوره كذلك و ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ ٦٠ الرحمن.

١٣- ثلـث فى:

قـوله تعالى: ﴿ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ ١٢ النساء.

و(مـن بعد) هنا تثبت أن هؤلاء الورثة بالكلالة شركاء فى الثلث وأن هذا الـثلث مباشـر للوصية الموصى بها أو الدين فى ذمة المتوفى. بحيث لا ينال أحد غيرهم شيئا من قبلهم.

١٤- ثمن: فى:

قــوله تعالى: ﴿ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ ﴾ ١٢ النساء. والكلام فيها مثله فى النص السابق.

١٥- جاء: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾ ١٠٠يوسف. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ ١٠ الحشر.

ففـــى آيـــة يوسف (من البدو) و (مِنْ) فيه لابتداء غاية المجئ. وهو البدو. ولم تذكــر نهايتها لإدراك العقل ذلك فمن الواضح أن نهاية غاية المجئ هى: مصر وأما (من بعد أن نزغ الشيطان) فــ (من) فيه للتعقيب بين ما حدث من إخوته له وما حدث الآن مــن جمع الشمل فى صفاء ومودة. وكأن ما حدث منهم فى شأن يوسف وحده أو مع أخيه الشقيق اللّذَينْ قالوا فيهما ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ ٨ يوسف

كـــأن ذلـــك لم يحدث إذ لم يؤثر فى قطع العلاقة الدموية الأخوية بينهما وبين إخوتهما. فــ (مِنْ) هنا تطوى صفحات مليئات بالقطيعة وترجع بالإخوة جميعا إلى ما قبل قوله تعالى: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾ ٥يوسف. فصفحات القطيعة تمحوها عودة الألفة والمودة والصفاء حتى إنها كأنها لم تكن.

أمـــا قــوله (والـــذين جـــاءوا من بعدهم.. الآية) فقبله قوله تعالى: (للفقراء المهاجــرين الـــذين أخـــرجوا من ديارهم...) ، (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم..). (والذين جاءوا من بعدهم..).

فقــوله (والــذين تــبوءوا الــدار) معطوف على (المهاجرين) والمراد بهم الأنصار. فهم الذين تبوءوا دار الهجرة وهى المدينة من قبل المهاجرين وكذا قوله

(والذين جاءوا من بعدهم) معطوف على (المهاجرين) وهم الذين هاجروا من بعد أولئك وقيل: التابعون بإحسان"[١].

فـــ (من بعدهم) طوت المسافة الزمنية بين المهاجرين الأوائل وبين هؤلاء الذين هاجروا من بعدهم إلى المدينة.

١٦- استجاب: في:

قــوله تعــال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ ﴾ ١٧٢ آل عمران.

والمراد بهؤلاء الذين أطاعوا الرسولﷺ في متابعة أبي سفيان. فقد روى: أن أبا سفيان وأصحابه انصرفوا من أحد فلما بلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخــروج فــي طلــب أبي سفيان وقال: لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة علــى ثمانــية أمــيال. وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر. وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت هذه الآية[٢].

فـ (مِنْ) في (مِنْ بعدما أصابهم القرح) تدل على أن هؤلاء لم يمنعهم ما هم فــيه مــن ألم حديث عهد بهم من متابعة الرسول الأعظم ﷺ حتى يرهبوا عدو الله وعدوهم. ولذلك كانت بقية تلك الآية هي: " للذين أحسنوا منهم واتقوه أجر عظيم".

---

(١) انظر الكشاف ٤٠٢/٤: ٤٠٤.

(٢) انظر الكشاف ٣٣٩/١.

١٧- جعل: خمس مرات فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾، ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ﴾ ٦٩، ٧٤ الأعراف. وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ١٤ يونس، وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ ٥٤ الروم.

فقوله (من بعد نوح) يثبت أن قوم عاد كانوا هم الذين جاءوا فى إثرهم أى ليس بينها قوم آخرون. وكذا قوله (من بعد عاد) يثبت أنه لم يوجد بين قوم صالح وقوم عاد قوم آخرون. فقوم نوح أولًا وقوم هود ثانيا وقوم صالح ثالثا. لم يكن بينهم أقوام آخرون.

وأما قوله فى آية يونس (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم) فهو مسبوق بقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ الآية ١٣. ثم جعلنا كم خلائف فى الأرض من بعدهم.

فالتعبير بـ (ثم) هنا دليل على سعة المسافة الزمنية بين هؤلاء وأولئك ثم جاء التعبير (من بعده) ليثبت أنه لم يوجد بين تلكم القرون وبين هؤلاء قوم أخرون. فلكل كلمة مقامها الذى تصلح له بحيث لا يستغنى عنها. والخطاب هنا لقريش الذين بُعِث إليهم وإلى غيرهم من الإنس والجن بعامة خاتم الرسل محمد ﷺ. فلا رسول بعده ولا رسالة بعد القرآن.

ويبقـــى قـــول الله تعالى (ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً) فـــ (ثم) فيه تدل على النقلة الهائلة من حالة إلى حالة فالتراخي يحسب ما بينهما مـــن فروق التكوين. وأما (من بعد) فيثبت أنها مع ما سبق ذكره متعاقبان لا يفصل بينهما فاصل. فكأن القوة وليدة الضعف. وكأن الضعف وليد القوة. أرأيت بعد ذلك دقة وإحكاما وعمقا؟!

١٨- حين: في:

قوله تعالى: ﴿ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ ١٠٦ المائدة.

روى أنـــه خـــرج بـــديل بـــن أبى مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجـــرين مع عدى بن زيد وتميم بن أوس - وكانا نصرانيين- تجارا إلى الشام فمـــرض بـــديل وكتب كتابا فيه ما معه. وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمـــرهما أن يـــدفعا مـــتاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه. فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحـــدا فـــرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزلت (تحسبونهما) تقفونهما وتصبرونهما

للحلف – أى تحبسونهما– للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس... إلخ[1].

فـــ (من) للتعقيب بمعنى أن الحبس يعقب صلاة العصر بدون فاصل حتى لا ينصرف بعض المصلين. وبذلك يشهد أكبر جمع ممكن مجريات هذه القصة إذ فيها ما يتعلق بخيانة بعض الناس لبعض فى السفر.

١٩- حاج: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٦١ آل عمـــران، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ١٦ الشورى.

ولعل القارئ يلحظ المناسبة بين الآية الأولى وهى آية المحاجة فى الله، وبين آيـــة المائدة وفيها حبس المدعى عليهما من بعد الصلاة. فهنا دعوة الأبناء والنساء والأنفـــس مـــن المقربين ومن المنكرين كما أن هناك جمعا من المصلين ولعل ذلك يـــشير إلى أنه ينبغى أن يكون أمر الناس مؤمنيهم مع غير المؤمنين منهم على ملأ يـــشهدونه فلا تدبير من أحد لأحد فى الخفاء سواء أكان ذلك يتعلق بأمر العقيدة أم يتعلق بأمر المعاملات. فالواضح والبيان والإعلان أمور مهمة فى حياة المجتمع.

حتى يقوم أمره على الصراحة والصدق والبعد عن الرياء والنفاق.

---

(١) انظر الكشاف ٥٣٥/١: ٥٣٦.

فـإذا كانـت آيـة المائدة فى معاملة غير مستقيمة فإن آية آل عمران تتعلق بالعقيدة يقول الزمخشرى:" فمن حاجك: من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعدما جـاءك مـن العلم أى من البينات الموجبة للعلم (تعالوا) أى هلموا والمراد المجئ بالرأى والعزم كما تقول: تعال نفكر فى هذه المسألة. ... (ثم نبتهل) ثم نتباهل بأن نقول: بَهَلَهُ اللهُ لعنه وأبعده من رحمته من قولك (أبلهه) إذا أهمله.. ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا... (١).

فقـوله تعالـى (فمن حاجك فيه أى فى شأن المسيح عليه السلام من بعد ما جـاءك أى عقيب الذى جاءك من العلم فقل تعالوا.. إلخ. وفى هذا أن النصارى لم يـصبروا أو يتأنوا عن مبادرة الرسول بمحاجته فى شأن المسيح عليه السلام. وما ذلك إلا لحرصهم على إخفات صوت الحق فى أولَ نَبأةٍ له حتى لا يقوى. ولكن الله عَلَّـم المؤمنـين كيف يكونون فى جانب المبادرة السريعة التى تُفَوِّت على الخصم استجماع قوته فكرا كان أو حربا.

وأمـا آية الشورى فقد كانت المحاجة فيها فى شأن الله عز وجل لا فى شأن نبى من أنبيائه. وإذا كان الله أمر نبيه محمداً ﷺ أن يجمع الأبناء والنساء والأنفس لحاجـة النصارى بشأن المسيح عيسى عليه السلام فإننا نرى آية الشورى لا تحث على ذلك يل تحكم بادئ ذى بدء بأن المحاجة فى شأن الله باطلة فى ذاتها. والباطل بذاته لا ينبغى الاحتفال به أو الحشد له لأنه خجل مستخف فليس له وجه يظهر به ولا كيان يعلن عنه.

ولـربما يقـول قائـل: وهل يمكن أن تكون المحاجة فى شأن الله؟ وكيف؟ وجـواب ذلك أن المحاجة ليست فى ذات الله بل فى شأن دينه. يقول الزمخشرى:

---

(١) الكشاف ٢٨٢/١.

يحاجـون فى الله: يخاصمون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس، ودخلوا في الإسـلام ليـردوهم إلــى دين الجاهلية كقوله تعالى:" ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ...) كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم. ونبينا قبل نبيكم ونحن – لعلها- فنحن خير منكم وأولى بالحق. وقيل: مــن بعــد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام (داحضه) باطلة زالة"[1].

وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على تربص غير المسلمين بالمسلمين دائما فعلــى المسلمين أن تكون المبادرة دائما منهم حتى لا يتمكن أولئك المتربصون من شــحذ همــتهم وجمــع كلمتهم فيظل سلاحهم مغلولا. ولذا يقول الله:" إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا. الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالــوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنــين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" ١٤٠ : ١٤١ النساء.

٢٠- حرف: فى آيتين هما:

قــــوله تعالــــى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ٧٥ البقرة. وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ

(١) الكشاف ٤/١٧٠.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ ٤١ المائدة.

ففـــى آية البقرة نرى قوله (ثم يحرفونه) مع قوله (من بعد ما عقلوه) وربما يوحـــى حـــرف التراخـــي وحرف التعقيب بتناقض إلى بعض أذهان القرأة الذين يستعجلون الحكم على الأشياء بدون إمعان وتؤدة.

ولكن الحق غير ذلك فالتعبير بـــ (ثم) يوحى بل يثبت أن هؤلاء المحرفين لا يحـــرفون الكلم الذى لا يقبل التحريف لأنه الحق فهو كلام الله فالمنزلة لهذا الكلام رفـــيعة منـــيعة علـــى عكس منزلة ما يلجأ إليه أولئك المحرفون فهو لغو وافتراء. فالتراخـــي والمباعدة هنا فى المعقول وغير المعقول. وأما التعقيب فى (من بعد ما عقلـــوه) فيدل على أن أولئك المحرفين إنما يبادرون بتحول الكلم عن موضعه من فـــور استقراره فيه حتى لا يدوم هذا الإستقرار فيستعصى عليهم تحريفه أو تحويله وكـــذا الحـــال فـــى آيـــة أخرى نصها: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ٤٦ النساء.

فاســـتعمل (عن) التى تنثبت المجاوزة أى زحزحة الكلم عن مكانه اللائق به الذى لا يرتضى به بديلا ولا عنه تحويلا. وحسبهم ذلك لأن خلع الشجرة من تربتها الـــصالحة لها يقضى عليها بالجفاف ثم الموت. ولم يكن علماؤنا ليهملوا البحث عن ســـر اختلاف التعبير حيث جاء مرة بـــ (من بعد ما عقلوه) و (من بعد مواضعه) كما جاء بـــ (عن مواضعه).

أولا: يقــول الطبرى فى آية المائدة:" وقد يحتمل أن يكون معناه – أى: من بعــد مواضعه– عن مواضعه. فتكون (بعد) وضعت موضع (عن) كما يقال: جئتك عن فراغي من الشغل يريد بمعني: بعد فراغي من الشغل"(١).

ومقتضى هذا أن يكون بين (عن) و (بعد) ترادف وهذا ماصرح به ابن هشام حيث يقول:" الخامس: أى من معانى (عن) مرادفة (بعد) نحو عما قليل– يعنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾ ٤٠ المؤمنون– و: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ١٣ المائدة. بدليل أنه فى مكان آخر: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ ٤١ المائدة(٢).

ومقتــضى هــذا أنَّ مــآل التعبيرين معنى يكاد يكون واحدا. وهذا منهج لا نرضـــاه إذ كــيف يكــون الــنص (من بعد مواضعه) متفقا فى المعنى مع النص (عن مواضعه).

ثانيا: ولعل ذلك ما حمل الزمخشرى على تفسير آية النساء بقوله:" يحرفون الكلــم عن مواضعه" يميلونه عنها ويزيلونه. ثم قال: فإن قلت كيف قيل ههنا (عن مواضعه) وفى المائدة (من بعد مواضعه)؟

قلت: أما (عن مواضعه) فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه ؛ وأما (من بعــد مواضعه) فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قَمِنٌ– أى جدير – بأن يكون فيها فحــين حــرفوه تــركوه كالغــريب الــذى لا موضــع لــه بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان"(٣).

---

(١) جامع البيان ١٣٧/٦.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١٣٠/١.

(٣) الكشاف ٣٩٩/١: ٤٠٠.

ثالـــثا: ولعله متأثر فى ذلك بعبارة أبى عبد الله الخطيب الإسكافى حيث يقول فـــى آية النساء:" وعن: فى هذا الموضع تقرب من معنى (بعد) لأنك تقول: أطعمه بعد جوع وكساه بعد عرى. كما يقال: أطعمه من جوع وكساه من عُرّى".

وبهذا النص يكون الإسكافى مُقَرِّبا بين معنى (عن) و (بعد).

ولكـــنه اســـتدرك على ذلك قائلا:" إلا أن الأصل فى هذا المكان أن يستعمل (عن) لأن (بعد) تكون لما تأخر زمانه بأزمنة كثيرة لزمنه".

ثـــم يذكـــر وجهـــا آخر حيث يقول:" يحتمل أن يكون المراد (من بعد موت النبـــى ﷺ ليجعلوه على خلاف ما سمعوه منه. وهذا موضع (بعد) لا موضع (عن) لأنـــه لـــيس يعدوه إلى المُحَرَّف إليه فينفصل عما جاء عليه إلى الكذب مقارنا له. وإنمـــا ذلك بعده بأزمنة كثيرة يتوقعون مُضِيَّها ليسهل كذبهم بعدها. ويكون التقدير (يحـــرفون الكلـــم) أى ناوين تحريفه من بعد وقوعه مواقعه فـــ (محرفين) بمعنى (ناوين التحريف) كقوله:" وخروا له سجدا" ١٠٠ يوسف أى ناوين السجود"[١].

وخلاصة معنى كلام الخطيب الإسكافى:

(أ) أن معنـــى (عن) قريب من معنى (بعد) وقد مثّل لذلك بقول من يقول : (أطعمه بعـــد جـــوع وعـــن جوع، وكساه بعد عرى وعن عرى) وهذا ما ربما يكون الزمخشرى قد اقتبس ما ذكره منه أو نقله عنه. وهو غير دقيق لأن (عن) تفيد مجاوزة شئ لشئ. وأما (بعد) فمعناه وقوع شئ بعد شئ.

صـــحيح أن المجـــاوزة فيها معنى المباعدة. ولكنها تفارقها فى قدر المسافة فالمباعدة قدرها أكبر ومساحتها أوسع من قَدْرِ ومَسَاحَةِ المجاوزة.

---

(١) درة التنزيل ص ٧٦: ٧٧.

(ب) ولعـل ما ذكرناه قد طاف بخاطر الإسكافى من بعد ذكره فذهب إلى توضيح الفـرق بينهما ذاكرا أن المقام فى آية النساء لـ (عن) لا لـ (بعد) وموضحا الفـرق بينهما بما لا يخرج عما استخلصناه من الفقرة السابقة حيث قال (لأن بعد) قد تكون لما تأخر زمانه بأزمنة كثيرة وبزمن واحد. و (عن) لما جاوز الشئ إلى غيره ملاصقا زمنه لزمنه.

وبهذا يكون الإسكافى قد عدل عن الأول ليعدل فى حكمه على الكلمتين مبينا الفرق بينهما وأن لكل منهما مقامه الذى تتضح فيه قيمته ومكانته.

وهـذا مـا وضـحه أبو حيان حيث قال:" والذى يظهر أنهما سياقان فحيث وُصِفُوا بشدة التمرد والطغيان وإظهار العداوة واشترائهم الضلالة ونقض الميثاق قد جاء (يحرفون الكلم عن مواضعه) ألا ترى إلى قوله (سمعنا وعصينا) وقولهم (فبما نقـضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) فكأنهم لم يتـركوا مـن التحريف عما يراد بها ولم تستقر فى مواضعها فيكون التحريف بعد استقرارها، بل بادروا إلى تحريفها بأول وهلة.

وحـيث وُصِـفُوا ببعض لين وترديد وتحكيم للرسول عليه السلام فى بعض الأمـر جاء (من بعد مواضعه) ألا ترى إلى قوله : ﴿ إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتـوه فاحـذروا﴾، وقوله: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ ٤٢ المائدة. فكأنهم لم يبادروا بالتحريف بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلم فى مواضعها"[١].

وبالـتأمل فـى ذلكم النص يدرك الباحث أن علماءنا قد دارت أقلامهم حول معنـى (بعـد) و (عـن) دون التفات إلى (من بعد) وما تضمنته (مِنْ) من تعقيب

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٢٦٣.

مــباغت لاســتقرار الكلم حتى يعتريه اضطراب وقلقلة وزحزحة عنيفة نائية عن مواضعه.

وبداهــة يعلــم المــرء الفــرق الهائل بين إصابة الآمن المطمئن بالمطاردة والمــباعدة بيــنه وبــين أمنه واطمئنانه وإصابة القلِق المضطرب بهذه المطاردة وتلك المباعدة.

وهذا ما تعلمناه بعد أن تعودناه – من قرآننا الحكيم حيث يقول: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾، ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ٤، ٩٧، ٩٨ الأعراف.

فمجــئ البأس فى الليل مَرْقَد الإنسان وراحته وفى القيلولة وهى كذلك وقت راحة البشر. وأيضا وقت الضحى وهو وقت اللعب واللهو. ليس كمجيئه والإنسان واع مستيقظ يمكنه أن ينفلت من شئ يصيبه. إذ الأول أعظم وأفزع وأهول. بخلاف الثانــى. فــالكلم الذى استقر فى مكانه وأمِنَ فى موضعه بحيث لا يُخاف عليه من أحد. إذا ما أصابه التحريف حينئذ كان أشد جرما وأعظم إثما.

(ج) ولأجــل مــا تقــدم قــال الألوسى:" من: للابتداء ولفظ (بعد) للإشارة إلى أن التحريف مما بَعُدَ إلى موضع أبعد. وفيه من المبالغة فى التشنيع ما لا يخفى"(١).

فمعنى ابتداء التحريف أنه بدأ عقيب أمنه فى مواضعه وتمكنه فيها.

---

(١) روح المعانى ٢/ ٣٠٦.

(د) ومما يثبت الفرق بين التعبيرين أن قوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) يظهر فيه أن الكلم المحرف ليس ببديل الأحكام. وأما المراد بقوله (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) فهو الأحكام وتحريفها وتبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد. ولما اختلف المراد بالكلم في السورتين قيل في سورة المائدة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي ينقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره إلى غير الموضع فبقي كالغريب المتأسف عليه الذي يقال فيه:" هذا غريب مِنْ بَعْد مواضعه ومقاره. ولا يوجد هذا المعنى في آية النساء؛ وإن وجد فعلى بُعْدٍ إذ ليس الوضع اللغوي مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعي. ولولا اشتمال هذا النقل على الهزء والسخرية لما عَظُمَ أمره فلذلك جاء هنا (يحرفون الكلم عن مواضعه) غير مقرون بما قرن به الأول – يعني: من بعد مواضعه– من صورة التأسف"(١).

(هـ) وذكر الخطيب الإسكافي وجها آخر وهو أن يكون المراد بـ (من بعد مواضعه): من بعد موت النبي ﷺ ليجعلوه على خلاف ما سمعوه منه وهذا موضع (بعد) لا موضع (عن). وعلى هذا يكون في قوله (يحرفون) تأويل بحيث يكون المراد ينوون تحريفه. وعليه يكون معنى التعقيب بـ (من) أن يقع التحريف مباشرا لموته عليه السلام بحيث لا يكون بين موته وتحريفهم للكلم فاصل بأدنى شئ من الزمان. وإن دل ذلك فإنما يدل على حرصهم الشديد على ذلكم التحريف ولقد نسوا أن هذا بمثابة تخريف منهم فالتحريف والتخريف صنوان لا يفصل بينهما إلا نقطة وهي ذات معنى خطير أو معنى كبير.

---

(١) هامش الكشاف ١/٤٠٠.

فهــم فى حرصهم على التحريف مُحَرِّفُون فقد نسوا قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ٩ الحجر.

وإننى لغير راض عن هذا التأويل الذى ذكره الإسكافى إذ ما الداعى إليه أو ما الغرض منه؟ حتى يجعل (يحرفون) بمعنى (ينوون التحريف) فما معنى ذلك؟ ثم ما معنى أن نجعل (خروا سجدا) بمعنى نووا السجود؟ إن الآية تنص على أن يوسـف (رفع أبويه على العرش وخروا – أى: إخوته وأبواه– له سجدا) فأى مغزى أو مرمى فى تأويل (خروا) بمعنى (نووا)؟ لست أدرى؟

٢١- حــل: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ ٢٣ البقرة وقوله: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾ ٥٢ الأحزاب.

فالآيــة الأولــى فــى الزوجة البائن بينونة كبرى وذكر (مِنْ) فيها يعلن بدء التحريم وهو وقوع الطلاق الذى تَبِينُ به الزوجة تلك البينونة. فلا يجوز أن تُرَاجَع فتــرجع إلــيه ومــن ثم لا يحل له أن يقربها من فور وقوع هذا الطلاق. ولو كان التعبيــر (فــلا تحــل له بعد) بدون (من) لجاز لأحد أن يظن أو يتوهم أنه يجوز للمطلق أن يدنو منها بما يحل للزوج أن يدنو من زوجه. ولو فى العدة. فهذا حرام ولــذا قــيل: " لا يجــوز لمنَ طلَّق رجعيا أن يُخرِج الزوجة من بيته إلا أن تأتى

بفاحشة.. ولا تخرج هي.. و لا يلزم ذلك في البائن – بينونة كبرى– ولا المتوفى عنها زوجها. بل تبيت كل واحدة منهما حيث شاءت"(١).

وأما آية الأحزاب ففى شأن الرسول عليه السلام وفيها يقول الزمخشرى:" من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله من الأزواج؛ كما أن الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب"(٢).

فالتعبير بـ (من) يمنع منعا باتا تجاوز هذا العدد لما فيه من التعقيب والمباشرة ولو قيل (لا يحل لك النساء بعد) لربما فهم منه التجاوز ولو على سبيل القلة. والمعهود في أحكام القرآن الإحكام والعمق والدقة حتى لا تترك فرصة لِمُتَوَهِّمٍ أو ظانٍ.

٢٢- حيى: فى

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ٦٣ العنكبوت.

ولم ترد (من) فى (بعد موته) إلا فى هذه الآية وهناك تسع آيات لم ترد فيها. وإنما ورد (بعد موتها) وهذه الآيات: آيتان من سورة البقرة ١٦٤، ٢٥٩. وآية من سورة النحل:٦٥، وثلاث آيات من سورة الروم ١٩، ٢٤، ٥٠؛ وآية من سورة فاطر: ٩، وآية من سورة الجاثية: ٥، وآية من سورة الحديد: ١٧.

وكان ذلك مما لفت انتباه الخطيب الإسكافى فذكر آية البقرة ١٦٤ وآية الجاثية ٥٠، ثم علل ورود (من) فى آية العنكبوت بأن التقرير يؤثر فيه من تحقيق

---

(١) المختصر النافع ص ٢٢٦.

(٢) الكشاف ٣/٤٣٦.

الكــلام ما لا يؤثر فى غيره، والظروف إذا حُدِّدَتْ حُقِّقَتْ. تقول سرت اليوم ، فإن قلــت: من أوله إلى آخره كان الحد تحقيقا لأنه قد يطلق لفظ اليوم وإن ذهبت ساعة أو ساعتان من أوله، وإن بقيت ساعة أو ساعتان من آخره. فإذا وقع الحد زال هذا الــوهم. فقوله (من بعد موتها) تحقيق لأنه محدود بـــ (من) وَخُصَّ به التقرير لأنه من أماكنه. وقوله تعالى فى سورة البقرة وسورة الجاثية ليس فيه تقرير. كما كانت الأولى. وإن كان يؤدى معنى المحدود إلا أنه ليس له لفظة فاختلف الوصفان"(١).

ويعنــى الإســكافى بــ (التقرير) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ٦٣ العنكبوت.

فهــذا أسـلوب يحمــل المخاطــب على الإقرار بما سئل عنه ولذا كان الجواب: ليقولُنَّ الله".

أما آية البقرة الأولى فهى إخبار مُؤكَّد حيث إن نصها (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار.. إلخ الآية. وكذلك آية سورة الجاثية.

وأمــا آيــة البقرة الثانية فهى فى شأن الذى مَرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها فقال " أنى يحيى هذه الله بعد موتها" ففيها استبعاد للإحياء بعد الموت وآية النحل إخبار. وكذلك آيات الروم الثلاث. وآية فاطر وآية الحديد.

وبهــذا تنفــرد آيــة العنكــبوت بأنهــا لَمَّا كانت تقريرا حُدِّدَ الظَّرْفُ فيها بـــــ (مــن) الابتدائـية وهى التى تفيد أن الإحياء للأرض يقع عقيب موتها بدون مهلة أو تراخ.

(١) درة التنزيل ص ٢٨٧.

ولعل السر فى تحديد الظرف فى تلك الآية وحدها أنها فى سورة من أواخر مــا نــزل من القرآن المكى وهى العنكبوت. ومن ثم قيد فيها الظرف لتكون أصلا يقاس عليه غيرها مكيا كان أو مدنيا. إذ من المعلوم أن المطلق يحمل على القيد.

٢٣- خلف: فى ثمانى آيات:

قــوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ٢١٣ البقرة. وقوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ ١٩، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ١٠٥ آل عمـــــران. وقـــوله: ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ ١٣٣ الأنعام. وقوله: ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ ١٥٠، ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ١٦٩ الأعراف. وقوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ٥٩ مـــريم. وقـــوله: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ ١٧ الجاثية.

يقــول أبو البقاء فى آية البقرة:" مِنْ: متعلق بـــ (اختلف) ولا يمنع (إلا) من ذلك. كما تقول: ما قام إلا زيد يوم الجمعة"[١].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٥١/١.

ويقـــول أبـــو حيان:" وجئ بلفظ (مِنْ) الدالة على ابتداء الغاية تنبيها على أن اختلافهم متصل بأول زمان مجئ البينات لم يقع منهم اتفاق على شئ بعد المجئ بل بنفس ما جاءتهم البينات اختلفوا لم يتخلل بينهما فترة"[1].

وهـــذا واضح كل الوضوح فى الدلالة على قيمة (مِنْ) فى تلكم الآيات ومدى احتياج المعنى إليها.

٢٤- خلـــق: فى

قـــوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ ٦ الزمر. فـــ (من) فى هذه الآية تثبت اتِّصَالَ أطوارِ خلق الإنسان فى بطن أمّه فلا تراخى بينها إذا انتهاء الطور الأول هو ابتداء الطور الثانى وهكذا.

وربمـــا يرد هنا اعتراض قد يفهمه بعض الباحثين من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ الآية ٥ من سورة الحج.

ومـــن قـــوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ ١٢: ١٤ المؤمنون.

---

(١) البحر المحيط ١٣٧/٢.

فبالنظر فى هذه الآيات يدرك القارئ أن التعبير بـ (ثم) فى آية الحج يوحى بالتراخى. وكذا التعبير بها فى قوله (ثم خلقنا النطفة علقة) وقوله: (ثم أنشأناه خلقا آخر) من آيات المؤمنون.

على حين نرى الفاء التى تفيد التعقيب مِثْلُها مِثْلُ (مِنْ) فى قوله (فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما.

فما سر ورود (ثُمَّ) فيما وردت فيه؟

الجواب: أننا لو تأملنا مواضع ذكر (ثم) لتيسر لنا – بإذن الله – الوقوف على سـر ورودهـا فيما وردت فيه. وهو أن آية سورة الحج دلت فيها (ثم) على النقلة الهائلـة العظيمة من (التراب) فى (النطفة) ومن (النطفة) إلى (العلقة) ومن (العلقة) إلـى (المضغة) فهذه النقلة توحى بالتراخى أى أن تغيير هذه الأشياء فى حاجة إلى زمان طويل فى عرف الإنسان المستبصر المفكر.

ثم جاء فى سورة المؤمنون بالفاء (فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظـام لحما" لبيان أن تلك الأطوار – وإن كانت لدقتها وحكمتها تحتاج حسب المـتعارف بـين الناس- إلى فترات من الزمان طويلة فإنها – مع ذلك- متعاقبة متلاحقة لا يفصل بينها فاصل. ولا يتخللها شئ من الزمان.

ولله فى كلماته أسرار كماله فى خلقه دقة وإحكاما.

هذا: ومما ينبغى أن ننبه إليه معنى (مِنْ) فى (خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة).

فقـد سلف دراستها فى آيات (من) البعضية وهى فى محل نصب لأنها حال. أى خلقـناكم حالـة كونكم بعض تراب. ثم حالة كونكم بعض نطفة ثم حالة كونكم بعـض علقة ثم حالة كونكم بعض مضغة. فهذه درجات من الدقة تثبت أن عنصر الحـياة فـى الإنـسان- وغيره- ومصدرها شئ يعتريه عدة تصفيات – إن صح

التعبيـــر- لأنـــه بعـــض مـــضغة الذى هو بعض علقة وهو بعض نطفة التى هى بعض تراب.

فـــتأمل هداك الله ورعاك - صورتك التى أنت عليها حينما تقرأ هذا الكلام- بـــل إنـــى لأفقر منك إلى هذا التأمل وأنا أكتبه بعد قراءته. فبهذا التأمل ندرك مدى الفـــرق الـــشاسع بين أول عنصر فى خلقنا وبين ما نحن عليه الآن. فلا يسعنا إلا الإذعان لله والإقرار بفضله والشكر على نعمه.

٢٥- ذاق: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ ٢١ يونس. وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ ٥٠ فصلت.

وممـــا ينبغـــى فى هذا المقام أن نلفت الذهن إلى (رحمة منا) إذ (من) هذه سبقت دراستها فى آيات (من) التى تحتمل أن تكون ابتدائية وبعضية. والراجح أن تكـــون بعـــضية علـــى حـــذف مضاف إليه أى من رحمتنا أى بعضها. فهى نعت لـــ (رحمة) أو حال. وعلى كل فهى فى محل نصب.

أما (من بعد) فى الآيتين فـــ (من) للتعقيب الذى هو ابتداء الغاية.

ومما يثبت أن (مِنْ) هنا مقصود إثباتها للدلالة على هذا المعنى أننا وجدنا آية أخـــرى لـــم ترد (مِنْ) فيها وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ ١٠ هود.

والمراد هنا المقارنة بين قوله (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء) وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ ٥٠ فصلت.

يقول الإسكافى: " منا: - يعنى فى آية فصلت- مما بالكلام إلى ذكره حاجة. وقد استغنى عنها فى سورة هود - أى رقم ١٠- لتقدم ذكرها فى الآية التى قبلها - أى رقم ٩- وهى قوله: وَلَئِنْ﴿ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ .

وأمـا قـوله (من بعد ضراء) فلأنه لما حَدَّ الرحمة والجهة الواقعة منها حَدَّ الظرف الذى بعدها ليتشاكل المقترنات فى التحقيق ولم يحتج إليه فى هود"[1].

ولـيس بعد ذلك دقة فى وَضْعِ الكلمة حيث يحتاج المقام إليها ورَفْعِها حيث يستغنى المقام عنها.

٢٦- ربع: فى

قوله تعالى: ﴿ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ ﴾ ١٢ النساء.

فـ (مِـنْ) من (مما تركن) بعضية فى محل نصب حالا. وأما فى (من بعد) فهى ابتدائـية تدل على مباشرة الرُّبُع الذى يستحقه الزوج للوصية والدين على الزوجة المتوفاة. وليس بعد ذلك موالاة وتتابع للحقوق.

٢٧- رَدّ: فى آيتين هما:

قـوله تعالـى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ ١٠٩ البقـرة. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم

---

(١) درة التنزيل ص ٣٢.

مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾

٢٥ محمد.

ففى الآية الأولى إثبات أن الغالبية العظمى من أهل الكتاب لا يحبون استقرار الإيمـــان فـــى قلوب المؤمنين لأن ذلك سيعود عليهم بالخسران المبين ومِنْ ثَمَّ كان حرصـــهم على زحزحتهم عن موقعهم الإيمانى وحملهم على الردة دون أن يتمكن الإيمان من قلوبهم. وهل يدلُّ على ذلك كله إلا (مِنْ) فى (من بعد إيمانكم)؟ فلو قيل (بعد) بدون (مِنْ) لما بلغ مبلغ الدقة والإحكام.

وفـــى الثانـــية إثـــبات أن الشيطان فيها يقوم مقام الكثرة من أهل الكتاب فى الأولى لأنه أحرص ما يكون على ارتداد هؤلاء عقب تبين الهدى لهم.

يقـــول الألوسى فى آية البقرة:"وفى قوله (من بعد) مع أن الظاهر (عن) لأن الـــرد يـــستعمل بها – تنصيص بحصول الإيمان لهم. وقيل: أورد متوسطا لإظهار كمـــال فظاعة ما أرادوه وغاية بعده عن الوقوع إما لزيادة قيمة الصَّادِّ للعاقل عن مباشرته وإما لممانعة الإيمان له؛ كأنه قيل: من بعد إيمانكم الراسخ؛ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى"(١).

وهـــناك آيـــة لم ترد فيها (من) قبيل (بعد) وهى قوله تعالى: ﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ ١٠٠آل عمران

ولعل السر فى ذلك أن آية البقرة تعبر عن حرص اليهود على انتزاع بذرة الإيمان من قلب من آمن من قبل أن تُؤتِي أُكُلَهَا وتعطى ثمرها. وأما آية آل عمران ففيها تحذيـــر لمن آمن ألَّا يطيع أحد الذين أوتوا الكتاب لأنه لو فعل ذلك يكون قد مكن

---

(١) روح المعانى: ٢١١/١: ٢١٢.

هــذا من إيمانه فيظل متربصا به الدوائر حتى يخلعه من قلبه. ويباعد بينهما. ولا شــك أن ذلك يحتاج إلى طول ممارسة وكثرة حيل ليتحقق له ما يريد. والذى ينبئ عن هذا المعنى ما روى سببا لنزول الآية وهو: أن شاس بن قيس اليهودى – وكان عظــيم الكفر شديد الطعن على المسلمين والحسد لهم – مَرَّ على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الــذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة. وقال : ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم وَيُذَكِّرهم: يوم بعاث.... وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا ... إلخ. فنزلت تلك الآية...."[١].

يقــول الزمخشرى:" من بعده: من بعد إمساكه كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٣ الجاثية، ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ ٦ الجاثية.

أى مــن بعــد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الإرسال والإمساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه"[٢].

وكأنى بالزمخشرى يسوى فى المعنى بين آية ذُكِرَ فيها (من بعد الله) وأخرى ذكــر فــيها(بعد الله) وما ذلك بسديد ولا رشيد إذ كيف يكون معنى آية بدون (من) مــساويا لمعنى أخرى بها؛ وقد تعودنا من علمائنا – ومنهم إن لم يكن على رأسهم الزمخــشرى– أن يدققــوا ويمعنوا النظر ويعملوا الفكر فى كل صوت مذكور فى القــرآن لأنه لابد له من معنى فما فى القرآن من لغو أو حشو أو حشد ألفاظ وفيرة

---

(١) انظر الكشاف ٣٠١/١ وتفسير القرطبى ١٣٩٧ طبعة الشعب.

(٢) الكشاف ٤٧١/٣.

لمعـــان قصيرة. بل العكس هو الصادق الصواب وهو امتلاء الألفاظ القليلة بمعان غزيرة جليلة.

ومن ثم أرى أن الآية رقم ٢٣ من سورة الجاثية وهى (من بعد الله) قد قَيَّدَتْ مطلقا وخصصت عاما فى الآية رقم ٦ وهى (فبأى حديث بعد الله) ولا يغيب عنك ما لحظه الزمخشرى من المضاف الذى دل عدم ذكره على الإيجاز العميق. أى من بعد هدايته. ومن بعد حديثه.

٢٩- رضى : فى

قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ ٢٤ النساء.

ومـــن قـــبل هذا النص قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ يقول الزمخشرى:" وأجورهن: مهورهن لأن المهر ثواب على البضع و (فريضة) بمعنى مفروضة. (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله؛ أو يزيد لها على مقداره.."[(١)].

فالأصل فى المهر التحديد أولا. ثم يكون الزوجان فى حل من أمرهما بحيث يجــوز للــرجل أن يــزيد عليه. كما يجوز للمرأة أن تتنازل عن شئ منه أو تهب للــرجل شيئا كما قال الله تعالى فى أول السورة ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ ٤ النساء.

---

(١) الكشاف ١/٣٨٥.

٣٠- زل: فى

قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٠٩ البقرة.

والآيــة التــى مــن قبلها تأمر المؤمنين بالدخول فى السلم ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان لأنه عدوهم المبين.

يقــول الزمخــشرى:" (فإن زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعدما جاءتكم البينات) أى الحُجَج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم إلا بحق.

وروى أن قارئــا قرأ (غفور رحيم) فسمعه أعرابى فأنكره ولم يقرأ القرآن. وقــال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا بذكر الغفران عند الزلل لأنه إغــراء علــيه. وقــرأ أبــو الــسمال (زللــتم) بكــسر الــلام وهما لغتان نحو: ظللت وَظَلِلْتُ"(١).

وقــوله (من بعد ما جاءكم من البينات) إثبات لأن الزلل كان مردفا لتثبيت البيــنات فى نفوسهم. والمعهود أن الإنسان إذا تمكنت منه الحجج ورسخت فى قلبه أمارات الحق وعلامات الصدق فلا يكون من السهل عليه أن يتخلص من كل ذلك. فلو فعلها كان مهددا بانتقام الله منه وتعذيبه عليه.

هــذا: وإن مــا ذكره الزمخشرى من أمر الأعرابى لدليل على صدق الحس اللغــوى والذوق الرفيع عند الأعرابى. فقد رتب المعانى فى ذهنه ومر بقلبه عليها فوجد فى قراءة (غفور رحيم) تناقضاً عجيبا غريبا وهذا لا يليق بكلام الله ووحيه.

---

(١) انظر الكشاف ١٩٢/١.

فهــل لــنا أن نقوم بتربية مثل هذا الحس اللغوى الوضئ والنظيف الشريف العفيف الذى يستبطن به القارئ الدلالات والمعانى؟!

٣١- سدس: فى:

قوله تعالى: ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ ﴾ ١١ النساء.

سبق مثل هذا النص من آيات المواريث.

٣٢- سكن فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ ١٤ إبراهيم. وقوله : ﴿ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ ﴾ ٥٨ القصاص.

وقبل الآية الأولى قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٣، ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ١٤.

يقــوله الزمخــشرى:" والمــراد بالأرض: أرض الظالمين وديارهم ونحوه: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ ١٣٧ الأعراف. و ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ ﴾ ٢٧ الأحزاب. وعن النبىﷺ : "من آذَى جاره وَرَّثه الله داره". ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال فظلمه عظيم القرية التى أنا منها ويؤذينى فيه – أى بسببه– فمات ذلك العظيم وملكنى الله

ضـــيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرن وينهون فذكرت قول رسول الله ﷺ وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله"[١].

وانظر هداك الله إلى التعقيب المنبئ بأن الله سريع الحساب لمن ضل وكفر. شديد العذاب الذى يفنيهم ويخفيهم ويوجد من بعدهم من يرث الديار والأرض وهم الرســل الذين جاءوهم لينقذوهم من الضلال وعاقبته ولكنهم أبوا إلا الكفر والعناد فحقــت علــيهم كلمـــة العذاب ودمرهم الفناء. مع بقاء الأرض التى درجوا عليها واستمتعوا بخيراتها حتى يتمكن الرسل من الاستمتاع بتلك الخيرات.

وأما آية القصص فصدرها قوله تعالى :" وكم من قرية بَطِرَتْ معيشتَهَا فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين".

يقول الزمخشرى:" بطرت: كفرت وغمطت. وقيل: البطر سوء احتمال الغنى وهــو ألا يحفــظ حــق الله فيه. (إلا قليلاً) من السكنى. قال ابن عباس رضى الله عــنهما: لــم يــسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة؛ ويحتمل أن شؤم معاصــى المهلكين بقي آثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يُبْقِ فيها إلا قلــيلا (وكــنا نحــن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خَرَّبْناها وَسَوَّيْناَهَا بالأرض"[٢].

ولا يغيب عنا قيمة معنى (من بعدهم) فهى التى تصور سرعة زوال مساكن العــصاة والطغــاة الذين يفسدون فى الأرض ويُنَاوِءُون الرســل والهداة المصلحين. فزمانهم – مهما طال- قصير وخطرهم – مهما عظم – حقير.

---

(١) الكشاف ٤٢٤/١.

(٢) الكشاف ٢٣٤/٣.

٣٣- شــفع: فى

قوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ ٣ يونس.

وقــد ســبق الحــديث عن (ما من شفيع) وبيان أن (من) فيه بمعنى (بعض) والمــزاد بهــا الاســـتغراق الذى يستأصل نوع الشفعاء من أدناه إلى منتهاه إذ نفى الشفاعة عن الواحد يستلزم نفيها عن النوع كله.

وأمــا (من بعد إذنه) فــ (مِنْ) فيه ابتدائية تفيد أنه لا توجد شَفَاعَةُ مُشَفَّعٍ إلا فـــى إثـــر إذن الله لـــه لـــذلك وفـــى ذلك كما يقول الزمخشرى:" دليل على العزة والكبرياء. كقوله: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ ٣٨ النبأ[1].

فـــ (من) فى هذه الآية نوعان بَعْضِيَّة أى اسم بمعنى (بعض) وهى الأولى وتفـــيد استغراق أفراد الشفعاء بنفى الشفاعة عنهم. وَحَرْفِية أى بمعنى ابتداء الغاية: فتفيدا استغراق إثبات الشفاعة بدءا من إذنه تعالى بذلك إلى ما لا نهاية.

٣٤- شاق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ ١١٥ النـــساء. وقـــوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ ٣٢ محمد.

---

(١) الكشاف ٢/٢٥٨.

سبق الحديث عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ ٢٥ محمد.

وفيه (من بعدما تبين) مرتبط بالفعل (ارتدوا).

أما (من) فى هاتين الآيتين فهى فى آية النساء مرتبطة بالفعل (يشاقق) أى أن الشقاق يردف تبيين الهدى للمشاق. وكذا اتباعه غير سبيل المؤمنين. وقوله (نوله ما تولى ونصله جهنم) جواب الشرط (من) وفيها يقول الزمخشرى " ويتبع غير سبيل المؤمنين: وهو السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى القيم. وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول ﷺ فى الشرط؛ وجعل جزاءه الوعيد الشديد؛ فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه السلام. قوله (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال...."[1].

وهنا نجد التعبير واضحا صريحا بأن الرسول ﷺ هو رسول الهدى والطريق المستقيم. ومِنْ ثَمَّ كانت المشاقة فى إثر تبيين الهدى منه عليه السلام. ثم جاء قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) لأن المترفين قد آمنوا بالرسول الذى بين لهم الهدى فهم على منهجه سائرون وبحبله المتين مستمسكون.

هذا عن آية سورة النساء. أما آية سورة محمد ففيها ثلاثة أفعال وهى (كفروا وصدوا عن سبيله وشَاقُّوا الرسول) وتفصيلها (إن الذين كفروا بالله وصدوا وشاقوا الرسول) على حين نجد أن سورة النساء تشتمل على مشاقة الرسول واتباع غير المؤمنين. ولم يذكر فيها (كفروا).

---

(١) الكشاف ١/٤٣٨: ٤٣٩.

لأنــنا لــو أخــذنا بترتيب السور فى المصحف لأدركنا أن آية سورة النساء ذُكِـرَت أوّلا فلمــا لم يذكر فيها أصل الصد عن سبيل الله ومشاقة رسول الله عليه الـسلام وهـو (الكفر) ذكر هنا فى سورة (محمد) ولو أخذنا بترتيب نزول السور علمــنا أن ســورة النساء مدنية وأما سورة (محمد) فقيل إنها مكية ويرى بعضهم – وهــو مجاهد– أنها مدنية. والأول للضحاك وسعيد بن جبير. ولعله الراجح فلما ذكر الكفر فى هذه الآية وهى مكية ناسب ذلك عدم ذكره فى آية النساء لأنها مدنية.

ولعل القارئ يعلم أن هذا مما يجعله النحاة من بابٍ فتحوه فى علم النحو لما يسمى بالتنازع أى أن الأفعال الثلاثة تنازعت قوله (من بعد ما تبين لهم الهدى).

ومقتضى ذلك عندهم أنه أى (من بعد ما تبين) إن ارتبط بـــ (شاقوا الرسول) قُدِّر لِكلٍّ مِنْ (كفروا) و (صدوا) نظيرا له وعليه يكون أصل الآية: إن الذين كفروا من بعدما تبين لهم الهدى. وصدوا عن سبيل الله من بعد ما تبين لهم الهدى. وشاقوا الرسول من بعدما تبين لهم الهدى.

ولعلــك أيهــا القارئ الكريم تدرك بالبداهة أن هذا غير لائق بجلال النص القرآنــي. وإنمــا الذى يليق به هو أن العقل المستنير والقلب البصير فيهما يدرك القــارئ إن هذا الصنف من الناس يحدث منه الكفر بالله والصد عن سبيله. ومشاقة رســوله كــل هذا يحدث عقيب تبين الهدى لهم وليس بعد ذلك جناية بجنيها هؤلاء على أنفسهم...".

٣٥- ظــل: فى:

قــــوله تعالـــــى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ ٥١ الروم.

ومــن قــبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٥٠، فوردت (بعد) بدون (مِنْ) لأن النقلة من الموت إلى الحياة فى تقدير البشر – تحتاج إلى زمان طويل كما تحتاج إلى قدرة لا ينال منها العجز ولا يحوم حولها الضعف.

وقــرئ (أثــر) و (آثار) على الوحدة والجمع. وقرأ أبو حيوة وغيره (كيف تحيــى) أى الرحمة. (إن ذلك) يعنى: إن ذلك القادر الذى يحيى الأرض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم (وهو على كل شئ) من المقدورات قادر. وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

(فــرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هى الغيث. وأثرها النبات. ومن قــرأ – آثار– بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات. واسم النــبات يقــع على القليل والكثير لأنه مصدر سمى به ما ينبت. (ولَئِنْ) هى اللام الموطــئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لَظَلُّوا) جواب القسم سد مسد الجوابين أعنى: جواب القسم وجواب الشرط......

والمعنـــى: أنه إذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر: استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة...

والريح التى اصفر لها النبات. يجوز أن تكون حرورا ومرجفا – أى باردة. وكلتاهما مما يُصَوِّح – أى ييبس – له النبات ويصبح هشيما.

وقلا (مصفرا) لأن تلك صفرة حادثة.

وقيل: فرأوا السحاب مصفرا لأنه إن كان كذلك لم يمطر"[1].

ولعل القارئ يعلم أن معنى (ظل) حدث وقت الظل. ولكن هذا غير مراد بل المراد أن كفر هؤلاء دائم.

٣٦- عبد: في:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾ ١٣٣ البقرة.

والمعنى : ما تعبدون من بعد موتي. فيعقوب حريص على بنيه أن يظلوا مستمسكين بالدين الإسلامي وهو ما كان – هو وأبوه إبراهيم عليهما السلام– عليه. والإسلام دين التوحيد فبكلمة (مِنْ) يثبت أن إيمانهم بهذا الدين كان مع أبيهم ومِنْ بعده فلا فاصل يباعد بينهم وبين هذا الإيمان.

٣٧- عصى: في

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ ١٥٢ آل عمران.

وهذه الآية مثل آية سورة محمد " إن الذين كفروا..." حيث إن فيها ثلاثة أفعال (فشل) و (تنازع) و (عصى). وكلها صالح لارتباط (من بعد) به. غير أن فيها من الإيجاز ما يستلزم الإعجاز كما وضحنا ذلك آنفا.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٣٨٢: ٣٨٣.

٣٨- عفا: فى:

قــوله تعالــى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٥٢ البقـرة.. ومــن قبلها قوله ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

وقد عرفنا أن التعبير بـ (ثُمَّ) لبيان بعد المنزلة بين عبادة الله وعبادة العجل. وفى آية العفو يقول (ثم عفونا) لبيان بعد الدرجة بين ما ارتكبوه وعفو الله عنه. ثم جــاء التعبيــر بـــ (مِنْ بعد ذلك) ليثبت التعقيب بين العفو والذنب. فكأنهم وقت ارتكاب المعصية تابوا فعفا الله عنهم.

يقول الألوسى:" ثم : لتفاوت ما بين فعلهم القبيح ولطفه تعالى فى شأنهم. فلا يكون (من بعد ذلك) تكرارا"(١).

٣٩- علــم: فى

قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ ٥ الحج.

وفى سورة النحل الآية ٧٠ يقوله: ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ بدون (مِنْ) والسر فى ذلك كما يقول الخطيب الإسكافى:" أن سياق هذه الآية فيه إجمال لا تفــصيل ففيها يقول الله (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا) ولفظة (بعد) لجملة الزمان المتأخر عن الشئ. ولم يكن الأمر كذلك فى سورة الحج.

---

(١) روح المعانى ٢١٥/١.

لأنه قال:" يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب – يعنـــى أصلكم وهو آدم- ثم من نطفة – أولاده- ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغيــر مخلقـــة لنبين لكم) فذكر تفصيل الأحوال ومباديها فقال (من كذا ومن كذا) لابـــتداء كـــل حال ينتقل منه إلى غيره فكما حدد أوائلها بـــ (مِنْ) كذلك حدد الحال الأخرة المنتقلة عما فيها بـــ (من) فقال (من بعد علم) أى فَقَدَ العلم من بعد أن كان عالما فباين الوضع الأول لذلك"[1].

ومقتـــضى هـــذا النص أن (من) فى (من تراب) و (من نطفة) و (من علقة) و(مـــن مـــضغة) حرف ابتداء أى ابتدأ خلق أبيكم أدم من تراب. ثم ابتداء خلق كل منكم (من نطفة) .. إلخ.

والحـــق – فى نظرى- أن (مِنْ) بعضية فهى اسم ومعناها بيان أن خلق أدم وجـــد حالة كان بعض تراب وكذا خلق ذريته فكل منهم وجد حالة كان بعض نطفة وبعض علقة....إلخ. وقد سبق دراسة ذلك.

أمـــا (مـــن بعد علم) فلا خلاف فى أن (مِنْ) حرف ابتداء. يثبت أن الإنسان مهمـــا طـــال زمن علمه سيأتى عليه حال يزول علمه فزواله عقيب وجوده بدون مسافة زمنية بينهما.

٤٠- غفر: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالـــــى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ ١١٣ التوبة.

---

(١) درة التنزيل ص ٢١٩.

أى لا يجوز للنبى والمؤمنين أن يطلبوا من الله المغفرة للذين أشركوا وحقت عليهم كلمة العذاب ولو كانوا ذوى قربى لهم. لا يجوز لهم ذلك عقيب ما بينه الله لهم من أنهم أصحاب الجحيم. فإذا جاز لهم ذلك من قبل تقرير مصيرهم وبيان مكانهم فى الجحيم فلا يجوز من بعد ذلك حيث قد ماتوا على الشرك بالله.

٤١- غنى: فى

قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ ٢٦ النجم.

يقول الزمخشرى:" معنى أن أمر الشفاعة ضيق. وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلقاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولا تنقع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له. فكيف تشفع الأصنام إليه بعبدتهم – لعله- لعبدتهم"(١).

ومما ينبغى التنبيه إليه قول الزمخشرى (وذلك أن الملائكة.. إلخ) مع أن نص الآية (وكم من ملك) فالأولى جمع والثانية (مفرد) والسر فى ذلك كلمة (من) فى (وكم من ملك) فهى استغراقية تستوعب أفراد الملائكة الذين سخرهم الله للشفاعة لمن تنفعه شفاعتهم وهى اسم بمعنى (بعض). و(شيئا) فى مقام المفعول المطلق. فكأنه قال: لا تغنى عنهم أى غناء. ولكن التعبير بـ (شيئا) أدق وأعلى لأنه يراد به أدنى شئ من الغناء.

---

(١) الكشاف ٤/٣٣٧.

أمــا (من بعد أن يأذن الله) فمن حرف ابتداء معناه التعقيب بين إغناء شفاعة الملائكة وَإِذْنٍ من الله لمن يشاء منهم.

٤٢- فتــن: فى

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ ٨٥ طه.

وفيه قراءتان (أَضَلَّهم) فعل و (أَضَلُّهم) بالرفع اسم تفضيل.

ذكــر الزمخشرى أن السامرى كان ضالا مضلا وهو منسوب إلى قبيلة من بنــى إســرائيل يقــال لها السامرة... وأسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر.

وأنــه افترض غيبة موسى فعزم على إضلالهم غِبَّ انطلاقة وأَخَذَ فى تدبير ذلــك فكان بدء الفتنة موجودا"[1] فقوله (أفترض) معناه: أنتهز فرصة غيبة موسى علــيه السلام وقوله : (غب انطلاقه) معناه في إثر إنطلاقة إذ غبب الشئ عاقبته وهــذا هــو معنــى (مِنْ) فى قوله تعالى: (فَتَنَّا قومك من بعدك). فبدء الفتنة عقب انطلاقة موسى عليه السلام.

٤٣- فــرق: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ ١٤ الشورى، وقوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ ٤ البينة.

---

(١) انظر الكشاف ٦٤/٣.

فمعنى الآية الأولى أن التفرق وقع من هؤلاء عقيب علمهم أن التفرقة ضلال وفساد وعاقبتها هلاك ودمار.

ومـــن المعلوم أن رسلهم هم الذين أخبروهم بذلك وكشفوا لهم عاقبة التفرق والتشرذم من بعدهم.

وأمـــا الآية الثانية فالمراد بالبينة فيها هي رسول الله ﷺ كما جاء في الآيتين ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ١، ٢ البينة.

يقـــول الزمخشري:" وما تفرق الذين أوتوا الكتاب: يعنى أنهم كانوا يعلمون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول. ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقـــرهم على الكفر إلا مجئ الرسول ﷺ ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بِمُنفَكٍّ مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فـــسقا فـــيقول واعظه: لم تكن منفكا عن الفسق حتى تؤسر. وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار. يُذَكِّرُه ما كان بقوله: توبيخا وإلزاما.

وانفكاك الشئ من الشئ أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله.

والمعنـــى: أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجئ البينة. و(البينة) الحجة الواضحة. وفي نسخة: القرآن ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ٣٣ طه.

و (رسول) بدل من (البينة). وفي قراءة عبد الله و (رسولا) حالا من (البينة) و(صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل.

... فإن قلت: لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب)؟

قلت: لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان مَنْ لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف"[1].

وخلاصة ذلك أن أهل الكتاب ومن لَفَّ لفهم لم يكادوا يعلمون ببعثة الرسول الخـاتم ورسالته الخاتمة وهى القرآن الكريم حتى انصرفوا عنها معا أى : الرسول والرسالة. فـ (من) فى قوله (من بعد ما جاءتهم البينة) تثبت تمكنهم من أمر البينة كما تؤكد سرعة انصرافهم عنها عقيب ذلك التمكن.

٤٤- فـرى: فى

قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ ٩٤ آل عمران.

بالـتأمل يدرك القارئ مدى التلاحم والترابط بين آيات القرآن الحكيم إذ هذه الآيـة على الرغم من أنها فى السورة الثالثة من سور القرآن ترتيبا نجد بينها وبين أيـة (البيـنة) وهـى رقم ٩٨ علاقة وثيقة إذ هما معا فى صفات بنى إسرائيل. والمـراد هنا ما حدث بينهم وبين رسول الله ﷺ من محاجة بشأن ما حرم إسرائيل – وهو يعقوب– على نفسه من الطعام فكانوا ينكرون ذلك زاعمين أن ما يقولونه فى التواره. فقال له الله عز وجل ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ٩٣ آل عمران.

---

(١) انظر الكشاف ٦٤/٣.

وأردف " فمن افترى على الله.... الآية " قال الزمخشرى :" يزعم أن ذلك كـان محـرما علـى بنى إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة. (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصتون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات"(١).

فافتـراؤهم الكـذب على الله كان ردفا لتمكنهم من معرفة الأمر الفصل فى تلك المسألة.

٤٥- قتـل: فى

قـوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ٢٥٣ البقرة.

وفى هذه الآية نرى (من بعدهم) صلة (الذين) والمراد الرسل الذين فضل الله بعـضهم على بعض حيث إن منهم من كلم الله. ورفع بعضهم درجات وأتى عيسى بن مريم البينات. وأيده بروح القدس.

ثـم وصف حالة اتباع هؤلاء الرسل وغيرهم. بقوله (الذين من بعدهم) أى أتـباعهم الذين زامنوهم وعايشوهم وعاشروهم فلم يكد هؤلاء الأنبياء يموتون حتى اقتتل أتباعهم.

ثم قال (من بعد ما جاءتهم البينات) كان هذا الاقتتال ممن كانوا على مقربة من الرسل كما كان عقيب علمهم بالبينات التى جاءتهم.

وللعلاقة الوثيقة الدقيقة بين (من بعدهم) و (من بعد ما جاءتهم البينات) جَوَّز أبو البقاء أن تكون الثانية بدلا من الأولى. بإعادة حرف الجر أى (مِنْ) . وأن تكون

---

(١) الكشاف ٢٩٥/١.

متعلقة بـ (اقتتل) ثم قال: والضمير الأول يرجع إلى الرسول ﷺ. والضمير في (جاءتهم) يرجع إلى الأمم"[١].

وفي هذا النص ما يلي:

(أ) أننا لو جعلنا (من بعد ما جاءتهم البينات) بدلا من (من بعدهم) لكانت ضمن صلة الموصول. وهذا واضح.

(ب) يترتب على ذلك أن هؤلاء المقتتلين جمعوا بين صفتين صفة أنهم من بعد الرسل الذين أُرْسِلُوا إليهم. وصفة أنهم اقتتلوا غِبَّ وفاة هؤلاء الرسل.

(ج) ويبدو أن (من بعد ما جاءتهم البينات) مرتبط بالفعل (اقتتل) وأما (من بعدهم) فمرتبط بما يدركه العقل وهو صلة الموصول أى الذين لحقوا تلك الرسل وآمنوا بهم من قبل موتهم. ولعل ذلك سبب قول أبي حيان عن (من بعد ما جاءتهم البينات) :" والظاهر أنه متعلق بـ (اقتتل)[٢].

(د) ويبقى قول أبي البقاء: إن(من بعد ما جاءتهم البينات) بدل من (من بعدهم) بإعادة حرف الجر.

ومما ذكرناه آنفا يثبت أن هذا الإعراب غير لائق لأن (من بعدهم) صلة (الذين) و (من بعد ما جاءتهم البينات) صلة (اقتتل). غير أن ما يرتبط به الأول يدركه العقل. وسيأتي ذكرها.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٥٩/١.

(٢) البحر المحيط ٢٧٤/٢.

٤٦- قسا: فى

قــوله تعالــى:" ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ٧٤ البقرة.

يقــول أبــو حــيان: " أتى بــ (مِنْ) إشعارا بأن القسوة كان ابتداؤها عقيب مــشاهدة ذلك الخارق – إى إحياء القتيل بضربة ببعض البقرة التى ذبحوها- ولكن العطف بــ (ثم) يقتضى المهلة فيتدافع معنى (ثم) ومعنى (مِنّ) فلابد من تجوز فى أحدهما. والتجوز فى(ثم) أولى لأن سجاياهم – أى بنى إسرائيل- تقتضى المبادرة إلى المعاصى بحيث يشاهدون الآية العظيمة فينحرفون إثرها إلى المعصية عنادا"(١).

والحــق أنه لا داعى إلى هذا التجوز لأن معنى (ثُمَّ) وهو التراخى والمباعدة بــين ما قبلها وما بعدها محقق ثابت. عير أنه لا يقاس بمقياس حسى وإنما بمقياس عقلــى. فالــشقه بعيدة بين معنى الموت ومعنى الحياة. وهذه الآية جاءت توضيحا لموقف بنى إسرائيل. فهم قد جادلوا موسى عليه السلام فى شأن البقرة التى أمرهم بــذبحها. ولمــا انتهوا من هذه المجادلة إلى ذبحها ففارقت الحياة ومن المعهود أن الحى هو الذى يؤثر فى الميت فيحيا. ولكن حادثة هذه الآيات خارجة على المألوف المعــروف إذ أَمَــرَ الله بنى إسرائيل أن يضربوا الإنسان الميت الذى فارقته الحياة ببعض تلك البقرة التى ذبحت ففارقتها الحياة. يقول الله ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ٧٣، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾.. الآية.٧٤ البقرة.

---

(١) البحر المحيط ٢٦٢/١.

ألــيس بين ما حدث من إحياء الله الميت بضربة بأجزاء من جسم مَيْتٍ آخر وبــين قسوة هؤلاء بعد لا يقاس بمقياس الزمان ولا بمقياس المكان؟. وأليس الدليل على ذلك هو التعبير بــ (ثم) الدالة على البعد المعنوى الهائل بينهما.؟؟ فلم التجوز الذى ذهب إليه أبو حيان؟ أرى أنه لا داعى إليه.

٤٧- قفـــا: فى

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ ٨٧ البقرة.

يقــول الزمخشرى:" قفاه أتبعه من القفا نحو: ذنبه من الذنب وقفاه أتبعه إياه يعنى: وأرسلنا على أثره – أى موسى عليه السلام– الكثير من الرسل كقوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾ ٤٤ المؤمنون[1].

وقــد يفهم فاهم أن آية المؤمنون فى شأن رسل أرسلهم الله بعد موسى عليه السلام والحق أنها لغير ذلك. إذ جاء فى الآية من بعدها ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ ٤٥: ٤٦ المؤمنون.

إذاً فالمراد بالرسل فى تلك الآية من كانوا قبل موسى عليه السلام. وأما آية البقــرة التــى نحن بصددها ففى شأن الرسل الذين جاءوا من بعد موسى. ولذا قال

---

(١) الكشاف ١/ ٢٠.

أبــو حيان:" و (من) لابتداء الغاية وهو ظاهر لأنه يحكى أن (موسى لم يمت حتى نبئ يوشع"(١).

٤٨- قـــــال: فى

قــوله تعالـــى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾

١٠٤ الإسراء.

وهــذه فـــى شـــأن موسى عليه السلام فقد جاء اسمه فى آية من قبلها وهى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ من ١٠١ إلى ١٠٣.

ويـــرى الزمخشرى أن المراد بالأرض هنا أرض مصر حيث يقول: "اسكنوا الأرض التـــى أراد فـــرعون أن يـــستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) يعنى قيام الـــساعة (جئـــنا بكـــم لفيفا) جمعا مختلطين إياكم وإياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم. واللفيف: الجماعات من قبائل شتى"(٢).

٤٩- كتـــب: فى

قــوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ١٠٥ الأنبياء.

نقـــل الزمخشرى عن: " الشعبى رحمه الله عليه أن المراد: زبور داود عليه السلام. والذكر: التوراة، وقيل: اسم الجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى: اللوح.

---

(١) البحر المحيط ٢٩٨/١.

(٢) الكشاف ٥٤٥/٢.

أى يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾١٣٧ الأعراف، ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٨ الأعراف.

وعن ابن عباس رضى الله عنه: هى أرض الجنة. وقيل: الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

والمراد بالآيتين فى هذا النص هم بنوا إسرائيل. وكان ينبغى أن يلحظ الزمخشرى ترتيبها فى المصحف فيذكر الثانية وهى رقم ١٢٨ قبل الأولى لأنها رقم ١٣٧. ومثلها بقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ ٥ القصص.

وواضح أن المراد أرض الدنيا فى هذه الآيات الثلاث أما آية الأنبياء التى نحن بصدد دراستها فالواضح فيها أنها أرض الآخرة وأنها لا يرثها إلا الصالحون.

وهى بشارة مكتوبة فى الزبور وهو كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر الذى يرى الشعبى أنه التوراة. فالزبور هو المباشر للتوراة. وكان من بعده كتب أخرى إلى بنى إسرائيل. وآخرها الإنجيل: الذى أتى من بعده القرآن وهو الرسالة الخاتمة التى أنزلت على الرسول الخاتم عليه السلام.

---

(١) الكشاف ١٠٩/٣.

٥٠- كتم: فى

قــوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ١٥٩ البقرة.

قد ذكرت كلمة (من) مرتين الأولى فى (من البينات) وهى أسم بمعنى(بعض) وفى محل نصب حالا من (ما) أو من ضميرها الملحوظ أى (ما أنزلناه) حالة كونه بعض البينات والهدى. وقد سبق ذكرها.

والثانية وهى (من بعدما بيناه) وهى حرف ابتداء تثبت أن هؤلاء قد كتموا ما أنــزل الله فى الوقت الذى بينه الله للناس مكتوبا. فالذى كتبه الله كتمه هؤلاء. ولذا قــال أبو البقاء:" من بعد: يتعلق بـــ (يكتمون) لا بـــ (أنزلنا) لفساد المعنى فالإنزال لم يكن بعد التبيين بل الكتمان هو الذى بعده"(١).

٥١- كذب: فى

قــوله تعالــى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ٥ غافر.

وهــنا ينبغى أن نتنبه إلى ذكر (قبلهم) بدون (من) لأن ذلك دليل على اتساع مسافة الزمان بين (قريش) الذين عاد عليهم الضمير فى (قبلهم) وبين (قوم نوح).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/٤٠.

على حين جاء (والأحزاب من بعدهم) أى من بعد قوم نوح وهم الذين تحزبوا علـــى الرسـل وناصـــبوهم العـداء وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم. كما ذكره الزمخشرى[1].

وفـــى ذلك أبلغ الأدلة وأدمغ البراهين على أن كل كلمة فى القرآن لها وزنها ذاتا وموضعا ومكانة.

٥٢- كره: في

قوله تعالى:﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣٣ النور.

روى أنــه كــان لعبد الله بن أبى رأس النفاق سِتُّ جَوارٍ: معاذة ومسبكة. وأمــيمة. وعمــرة. وأروى. وقتـيلة. وكــان يُكْرِههن على البغَاء وضَرَبَ عليهن ضــرائب فـشكت ثنتان منهن – مسبكة وأميمة- إلى رسول الله ﷺ فنزلت ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ .. إلخ الآية.

وإذا تأملـت ذكــر (مِنْ) فى قوله (من بعد إكراههن) تأكدت من غفران الله ورحمــته بهــن حيث نلت مغفرة الله ورحمته ذلك الإكراه. ففى ذلك فضل من الله على المكره وقد أورد الزمخشرى هنا سؤالا وأردفه بالإجابة. وهو:

فــإن قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المُكْرَهة على الزنا بخلاف المكره عليه فى أنها غير آثمة؟

(١) انظر الكشاف ١١٧/٤.

قلت: لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف مـــنه التلف أو ذهاب العضو. من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه فتكون آثمة"[١].

ومقتـــضى هـــذا أن ما يسمى بالاغتصاب فى هذا الزمان لو خلا مما ذكره الزمخشرى من التهديد بغير الزنا يكون إثما. يحتاج إلى مغفرة الله له ورحمته بها. وعليه فلا بد لها من الدفاع عن نفسها عند إكراهها على جريمة الزنا بشتى الوسائل فـــإذا ما فقدت وسائل الدفاع وغُلِبَتْ على أمرها برئت ساحتها من الذنب ومن ثم لا تحتاج إلى مغفرة.

٥٣- كفر: فى:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ ١٠٦ النحل.

وهـــنا لابـــد مـــن لفتة ذهنية إلى أن هذه الآية من سورة النحل. وآية إكراه الفتيات على البغاء من سورة النور. ومع ذلك حينما رُتِّبَتَا حسب وجود (من) فيهما مقترنة بـــ (بعد). كان كأنهما من سورة واحدة إذ قد ربط بينهما برباط وثيق. وألف بينهما عهد عميق.

فـــإذا كانـــت آية النور فى إكراه المرأة على خدش كبريائها وإهدار كرامتها بجريمة الزنا. فإن آية النحل إكراه الرجل على ارتكاب جريمة فى حق جوهر حياته ألا وهو الإيمان بالله.

---

(١) الكشاف ١٨٩/٣.

وصدر هذه الآية (من كفر بالله من بعد إيمانه) مرتبط بنهاية الآية من قبلها وهـــى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ ١٠٥، ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ ﴾، ثم استثنى من ذلك ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾.

فالذى يعقب كفره إيمانه كاذب وعليه غضب من الله وله عذاب عظيم. وهذا من شرح بالكفر صدره. فهو لم يكتف بالمسارعة إلى الكفر عقيب إيمانه بل أضاف إلى ذلك أن شرح صدره واطمأن قلبه بالكفر.

إما من أكره على الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان فلا بأس عليه.

روى أن ناســـا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه فكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان.

ومـــن هـــؤلاء: عمـــار بـــن ياســـر وأبواه، ياسر وسمية، وصهيب وخباب وسالم. عذبوا.

فأمـــا سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فىَ قُبُلِهَاَ بَحَرْبةٍ وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت. وقتل ياسر وهما أو ل قتيلين- أى شهيدين- فى الإسلام. وأما عَمَّار فقد أعطاهم - أى الكافرين العتاة البغاة- ما أرادوا بلسانه مُكْرَهاً. فقيل يـــا رسول الله: إن عَمَّاراً كفر فقال: كلا إن عمارا ملئ إيمانه من قرنه إلى قدمه. واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى. فجعل النبى ﷺ يمـــسح عينـــيه وقـــال: مالك؟ إن عادوا لك فعد لهم بما قلت... إلى أخر ما ذكره الزمخـــشرى وحسبنا منه قوله: " فإن قلت: أى الأمرين أفضل أَفِعْلُ عَمَّار أم فِعْل

أبــويه؟ قلــت بــل فعــل أبــويه لأن فــى ترك التَّقِيَّة والصبر على القتل إعزازا للإسلام....إلخ"[١].

٥٤- كف: فى

قــوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ٢٤ الفتح.

والمعنــى أن الله هو الذى كف أيدى أهل مكة عنكم وكف أيديكم عنهم ببطن مكــة – أى منــى– أى قضى بينهم وبينكم الْمَكَافَّة والمحاجزة بعد ما نولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح.

وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا.."[٢].

ففــى هــذه الآية أمران جميلان يثبتان أن فضل الله على المؤمنين كان قويا عزيــزا حيث إنه من عليهم أولا بفتح مكة ثم أردف ذلك بأنه حاجز بينهم فلم يقع بيــنهم قتال حينما التقيا ببطن مكة وكان ذلك عقب إظفارهم – أى المسلمين– على أهل مكة. ومن ثم جاء التعبير (من بعد) فـــ (من) ابتدائية تعقيبية.

٥٥- كان: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ ٩ يوسف.

---

(١) الكشاف ٢/٤٩٦.

(٢) الكشاف ٤/٢٧١.

ومــن قبل آية الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ١٧٢، ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ ١٧٣.

ويرى الزمخشرى أن المراد ببنى آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قــال: عزيــز بن الله: وبذرياتهم: الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ من أخلافهم المقتدين بآياتهم بدليل قوله: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾، والدليل علــى أنهــا فى اليهود الآيات التى عطفت عليها هى. مثل قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ ١٦٣، ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَو مُعَذِّبُهُمْ ﴾، ١٦٤ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ١٦٧ ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ ١٧١...

وبدلــيل الآيــات التى عُطِفَتْ عليها مثل قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ١٧٥.

فهــذه الآية وتلك الآيات كلها فى شأن اليهود مما يجعل المراد بــ (بنى أدم) فى الآية رقم ١٧٢ هم بنوا إسرائيل.

ويــرى ابــن المنير أن الأظهر أنها شاملة لجملة بنى آدم فتدخل اليهود فى عمــومها لأن كــل واحد من بنى آدم يصدق عليه الأمران جميعا أنه ابن آدم وأنه ذريته. ولا يخرج عن هذا إلا أدم عليه السلام.

وإنمــا لم يذكره لظهوره. ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى فى فن البلاغة باللف اختصارا وإيجازا"[1].

وأرى أن الخلاف فى ذلك هين وسهل إذ لا غبار على أى من هذين الرأيين. والــذى يعنيــنا هنا (وكنا ذرية من بعدهم) لأن المعهود أن الذرية تعقب لا محالة الآباء. على هذا يبدوا وأن (من) هنا غير ذات بال إذ -فى الظاهر- لا يحتاج إليها المقام ولا المقال.

والحق غير ذلك لأن البشر فى القرن العشرين يطلق عليهم ذرية آدم وبينهم وبيــنه القــرون الطوال الخوالى التى لا يعرف مداها إلا الله لقوله تعالى: ﴿ قَالَ- فرعون- فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ٥١، ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ ٥٢ طه.

ومن هنا يتضح بما لا خفاء معه ولا شك فيه أن (مِنْ) مطلوبة لأنها تثبت أن الذريــة هــنا هى ذرية بنى إسرائيل التى كانت فى عهد رسول الله محمد ﷺ. وهم أقــرب ما يكون القرب من آبائهم الذين كانوا فى عهد موسى عليه السلام. إذ النبى محمد هو العاقب لــ (موسى) من حيث إن عيسى عليه السلام كان مرسلا إلى بنى إسرائيل وإن لم يكن منهم.

---

(١) الكشاف ١٢٨/٢ وهامشها.

ومما يعزز ذلك قولهم (إنما أشرك آباؤنا من قبل) أى الذين كانوا فى عهد موسى وعيسى عليهما السلام

هذا وربما يقال إن (من بعدهم) مرتبط بـ (ذرية) على أنه وصف لها فكان المناسب ذكر هذه الآية مع المادة اللغوية المبدوءة بالذال وقد سبقت.

والجواب عن ذلك أن (من بعدهم) المراد به هنا الزمان الذى يباشر زمان آبائهم. ومن المقرر فى علم اللغة أن الزمان لا يكون وصفا للذات مثل (ذرية) إذ لا يقال: محمد اليوم.

ومن هنا جعلنا (من بعدهم) مرتبطا بـ (كان) فى (كنا ذرية). أى كنا من بعدهم.

أما آية يوسف (وتكونوا من بعده قوما صالحين) فهى فى حق إخوة يوسف حينما أرادوا الكيد له والإئتمار به ليقتلوه أو يطرحوه أرضا فيخلو لهم وجه أبيهم. ويكونوا من بعده -أى يوسف- قوما صالحين.

فالتعقيب هنا واضح أى وضوح لأنه يثبت - فى نظرهم- أن صالحهم يعقب التخلص منه. يقول الزمخشرى:" يخل لكم وجه أبيكم: يُقْبِل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم... أو يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) أى من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب. أو يرجع الضمير إلى مصدر (اقتلوا أو اطرحوا) -يعنى من بعد قتله أو طرحه- (قوما صالحين) تائبين إلى الله مما جنيتم عليه. أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه. أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده يخلو وجه أبيكم"(١).

٥٦- مَدَّ: فى

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ ٢٧ لقمان.

---

(١) الكشاف ٣٤٨/٢.

و (من) هنا تثبت مباشرة الأبحر للبحر فلو قيل (يمده بعده) لما كان من الدقة مثل (من بعده) لأنه يوحى بأن يكون هناك فواصل بين تلك الأبحر وهذا البحر. فكيف يتيسر مدها له؟

٥٧- مسك: فى

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ ٤١ فاطر.

قال الزمخشرى: "من: للابتداء أى من بعد إمساكه(١)".

ولا يخفى على القارئ أن (مِنْ) فى (مِنْ أحد) بعضية و (إن) قبلها نافية أى ولئن زالتا ما أمسكها بعض ما يطلق عليه (أحد). وبذلك تجمع الآية بين (مِنْ) التى تستغرق نفى الجنس و (مِنْ) التى تستوعب الزمان من أوله إلى ما شاء الله.

٥٨- ملأ: فى

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٤٦ البقرة.

و(مِنْ) الأولى وصف لـ (الملأ) إما نعتا فتكون فى محل خفض. وإما حالا فتكون فى محل نصب. فهى اسم بمعنى (بعض). وأما (من بعد موسى) فهى حرف ابتداء تدل على التعقيب وهو أن هذا الملأ كان فى إِثْر موسى أى عقبه.

٥٩- نزل: فى خمس آيات:

قوله تعالى: ﴿ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ ٦٥، ١٥٤ آل عمران

---

(١) الكشاف ٣/٤٨٨.

وقـوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ٢٨ يـس. وقـوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ ٢٨ الـشورى. وقـوله: ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ٣٠ الأحقاف.

ففى الآية الأولى وهو (لم تحاجون فى إبراهيم) يقول الزمخشرى " زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم. وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه. فقيل لهم: إن اليهودية حدثت بعد نزول التوراة. والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة. وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة"[1].

وربمـا يفهم من هذا أن (من) فى (من قبله) لا تدل على التعقيب مع دلالتها علـى الابتداء. والحق غير ذلك لأن الأنبياء الثلاثة وهم إبراهيم وموسى وعيسى. تجمـع بيـنهم صفة أولى العزم وما ذاك إلا للعلاقة الوثيقة والرباط العميق بينهم فكأنهم – مع تراخى الزمن واتساع مساحته– لا يفصل بينهم فاصل ولا يقوم بينهم حاجب يحجب أحدهم عن الآخرين. وبذلك يستقيم المعنى لـ (مِنْ) .

وأما قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم آمنة) فـ (ثم) للتراخى المعنوى إذ أن الغم ثقيل على النفس يجعلها تستبطئ الزمان لثقله عليها. وحينما يعقبه الآمنة يزول كأن لم يكن.

---

(١) الكشاف ٢٨٤/١.

ومما يؤيد ذلك ويثبته أن الإنسان منا لو كان منتظراً لشئ مرغوب يستعجله فتمـــر عليه الثوانى كأنها ساعات. وكذا لو جلس مع إنسان ينكره ولا يعرفه وينأى عنه ولا يألفه. على العكس مما لو جلس مع من يحب ويعرف ويألف. فإن الساعات معـــه تمـــر كطرقة عين أو أقل من ذلك. ومن ثم قيل ما قيل وهو أجدر بالقبول: " سَنَةُ الحبيب سِنَه. وسِنَةُ العدو سَنَة".

وقـــوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند) تدل (من بعْده) فيه على أن هناك فترة بين ذلك الرسول وهو كما يقال (حبيب النجار) الذى أرسل إلى أنطاكيه وبين من أنزله الله من الجند بعده لأن النفى منصب على التعقيب الذى تؤديه (مِنْ) وفى ذلك دليل على أن الجند جاءتها بعد فترة. وأما (مِنْ جند) فـــ (من) بعضية أى اسم فى محل نصب مفعولا به. أى بعض هذا الجند.

وفـــى آية الشورى (ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) تدل (مِنْ) على أن الغيث يعقـــب القـــنوط كما أن النصر يعقب الإستيئاس كما فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ ١١٠ يوسف.

وتبقى آية الأحقاف (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وهى قول النفر من الجـــن الـــذين اســـتمعوا القرآن من الرسول الخاتم محمدﷺ. ولما ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا... إلخ.

وربما يفهم فاهم أو توهم واهم أن (مِنْ) فى (من بعد موسى) لا تفيد التعقيب والمباشرة بين القرآن والتوراه لأن الإنجيل بينهما.

وإجابـــة على ذلك نقول: إن الإنجيل بمثابة تتميم للتوراة فلبس مستقلا بذاته. كما سبقت إشارات إلى هذا.

ويـــرى الزمخـــشرى غير ذلك حيث يقول: " فإن قلت: كيف قالوا (من بعد موسى)؟ قلت: عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية. وعن (بن عباس رضى الله عنهما: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت: من بعد موسى"[1].

ومقتــضى هذا أن الجن كانت تبعث إليهم الرسل شأنهم فى ذلك شأن الإنس. وهذا ما تثبته آيات كثيرة.

٦٠- نشأ: فى ثلاث آيات:

قــوله تعالى: ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ ٦ الأنعام، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ ٣١، ٤٢ المؤمنون.

وأول آية الأنعام: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾.

وذكر الزمخشرى : أن المعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيــرهم مـــن البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا

---

(١) الكشاف ٢٤٨/١.

والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو السحاب أو المطر، والمدرار" المغزار.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخر من بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا وَيُخَرِّب بلاده منهم فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ ١٥ الشمس[١].

والقرن: يطلق على فترة من الزمان قيل: عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو أربعون أو خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون. أو مائة أو مائة وعشرون سنة. ذكره المجد ثم قال والأول – أي المائة– هو الأصح لقوله ﷺ : لغلام:" عش قرنا فعاش مائة سنة وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد"[٢].

وإذا كان هذا معنى قرن فالمراد هنا الأمة فهي التي تهلك وليس الزمان. ولذا قال الزمخشري (لا يتعاظمه أن يهلك قرنا – أي أُمَّةً– ويخرب بلاده منهم). وليس بالضرورة أن يكون أمد هذه الأمة مائة سنة بل ربما يكون أقل من ذلك أو أكثر.

والمتأمل في هذه الآية يدرك أنها إنذار شديد بالويل والوعيد لأهل مكة. لأن صدرها: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) و (من) الأولى تثبت قرب العهد بمن هلك حتى يعلموا به. و(من) الثانية تفيد الاستغراق إذ معناها (ببعض قرن) والقادر على إهلاك البعض قادر على إهلاك الكل. ثم قوله (وأنشأنا من بعدهم قرنا) أي أنه لم يُهلك ليخرب الأرض من بعده بل لأن كلمة العذاب حقت عليه فيخلي الأرض منه ثم ينشئ عقيب ذلك – وهذا معنى: مِنْ في (من بعدهم قرنا آخرين) وهنا نرى الوصف جمعا. وما ذلك إلا لأن القرن ذو عدد وفير كثير.

---

(١) الكشاف ٤/٢.

(٢) القاموس ٢٥٧/٤ وهامشها.

وفـــى آية المؤمنون الأولى يقول الزمخشرى: قرنا آخرين: هم عاد قوم هود عــن ابــن عــباس رضـــى الله عــنهما. وتــشهد له حكاية الله تعالى قول هود: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ ٦٩ الأعــراف ، ومجئ قصة هود على إثر قصة نوح فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء"[١].

وأمـــا آيـــة المؤمـــنون الثانـــية (ثـــم أنشأ من بعدم قرونا آخرين) فقد فسر الزمخشرى (قرونا) بـــ : قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما: بنى إسرائيل"[٢].

وممـــا ينبغى ملاحظته ذكر (ثُمَّ) فى آيتى المؤمنون. ولم يعد ذلك خافيا على القـــارئ بعد ما كررناه كثيرا وهو أنها لا تدل على التراخى فى الزمان فقط بل قد تكون للفرق الواسع العريض بين ما قبلها وما بعدها فى القيمة والمنزلة سواء كان ذلك فى الرفعة أو الصفة.

٦١- نصر: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــــى:﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ١٦٠ آل عمران، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ ٢٢٧ الشعراء.

قـــال الزمخشرى فى الأولى:" أى من بعد خذلانه. أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته"[٣].

---

(١) الكشاف ٣/١٤٥: ١٤٦.

(٢) الكشاف ٣/١٤٨.

(٣) الكشاف ١/٣٣٣.

وقال الألوسى:" فـ (بعد) على الأول ظرف زمان وهو الأصل فيها؛ وعلى الثانى مستعار للمكان"[١].

وأرى أنه لا داعى إلى الإستعارة. لأن (بعد) صالحة للمكان بذاتها إذ لا مانع مـن قولـنا: جلست من بعد محمد. أى مباشرا له. فى المكان كما أنه لا مانع من قولنا: جئت من بعد محمد أى مباشر له فى الزمان.

أمـا قـوله (وانتـصروا من بعد ما ظلموا) ففيه إثبات أن المؤمنين صفتهم اللازمـة لهـم أنهم ينتصرون به لأنفسهم ويثأرون لكرامتهم من فورهم إذا اعتدى عليهم غيرهم. لأنهم فى هذه الحالة يكون شعورهم ملتهبا فيحملهم على الثأر أما لو استكانوا وانتظروا ولو قليلا من الزمان فإن شعورهم الملتهب يكون قد تجمد وخمد فيعجزون بل لا تراودهم نفوسهم بالثأر. وهكذا يعلمنا الله كيف تكون مباغتة العدو.

٦٢- نفـق: فى

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ﴾

١٠ الحديد.

و (أولـئك) إشارة إلى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يقول الزمخـشرى:" لا يـستوى منكم من أنفق قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه. ومن أنفق من بعد الفتح. فحذف لوضوح الدلالة"[٢].

---

(١) روح المعانى ١/٧٠٨.

(٢) الكشاف ٤/٣٧٩.

وبالـــتأمل فـــى هذه الآية ندرك أن (منكم) بعضية تشمل النوعين معا أى لا يـــستوى بعـــضكم. فهـــو فاعـــل (يستوى) وفيها احتمال فصله (من أنفق من قبل الفـــتح.... ومن أنفق من بعده. و (من) مع الظرفين (قبل) و (بعد) للتعقيب إذا كان إنفـــاق الأولـــين مباشـــرا للفتح لأن القتال لابد له من مال. ثم كان إنفاق الآخرين مباشرا له إذ القتال يستنفد ما قبله من المال. فيحتاج المجتمع المسلم المجاهد دائما. إلى مال من بعد القتال استعدادا لم سيحدث من جانب. وعلاجا لم أحدثه من جانب آخـــر. ولا شـــك أن احتياج المسلمين إلى المال لإعداد العدة للقتال أقوى وأشد من احتـــياجهم إلـــيه بعد القتال ومن قم كان أصحاب الإنفاق الأول (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد..).

وأما (من) فى (من الذين) فهى التفضيلية وسيأتى الحديث عنها.

٦٣- نقض: فى ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ ٢٧ البقرة.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ ٢٥ الرعد.

وهـــنا نجـــد (من) للتعقيب فى الزمان لا فى المكان. وفيه أبلغ حجة على أن استعمالها لذلك حقيقى لا مجازى كما نبهنا إليه قريبا. ومن العجيب – بعد ذلك- أن نقرأ قول أبى البقاء فى الآية الأولى:" من: لابتداء غاية الزمان على رأى من أجاز ذلـــك. وزائـــدة على رأى من لم يجزه. وهو مشكل على أصله لأنه لا يجيز زيادة (من) فى الواجب"[١].

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ١٥.

أرأيـت تحكمـا فـى النص القرآنى الذى هو العنصر الأساسى للغة العربية ودراستها بعد هذا التحم؟!

والحـق أن الآيـة ليست فقيرة إلى هذا فـ (من) تستعمل للغاية الزمانية كما تـستعمل للغايـة المكانـية. والدليل هذه الآية فحسب إذ دعوى المجاز أو الزيادة هنا باطلة.

ويقول أبو حيان :" من: متعلقة بـ (ينقضون) وهى لابتداء الغاية ويدل على أن الـنقض حصل عقيب توثيق العهد من غير فصل بينهماوفى ذلك دليل على عدم اكتراثهم بالعهد. فإثر ما استوثق الله منهم نقضوه. وقيل (من) زائدة وهو بعيد"[١].

ولا يغيب عنا أن دعوى الزيادة باطلة.

٦٤- نكـث: فى

قـوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ١٢ التوبة.

فـ (مـن) هـنا تثـبت أن نكث اليمين مباشر لإيراثهم العهد. كما عرفنا ذلك كثيرا.

ويقـول الزمخشرى:" فإن قلت: كيف أثبت لهم الأيمان فى قوله (وإن نكثوا أيمانهم) ثم نفاها عنهم؟.

(١) البحر المحيط ١/ ١٢٧ وانظر روح المعانى ١/ ١٧٧.

قلت: أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال: لا أيمان لهم على الحقيقة؛ وأيمانهم ليست بأيمان..." (١).

٦٥- نكـــح: فى

قـــوله تعالـــــى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ٥٣ الأحزاب.

والتعبيـــر بــ (من) هنا يثبت أنهن لا عدة عليهن لأن الزوجية قائمة. هذا ما رجحه ابن العربى فقال:" وقد اختلف فى حالهن بعد موته. هل بقين أزواجا أو زال النكاح بالموت؟ وإذا قلنا : إن حكم النكاح زال بالموت فهل عليهن عدة أم لا؟

فقـــيل: علـــيهن العدة لأنهن زوجات تُوفِّىَ عنهن وهى عبادة. وقيل: لا عدة عليهن لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الإباحة. وببقاء الزوجية أقول.... ومعنى بقاء النكاح بقاء أحكامه من تحريم الزوجية .. إلخ"(٢).

ولعـــل هذا ما جعل الزمخشرى يقول: " وذكر أن بعضهم قال: أنهى أن نكلم بـــنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم، وهو من إعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا. وإعلان بذلك ممـــا طـــيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره؛ فإن نحو هذا ما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلى منه فكره. ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تُنْكَحَ من بعده"(٣).

---

(١) الكشاف ٢/١٩٧.

(٢) أحكام القرآن ٣/ ١٥٦٧، ١٥٦٨.

(٣) الكشاف ٣/٤٣٩.

فـ (من) لابد منها حتى يثبت التعقيب بين عدم نكاحهن وموت الرسول ﷺ. ولو قيل: (ولا أن تنكحوا أزواجه بعده) لاحتمل تراخى حرمة نكاحهن. وربما يشير ذلك إلى أن عليهن العدة.

٦٦- هجر: فى آيتين من سورة النحل وهما:

قـوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ٤١، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١١٠.

يقول الزمخشرى فى الأولى:" والذين هاجروا: هم رسول الله ﷺ وأصحابه. ظلمهـم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله. منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم من هاجر إلى المدينة.

وقـيل: هـم الـذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله ﷺ وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم. منهم بلال وصهيب وَخَبَّاب وَعَمَّار. وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم. وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر. فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال له: ربح البيع يا صهيب. وقال له عمر: نِعْمَ الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. وهو ثناء عظيم يريد: لو لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف. أى فكيف لا يطيعه وقد خلقها لمن عصى"[١].

ثم قال فى الثانية:" ثم إن ربك: دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك. وهـم عَمَّـار و أصحابه. ومعنى: إن ربك لهم: أنه لهم لا عليهم بمعنى: أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه. فيكون محميا منفوعا

---

(١) الكشاف ٤٧٢/٢ وهامشها.

غيــر مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والإكراه على الكفر. وقرئ (فتنوا) على البـناء للفاعل أى بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمى وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الأفعال وهى: الهجرة والجهاد والصبر"[1].

فقوله: (دلالة على تباعد حال.. إلخ) يثبت أن (ثم) تدل على التراخى والتباعد فــى المنزلة لا فى الأمكنة . وقد ألفنا ذلك كثيرا وأما (مِنْ) فى (من بعد ما ظلموا) و (مــن بعــد ما فتنوا) و (من بعدها) فهى للتعقيب الذى يعبر عنه بالابتداء أى أن الهجــرة أعقبت الظلم لأن حرارته كانت مؤججة فى قلوبهم فدفعتهم دفعا عنيفا قويا إلــى مفارقة مكانه. ومن ثم استحقوا قوله: لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

وكــذلك الهجرة كانت عقيب الفتنة حتى لا تستكين النفوس وينخذل الإنسان من داخله فيهوى جسده جثة هامدة. ومن هنا يفقدون صلتهم بالله عز وجل.

وأمــا (إن ربــك مــن بعها) فيدل على أن مغفرته ورحمته كانت بالمرصاد لهــؤلاء ومصاحبة لهم ومن كانتا مُصَاحِبة له فقد ضمن النصر المؤزر فى الدنيا، والأجر الأوفر فى الآخرة.

٦٧- هــدى: فى

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٣ الجاثية.

---

(١) الكشاف ٤٩٧/٢.

أى هـو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه. و (أضله الله على علم) ... أى على علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألطاف المحصلة والمقربة للهداية. (فمن يهديه من بعد إضلال الله)[1].

والمتأمل فى هذه الآية يدرك خلاصتها وهى: أن الإنسان هو الذى يبدأ الانحراف عن الجادة والإنصراف إلى الهاوية حيث يحيط به هواه. أى حب الشهوات والانغماس فى المتع الرخيصة الزائلة. فإذا ما وصل إلى هذه الحال أضله الله وهو يتوهم أنه عالم. بل يجعل علمه وسيلة هلاكه ويختم على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة أى يجفف وسائل العلم وهى السمع والبصر والقلب فيجعل على سمعه وقلبه خاتما كما فى قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ٧ البقرة.

والمراد بهذا أنه بعمى عن سبل الخير والهدى والرشاد بواسطة العلم الضال.

والذى تميل إليه النفس ويطمئن به القلب ويستبصره العقل أن هذه الآية تنطبق على زماننا الذى نعيشه وهو نهاية القرن العشرين ومطالع القرن الواحد والعشرين فاللهم لطفك بنا.

وقوله (فمن يهديه من بعد الله) معناه أنه لا هادى له من بعد تركه هدى الله فما دام الله قد أضله فلا يهديه سواه.

٦٨- هلك: فى

قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ ١٧ الإسراء.

---

(١) انظر الكشاف ٤/٢٢٠ وهامشها.

أى أن مـــا أهلكهم الله فى إثر قوم نوح كثير لا نزر يسير. وإنما البشر على وجه يتسع ومن ثم يقال عنه: إنه آدم الثانى. فلم يكن من قبله آمة أو أمم تحق عليهم كلمـــة العذاب. ولذا قال (من بعد نوح) أى أن الذين أهلكهم الله أولا كانوا قومه ثم تبعهم من كانوا من بعدهم.

و (من) فى (من القرون) أ بعض القرون. وقد سبق دراستها.

٦٩- هُــم: فى

قوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ٣ الروم.

أى المغلوبـــون سيعقب ذلك أن يغلبوا. فـــ (من) فى (من بعد) تجعل الثانى عقـــيب الأول. ولـــذا جئ بالسين فى (سيغلبون) وهى تدل على تقارب الوقتين أى تلاحمهمـــا. وهكذا نرى التناسق العجيب بين مفردات القرآن التى تتآلف وتتعارف وتتآزر فى إثبات المعنى المراد.

٧٠- وحـــى: فى

قـــوله تعالـــى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ١٦٣ النساء.

ســـبقت إشارة إلى أن (نوحا) هو أول نبى ورسول إلى البشر ثم تلاه وأعقبه أى جـــاء فى عقبه النبيون. وهذا المعنى هو ما تثبته (مِنْ) فى (من بعده). فالله عز وجل لم يهمل البشر يرعون كالبقر يرتعون ولا يرتاعون بل خلقهم مزوَّدين بوسائل الهدايـــة الضلالة ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ٧، ٨ الـــشمس، ثـــم أرسل إليهم النبيين ليرسموا لهم طريق الهدى والرشاد ويكشفوا عن

طرق الغواية والفساد.﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ ١٥٣ الأنعام.

هذا هو المعنى الذى توحى به تلكم الآية. ولكن أبا البقاء يجوز أن تتعلق (من) بـ (أوحينا) أو بـ (النبيين) ومنع أن تكون حالا من: النبيين لأن ظروف الزمان لا تكون أحوالا للجثث"[١].

وهذا التراداد بين تلك الأوجه لا حاجة بالآية إليه لأن المعنى الذى تستشفه النفس ويجتليه القلب أن (من بعده) مرتبط بالفعل أى (أوحينا) وأما قوله إن ظرف الزمان لا يقع حالا من الجثة فهذا لا يطلبه المقام هنا إذ المعنى كما أوحينا إلى نوح وأوحينا إلى النبيين من بعده. ففى الآية إيجاز جميل.

ومما ينبغى لفت الذهن إليه أن صدر الآية (إنا أوحينا إليك) أى الرسول محمد ﷺ. فهو خاتم الرسل زمانا ولكنه صدرهم وحيا وبيانا وكأن قول الله (من بعده) لا تشمله لأنه سابق عليهم قدراً ومكانة.

٧١- ود: فى

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ ١٠٩ البقرة.

والمقصود قوله (من بعد ما تبين) فـ (من) مرتبطة بالفعل (ود) أمّا (من بعد إيمانكم) فقد سبق دارستها فى مادة (ردّ) .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١١٤.

يقـول أبو البقاء: "من بعد ما تبين: متعلق بـ (ود) و (من) لابتداء الغاية أى أن ودادتهم ذلك ابتدئت من حين وضوح الحق وتبينه لهم فكفرهم عناد"(١).

٧٢- ورث: فى

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ١٠٠ الأعـراف. وقـوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ١٤ الشورى.

فالآية الأولى تنطوى على تحذير من يورثهم الله الأرض عقيب إهلاك أهلها. من أنهم لو لم يلتزموا الصراط المستقيم صُبَّتْ عليهم نقم الله بسبب ذنوبهم وخلفهم غيرهم فى تلك الأرض كما ورثوها هم من بعد أهلها.

ومعنـى هـذا كلـه أن عمارة الأرض والتمكن فيها والتمتع بخيراتها رهن باستمـساك أهلهـا بتعالـيم الله ومـا رسـمه لعباده طريقا للهدى والرشاد والحق والعدل والسداد.

فمعنـى (يهـد لهـم) يبين لهم. فبينه وبين (يهديهم) فرق لأن الثانى بمعنى يرشـدهم ويضع أقدامهم وأفهامهم على طريق الهداية والاستقامة، وأما الآية الثانية فـصدرها: ﴿ ومـا تفـرقوا إلا مـن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.....وإن الذين أورثوا....﴾.

والمراد بـ (من تفرقوا...) أهل الكتاب وكان تفرقهم عقيب ما جاءهم العلم. فكـأن العلم هو سبب تفرقهم والمراد: العلم الذى لا يسير فى طريق الهدى والرشاد

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١١٤.

بــل يسلك مسالك الردى والفساد. كما نرى ذلك فى أيامنا هذه.. يقول الزمخشرى " وإنما اختلفوا للبغى بينهم. وقيل: وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمــبعث رسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ ٤ البينة.

وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون. أورثوا القرآن من بعدما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل"(١).

٧٣- ولى: فى أربع آيات:

قــوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ٦٤ البقرة. وقوله: ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ٤٣ المائدة. وقوله: ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ٤٧ النور. وقوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ٤٤ الشورى.

ولعــل القــارئ يذكر أن التعبير بــ (ثم) فى الآيات الثلاث الأولى للتراخى والتباعد بين ما قبلها وما بعدها ففى الآية الأولى نقرأ قبلها قوله تعالى: " وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور.. الآية". وهى خطاب لبنى إسرائيل. ولما لم يفعلوا ما أمروا بل تركوه وراءهم ظهريا قال لهم: (ثم توليتم) أى باعدتم بينكم وبين ما عهدنا به إليكم من أخذ الكتاب بقوة وذكر ما فيه لتتقوا ما يهلككم. ثم جاءت (من بعد ذلك) تثبت أن توليهم كان عقب ما عهد به إليهم. فالشقة بعيدة بين ما أمرهم به وبين ما فعلــوه. وهذا مدلول (ثم) وتوليهم عما أمروا به كان فى ذلك الأمر. فلم يحافظوا

---

(١) الكشاف ١٦٩/٤.

على الميثاق ولم يأخذوا ما آتاهم بقوة ولم يذكروا ما فيه أى يحفظوه ويدرسوه حتى لا ينسوه[١].

ويقـول أبو حيان" وأصل التولى أن يكون بالجسم ثم استعمل فى الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعا ومجازا. ودخول (ثُمَّ) يشعر بالمهلة و (من) نشعر بابتداء الغاية لكن بين الجملتين كلام محذوف والتقدير (فأخذتم ثم ما آيتناكم ونكرتم ما فيه وعلمتم مقتضاه. وعلى هذا فلا بد من ارتكاب مجاز في مدلول (من) وإنـه لِسُرْعةِ التولـى منهم واجتماعهم عليه كأنه ما تخلل بين ما أُمِرُوا به وبين التولى شئ[٢].

ففى هذا النص دعوى المجاز فى (توليتم) وفى (من). بدون داع.

لأن التولـى بالجسم لا يتحقق إلا بالإعراض النفسى وعدم الاطمئنان القلبى. فالحركة بنت الشعور والإحساس والباطن. فكيف يكون أساس الشئ مجازا فيه؟؟

وأمـا (من) فأصلها الدلالة على الابتداء والتعقيب أى أنهم لم يلبثوا عند أخذا الميـثاق ورفـع الطور فوقهم وأمرهم بأخذ ما آتاهم بقوة وذكر ما فيه. حتى تولوا من بعده.

وأمـا آيـة المائدة فهى فى حق بنى إسرائيل أيضا وأولها:" وكيف يحكمون وعندهم التوراه فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك".

يقول الزمخشرى:" وكيف يحكمونك: تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الإيمان به (ثم يتولون

---

(١) انظر الكشاف ١/١١٠.

(٢) البحر المحيط ١/٢٤٤.

مـن بعـد ذلـك) ثـم يعرضـون مـن بعـد تحكيمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به"[١].

فتولـيهم مباشر لتحكيمهم إياه. ولبعد المنزلة بين حالتيهم عبر بـ (ثم) وفى آية النور ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٧.

ففـى قـوله (ومـا أولئك بالمؤمنين) إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولى.

فمعـناه على الأول: إعلام من الله بأن جميعهم مُنْتَفٍ عنهم الإيمان لا الفريق المتولى وحده.

ومعناه على الثانى: إعلام بأن الفريق المتولى لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانـا إنمـا ادّعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولى والإعراض. والتعريف فى قوله (بالمؤمنين) دلالـة علـى أنهـم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت. وهم: الثابتون المستقيمون على الإيمـان الموصـوفون فـى قـوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ ١٥ الحجرات[٢].

---

(١) الكشاف ٤٩٤/١.

(٢) انظر الكشاف ١٩٥/٣.

وبالـــتأمل فى (لم يتعقبه التولى والإعراض) يدرك القارئ معنى قوله تعالى (من بعد ذلك) فـــ (من) هى التي أفادت التعقيب. أما (ثم) فتفيد المباعدة فى الرتبة والمنزلة بين ما قبلها وما بعدها.

وممـــا ينبغى الإشارة إليه: الباء في قوله (وما أولئك بالمؤمنين) فلعل القارئ يعـــرف أنهـــا مـــزعوم زيادتها والحق أنها للمشابهة ومن ثم تكسب الآية عمقا فى الدلالـــة لأنها تقتضي نفى الشابهة بين هؤلاء والمؤمنين حقا. فكيف يكونون – مع ذلك- كاملى الإيمان؟؟ فلكل كلمة فى القرآن سحرها العجيب وسرها الغريب.

وأمـــا الآية الرابعة فهى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ٤٤ الشورى.

فـــ (مـــن بعده) مرتبط بـــ (وَلِيّ) وهو من مادة (و ل ى) ولذا ذكرت هذه الآية هنا. والواضح أن (من) تنفى كل شئ ماعدا الله عز وجل فلا يمكن أن يهديه غيـــر الله إذا أضله الله. والله منزه عن الزمان والمكان فالتعقيب هنا معنوى يدركه العقل المفكر والقلب المستبصر والشعور الصادق والإحساس العميق.

ويجـــدر التنبيه إلى (مِّن وَلِيّ) ليتذكر مَنْ ربما يكون فد نسى حكمها وقيمتها فهـــى بعضية استغراقية فاعل بالظرف (له) والمعنى: فما يخصه بعض هذا الجنس من بعد الله.

تعقيـــب:

ويبقـــى الحديث عقب دراسة آيات (من) المقترنة بـــ (بعد) والمرتبطة بمادة لغـــوية تثبت حدثا من الأحداث. أقول: يبقى الحديث عن ثلاث آيات وقع (من بعد) فـــيها مباشرا (الذين) أى فى مقام صلة الموصول وهى: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ

ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ ٢٥٣ البقـــرة. وقـــوله ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٩ إبراهيم. وقوله: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ٣١ غافر.

وإذا استحضرنا ههنا ما قرره النحاة فى مثل هذه الآيات علمنا أنه لا بد من تقريـــر ما يدل على الحدث نحو: كان واستقر وما يدور فى فلكهما. فالتقدير: الذين كانوا أو استقروا من بعدهم....

ومـــا حملهم على هذا التقدير إلا الصناعة النحوية التى ربما يقال: إنها تُعْنَى عناية زائدة بالألفاظ حتى لو كان ذلك على حساب المعنى الذى يدركه العقل.

ولهـــذا أرى: أنه ما من شك فى أن أحدا ممن يقرأ تلك الآيات يجد نفسه فى حاجـــة إلى لفظ يذكره اللسان. لأن المعنى يدركه الجنان بدون ذلك اللفظ. لأن (من بعـــدهم) معـــناه: الوجود إذ لا يكون قبلا ولا بعدا إلا شئ موجود. فهذه بديهة من البدهيات العقلية التى يستغنى استغناء كاملا عن ذلك الذى يُعْنَى النحاة بتقديره.

ولو ترتب عليه تكدير صفو النص. وتشويه جماله. والنيل من كماله. فاللغة العربية لغة البيان والمعنى والفكر والوجدان قبل أن تكون لغة اللسان. ولا أَدَلَّ على ذلـــك مـــن قـــوله" ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ١٦٧ آل عمران.

فلاشـــك إذًا فى تمام الدلالة على المعنى (الذين من بعدهم) إذا الصلة كالخبر يـــتم بـــه المعنى. والظرف يقع خبرا بدون تقدير كما حققنا ذلك. نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٣ الأنعام.

فقـــد ذكر الزمخشرى أن (هو) مبتدأ و(الله) خبر و (فى السماوات) خبر بعد خبر على معنى : أنه الله. وأنه فى السماوات والأرض. بمعنى: أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شئ كأن ذاته فيهما"(١).

فلا حاجة بهذه النصوص كلها على تقدير ما يكدر صفوها.

الظرف الثانى : (بين)

تمهيـــد:

يقـــول الراغب:" و (بين) يستعمل تارة اسما وتارة ظرفا فمن قرأ (بينكم) فى قـــوله تعالـــى: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ ﴾ ٩٤ الأنعام. بالضم جعله إسما. ومن قرأه بالفتح جعله ظرفا غير متمكن وتركه مفتوحا"(٢).

ويقول المجد: البين يكون فرقة ووصلا واسما وظرفا متمكنا والبعد. وبالكسر الناحية والفصل بين الأرضيين وارتفاع فى غلظ وقد رمد البصر"(٣).

ومن المعهود فى النحو العربى أن هناك أدوات إذا دخلت على بعض الكلمات كـــان ذلك دليلا على اسميتها. كما حققنا ذلك فى (على) و (عن) فى الباب الأول. ففـــى (نـــزلت مِنْ على السطح) تكون (على اسما) وهى من الظروف. ولو قلنا:

---

(١) انظر الكشاف ٢/٤.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٦٧.

(٣) القاموس المحيط ٤/٢٠٤.

ركـبت علـى الفرس كانت اسما أيضا ومع هذا لا يفارقها معنى الظرفية. هذا هو المـسطور فـى كتب النحو. ولكن أبا حيان ينهج منهاجا آخر حيث يقرر أن (بين) أصله ظرف استعمل اسما بدخول (من) عليه[1].

فهل معنى هذا أنها إذا لم تدخل عليها (من) لم تكن اسما؟

الجواب أن هذا غير صواب لأن علامة الاسمية ليست مطردة بحيث يلزم مِنْ وجـودها الوجـود ومـن عدمها العدم بل حسبها أن يدخل على الكلمة فى بعض استعمالاتها وبذلك تثبت اسميتها دائما سواء دخلت عليها (من) أم لم تدخل.

ولا يخفـى أن المراد هنا (من) الحرفية لا البعضية. فالاسمية أرحب مجالا من الظرفية فكل ظرف اسم وليس كل اسم ظرفا.

هـذا وقـد دخلت (من) على (بين) خمس عشرة مرة فى القرآن الكريم بعد المواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ ١٧ الأعراف، وقوله: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ ٤٢ فصلت.

ففـى الآية الأولى نرى (من بين أيديهم) ثم نرى (وعن أيمانهم) ولا شك فى وجود الفرق بين (مِنْ) و (عن) فى النوع والمعنى فـ (من) حرف ومعناه الابتداء، و (عن) ظرف على الصحيح ومعناه المجاوزة. وعلى المشهور أنها حرف. وعليه

(١) البحر المحيط ١٩٠/٦.

سار الزمخشرى حيث ذكر: أنه قيل لحرف الابتداء أولا ثم قيل بحرف المجاوزة أخيرا لأن المفعول فيه عُدِّى إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا. وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط. فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه وعلى شماله قلنا: معنى: على يمينه: أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المُسْتَعلِى من المُسْتَعلَى عليه. ومعنى: عن يمينه: أن جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له... ونحوه من المفعول به قولهم: رميت عن القوس. ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمى. ويبتدئ الرمى منها. كذلك قالوا: جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه. لأنهما ظرفان للفعل. ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول: جئته من الليل تريد: بعض الليل"(١).

ولابد لنا من وقفة تأمل فى هذا النص:

(أ) أن الزمخشرى فى مستهله جعل (من) حرف ابتداء و(عن) حرف مجاوزة. والراجح – إن لم يكن الصواب الصحيح– أن (عن) ظرف فهى اسم. ولذا جوز ابن هشام عطف (عن أيمانهم) و (عن شمائلهم) على مجرور (من) لا عليها. وعليه فـ (عن) اسم بمعنى: جانب بدخول (من) عليها. ثم قال: و(من) الداخلة على (عن) زائدة عند ابن مالك ولابتداء الغاية عند غيره فإذا قيل: قعدت عن يمينه فالمعنى فى جانب يمينه وذلك محتمل للملاصقة ولخلافها. فإذا جئت بـ(من) تعين كون القعود ملاصقا لأول الناحية"(٢).

قال الدمايمنى:" لأن ابتداء الغاية تقتضيه"(٣).

---

(١) الكشاف ٧٣/٢.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١٣١/١.

(٣) شرح الدمامينى على المغنى هامش الشمنى ٢٩٧/١.

ففـــي هذا النص يثبت اسمية (عن) لأنـها قبلت حرف الابتداء (من) ومقتضى ذلك ألا تكون (من) زائدة كما زعم ابن مالك. فلغتنا لغة الإيجاز وهو ينأى بها عن دعوى الزيادة بل يمقتها ويجتويها.

وإذا كانــت اسما فهى ظرف معناه: الجانب والمجاوزة. ويحتمل بدون (من) الملاصــقة وعدمها. أما مع (من) فلابد من الملاصقة لأن معنى (من) التعقيب كما هو واضح.

(ب) يـــرى الزمخشرى أن (من) حرف تعدية. فإذا دخلت على الظرف عَدَّت الفعلَ إلى المفعول فيه. وإذا دخلت على غيره عَدَّت الفعل إلى المفعول به ففى قوله تعالـــى:" لأتيـــنهم من بين أيديهم) ثم أفادت التعدية إلى الظرف على ما ذكره الزمخشرى. وأما فى (رميت من القوس) ففيه (من) للتعدية على المفعول به.

ولعـــل القـــارئ يستحـــضر بذاكرته هنا ما حققناه فى الباب الأول من هذه الدراسة وهو: أن اللغة العربية لغة القرآن المعجز والبيان المعجب ينبغى أن تتنزه ســاحتها عن مثل هذا الحشو واللغو. إذ ليس فى تلك اللغة كلمة بل حركة بل نقطة إلا ولها معنى لا يُسْتَغْنَى عنه ودلالة لا يستهان بها.

(ج) وممـــا يثـــبت ما قررناه أن الزمخشرى نفسه يشعر بهذا المعنى ويحسه بل يـــتذوقه تذوقا جميلا حينما قال: إذا قلت: رميت من القوس فالمعنى أن الرمى يبتدئ منها، وذلك خلاف قولك: رميت القوس. لأنها حينئذ مفعول به لا مبتدأ للرمـــى. كمـــا أنهـــا فـــى (لأتينهم من بين أيديهم) تثبت الملاصقة والمباشرة والتعقـــيب لأنهـــا لابـــتداء الإتـــيان وعلـــيه لا يجـــوز أن تكون للتعدية كما يرى الزمخشرى.

وقـــد ذكر صاحب إعراب القرآن أن (من) دخلت فى الخلف والقدام لأن فى الخلف والقدام معنى طلب النهاية"[١].

وإذا أخـــذنا بمـــا ذكره ابن هشام من أن (من) ملحوظة لا ملفوظة مع (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) دل ذلك على التعقيب. ولكن صاحب إعراب القرآن لا يلحظ (مِنْ) معها ومِنْ ثَمَّ قال: لأن فى اليمين والشمال انحرافـا[٢].

وأرى ما يراه ابن هشام. فكم حذفت كلمة بل جملة للعلم بها من المقام. وهذا منتهى الإيجاز الذى هو دليل الإعجاز.

(د) بقـــيت كلمـــة فـــى نص الزمخشى ألا وهى قوله (قالوا: جليس بين يديه وخلفه بمعنـــى: فيه لأنهما ظرفان للفعل. ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول: جئته من الليل تريد: بعض الليل).

وفى هذا - مع قوله فى أول كلامه: إنه جئ بحرف الابتداء أَوَّلاً أى فى (من بين أيديهم) وجئ بحرف المجاوزة أى عن أخيرا - تناقض.

إذ كيف تكون (من) حرف ابتداء وفى الوقت نفسه بمعنى (بعض)؟؟؟

ومـــن العجيب أنه قاس (لآتينهم من بين أيديهم..) على: جئته من الليل. فكما يقـــال فى معنى هذا: جئته بعض الليل على حد تعبير الزمخشرى، يجوز أن يقال: آتيه بعض بين يديه. وهذا محال فى هذا الأسلوب.

ولا أدل علـــى ذلك من أننا قد سبق لنا دراسة آيات (من) الظرفية فى فصل مـــن فـــصول الباب الثانى ولم نورد هذه الآية فيه إذ شتان بينها وبين قوله تعالى: " ومن الليل فاسجد له. أى بعضه. لأن الليل يقبل التبعيض؛ وأما البين فلا يقبله.

---

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ٧٢٢.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

٢- جعــل: فى

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ ٩ يس.

أى أن السد ملاصق لما هو بين أيديهم. ولعله: الصدر لأنه محوط باليدين وإذا لاصق السَّدَّ الصَّدْرَ استحالت الحركة. ولا سيما أن بقية الآية (ومن خلفهم سدا).

٣- جــاء: فى

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ ١٤ فصلت.

والضمير فى (أيديهم)لما سبق ذكره فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾١٣، " إذ جــاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم.... إلخ الآية.

قــال الزمخــشرى:" أىَ أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعلموا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان (لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) يعنى: لآتينهم من كل جهة.."[1].

٤- خرج : فى

قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ٧ الطارق.

يقــول الزمخشرى: " والدفق: صَبٌّ فيه دفع. ومعنى: دَافِق النسبة إلى الدفق الــذى هــو مصدر: دفق. كاللابن والتامر. أو الإسناد والمجاز والدفق فى الحقيقة

---

(١) الكشاف ٤/١٥٠.

لصاحبه. ولم يقل (ماءين) لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (من بين الصلب والترائب) أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل: العظم والعصب من الرجل. واللحم والدم من المرأة"(١).

وبالتأمل فى هذا النص نرى أن الزمخشرى يسير على المشهور من أن (دافق) ليس اسم فاعل على حقيقته إذ قد جعله إما على النسب أى صاحب دفق مثل (لابن) أى صاحب لبن. وإما على الإسناد المجازى إذ الحقيقة أن الدافق هو صاحب الماء أى الزوجان. ومن ثم قيل: إن (دافق) بمعنى (مدفوق).

والحق الذى لا يعدل عنه إلى سواه أن التعبير على الحقيقة لأن الماء لا يتدفق هو إلا إذا حان تدفقه وليس للزوج أو الزوجة أثر فى ذلك إنما أثرهما منحصر فى المباشرة وهذه المباشرة تحرك الماء إذ هو الذى يتدفق حينما يتهيأ له ذلك بدليل أن كل الأزواج لا يمكنهم تحديد ميعاد تدفقه بل هو تارة يتدفق لمجرد الإثارة الغرزية وتارة لا يتدفق إلا إذا طالت من المباشرة بين الزوجين.

٥- خلف: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ ٣٧ مريم، ٦٥ الزخرف.

قيل: الأحزاب هم اليهود والنصارى. وقيل: النصارى لتحزبهم ثلاث فرق.. وعن الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس..."(٢).

والآيتان فى شأن عيسى بن مريم عليهما السلام.

---

(١) الكشاف ٥٨٧/٤.

(٢) انظر الكشاف ١٣/٣.

ويقـــول أبوا حيان:" بين: هنا أصله ظرف استعمل اسما بدخول (مِنْ) عليه. وقيل (مِنْ) زائدة. وقيل : بين هنا: البعد أى اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق"(١).

وقــد عـــرفنا مـــا فى مثل النص مما سبق من قلق حيث يجعل (من) علامة اسمية الظرف. أو يحكم عليها بالإعدام. ويبقى جعله (من) تعليلية وهو غير واضح بــل غيــر صريح. إذ المتبادر إلى الذهن أن الأحزاب من بين بنى إسرائيل الذين أرسل إليهم المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام.

٦- خـــلا: فى

قــوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ٢١ الأحقاف.

قـــال الزمخشرى:" النذر: جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده.

وقرئ : من بين يديه ومن بَعْدِه. والمعنى أن هود عليه السلام قد أنذرهم فقال لهـــم: لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره.

وعن ابن عباس رضى الله عنه. يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا فى زمانه. ومعنى (ومن خلفه) على هذا التفسير: ومن بعد إنذاره.

هـــذا إذا علقت (وقد خلت النذر) بقوله : (إذ أنذر قومه) ولك أن تجعل قوله تعالـــى: (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) اعتراضا بين (أنذر قومه) وبين

---

(١) البحر المحيط ٦/١٩٠.

(ألا تعــبدوا) ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم - وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه- مثل ذلك فاذكرهم"[١].

وخلاصة ذلك النص:

(أ) أن المــراد علـــى قراءة (من بين يديه ومن خلفه) بكسر الميم الرسل الذين كان هــود في إثرهم. والذين كانوا في إثره. أى كان مباشرا من لحق به هود ومن لحقوا به.

وبــذلك يتحقق أن الله عز وجل لم يهمل زمنا فيجعله خاليا من رسله. لأن رسله كانوا متعاقبين أى يعقب بعضهم بعضا.

ويجوز أن يكون معنى (نذر)الإنذارات أى المصدر لا الذات.

(ب) وأمــا على قراءة (مَنْ بين يديه وَمَنْ خلفه) بفتح الميم فيكون المعنى الذين بين يديه والذين خلفه.فــ (من) اسم موصول لا حرف إضافة وكأن المعنى ينصب علـــى الرســل مطلقا سواء باشرهم هود وباشروه أم لم يباشرهم ولم يباشروه وإعراب (مَنْ) حينئذ بيان أو بدل من (النذر) في محل رفع.

(ج) ما سبق من المعنيين مبنى على أن (ومن خلفه) مراد به الرسل الذين جاءوا مِــنْ بعــد عاد. ولكن على رأى بابن عباس رضى الله عنهما وهو أن (من خلفه) مراد به من بعثوا في زمانه. يكون المعنى: ومن بعد إنذاره وهذا مبنى على أن (وقد خلت النذر...) متعلق بـــ (إذا أنذر قومه) كما ذكره الزمخشرى والمعنـــى: واذكــر أخا عاد - وهو هود- إذ أنذر قومه والحال أن النذر قد خلت من قبله.... ألا تعبدوا إلا الله.

---

(١) الكشاف ٢٤٢/٤: ٢٤٣.

(د) ذكر الزمخشرى وجها آخر ألا وهو أن جملة (وقد خلت النذر من بين يديه ومـن خلفـه) جملـة اعتراضـيه بين (أنذر قومه) و (ألا تعبدوا) والجملة الاعتراضـية لا محـل لهـا مـن الإعراب. بخلاف الجملة الحالية فهى فى محل نصب.

والذى يطمئن به القلب وينشرح له الصدر أن تكون الجملة حالية إذ لا يترتب على ذلك أن يوجد فاصل بين شيئين متلازمين بدون علاقة بينهما.

هـذا: وقـد يسأل سائل قائلا: المعروف والمعهود أن (خلا) يدل على مُضِىّ زمـان الحدث. وهذا واضح فى (خلت النذر من بين يديه) إذ معناه: قبله. وأما فى (ومن خلفه) فهذا معناه مستقبل فهل يقال: خلا الشئ غدا؟!.

والجواب أن الخطاب فى الآية للرسول الخاتم محمد ﷺ (واذكر) ولأمته ولا شـك أن مـن كان قبل هود وبعده من الرسل زمنهم ماض بالنسبة لمحمد ﷺ. فلا تعارض ولا تناقض.

٧- سـقى: فى

قوله تعالى: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ ٦٦ النحل.

ولا يخفى على القارئ أن (مِنْ) فى (مما) بعضية أى بعض ما فى بطونه فى محل نصب لأنها مفعول ثان لـ (نسقيكم) و (لبنا خالصا سائغا) حال منها.

وأما (من بين فرث) فهى ابتدائية، يقول فيها الزمخشرى: " من: لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذى منه يبتدأ فهو صلة نسقيكم...

ويجوز أن يكون حالا من (لبنا) مقدما عليه فيتعلق بمحذوف"[١].

وهذا لا حاجة بالمعنى إليه إذ الأصل أن يستنبط معنى النص من كلماته على نسقها الموحى به إلى الرسول ﷺ. وقد عرفنا أن المعنى مستقيم على ذلك النسق. فلا حاجة إلى دعوى الحذف – وهو حيف– والتقدير– وهو تكدير– ولا إلى دعوى التقديم والتأخير فهو خلاف الأصل.

هذا: وعلى منهج بعض العلماء وهو (الذى يجعل (من) البعضية حرفا جرى أبو حيان مع إشارته إلى ما سبق عن الزمخشرى. ونصه: " من الأولى للتبعيض متعلقة بـ (نسقيكم) – لأنها حرف– والثانية لابتداء الغاية متعلقة به أيضا. وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلاف مدلوليهما.

ويجوز أن تكون (من بين) فى موضع الحال فتتعلق بمحذوف لأنه لو تأخر لكان صفة أى كائنا من بين فرث ودم.

ويجوز أن يكون بدلا من (مافى بطونه)[٢].

ففى هذا النص يجرى أبو حيان على ما هو مشهور غير محقق من أن (من) البعضية حرف. مثل (من) الابتدائية. وقد عرفنا ما فى ذلك من مخالفات تغض من قدسية لغة العرب وهى لغة القرآن.

ومن العجب العجيب أنه سَوَّغ تعلق (من) الأولى والثانية بالفعل (نسقيكم) لاختلاف معنييهما. على حين نرى الجَمَل ينقل عن السَّمين أن ذلك يتعين إن جُعِلَتْ من الأولى ابتدائية لا تبعيضية لئلا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى بعامل واحد. وهو ممتنع إلا فى بدل الاشتمال فإن المكان مشتمل على ما حَلَّ فيه"[٣].

---

(١) الكشاف ٤٧٩/٢ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٤٤/٢.

(٢) البحر المحيط ٥١٠/٥.

(٣) انظر حاشية الجمل ٦٩٢/٢.

والحق أن النص فى أشد الاستغناء عن كل هذا لأن (من) الأولى غير الثانية معنى واستعمالا كما نبهنا فى صدر الحديث عن هذه الآية.

٨- سلك فى :

قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ٢٦، ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ ٢٧ الجن.

يقول الزمخشرى:" عالم الغيب فلا يظهر: فلا يطلع و(من رسول) تبيين لـــ (من ارتضى) يعنى: أنه لا يُطْلِعُ على الغيب إلا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى... (فإنه يسلك من بين يديه) يَدَىْ مَنْ ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظه من الملائكة يحفظونه من الشياطين. يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أُوحى به إليه. وعن الضحاك: ما بعث نبى إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك"[1].

ومعنى قول الزمخشرى: (من) فى (من رسول) تبيين. قد عرفنا ما فيه لأنه يقتضى الاستغناء عنها بدليل قوله (لا يطلع على الغيب إلا المرتضى..إلخ) وهذا خلاف ظاهر النص إذ كيف يقول الله (من رسول) ويقول الزمخشرى ومن سار فى دربه إلا من ارتضى وهو الرسل...؟!

إن كلمة (رسول) جنس تشمل جميع الرسل. ولو سرنا على ما ذكره الزمخشرى لكانت الرسل جميعا بمنزلة سواء فى المعنى المراد هنا وهو (نيل

---

(١) الكشاف ٥٠٦/٤.

الشفاعة) وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ... الآية ﴾ ٢٥٣ البقرة وغير ذلك.

ومن ثم نرى أن (من رسول) حال من (من ارتضى) أى حالة كونه بعض جنس الرسل. فـ (مِنْ) بمعنى (بعض) وهذا هو اللائق الأجدر بالقبول. وأما (من بين يديه ومن خلفه) فـ (مِنْ) فيه ابتدائية تفيد التعقيب أى أن الله يضع لمن ارتضاه من رسله لنيل شفاعته له صدا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه حتى لا يقربه شيطان يمسه بسوء. فالفعل (سلك) متعد أى ينصب المفعول ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ ٢٧ المؤمنون وغير ذلك. ومن ثم قال المجد:" سلك المكانة سلكا وسلوكا وسلكه غيرة.. إلخ"(١).

٩- عقب: فى

قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ١١ الرعد.

ومعنى الآية أن لكل إنسان من الملائكة من يعقب بعضهم بعضا فى حفظه وأن مقعد هؤلاء مباشر له من أمامه ومن خلفه بحيث لا تكون هناك خلة ينفذ فيها ما أومن يضرّه. لأن هؤلاء يحفظونه وابتداء هذا الحفظ أمر الله.

---

(١) القاموس ٣/٣٠٧١.

ولا شك فى وضوح هذا المعنى واستنباطه من النص بدون دعوى لشئ يخل بـــه من حذف وتقدير أو تقديم وتأخير. ولكن علماءنا قد جُبِلُوا على تلك الدعاوى حتى صارت عندهم أصلا أصيلا لا ينبغى الخروج عنه أو مخالفته.

وحسبنا ما نقله الجمل عن السمين وهو:" يجوز أن يكون (من بين يديه ومن خلفـــه) مـــتعلقا بمحـــذوف على أنه صفة لـــ (معقبات). ويجوز أن يكون حالا من الـــضمير الـــذى فى الظرف الواقع خبرا. والكلام على هذه الأوجه تام عند قوله: (ومن خلفه).

ويجوز أن يتعلق بـــ (يحفظونه) أى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله. وجاز تعلق الحرفين بعامل واحد لاختلاف معنييهما"[1].

(أ) لـــست أدرى مـــا الـــضرورة إلى تقدير موصوف بين (معقبات) و (من بين يديه..).

(ب) ثم ما الداعى إلى قوله (ويجوز أن يتعلق بـــ (معقبات) و(من) لابتداء الغاية؟ أليس هذا هو الواجب لأن النص صِيغَ له واقتضت هذه الصياغة أن يكون هذا هو نسقه ونسيجه المحكم.

(ج) وأيـــضاً ما الداعى إلى إعراب (له) خبرا مقدما على مبتدئه (معقبات)؟ أليس (لـــه) ظـــرف يعتمد على ما قبله من قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ١٠، ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

---

(١) حاشية الجمل ٥٨٩/٢، وانظر إملاء ما من به الرحمن ٣٣/٢.

والظــرف إذا اعتمد على ما قبله رفع ما بعده بالإجماع فــ (معقبات) فاعل بالظرف. وعليه فالحال من الضمير فى (معقبات).

وأخيرا ما الفائدة في قوله (ويجوز أن يتعلق بـــ (يحفظونه) ... وجاز تعلق الحــرفين يعنى (من يديه ومن خلفه) و (من أمر الله) لأن (من) فى الفقرة الأولى واحدة فهل يعنى أن (من) فى (يديه وخلفه) بمعنى (من) فى (من أمر الله)؟ وما هو هــذا المعنى؟ ثم ما الداعى إلى جعل (من بين يديه ومن خلفه) مؤخرا مع أن قبله (معقبات) وهو لائق لارتباط (من) به إذا تَعَاقَبَ الملائكةِ على حفظ الإنسان حاصل له من أمامه ومن خلفه. وشتان بين هذا التعاقب وبين حفظ الإنسان من أمر الله.

وبعـــد: أليس فى هذه الأمور ما يلزم منه بطلان ما ردد السمين القول به من أوجه مختلفة بدون أن يكون أىٌّ منها ملائما للمعنى ولا موائما لنسق النص؟

ثــم إن قـــوله بالتغاير بين معنى (مِنْ) الأولى و (مِنْ) فى (من أمر الله) أو اختلافهما غير دقيق. لأنهما معا بمعنى الابتداء. غير أن الابتداء فى الأولى له جهة ربمـــا يتصورها الذهن ويصورها الفكر ويبرز صورتها اللسان أو القلم. وأما فى الثانية فليس كذلك بل إن معناها يستشعره الوجدان وتتحرك به الأحاسيس والمشاعر لأن الله لا يحده حد.

١٠- لقـــى: فى

قوله تعالى: ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ ٢٥القمر

وهذه الآية من افتراء ثمود على أخيها صالح نبى الله ورسوله إليها. فهى تنكر على هـذا الرســول أن ينفرد من بينهم بإلقاء ذكر الله وهو كتابه إليه وحده. ثم يؤكدون افتراءهم بقولهم (بل هو كذاب أشر). وفى هذا تكذيب للرسول وللرسالة معا.

ومعنى (أشر) بطر متكبر أى حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك(١).

فـــ (من بيننا) تدل على أن صالحا المرسل إليهم يجمعه بهم النسب ومن شأنه ذلك لا يخون قومه ولا يكذبهم الحديث. ويبدو أن هناك فرقا بين (منا) و (من بيننا) إذ الأول معـــناه مقصور على إثبات النسب بينه وبينهم. وأما الثانى فيدل على أنه يشار إليه من بينهم لأنه ذو شارة مميزة وعلامة تفصل بينه وبينهم وإن كان منسوبا إليهم.

ولعـــل ذلك هو السر فى أن قومه - أى صالح- قالوا عنه فى الآية قبل هذه الآيـــة : ﴿ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ ٢٤ القمـــر ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ ٢٥القمر.

فالتعبير (منا) فى الأولى تثبت أنه منسوب إليهم فهو فرد منهم فكيف يتبعون بحيث يكون وحده إمامهم وتلك نزعة الكبر والأنفة.

وأما الثانية ففيها تمييزه عليهم بإلقاء الذكر عليه دون أحد غيره منهم وفى هـذا من الفضل مالا يخفى إلا على ذى جهل. فأوثر التعبير بـــ (من) على (منا) وكم لله فى آيات قرآنه وكلماته من أسرار.

---

(١) انظر الكشاف ٣٤٨/٤.

١١- مَنَّ: فى

قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ ٥٣ الأنعام.

١٢- نزل: فى

قوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا ﴾ ٨ ص.

وبين آيتى (من) و (نزل) فى الأنعام وص وآية القمر علاقة وثيقة من حيث الصياغة الدقيقة العميقة. ففى جميعها دليل على الاصطفاء والاختيار والإيثار. وقد نبهنا إلى ذلك فى آية القمر.

أما آية الأنعام فصدرها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

فإذا منَّ الله على فرد من أمة أو أفراد دل ذلك على الاصطفاء القائم على الفضل والتميز. ومن ثم قبل (من بيننا) لا (منا).

ومن هنا قال الزمخشرى: " إنما قالوا ذلك إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق ممنونا عليهم من بينهم بالخير. ونحوه قوله تعالى: " ألقى الذكر عليه من بيننا"(١).

وأما آية صٓ فهى فى حق أفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم الذى لا نبى بعده. ورسالته خاتمة الرسالات فلا وحى من بعدها على إنس أو جن. إنما الوحى إلى كائنات أخر مثل النحل وغيره دائم مستمر.

---

(١) الكشاف ٢/٢٢.

فالعرب بوغتوا بإنزال الذكر أى القرآن الذى رفع ذكر محمد ﷺ. ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ٤ الشرح. على اليتيم الذى عرفوه بالصدق والأمانة وسائر الصفات التــى كانــوا – مع جاهليتهم- يقدسونها وكان الأجدر بهم أن يتسابقوا إلى رسالته ويعيــنوه علــى نشرها فى شتى أنحاء الأرض وبين جنباتها ولكنها الغيرة الجارفة والحقــد العارم يحملانهم على معاداته ومعاندته والوقوف فى وجهه والصد عنه لا لشئ إلا لاختياره عليهم وتفضيله من قبل الله عز وجل. ومن ثم لم يقولوا (منا) بل قالوا (من بيننا) بصيغة تلفت الذهن وتنبه العقل إلى الاختيار والإيثار.

أرأيت كيف يفيد الدارس والقارئ من جمع آيات القرآن التى يجمعها أسلوب فــيه كلمات متعددة فى شتى صوره ومع هذا تراها متحدة فى الدلالة والإيحاء إلى الــذهن بمعان رائعة. فها هى فى ثلاث آيات من الأنعام وص والقمر يجمعها خيط دقيق ويستشعر دلالتها شعور عميق مع أنها فى سور متفرقة.

إنمــا مصدر ذلك كله هو القرآن الذى يحار فيه الإنسان والجان ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ٨٨ الإسراء.

خاتمــة:

إنمــا وضــعت هذه الخاتمة لآية خاتمة لآيات (من بينهم) و (من بين يديه) و(مــن بين أيديهم) و (من بيننا). وتلك الآية هو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ

أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ ٥ فصلت.

واضـــح أن هـــذا من قول العرب المتكبرين الحاقدين على النبى المصطفى مـــنهم على العالمين. بل الذى – مع ذلك– رفع ذكرهم بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ ٤٤ الزخرف. ولكنهم جهلوا ذلك الفضل و غفلوا عن تلك المنزلة الرفيعة بل بلغ بهم الحسد والغل مبلغا لا مزيد عليه حيث قد نزل فى حقهم آية أخرى تثبت مدى مبلغهم من البغض لمحمد ﷺ وهى قول الله تعالـــى فى حقهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ٣١ الزخـــرف. وقد رد الله عليهم ردا يشعرهم بضعفهم عن رزق أنفسهم أو تقـــسيم أرزاقهـــم فكيف بهم يقسمون الفضل والنبوة ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .... الآية ﴾ ٣٢ وما بعدها الزخرف.

هـــذه الآية (ومن بيننا وبينك حجاب) لم ترتبط بمادة لغوية مثل الآية السابقة بـــل مـــن كلام الكافرين المعاندين أى من قولهم الذى ورد فى صدرها. و(قالوا). ومقـــول هذا القول عدة جمل هى: (قلوبنا فى أكنة مما تدعوننا إليه) و (وفى آذاننا وقر) و (ومن بيننا وبينك حجاب) و (فإعمل إننا عاملون).

وكان الرد عليهم:" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ..."

وبالـــتأمل فـــى الجمـــل الواقعة مَقُولَ القول نرى أن الأولى منها (قلوبنا فى أكنة...) اسمية بلا خلاف. والثانية والثالثة مختلف فيهما فالسائد (البائد) عند النحاة أنهما على التقديم والتأخير اسميتان إذ أصلهما (ووقر فى أذننا) و (وحجاب من بيننا وبيـــنك). وقد رددنا هذا فى كتابنا (أساليب الجملة الظرفية فى القرآن) الذى جمعنا فـــيه ألف آية بل يزيد. أى ما يناهز سدس آيات القرآن الكريم. كما نبهنا فى الباب الأول. ومن هذه الآيات تلك الجمل الآنفة الذكر.

ولمـــا كانـــت (مـــن) فى (ومن بيننا) غير مسبوقة بفعل من الأفعال أفردتها بهذه الخاتمة.

وتأمـــل – هداك الله إلى الرشد والصواب– لو جاءت الآية بدون (من) هكذا (وبيننا وبينك حجاب) هل تكون بتلك الروعة وذلك الجمال؟

يقـــول الزمخشرى:" لو قيل: (وبيننا وبينك حجاب) لكان المعنى : أن حجابا حاصـــل وسط الجهتين. وأما بزيادة (من) – يعنى: ذكرها– فالمعنى أن حجابا ابتدأ مـــنا وابـــتدأ مـــنك فالمـــسافة المتوســـطة لجهتـــنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها"(١).

أرأيـــت كيف يكون فهم كلمات القرآن والعمق فى تحديد معانيها وبيان أثرها البالغ فى دقة المعنى واستيعابه؟؟؟

ولذا فلا حرج علينا أن نجعل هذه الجملة ظرفية فيكون (حجاب) مرفوع بـــ (من بيننا) لما فيه من معنى الحدث وهو الابتداء.

بل يزيد على ما سلف ذكره اشتمال الآية على الإيجاز الرائع الذى دفع عنها صـــفة لا تليق وهو التكرار الذى تأنفه الأسماع وينفر منه سليم الطباع؛ (وذلك لو

---

(١) الكشاف ١٤٤/٤: ١٤٥.

قيل (ومن بيننا ومن بينك حجاب) ومما لا ينقضى من العجب أن نرى – مع ما سبق من عظمة النص وروعته– من يزعم أن كلام الزمخشرى فى حاجة إلى مراجعة مثل أحمد بن المنير فى حاشيته على الكشاف حيث يقول:" لو كان الأمر كما ذكر لكانت (مِنْ) مقدرة مع (بين) الثانية.. فالتقدير إذاً (ومن بيننا ومن بينك حجاب) وهذا يخل بمعنى (بين) إخلالا بينا فإنها تأبى تكرار العامل معها... وزاد الزمخشرى على هذا فجعل (بين) الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هى الثانية بعينها. وهى عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين. وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر محذوف... فوجب تكرار حافظه وهو بين. والدليل على هذا أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول: جلست بين زيد وعمرو. وبين أن تقول: جلست بين زيد وبين عمرو...

ثم ذكر أن وجود (من) قريب من عدمها ألا ترى أنها لم تستعمل فى قوله: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ٤٥ الإسراء (١).

هكذا يأبى ابن المنير إلا إعلان الحرب على الزمخشرى فى غير ذى موضوع ولست أدرى سرًّا لذلك إلا شهوة الخلاف ونزوة الاختلاف وبيان ذلك :

(أ) أن الزمخشرى قد أثبت قيمة (مِنْ) فى النص وأنه لا يصح الاستغناء عنه لأن المقام فى حاجة إليها وما الكلام فى لغة العرب إلا مطابقة المقال للمقام. وزيادة على ذلك نرى فى رأى الزمخشرى الاعتراف بالإيجاز. والإيجاز بلاغة أىّ بلاغة. وما القرآن كله إلا إيجاز كما حققنا ذلك فى هذه الدراسة.

(ب) زعم ابن المنير التقدير الذى هو تكدير لصفو النص. ولو تأمل تقديره (ومن بيننا ومن بينك حجاب) ووازن بينه وبين نص الآية لرجع عن هذا التقدير إذ

---

(١) هامش الكشاف ١٤٥/٤.

الآية ليست فى حاجة إليه. لأن (من) الموجودة دلت على الابتداء من الجانبين حـيث إن (بـين) الثانية معطوفة على (بين) الأولى وحيث إن هذه قد حصل الابتداء فيها فلا شك فى حصوله فى الثانية. والدليل على ذلك أننا لو قلنا (قام محمـد وعلى) ألا يكون (على) فاعلا لـ (قام) مثل (محمد) تماما. مع زيادة فضيلة الإيجاز؟ فقول ابن المنير يعوزه الاستقامة وحسن التخريج.

(ج) أنـه قـد حكـم بالتكرار على (بين) لأنه سوى بين (جليت بين زيد وعمرو وجلست بين زيد وبين عمر) والفرق كبير بين نص الآية وهذا الأسلوب إذ لا شك أن نص الآية قائم على الإيجاز وذكر (بين) الثانية لما ذكره الزمخشرى مـن فائدة. أما فى أسلوب ابن المنير فلا شك أن الجملة الأولى مشتملة على حلية الإيجاز على حين تجردت الثانية منها. وكلام الله كله حليته الإيجاز.

(د) وقـع ابـن المنير فى تناقض حيث زعم أن (من) مقدرة مع (بين) الثانية إذ أصـل الأسـلوب (ومن بيننا ومن بينك حجاب) ثم عاد فقال:" ووجود (من) قريب من عدمها.

فـأى الرأيين ترجح بل نصحح؟ أهو رأى الزمخشرى الذى يجعل لـ (من) قـيمة دلالـية ويـزيد فى النص جلال وجمال الإيجاز أم هو رأى ابن المنير الذى يـزعم الـزيادة لـ (مـن) كمـا زعـم غيره فى غير هذه الآيات حيث يقول: (دخولها كخروجها).

لا اختـبار فى الجواب لأن زعم التكرار فى القرآن وهم يجرد صاحبه عن الفهم. فالقرآن لا يضع الكلمة ولا يرفعها إلا بميزان يدق على العقول إدراكه فينبغى التسليم به والإذعان له.

(هـ) وممـا يثير فى النفس عظيم الشك فى منهج ابن المنير أنه قد زعم أن عدم اسـتعمال (مـن) فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ٤٥ الإسراء. دليل على زيادتها فى (ومن بيننا وبينك حجاب).

فهل هذا منهج يليق بجلال القرآن؟ كلا لأنه ينطوى على جعل بعض آيات القرآن يقابل بعضها الآخر وفى هذا التقابل تقاتل النصين وتعارضهما ولقد حققنا أن العلاقة الدقيقة اللائقة بجمال القرآن وكماله هى التكامل وليس (التقابل) فالقرآن يكمل بعضه بعضا لا يقابل ولا يقاتل بعضه بعضا. ومما يؤكد ذلك أننا ندرك - بالتأمل- الفرق بين آيتى الإسراء وفصلت.

حيث إن الأولى ليست فى مقام عناد ومخاصمة بين محمد ﷺ وقوله الذين يكفرون به بل فصاري أمرهم أن الله يضع بينه وبينهم حجابا لا يرونه حتى لا يقع القرآن فى آذانهم فيتسرب إلى أذهانهم فينفروا منه بل حال بينه وبين أسماعهم. وبذلك لا يتصور الفعل له ابتداء ولا انتهاء.

وأما فى آية فصلت فهم الذين قرروا أن من بينه وبينهم حجابا. ولأمر ما لم يوصف الحجاب بأنه مستور وذلك دليل على أنه حجاب غليظ يدركه النظر ويحيط به البصر. ولذا لزم ذكر(مِنْ) التى تحدد ابتداء ذلك الحجاب من جهتهم وجهة النبى ﷺ. فمقامها مقام العناد والتحدى الذى يقتضى سد الفراغ بينهم وبينه وبهذا يستحيل عليهم أن يسمعوه.

وفضلا عن ذلك كله فإن الأصل الذى لا يجهله ابن المنير هو: أننا لو حرصنا على مقارنة بين آية وآية فى القرآن لحملنا المطلق على المقيد ومعناه هنا أن نحمل آية الإسراء المطلقة عن ذكر (من) على آية فصلت المقيدة بها. ففى ذلك المحافظة على كمال القرآن بعدم دعوى زيادة كلمة من كلمات. وعلى جماله بتحقيق معنى الإيجاز فيه.

الظرف الثالث: تحت:

وجاءت (من) قبله مع الأفعال الآتية:

١- أكل: في

قــوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ ٦٦ المائدة.

والمعنـــى: أنهـــم لـــو فعلوا ذلك لجعل رزقهم ميسرا موفورا لأنه يكون في متناول أيديهم بسهولة ويسر سواء أكان من جهتهم العليا أم كان من جهتهم السفلى. وقد رمز لذلك بـــ (من فوقهم) ولعل المراد به السحاب الذى هو مصدر الماء سبب الرزق. وبـــ (من تحت أرجلهم)

ولعل المراد به الأرض التى إذا صَبَّ عليها السحاب ماءه صبا أنبتت الزرع وأطعمت الضرع وانتفع الناس بذلك كله.

ولا يخفى ما فى التعبير بـــ (من فوقهم) و بـــ (من تحت أرجلهم) من التنبيه إلى تمكنهم من ذلك بأدنى جهد وأقل نفقة.

ومـــن ثم وجدت الزمخشرى يقول عن هذا التعبير: عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثـــة أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض. وأن يكثر الأشجار المثمـــرة والـــزروع المِغِلَّـــة. وأن يرزقهم الجنان اليانعة والثمار يجتنون ما تهدل - أى تدلـــى- مـــنها مـــن رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم"(١).

---

(١) الكشاف ٥٢٢/١.

ويرى الشريف الرضى أن فيها تأويلين:

أحدهما: أنها استعارة والمراد: العبارة عن سعة الرزق ورفاهية العيش.

والآخر: (من فوقهم) أى من ثمار الشجر التى تفوت بسطة اليد و (من تحت أرجلهم) أى من نبات الأرض الذى يباشر موطئ القدم. ثم قال: وقيل المراد بذلك ما يكون من مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض.

فهذا كقوله تعالى: ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٩٦ الأعراف[1]. ولعل قوله (التى تفوت بسطة اليد) فى الأصل (التى لا تفوت).

٢- بعث: فى

قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ٦٥ الأنعام.

ذكر الزمخشرى أن المراد بـ (عذابا من فوقكم) المطر كما أمطر على قوم لوط - يعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ٨٤ الأعراف- وعلى أصحاب الفيل : الحجارة - يعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٣، ٤ الفيل- وأرسل على قوم نوح الطوفان. و (من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون.

---

(١) تلخيص البيان ١٣٤.

وقيل (من فوقكم) من قبل أكابركم وسلاطينكم. و (من تحت أرجلكم) من قبل سفلتكم وعبيدكم.

وقيل: هو حبس المطر والنبات"[1].

ولا يخفى على كل هذه الأوجه قيمة الدلالة التى فى (من فوقكم) وفى (من تحت أرجلكم) إذ (من) تدل على أن العذاب ينبع من تحت أقدامهم أو يلبس رءوسهم.

٣- جرى: وذلك فى نوعين من الآيات:

آيات الأسلوب الأول: وهو (تجرى من تحتها الأنهار) وهو فى أربع ثلاثين آية من السور الآتية"

البقرة: ٢٥، ٢٦٦، آل عمران: ١٥، ١٣٦، ١٩٥، ١٩٨، النساء: ١٣، ٥٧، ١٢٢، المائدة: ١٢، ٨٥، ١١٩، التوبة: ٧٢، ٨٩، الرعد: ٣٥، إبراهيم: ٢٣، النحل: ٣١، طه: ٧٦، الحج: ١٤، ٢٣، الفرقان: ١٠، العنكبوت: ٥٨، الزمر: ٢٠ وهذه الآية ليس فيها الجنة ولكن فيها: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ محمد: ١٢، الفتح: ٥، ١٧، الحديد: ١٢. المجادلة: ٢٢، الصف: ١٢، التغابن: ٩. الطلاق: ١١. التحريم: ٨، البروج: ١١، البينة: ٨.

وهذه كلها فى شأن جنّة الآخرة ما عدا الآية رقم ٢٦٦ من البقرة فهى قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾، يقول الزمخشرى فى الآية الأولى من البقرة وهى رقم ٢٥:

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥: ٢٦.

فإن قلت: كيف صورةُ جَرْيِ الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية"(١).

وبـــذلك يتحقق لـــ (من) مدلولها وهو أن الأشجار مباشرة للأنهار لا فاصل بينهما ومن ثَمّ كانت مياهها جارية من تحتها.

ويقـــول أبو حيان:" من: متعلقة بـــ (تجرى) وهى لابتداء الغاية؛ وإذا فسرنا الجنات بأنها الأشجار الملتفة ذوات الظل فلا يحتاج إلى حذف.

وإذا فـــسرناه بالأرض ذوات الأشجار احتاج إلى حذف إذ يصير التقدير: من تحت أشجارها أو غُرَفِها ومنازلها.

ومن قال: إن (من) زائدة والتقدير: يجرى تحتها الأنهار. أو بمعنى (فى) أى فـــى تحـــتها فغيـــر جـــار علـــى مألوف المحققين من أهل العربية وقبل المراد: تجرى من جهتها"(٢).

والـــوجه الثانى وهو (من تحت أشجارها أى الأرض) لا حاجة إليه لأن مالا يحتاج إلى تقدير أحق بالقبول وأجدر بالبيان مما يحتاج إليه. وذلك متحقق فى الوجه الأول وهو الذى اقتصر عليه الزمخشرى.

وقد رَدَّ أبو حيان كون (مِنْ) زائدة أو بمعنى (فى) وهو محق فى ذلك لأنهما لا يليقان بلغة العرب ولا سيما ما ورد منها في وحى الله عز وجل.

وأمـــا (تجـــرى من جهتها) فيكتنفه غموض وإبهام والقرآن منزه عن ذلك. وبـــذلك يخلـــو وجـــه المعنى لما ذكره الزمخشرى وهو الوجه الأول فى نص أبى حـــيان. هذا ولم يكتف أبو حيان بما رده من أوجه بل زاد عليها وجها آخر وهو: أن معنى (تجرى من تحتها) أى بأمر سكانها واختيارهم فعبر بـــ (من تحتها) عن

---

(١) الكشاف ٨٠/١.

(٢) البحر المحيط ١١٢/١.

قهرهم لها. وجريانها على حكمهم. كما قيل فى قول فرعون: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٥١ الزخرف. أى بأمرى وقهرى. ورده أبو حيان قائلا:" وهذا المعنى لا يناسب إلا لو كانت التلاوة (تجرى من تحتهم) فيكون نظير (من تحتى) وإذ جعل علـــى حذف مضاف أى: من تحت أهلها استقام المعنى الذى ذكر أنه لا يناسب. إذ ليس المعنى بأمر الجنات واختيارها"[1].

وهــذا – مــن وجهة نظرى- خروج بالنص عن أصله وروحه ومعناه فلا حاجة به إليه. وعليه فلا يكون سائغا مقبولا غير الوجه الأول.

تتمـــــه:

وهـــى خاصة بالآية رقم ١٠٠ من سورة التوبة ونصها : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وفيها يقول أبو منصور الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠هـــ.: " وقوله جل وعز (تجـــرى من تحتها الأنهار) ١٠٠ قرأ ابن كثير وحده بزيادة (من) وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة خاصة. وقرأ الباقون (تحتها) بغير: من.

---

(١) البحر المحيط ١/١١٢.

قـال: أبـو منـصور: (مـن) تـزاد فـى الكلام توكيدا وتحذف اختصارا والمعنى واحد"[1].

وهـذا من أبى منصور الأزهرى غير دقيق لأنه يسوى فى المعنى بين ذكر (من). وحذفها وهو لا يليق بجلال القرآن.

ويقـول الدمياطـى:" واختلف فى (تجرى تحتها) فابن كثير بـ (من) الجارة وخفـض (تحـتها) بها كسائر المواضع وافقه ابن محيصين. والباقون بحذف (من) وفتح تحتها على المفعولية فيه"[2].

وربمـا تـسول لبعض الباحثين - قديما وحديثا- أن يزعم زيادة (من) فيما وردت فيه قياسا على قراءة جمهور القراء فى آية التوبة بدونها. كما علمنا ذلك فى غيره. وهيهات هيهات لما يزعمون. فلكل كلمة فى القرآن سر يقتضى ذكرها وآخر يقتضى عدم ذكرها كما نبهنا كثيرا أن لكل مقال مقاما. وإذا كان جمهور العلماء قد ركنوا إلى الراحة والدعة فلم يكلفوا أنفسهم ولا عقولهم التفكير فى سر وجودها أو عدم وجودها. فإن ساحة العلماء واسعة فسيحة تحضن النوابغ الصُّبُر على البحث الصُّدُق فى الاستنتاج فإن بنى عمك فيهم رماح كما يقول المثل العربى.

ومن هؤلاء الصُّبُر الصُّدُق أبو عبد الله الخطيب الإسكافى وابن الجزرى.

فقد تساءل الأول عن وجود (من) فى قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ١١٩ المائـدة. وفى قوله: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ

---

(١) إتحاف البشر ص ٢٩٠.

(٢) البحر المحيط ١١٢/١.

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ ٨٩ التوبة. وفى قوله: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ ٢٢ المجادلة.

ثم بَيَّن أن سياق هذه الآيات فى سورها يعم أقواما فيهم الأنبياء؛ ففى سورة المائدة لفظة (الصادقين) فى قوله: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) يجوز أن يكون منصرفا إلى عيسى وأمثاله من الأنبياء صلوات الله عليهم الذين صدقوا فى الدنيا فنفعهم صدقهم.

وفى آخر المجادلة: خُرِّجَتْ الآية على ذكر الرسل لقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) فكان الذى أخذ عنهم بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار الأنبياء وغيرهم صلوات الله عليهم. و(من) لابتداء الغاية. والأنهار أشرف مباديها. والجنة التى مباديها الأنهار من تحت أشجارها أشرف من غيرها.

فكل موضع ذُكِرَ فيه (من تحته) إنما هو لقوم عَامٍّ فيهم الأنبياء. والموضع الذى لم يذكر فيه إنما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء ألا ترى إلى قوله فى سورة براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) فهذه الآية قد خرج الأنبياء عنها. لأن اللفظ لا يشتمل عليهم. فلم يخبر عن جناتهم بأن أشرف الأنهار على مجرى العادة فى الدنيا تحت أشجارها. إذ لا موضع فى القرآن ذُكِرَتْ فيه الجنة وجرى الأنهار تحتها إلا وقد دخلتها (من) سوى الموضع الذى لم ينطبق ذكر الموحدين فيه على الأنبياء"(١).

---

(١) درة التنزيل ٨٧: ٨٨ بتصرف.

وقـال ابن الجزرى: " اختلفوا فى (تجرى تحتها) فقرأ ابن كثير بزيادة كلمة (مـن) وخفض تاء (تحتها) وكذلك هى فى المصاحف المكية. وقرأ الباقون بحذف لفظ (مِـنْ) وفـتح التاء وكذلك هى فى مصاحفهم. واتفقوا على إثبات (من) قبل (تحتها) فى سائر القرآن.

فيحتمل أنه لم يكتب (مِنْ) فى هذا الموضع لأن المعنى: ينبع الماء من تحت أشجارها لا أنه يأتى من موضع ويجرى من تحت هذه الأشجار.

وأما سائر القرآن فالمعنى أنها تأتى من موضع وتجرى تحت هذه الأشجار. فلمـا اخـتلف المعنى خولف فى اللفظ. وتكون هذه الجنات معدة لمن ذكر تعظيما لأمرهم وتنويها بفضلهم. وإظهارا لمنزلتهم لمبادرتهم لتصديق هذا النبى الكريم"(١).

ففـى هذين النصين نرى أن الخطيب الإسكافى و ابن الجزرى قد حاول كل مـنهما أن يلـتمس فرقا فى المعنى بين آية التوبة رقم ١٠٠ وسائر آيات الجنات ولكنهما لم يسلكا مسلكا واحدا فى هذا الالتماس بل سلك كل منهما مسلكا.

أما الأول فقد تضمن كلامه النقاط الآتية:

(أ) أن آيات (تجرى من تحتها) إنما ذكرت فيها (من) لأنها لقوم مرفوعى المقام إذ فيهم الأنبياء والرسل.

(ب) فذكـر (من) ينبه إلى ذلك لأن مباشرة الأنهار فى جريها للأشجار يملأ العين جمـالا وبهجة كما يفعم الفؤاد سرورا وحبورا. وبذلك يعيش الجسم فى نشوة وراحة ومتعة.

(ج) أمـا جـرى الأنهـار بعـيدا عن الأشجار ففيه توزيع للنظر وتفريق للحسن والـشعور فلا تكتمل المتعة ولا تطيب اللذة. ومن ثم كان ذلك فى شأن الفريق

---

(١) النشر فى القراءات العشر ٢/٢٨٠: ٢٨١.

الـــذين لم يصاحبهم أنبياء الله المصطفين الأخيار. وفى ذلك كله إظهار لقيمة معنـــى (مـــن) إذا ذكـــرت ففـــيها رفـــع مكانة من وردت فى شأن جزاتهم فى الجنة.

وإذا لـــم تذكـــر كان هذا دليلا على عدم ذلك فالثواب والمتعة مُقَسَّمَةَ على قدر شأن من يثاب فى الآخرة.

وأما الثانى (ابن الجزرى) ففى نصه ما يلى:

(أ) أن آيـــة الـــتوبة رقـــم ١٠٠ لم تذكر فيها (من) على غير قراءة ابن كثير لأن المعنى أن الماء ينبع تحت الأشجار. ولا يأتى من مكان ينبع منه بعيدا فيجرى حتى يصل تحت تلك الأشجار. كما هو الحال فى الآيات الأخرى.

(ب) وذكـــرت (مِنْ) فى سائر الآيات لأنها تدل على أن المياه آتية من بعيد فهى جارية حتى تصل إلى تحت أشجار تلك الجنات.

(ج) عبـــر ابن الجزرى تعبيرا مبهما بعض الإبهام لأنه لا يتضح المراد به وذلك قـــوله (فلمـــا اخـــتلف المعنـــى خولف فى الخط وتكون هذه الجنات معدة لمن ذكر..إلخ.

فلسنا ندرى ما المقصود بهذا النص أهو الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار أم غيـــرها فإذا كان الأول كان ابن الجزرى متفقا مع الخطيب الإسكافى وإذا كان الثانى كان مختلفا معه.

ولكنى مع ذلك أرجح الأول لأن ذكر (من) يزيد المعنى بهجة ومتعة بالأنهار الجاريـــة الآتـــية من بعيد. وأما نبع الأنهار فلا توجد فيه تلكم الدرجة الرفيعة من المتعة البالغة.

وحسبك أن تنظر إلى ما يسمى فى عصرنا هذا بالنافورة التى ينبع الماء من تحتها ويعود إلى تحتها. فهل فيها من المتعة ما كنا نراه أيام فيضان النيل من جرى المياه المسافرة وزادها الخيالُ على حد تعبير الشاعر فى وصفه؟ كلا.

فما دام الفريق الذى وردت فيه (تجرى من تحته) مشتملا على الْمُصْطَفَيْنَ الأخيار. فهم ذوو فضل عظيم كان ذلك نابعا من كلمة (من) لأن زيادة المبنى – فى الكلمة المفردة– تدل على زيادة المعنى فكيف بزيادة المبنى فى الجملة بحيث تزيد كلماتها عن غيرها؟.

وتبقى آية الزمر ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار﴾ .

يقول الزمخشرى: "غرف من فوقها غرف: علالى بعضها فوق بعض ومعنى (مبنية) والله أعلم أنها مبنية بناء المنازل التى على الأرض وسويت تسويتها (تجرى من تحتها الأنهار) كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل"[(١)].

آيات الأسلوب الثانى:

ونعنى به: تجرى من تحتهم. ومثله (تجرى من تحتى). وهى خمس آيات هى: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ ٦ الأنعام. وقوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ ٤٣ الأعراف. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ٩ يونس. وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾٣٠،

(١) الكشاف ٤/٩٤.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ ٣١ الكهف. ثم قوله: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ ٥١ الزخرف.

أما آية الأنعام فهى فى شأن قوم قال الله عنهم فى أولها: " ألم يروا -يعنى: أهل مكة- كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم... الآية".

ففى هذه الآية يضرب المثل ببعض القرون الخالية الذين من الله عليهم بنعيم يشبه نعيم الجنة فى الآخرة – ومع ذلك بغوا وطغوا وكفروا بنعمة الله وفضله فأهلكهم بذنوبهم.

وقد سبق عن أبى حيان أن المعنى: أن هؤلاء كانوا هم الذين يسخرون تلك الأنهار ويجرونها من تحتهم بأمرهم. وجعل من ذلك قول فرعون (وهذه الأنهار تجرى من تحتى).

ولذا قال أبو السعود فى آية الأنعام" من تحتهم: متعلق بـ (تجرى) وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس فى أن يقال: وأجرينا الأنهار من تحتهم"[(١)].

ولو نظر أبو السعود إلى صدر الآية لوجد فيه: (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) وبدون جَعْلِ الله لها لَمَا تهيأ لها هذا الجريان من تحتهم. فكل شئ عند الله بمقدار وهو القادر المقتدر المسخر لما فى السماوات وما فى الأرض.

---

(١) إرشاد العقل السليم، هامش الرازى ٢٥٦/٤.

ولــذا عــد الله علــيهم نعمه بعد أن عددها لهم ولما جحدوا فضله وأنكروا عطاءه لهم جعل عاقبتهم الدمار والخراب.

أما قوله (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) فقد سبق عن بعضهم أن المراد أن فــرعون يأمرها بذلك فتطيع فكأنها تجرى بأمره. وقد يدل على ذلك أنه لا يعترف بإلــه وكيف يكون ذلك وهو القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ ٣٨ القــصص. وهو القائل: ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ ٢٦ غافــر. وهـــو القائـــل: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ . فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ٢٣، ٢٤ النازعات.

فهذه كلها آيات تدل على أنه يمكن أن يزعم أو يتوهم أنه الذى يجعل الأنهار تجرى من تحته.

قال الزمخشرى: "يعنى أنهار النيل ومعظمها أربعة: نهر الملك ونهر طولون ونهــر دمــياط ونهــر تنيس. قيل: كانت تجرى تحت قصره. وقيل تحت سريره لارتفاعه، وقيل: بينَ يَدَىَّ فى جناتى وبساتينى[1].

٤- غشــى: فى

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ٥٥ العنكــبوت، وقــبله قوله: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٥٤، يوم يغشاهم.. إلخ".

---

(١) الكشاف ٢٠٣/٤.

والظاهــر أن (يــوم) منصوب بما تقدمه من قوله(لمحيطة بالكافرين إذ تلك الإحاطة تكون (يوم يغشاهم).

يقــول الزمخشرى:" لمحيطة: أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب). ثم أخذ بذكر أوجها أخرى قائلا:" أو هى محيطة بهم فى الدنيا لأن المعاصى التى توجبها محيطة بهم. أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم.

و(يوم يغشاهم) على هذا منصوب بمضمر أى: يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكــيت. و (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ١٦ الزمر(١).

ولا شــك أن الــوجه الأول أوضح دلالة وأقوى بيانا إذ ما لا يحتاج إلى ما يوضح دلالته أهدى سبيلا وأقوم قيلا مما تحتاج.

٥- نادى: فى

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ٢٤ مريم.

فــى هــذه الآية قراءتان إحداهما بكسر الميم من (من) وبها قرأ نافع وحمزة والكــسائى وأبــو جعفر وخلف. وعليها يكون (تحتها) مخفوضة. والفاعل مضمر وقيل: هو جبريل. وقيل (عيسى). وكون (عيسى) تحتها ظاهر واضح لأن المولود عادة يكون تحت والدته. وأما معنى كون (جبريل) تحتها: أنه فى مكان أسفل منها؛ لأنه كان تحت أمه. والجار – أى مِنْ– متعلق بالنداء أى الفعل (نادى). وممن قرأ

---

(١) الكشاف ٢٦٢/٤.

بهــذه القراءة ابن محيصين والحسن والأعمش والقراءة الثانية بفتح الميم أى (من) فهى موصولة والظرف (تحتها) صلتها[1].

وبالتأمل فيما سبق ندرك أن جعل المنادى على القراءة الأولى وهى المشهودة هــو (عيسى) أرجح وأقوى لأن المشهور أنه عليه السلام تكلم وهو فى المهد. وما ذلــك إلا لتبــرئة ساحة أمه مما يثار حولها من شبهات مفتراة وأوهام مخترعة لا أساس لها. ولا يخفى على القارئ قيمة (مِنْ) هنا؟!

وبهذا يتضح أنه المراد أيضا على قراءة فتح الميم.

تتمــــــه:

هــذا: ويبقــى من هذه الآيات آية ليس فيها فعل ترتبط به (من). وهى قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ١٦ الزمر.

ومــن قــبلها قــوله تعالــى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ١٥ لهــم من فوقهم ظلل...الآية ١٦ الزمر.

ويقــول فــيها الزمخشرى:" قل إن الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأســبابه هــم (الــذين خسروا أنفسهم) لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها. وخسروا (أهليهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم. وإن كانوا مــن أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم... ولقد وصف خسرانهم بغايــة الفظاعــة فــى قــوله: (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة

---

(١) انظر الكشاف ٣/٩٠، وإملاء ما من به الرحمن ٢/٥٩، وإتحاف البشر ٣٦٠.

وصـــدرها بحرف التنبيه وَوَسَّطَ الفصل بين المبتدأ والخبر وعَرَّفَ الخسران ونعته بالمبين و (من تحته) من النار هى (ظلل) لآخرين"[١].

فلو تأملنا فى هذه الآيات لأدركنا أن قوله تعالى:" لهم من فوقهم ظلل.. ومن تحتهم ظلل) لما وجدنا فعلا مذكورا يرتبط به الظرف (لهم) إذ لو جعلنا نسق الآية علـــى المـــشهور عند النحاة من التقديم والتأخير لكان هكذا: ظلل لهم من النار من فوقهم وظلل من تحتهم.

فـــ (ظلـــل) مبـــتدأ و(لهم) نعت و (من النار) حـــال و (من فوقهم) خبـــر و(ظلل) معطوف على الأولى و (من تحتهم) خبر.

و (من) فى (من النار) بعضية أى حالة كونها ببعض النار. وفى (من فوقهم) و (مـــن تحتهم) حرف ابتداء يفيد أن الظلل الفوقية والتحتية متصل بعضها ببعض وبـــذلك تكـــون محـــيطة بهـــم مـــن جمـــيع جوانبهم مع التصاقها بأجسامهم فلا فاصل بينهما.

وأرى ألا داعـــى لذلك إذ نسق الآية ليس فى حاجة إلى تعديل والنحاة أنفسهم هم الذين قرروا ذلك وكرروه فى أساليب كثيرة من القرآن وغيره.

وخلاصـــته: أن (لهم) ظرف رفع ما بعده و (من فوقهم) مرتبط بما فى (لهم) من معنى الاختصاص و (ظلل) فاعل (لهم) و (من النار) وصف لـــ (ظلل) إما فى محـــل رفـــع نعتا وإما فى محل نصب حالا. و (من) بعضية أى اسم. وكذا (من تحـــتهم ظلل) فـــ (من تحتهم) معطوف على (من فوقهم) فهو مرتبط بما ارتبط به. و(ظلل) فاعل معطوف على (ظلل) الأولى.

وبهـــذا يكـــون فى الآية إيجاز رائع ونسق بديع ويحتاج كل منهما إلى عقل مـــستنير وقلب بصير يفتش عن تلك المحاسن فيعثر عليها ليسعد بها فما من سعادة

---

(١) الكشاف ٩٢/٤: ٩٣

تعدل سعادة من يعيش فى رحاب كلام الله ليقف على دقائقه ويحصل على لآلئه ويتحلى بدرره؟!

ولا يغيب -هنا- عن ذهن القارئ أن (من فوقهم) و (من تحتهم) فيهما المباشرة المشتملة على هؤلاء الذين خسروا أنفسهم وأهليهم. وحسبك بالظلل من أعلاهم ومن أسفلهم وهى ظلل نارية. والعهد بالظل أن يكون للراحة والهدوء والنعيم. ولكنه هنا للتعب اللاغب. والقلق الزائد. والشقاء الدائم المقيم. ولله فى كلماته أسرار وحكم لا يقف عليها إلا ذو علم عليم.

الظرف الرابع: جانب

وهو فى ثلاث آيات أردفت (من) فيها الأفعال الآتية:

١- أنس: فى

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ ٢٩ القصص.

٢- قذف: فى

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ ٨ الصافات.

٣- نادى: فى

قوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ ٥٢ مريم.

ولا يخفـــى علـــى القارئ أن الآيتين الأولى والثالثة فى شأن كليم الله موسى عليه السلام. ففى الأولى دلالة على أن موسى عليه السلام علم وهو بجانب الطور نـــارا فـــ (من) فى (من جانب) مرتبطة بـــ (آنس) وهى دالة على أنه كان ملاصقا لجانب الطور لا بُعْد بينها.

ويؤيد ذلك المعنى الآية الثالثة (وناديناه من جانب الطور الأيمن) ففيها يقول الزمخشرى:" الأيمن من اليمين أى من ناحيته اليمنى أو (من اليمين) صفة (الطور) أو لـــ (الجانب). شَبَّهه بِمَنْ قَرَّبه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك. وعن أبى العالية: قَرَّبه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة"[١].

ففـــى الآيتـــين فضل عظيم من الله على موسى الكليم. إذ آية القصص تُثْبِت ذهاب وحشته واستبدال الأنس بها. وفى الثانية قربى ومناجاة الله عز وجل.

وأما آية الصافات (وُيقْذَفُوْن من كل جانب)

فـــيقول فـــيها الزمخـــشرى:" من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاســـتراق – أى اســـتراق السمع– (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال"[٢].

فالآيـــة فى حق الشياطين الذين يَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى. وإنما ذكرنها هنا فـــى آيات الظرف (جانب) لأن (كل) فى اللغة تكتسب معنى ما تضاف إليه. فتكون ظـــرفا إذا أضيفت إلى ظرف سواء أكان ظرف زمان كما فى قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ٢٥ إبراهيم، وقوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ٢٩ الرحمن. أم ظرف مكان : كما فى هذه الآية.

---

(١) الكشاف ١٧/٣.

(٢) الكشاف ٢٨/٤.

الظرف الخامس: حول

وذلك في ثلاث آيات سبقت (من) فيها بمواد اللغة الآتية:

١- حف: في

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ ٧٥ الزمر.

٢- خطف: في

قوله تعالى: ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ ٦٧ العنكبوت.

٣- فض: في

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ١٥٩آل عمران.

يقـــول صـــاحب إعـــراب القرآن في الأولى تقول: لا يدل (حول كذا) على التقـــريب لأنـــك تقول: هو يطوف حول البيت ويكون متراخيا عنه وأبَنِ منه قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ ١٠١ التوبة. والأعراب لا يكونون في الأكثر إلا متراخين عن البلدان. ويقول الله: ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ٨ الـــنمل. فالمعنى: أن بورك من في قرب النار أو في طلب النار ومن في بعدها. ومن حولها الملائكة وغيرهم.

والقريب منها موسى"[1].

---

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١٢٣.

ومعنـــى هــذا أن (حول النار) لا يدل دلالة (مِنْ حول العرش) إذ (من) فى الثانى للتعقيب والمباشرة. وعدمها فى الأول يدل على التراخى والمباعدة.

ولكـــن ذلك لا يروق نظر أبى حيان ولذا يقرر أولا أن (من) فى الآية زائدة أى حافين حول العرش. ثم يقول: " وقيل (من) لابتداء الغاية"(١).

هكــذا يــزعم زيــادة (من) ويعبر بصيغة التضعيف (قيل) فى جانب كونها لابتداء الغاية. فهل يعد ذلك قلب للحقيقة وجرأة على كلام الحق سبحانه وتعالى؟!

وحــسبك مــا سبق ذكره من قول صاحب إعراب القرآن فى (يطوف حول البــيت) إنه يكون متراخيا. فلو قيل: يطوف من حول البيت لكان ملاصقا للبيت لا يفصل بينهما فاصل ما.

وأمــا آيــة العنكبوت (ويتخطف الناس من حولهم) فصدرها " أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف...إلخ.

وهى فى حق قريش وفيها يَمُنّ الله عليهم بما أسبغه من نعمة وأفْضَلُها نِعْمة الأمــن والأمان على حين تقع أنظارهم على العرب الذين يجاورنهم ملاصقين لهم (من حولهم) لا (حولهم) وهو يتخاطفون ويغزو بعضهم بعضا ويتناهبون " ولكنهم -أى أهل مكة- قَارّون آمنون فيها لا يُغْزَوْن ولا يُغَارُ عليهم.."(٢).

فلــو قيل (ويتخطف الناس حولهم) لما استقام النص وعليه لا يستقيم المعنى. وحاش لكلام الله أن يكون كذلك. لأن العرب حينئذ تكون لهم حجة بأنهم لم يسمعوا أو لم يعلموا أن العرب يتخاطفون لما بينهم وبين هؤلاء العرب من بعد الشقة الذى يترتب عليه انقطاع أخبار هؤلاء عنهم.

---

(١) البحر المحيط ٤٤٣/٧.
(٢) الكشاف ٣٦٥/٣

وتبقـى آيـة آل عمران وهى خطاب لسيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام. (لانفـضوا مـن حولك). أى لو كنت جافيا قاسى القلب لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم هكذا عبر الزمخشرى[1].

وكان عليه أن ينبه إلى أن الآية فى الحقيقة تُثْبِت فضل رسول الله ﷺ. لأنها - فى المقام الأول- تقرر أن أتباع محمد ﷺ. حافين من حوله أى محيطين به ليس بيـنه وبيـنهم ثغـرة ولو كَسْمِّ الخياط أو أدنى. وليس هذا من فراغ بل لأنهم -أى أتـباعه- قـد أحسوا بما له عليهم من فضل فقد انتشلهم من ربقة الذل إلى رحابة العـز. ومـن دنـس الشرك إلى طهارة التوحيد فالتقوا من حوله انتفاعا بما يقوله ويعلمه. ودفاعا عنه مما عساه أن يراد به من سوء.

ولـو قيل: (لانفضوا حولك) لما اهتدى العقل والفكر إلى هذا المعنى الجميل. فـ (مِنْ) فى الأسلوب مصدر جماله وعنصر كماله.

الظـرف السادس: حيث: فى ست عشرة آية سبقت (من) فيها بالمواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى خمس آيات هى:

قـوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٢٢٢ البقرة، وقوله: ﴿ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٢٦، وقـوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٤٥ الـنحل. وقوله: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ

---

(١) انظر الكشاف ٣٣٢/١

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٢٥ الزمر. وقوله: ﴿ فَأَتَنهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ٢ الحشر.

فـــ (مــن) فى هذه الآيات الخمس واضحة الدلالة على الابتداء ومنها أربع آيات وهى ما بعد الأولى فى إتيان عذاب الله للكافرين المعاندين والتصريح بالعذاب فـــى الثلاث الأولى منها وأما فى الرابعة فالنص (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب... إلخ الآية. والعقل يدرك أن المراد عذاب الله أو أمر الله أو غير ذلك مما فيه الوعيد والتهديد وقوله (من حيث لم يحتسبوا) معناه: من حيث لـــم يظـــنوا ولـــم يخطر ببالهم أو يكون فى حسبانهم يقول الزمخشرى:" وذلك مما أَضْعَفَ قُوتَهمَ وقَلَّ شوكتهم وسلب قلوبهم الأَمْن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم.."[1].

فـــ (من) فى الآيات الأربع تدل على أن العذاب كأنه آتيهم من أدنى مكان إليهم ومع ذلك لا يحسونه ولا يشعرون به فهو يباغتهم من حيث لا يعلمون.

ومـــن العجـــيب أن يقـــول الله فـــيما سيأتى من آيات:" ويرزقه من حيث لا يحتـــسب: فيـــسوى بـــذلك بين النعمة والنقمة فى أنهما يباغتان ما هما لازمان له ومقسومان. وفى ذلك تهويل النقمة فيكونَ وْقعَها أَشَدَّ وتيسير النعمة فيكون وقوعها أشد سرورا وحبورا.

أما آية البقرة (فأتوهن من حيث أمركم الله) فهى كيفية مباشرة الزوج زوجته تـــصريفا لغريـــزة شهوة النساء التى زينها الله للرجال فى قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ ١٤ آل عمران.

---

(١) الكشاف ٣٩٨/٤.

فلقاءُ الرَّجُلِ زَوْجَتَهَ إطفاء لطغيان تلك الشهوة كما أنه سبب فى ابتغاء الذرية التى هى امتداد للزوجين وقرة أعينهما وبهجة قلبيهما.

ومعنـــى (من حيث أمركم الله):" أن (من) لابتداء الغاية على أصلها أى من الناحية التى تنتهى إلى موضع الجنس. ويجوز أن تكون بمعنى (فى) ليكون ملائما لقوله (فى المحيض). وفى الكلام حذف تقديره: أمركم الله بالإتيان منه"(١).

وفـــى هذا النص إشارة إلى أن الله أمر الأزواج أن يأتوا نساءهم فى المكان الـــذى يَحِضْنَ منه وهو فى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ ٢٢٢ البقرة.

أى فاجتنبوا مجامعتهن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أى من المأتى الـــذى أمركم الله به وجعله لكم وهو القُبُل: أى جامعوهن من أيِّ شق أردتم بعد أن يكون المأتـــى واحـــدا وهو موضع الحرث المذكور فى قوله: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ ٢٢٣ البقرة(٢).

والـــذى أراه أن (من) ابتدائية أما كونها ظرفية فبعيد احتماله ولا يقاس على قـــوله (فى المحيض) لأن المحيض ظرف مكان إذ المقصود به المكان الذى يسيل مـــنه دم الحيض. أو ظرف زمان أى فى وقت الحيض ولكن الإتيان له جهة يأتى منها الرجل إلى المكان المهيأ للحرث والإنبات وهو فرج الزوجة.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٥٣/١ وحاشية الجمل ٢١٤/١: ٢١٥.

(٢) انظر الكشاف ٢٠١/١: ٢٠٢.

ويظهـر مـن عبارة القرطبى أنه يرجح معنى (فى) لأنه ذكره أولا ثم حكى الأول – أى معنى الابتداء- بصيغة التضعيف (قبل) [١].

وسـواء قلنا إن (من) ابتدائية وهو الأصل فيها أو جعلناها بمعنى (فى) وفى هذا خروج بها عن هذا الأصل ولا دليل عليه إذ لا احتياج إليه. سواء أكان هذا أم ذلك فإن المراد هو مزج الزوجة. ولكن الزَّجَّاج يرى أنه غير المراد فقد قال:" من الجهات التى يحل فيها أن تقرب المرأة. ولا تقربوهن من حيث لا يحل كما إذا كُنَّ صائمات أو محرمات أو معتكفات. وأيد ذلك بأنه لو أريد الفرج لكانت (فى) أظهر فيه من (من) لأن الإتيان بمعنى الجماع يتعدى بها غالبا لا بـ (مِن)" [٢].

ومقتضى هذا أن (من) حرف ابتداء على أصلها.

٢- أكل: فى

قـوله تعالـى: ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ١٩ الأعراف.

وفـى سورة البقرة: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ٣٥.

ويقـول فـيها الزمخشرى: " أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليها بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ص ٨٩٨.
(٢) انظر روح المعانى ٤٢٠/١.

للمأكــولات مــن الجــنة حتى لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة بين أشجارها الفائتة للحصر. وكانت الشجرة فيما قيل: الحنطة. أو الكَرْمة. أو التِّينه"[١].

ففــى آيــة الآعراف ما فصلته آية البقرة. ولا عجب فى ذلك فالأولى مكية والثانية مدنية. على حين نرى فى آية البقرة. إطلاقا فى قوله وكلا.. حيث شئتما. قــيدنه آية الأعراف (وكلا من حيث شئتما) ولا عجب أيضا فى ذلك إذ البقرة فى الترتيب الثانية على حين أن الأعراف السابعة. ومن التفصيل فى البقرة (فكلا منها رغــدا حــيث شئتما) ويقابله في الأعراف (فكلا من حيث شئتما) فــ (من) الأولى متصلة بضمير الجنة. وهى بعضية أى فكلا بعض ما فيها رغدا فى أى مكان شئتم بمعنــى أن ثمــر الجنة ومأكولاتها كثيرة وفيرة لا تنفد فمهما أكلا لا يستطيعان أن يأتيا على ما فيها من مأكولات.

وأمــا (مــن حيث) فهى ابتدائية أى ابتداء أَكْلِكُمَا حيث شئتم أى المكان الذى ترغبون الأكل منه. ولكن بشرط ألا تقربا الشجرة التى نهيتكما عنها.

٢- خرج: فى

قوله تعالى: ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ ١٩١ البقرة. وهذا أمــر مــن الله للمسلمين أن يخرجوا الكافرين من أهل مكة عند فتحها منها. يقول الزمخشرى: من مكة وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك. يمن لم يسلم منهم يوم الفتح"[٢].

٣- دخل: فى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾٦٨يوسف.

---

(١) الكشاف ٩٥/١.

(٢) الكشاف ١٧٨/١.

وفــى الآية من قبلها ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ...الآية ﴾ ٦٧.

وإنما نهاهم عن ذلك لأنهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقــربة عــند الملــك والتكرمة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا مَظِنَّة لطموح الأبــصار إلــيهم مــن بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ولعل ذلك كله خشية الإصــابة بالعــين فقــد كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة"...

ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أى متفرقين(١).

٤- درج: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١٨٢ الأعراف، ٤٤ن، يقــول الزمخشرى:" سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم (مــن حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع أنهماكهم فى الغى فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بــسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أَثَرَةٌ من الله وتقريب. وإنما هى خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه"(٢).

٥- رأى: فى

قــوله تعالــى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ ٢٧الأعراف "والــضمير فى (إنه) لــ (الشيطان) فى صدر الآية (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان)

---

(١) انظر الكشاف ٣٨٠/٢.

(٢) الكشاف ١٤٢/٢.

أى لا يمتحننكم بأن لا تدخلوا الجنة.. (إنه يراكم) تعليل للنهى وتحذير من فتنته بأنه منــزلة العــدو المداجى أى المدارى يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون. وعن مالــك بــن دينار : إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين. وهو معطوف على الضمير فى (يراكم) المؤكد بـــ (هو).

والضمير فى (إنه) للشان والحديث.

وقرأ اليزيدى (وقبيله) بالنصب. وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم (إن) وأن تكــون الــواو بمعنى (مع). وإذا عطفه على إسم (إن) وهو الضمير فى (إنه) كان راجعا إلى إبليس"(١).

هكــذا قــرر الزمخــشرى حيث جعل فاعل (يراكم) مستترا مؤكدا بـــ (هو) الظاهرة. ثم عطف (قبيلة) على المستتر. إذا كان مرفوعا. وهذا هو المشهور عند الــنحاة مدرسيه ودارسيه. مؤلفيه وقارئيه فكأنه دستور مقدس لا تحوم حوله شبهة ولا تنال منه ريبة.

والحــق أنـــه يمكن جعل (هو) علامة إضمار للفاعل على حد تعبير سيبويه وبـــذلك يجوز عطف (قبيلة) على ذلك الفاعل المضمر فى النفس. كما أنه إذا كان منصوبا عطف على المضمر فى النفس الذى علامة إضماره الهاء فى (إنه).

وقوله: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) يثبت أن هؤلاء يتربصون الدوائر خِفْيَةً ببنى آدم مع قربهم منهم فالحاجز بينهم وبين بنى آدم لا يحس بل هو ســحاب مستور كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ٤٥ الإسراء.

---

(١) الكشاف ٢/٧٧.

٦- رزق: فى

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ ٢، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ٣ الطلاق.

" أى من وجه لا يخطر بباله. وإذا تأملنا صيغ مادة (ح س ب) علمنا أنها غالبا تفيد معنى العدد والعد والاستعداد. فمن عد الشئ أدركه وأحاط به ومن استعد للشئ أعد له العُدَّة التى تمكنه من الحصول عليه والوصول إليه. ومن ثم قيل:" وهو حسن الحسبة حسن التدبير"(١).

فمن يتقى الله يهيئ الله له مخرجا من كل ضيق ويرزقه من جهات لا تقع فى حسابه ولا ينالها تفكيره. فـ (من) حرف ابتداء وتعقيب بمعنى أن الذى يتقى ربه يعقب تقواه مخرجه من ضيق يقع فيه. ورزقه من جهة لا تخطر بباله.

٧- فاض: فى

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ ١٩٩ البقرة.

يقول الزمخشرى:" لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس. ولا تكن من المزدلفة. وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالى عليهم وتَعَظُّمِهم عن أن يساووهم فى الموقف وقولهم: نحن أهل الله وقُطَّان حرمه فلا نخرج منه. فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات. ثم ذكر أن (ثم) للتفاوت بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ.

---

(١) القاموس ٥٥/١.

وذلـــك مثل قوله: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتى بـــ (ثم) لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما.

وقـــيل: ثـــم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أى من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات.

وقرئ من حيث أفاض الناس. بكسر السين أى آدم من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ ١١٥ طـــه. يعنى: أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه[1]"

والحمس جمع أحمس وهو لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة"[2].

ويقـــول أبـــو حـــيان: من حيث: متعلق بـــ (أفيضوا) و (من) لابتداء الغاية و(حيث) هنا على أصلها من كونها ظرف مكان.

وقال القفال: من حيث أفاض الناس: عبارة عن زمان الإفاضة من عرفة.

ولا حاجـــة إلى إخراج (حيث) عن موضعها الأصلى. وكأنه رام أن يغاير بذلك بين الإفاضتين لأن الأولى فى المكان. والثانية فى الزمان. ولا تغاير لأن كلا منها يقتضى الآخر ويدل عليه"[3].

والراجح كون (حيث) ظرف مكان وأن (من) حرف ابتداء أى ابتداء الإفاضة هو المكان الذى يفيض منه الناس.

---

(١) الكشاف ١/ ١٨٦: ١٨٧.

(٢) القاموس ٢/٢٠٨.

(٣) البحر المحيط ٢/٩٩.

٨- ولى: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ١٤٩، ١٥٠ البقرة.

فـــ (من حيث) مرتبط بقوله (فول وجهك) وكم علمنا أن الظرف يذكر قبل العامـل فيه أو ما ارتبط معناه به ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ ٢٦ الإنسان. مثله فى ذلك مثل المفعول به نحو قوله تعالـــى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٦ الزمـــر. وإنمـــا يذكر المعمـــول مـــن قـــبل العامل لإثبات العناية والاهتمام به ولذ لا ينبغى أن يقال قدم المعمول على العامل. بل يقال: ذكر قبله للاهتمام والعناية. يقول الزمخشرى:" أى ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) إذا صليت"(١).

وبالـــتأمل نـــدرك أن (من) لابتداء حَدَثِ الخروج من أى مكان. كما نعلم أن (شـــطر المسجد الحرام) معناه جهته. فكأن (شطر) فيها معنى الانتهاء فالتولى إلى المـــسجد الحرام ابتداؤه مكان الخروج ولذا قال السمين:" والظاهر أن (من) ابتدائية أى فَـــوَلِّ وجهـــك مبتدئا من أى مكان خرجت إليه للسفر. ويصح أن تكون بمعنى (فى) بل هو الأقرب أى فول وجهك إلى الكعبة فى أى مكان سافرت فيه"(٢).

وأرى أن الثانـــى لا داعـــى إليه إذ ما دام المعنى يفهم بالكلمة المذكورة فما الداعـــى إلـــى استبدال غيرها بها؟ ولعل هذا ما حمل الألوسى على الاقتصار على

---

(١) الكشاف ١/١٥٤.

(٢) حاشية الجمل ١/١٤٥.

الأول حيث قال: "و(من): ابتدائية لأن الخروج أصل الفعل ممتد وهو المشى. وكذا التولية أصل للاستقبال وقت الصلاة الذى هو ممتد"(١).

الظرف السابع: خلف

وهو فى تسع آيات وقعت (من) فيها بعد المواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ١٧ الأعراف.

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ ٤١، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ٤٢ فصلت.

٢- ترك : فى

قوله تعالى:﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا .. ﴾ ٩ النساء.

٣- جعل: فى

قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ ٩ يس.

٤- جاء: فى

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ١٤ فصلت.

٥- خلا: فى

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ٢١الأحقاف.

---

(١) روح المعانى ٣٣٧/١.

٦- سلك: فى

قوله تعالى: ﴿ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ ٢٧ الجن.

٧- عقب: فى

قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ ١١الرعد.

٨- لحـــق: فى

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ١٧آل عمران.

وقـــد ســبق الحديث عن هذه الآيات ما عدا آيتى النساء وآل عمران لأنهما الآيـــتان اللتان لم يسبق (من خلفهم) بـــ (من بين أيديهم). ولا يخفى على ذى عقل وبـــصيرة أن (مـــن) للابـــتداء الذى هو التعقيب أى عدم وجود فجوه بين الحدث والخلف. كما هو الحال بينه وبين اليدين أو الأيدى.

هذا: وهناك آية قرئ فيها (من) المفتوحة بالكسر وتلك قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ ٥٧ الأنفال.

وفـــيها يقول الزمخشرى:" وقرأ ابن مسعود (فشرد) بالذال المعجمة بمعنى: فَفَـــرِّق. وكأنه مقلوب (شذر) من قولهم: ذهبوا شَذَرَ مَذَرَ، ومنه: الشذر الملتقط بين المعدن لتفرقه.

وقـــرأ أو حـــيوة: مِن خلفهم بكسر الميم . ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة

المتمردين، فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه. فلم يبق فرق بين القراءتين"(١).

هكـذا قرر الزمخشرى والحق أن القراءة الثانية أدق وأعمق فى الدلالة على ما حصل لهم من فزع وهلع وخوف وضياع لأن المكان إذا تفتت وتمزق فأولى بما فيه ومن فيه أن يزداد تفتتا وتمزقا.

ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ ١٦٦ البقرة. أى الوصل التى كانت بينهم. وقوله: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ٩٤ الأنعـام. أى الوصـل الـذى كـان بينكم. وقوله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ ١٥٣ الأنعـام أى فتتفرق السبل فلاشك أن تقطع الأسباب والوصل وتفرق السبل أدق فى الدلالة على المعنى من تفرقتم. لأن تمزيع وتمـزيق الخَلْـف والرباط يترتب عليه -لا محالة- تفريقهم وتوزيعهم وتمزيقهم. وبذلك يتضح الفرق بين القراءتين.

هـذا: وقـد ذكر الزمخشرى أن القراءة (فشرذ) كأنها على القلب من (شذر) ومقتـضى هذا أن (شرذ) غير موثوق به وعليه ينبغى أن نعتمد قراءة فشرد بالدال المهملة. وهذا هو الذى رأيته فى بعض معاجم اللغة:

يقول المجد:" والتشريد: الطرد والتفريق وشُرِّدَ بهِ سمع الناس بعيوبه".

---

(١) الكشاف ٢/١٨٠.

ثـم يقـول: " فـشرد بهم من خلفهم بالذال المعجمة قراءة الأعمش – نسبها الزمخـشرى إلى ابن مسعود رضى الله عنه- وقال ابن جنى: لم يمر بنا فى اللغة ترتيب (شرذ) وكأن الذال بدل من الدال"(١).

وهذا ما حمل الزمخشرى على قوله إن (شرذ) مقلوب (شذر) لأن هذا وارد عـن العـرب. يقـول المجد:" الشذر قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة.. وتفرقوا شذر مذر... ذهبوا فى كل وجهة... وتشذّر القوم تفرقوا..." (٢).

الظرف الثامن: دبر

وهو فى ثلاث آيات من سورة يوسف هى:

قوله تعالى:﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾، ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾، ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ ٢٥، ٢٧، ٢٨ يوسف.

قـال ابن جنى:" كأنه يريد وقدت قميصه من دبره.. فلما حذف المضاف إليه أعنـى: الهاء وهى مراده صار المضاف غاية نفسها بعدما كان المضاف إليه غاية لـه. وهذا حديث مفهوم من قول الله سبحانه (من قبل ومن بعد) فبنى هنا كما بنى هناك على الضم. ووكد البناء أن (دبر) يكون ظرفا ألا ترى إلى قول الفرزدق:

يطاعن قبل الخيل وهو أمامها ∴ ويطعن عن أدبارها إن تولت

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ٤٠ق.

فنصبه على الظرف وهو جمع دبر"(٣).

---

(١) القاموس ٢/٥٧.

(٢) الكشاف ٢/١٨٠.

(٣) المحتسب ١/٤٢٠: ٤٢١.

ومعنى هذا كله أن القبل الجهة التى يقابلها الإنسان وأن الدبر هو الجهة التى دبره أى خلفه فإذا ما قيل (من دبر) دل ذلك على أن القميص كان مباشرا للدبر أى الجهة التى تقع من خلفه.

الظرف التاسع: دون

وقــد اقتــرنت (مــن) بهــذا الظــرف فى القرآن ثلاثين ومائة مرة سيأتى الحديث عنها.

تمهيــد:

إن كلمـــة (دون) مـــن مادة لغوية يأتى الفعل (دان) منها إذ يقال : دان يدون دونا.. صار دونا خسيسا أو ضعف. ومنه الديوان ويفتح مجتمع الصحف. والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية وأول من وضعه عمر رضى الله عنه... وهذا دونه أى أقرب منه ودونكه إغراء. وادن دونك أى اقترب منى. ويدخل عليه (من) والـــباء قليلا...... ويقال: هذا رجل من دون. ولا يقال: رجل دون ولاما أدونه... هكذا ذكر المجد وعلق عليه شارحه قائلا:" نقل المقريزى عن الماوردى: فى سبب تـــسميته ديونا وجهان أحدهما: أن كسرى اطلع ذات يوم على كُتّاب ديوانه فرآهم يحـــسبون مع أنفسهم فقال: ديوانه أى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهـــاء عـــند كثـــرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل: ديوان والثانى: أن الديوان اسم بالفارســـية للـــشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذّ وتفرق اطلاعهم على ما قرب وبعد ثم سمى مكان جلوسهم باسمهم فقيل: ديوان.. ثم أشار إلى أن قول المجد: ولا يقال: رجل دون يتعارض... إلخ مقابله.

يتعارض مع قوله آنفا (صار دونا حسيسا) وقد جوزه بعضهم[١].

---

(١) انظر القاموس ٤/ ٢٢٤ وهامشها.

ومـــن قـــبل قال المجد:" دون بالضم نقيض فوق. ويكون ظرفا وبمعنى أمام ووراء وفوق ضد. وبمعنى غير قليل.. وبمعنى: الشريف والجنس ضد"(١).

ونستخلص من نص المجد أن كلمة (دون) فيها معنى الخسة والضعف. والقلة وغيرها. والتقدم والتأخر. أى أنها تستعمل للشئ وضده.

ولكنـــنا حيـــنما قرأنا الكشاف للزمخشرى وغيره من الكتب وجدنا غير ذلك يقـــول الزمخـــشرى:" ومعنى (دون) أدنى مكان من الشئ ومنه: الشئ الدون وهو الدنـــى الحقيـــر. ودون الكتب إذ جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال: هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلا. ودونك هذا أصله: خـــذه مـــن دونـــك أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الأحوال والـــرتب فقـــيل: زيـــد دون عمرو فى الشرف والعلم. واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حَدٍّ إلى حَدٍّ وتخطى حُكْمٍ إلى حُكْمٍ. قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٨آل عمـــران. أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين"(٢).

وقـــال ابـــن سيـــدَه:" ومعنى (دون) تقصير عن الغاية.. ولما اقتضى معنى التقصير وصفوا به ما ليس برفيع. فقالوا: رجل دون وثوب دون"(٣).

---

(١) القاموس: ٢٢٣/٤: ٢٢٤.

(٢) الكشاف ٧٥/١.

(٣) المخصص ٦٠/١٤.

وقال الآمدى:" ومعنى (دون) عند أهل اللغة التقصير عن الغاية فمعنى قوله: أنـا أرضـى بالقليل دون الكثير أى أرضى بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير أى لا أطمع إليه(١).

وقـال الشيخ الغربى:" وكلمة (دون) مقلوبة فى الأصل على (دنو) ومعناه: القرب استعملت فى المكان القريب. ومن كان فى مكان قريب منك كان بالضرورة مغايرا لك ومن ثم كثر استعمال (دون) أيضا بمعنى : غير"(٢).

وخلاصـته هذه النصوص أن (دون) تدل على أقرب القريب من الشئ غير أنهـا يغلـب استعمالها فيما فيه ذم أو الدلالة على خسة ونذالة. فإذا استعملت (من) معهـا فقيل (من دون ذلك) مثلاً دلّ ذلك على تلاصق الشئ بالشئ. وهذا ما سنجده فـى آياتهـا من القرآن الكريم. وقد أشرنا إلى أنها وردت ثلاثين ومائة مرة. وهى مسبوقة بالمواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٨١ الأعـراف. وقـوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٥٥ النمل.

قـال ابـن هشام:" من: لابتداء الغاية. والظرف صفة لـ (شهوة) أى شهوة مبتدأ من (دونهن).

---

(١) الموازنة ١٤٧.

(٢) تفسير جزء تبارك ص ١٢.

قـيل: أو للمقابلـة كخذ هذا دون هذا أى اجعله عوضا منه. وهذا يرجع إلى معنى البدل. ويرده أنه لا يصح التصريح به ولا بالعوض مكانها هنا"[١].

ومقتـضى هذا أن (من دون) مرتبطة بـ(شهوة). والذى يدركه القارئ غير ذلـك إذ يقـال: أتى زوجه أى جامعها ومنه قوله : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ ٢٢٣ البقرة، وقوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾٢٢٢ البقرة.

فالإتيان مباشرة الرجل زوجته قضاء للشهوة وابتغاء للنسل. وقوم لوط كانوا يأتـون الـرجال قـضاء للـشهوة فقـط لأن الرجل المأتى غير مجهز لأن يكون صالحاً للإنسال.

وبهـذا يتضح أن (من دون النساء) مرتبط بالفعل (تأتون) و (شهوة) مفعول لأجله. ولعلَّ أبا البقاء يشير إلى ذلك حيث قال:" من دون النساء صفة لـ (رجال) أى منفردين عن النساء"[٢].

والقـيمة الدلالية لـ (من دون النساء) هى: أن الرجال تكون النساء أقرب ما يكُـنَّ منهن وحينئذ يتركهن الرجال إلى إتيان الرجال دونهن. وكأنهم بذلك يثيرون الغـضب والحـنق والبغض فى نفوس النساء لأن المرأة أقرب ما تكون من الغيظ والحقد حينما تتهيأ مع الرجل للجماع وفى اللحظة نفسها يتركها إلى غيرها وخاصة إذا كان رجلا لا امرأة لقضاء شهوته معه لا معها.

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٨/٢.
(٢) إملاء ما من به الرحمن ١٥٦/١.

٢- أخـذ: في

قـولـه تعالـى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ ١٦٥ البقـرة، وقـولـه: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾٢٨، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٤، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ ١١٨ آل عمـران، وقـولـه: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ ١١٩، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٣٩، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٤٤ النساء.

وقوله: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ٣٠ الأعراف. وقوله: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً[1] ﴾ ١٦، ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ ٣١ التوبة. وقوله: ﴿ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ ١٦ الرعد. وقوله:﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى

---

(١) الولـيجة: الدخيلة وخاصتك من الرجال أو من تتخذه معتمداً عليه من غير أهلك، القاموس ٢١١/١.

لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ ٢ الإسراء. وقوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ١٥، ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ ﴾ ٥٠، ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ ١٠٢ الكهف. وقوله: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴾ ٨١ مريم . وقوله: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ ٣ . وقوله: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ ١٨ الفرقان. وقوله: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا ﴾ ٢٥، ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ﴾ ٤١ العنكبوت. وقوله: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ٢٣، ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ ٧٤ يس. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ ٣، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ ٤٣ الزمر. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ٦، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ ٩ الشورى. وقوله: ﴿ ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما تخذوا من دون الله أولياء ﴾ ١٠ الجاثية. وقوله: ﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾ ٢٨ الأحقاف.

يقول أبو حيان فى الآية الأولى:" و(دون) هنا بمعنى (غير) وأصلها أن يكون ظرف مكان وهى نادرة التصرف إذ ذاك"(١).

وعلـــى هــذا يكـــون المعنى: ومن الناس من يتخذ من غير الله أندادا. وهذا واضح القلق ولاضطراب بأن المراد بالآية أن هؤلاء الضالين قد جعلوا غير الله ندا لله. وذلك المعنى لا ينطبق على هذا إذ هو يقتضى أنهم يتخذون أندادا من غير الله أى آلهة كلٌ منه نِدٌ لغيره وبهذا يلزم أن يكون معنى (دون) الأدنى من الله لا غيره.

وقـــال أبو حيان أيضا فى آية آل عمران الأولى: (من) متعلقة بـــ (لا يتخذ) وهى لابتداء الغاية. قال على بن عيسى: أى لا تجعلوا ابتداء الغاية من مكان دون مكان المؤمنين"(٢).

وهـــذا المعنـــى مـــستقيم واضح وكان الأجدر بأبى حيان أن يقرره فى الآية الأولى لما فيه مما عرفنا.

وفى قوله تعالى: ﴿ لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ يرى الزمخشرى ومن بعده أبـــو حيان أنه يجوز تعلق (من) بمحذوف يكون وصفا لـــ (بطانه) أى بطانه كائنة من دونكم مجاوزة لكم"(٣).

وقـــد عـــرفنا أن ذلـــك المنهج فى الدرس النحوى غير لائق باللغة العربية وخاصة النصوص القرآنية..

وزاد أبو البقاء الداء علة حيث زعم أن (من) فى هذه الآية زائدة لأن المعنى: بطانة دونكم فى العمل والإيمان(٤).

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٦٩.

(٢) البحر المحيط ٤٢٣/٢.

(٣) الكشاف ٣١٢/١، والبحر ٣٨/٣.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٣.

ويساويه فى المعنى من جعل (من) للتبيين أى لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم[1].

فقد حققنا أن (من) التبيينية زائدة لا محالة فمن يقول بهذا المعنى يحكم بإعدامها. وهذا أبشع من دعوى زيادتها. ولذا نقينا الدرس النحوى منهما معاً وفى آية يس~ (أأتخذ من دون الله آلهة) يجعل الرضى (من) ظرف المكان كما سبق عن أبى حيان. والمعنى: أئذا وَصَلْتُ إلى الآلهة أَكْتَفِي بهم ولا أطلب الله الذى هو خلقهم ووراءهم كأنهم قدامه فى المكان تعالى الله عنه[2].

ولست أدرى إذا كان الرضى يدرك ذلك وينزه الله عنه فكيف يستسيغه ويخطه بقلمه؟!

إننا نعلم أن كل من يزعم أنه إله غير الله ليس بإله لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ٧٣ المائدة، وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٦٢ آل عمران.

فالذين يزعمون ألوهية غير الله يتخذون ما يزعمون إلها من دون الله. أى لا يدنو منه ولا يشبهه فـ (من) ابتداء للمرتبة السفلى الذى يكون فيها المزعوم ألوهيته..

وبهذا يستقيم معنى تلكم الآيات كلها بلا دعوى زيادة (من) أو غيرها إذ لابد من وجودها حتى يتصور العقل المعنى ويطمئن به القلب.

٣- آخر: فى

قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ ٦٠ الأنفال.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣/ ٣٨.

(٢) انظر شرح الكافية ١/١٨٩.

قال ابن عطية قوله:" من دونهم: بمنزلة قولك: دون أن تكون هؤلاء. فـ (دون) و (من دون) فى كلام العرب تقتضى عدم المذكور بعدها من النازلة التى فيها القول"(١).

ولعله يعنى بذلك أن كونهم غير مساوين لمن الحديثُ عنهم بمنزلة عدمهم وأُشْهِدُ الله أن هذا المعنى جدير بأن يلاحظ فى الآيات التى يكون فيها اتخاذ المشركين وإقبالهم آلهة من دون الله. بمعنى أن تلكم الآلهة لا وجود لهم ولا حقيقة فمن يزعمونهم آلهة واهمون تائهون ساهون.

٤- أله: فى

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ ٢٩ الأنبياء.

وما سبق فى الآية من قبلها يليق بها أى أن ما يُزْعَم أنه إله غير الله فى حكم المعدوم المزعوم الموهوم ومن ثم استحق قوله تعالى: فذلك نجزيه جهنم".

٥- تبع: فى

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٣ الأعراف.

والواضح أن (من) مرتبطة بالفعل المباشرة له فهى حرف ابتداء ولكن نزعة التقدير – التكدير – قد رسخت فى نفوس بعض النحاة وتمكنت من تفكيرهم حتى فاضت على أقلامهم وألسنتهم بدون داع. ولذا نرى السمين يُجَوِّز فى (من) ههنا أن تكون مرتبطة بالفعل كما أسلفنا. ولم يكتف بذلك بل تأبى عليه النزعة النحوية إلا

---

(١) المحرر الوجيز ٥٤٧/٢ وانظر البحر المحيط ٥١٢/٤: ٥١٣.

أن تفيض على قلمه فيقول:" ويجوز تعلقه – أى من دونه– بمحذوف حال مقدم من (أولياء) لأنه فى الأصل صفة له"[١].

أرأيت كيف يترك هذا العالم سبيل الرشد والصواب إلى دعويين باطلتين هما دعـوى: التقديم والتأخير– وهى خلاف الأصل– ودعوى: الحذف – وهو حيف– والتقدير – وهو تكدير– بدون داع.

٦- جعل:فى ثلاث آيات هى

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ ٩٠ الكهـف. وقـوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ٤٥ الزخـرف. وقوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ٢٧ الفتح.

ففـى آيـة الكهـف أقوال متعددة فى:من هم القوم.وهذا لا يعنينا إنما الذى نحرص على ذكره هو معنى(لم نجعل لهم من دونها – أى الشمس– سترا...)

فقـيل هـم الزَّنْج والستر: الأبنية. وعن كعب: أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا دخلت الشمس دخلوها.. وقيل:" السِّتْرُ اللباس. وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.[٢].

وخلاصة ذلك أن هؤلاء ليس بينهم وبين الشمس ستر. ولكن النص أثبت هذا المعنـى بأسلوب يليق بجلال الله وكماله إذ قوله (من دونها) يدل على أنه لا يوجد

---

(١) انظر حاشية الجمل ١٤٢/٢.

(٢) انظر الكشاف ٥٨٢/٢.

شـــئ مهمـــا دق وصـــغر مـــن بين الشمس وبينهم حتى يحجب عنهم أثرها ويدفع أذاها وشرها.

وأما آية الزخرف فمعناها أن الله لم يجعل من دونه ألهةً يعبدون. وهذه سنة الله التـــي وَاكَـــبَتْ رُسُلَهَ جميعا. وما دام الرسل قد علموا هذه الحقيقة ففى هذا أبلغ الحجـــج وأدمغ البراهين على أن نزعة الشرك بالله لا أساس لها اللهم إلا أوهام فى رءوس المشركين. وتأمل هداك الله قوله (من أرسلنا من قبلك من رسلنا) ففى (من قـــبلك) استغراق للزمان والمكان ومعناه أنه لا يوجد زمان ولا مكان بدون رسول يهدى قومه سبل السلام القائم على توحيد الله بالعبادة. و (من رسلنا) أى حالة كونه بعـــض رســـلنا. وفـــى هذا بيان أن كل رسول قد بلغ هذه الحقيقة حقيقة التوحيد. وحسبك أن تقرأ سورة الشعراء لتعلم سيادة كلمة التوحيد على ألسنة الرسل أجمعين فالمعبود بحق هو الله الواحد القهار الخالق الرازق المحيى المميت... إلخ.

وتبقـــى آية الفتح ونصها:" لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا".

أى: فعلم الله من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل ما لم تعلمـــوا فجعـــل مـــن دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود[1].

فكـــل شئ عند الله بمقدار والله لا يُخْلِف الميعاد. ومِنْ ثَمَّ كان قول العامة فى مصر (لكل تأخيرةٍ خيرةٌ) قولا سديدا رشيدا. فلا يعلم الخيرَ إلا الله. فهو الذى قدر أن فـــتح خيبر يكون من قبل فتح مكة كما أنه هو الذى بشر رسوله فى الرؤيا بأنه هـــو وصحابته سيدخلون المسجد الحرام وهم آمنون. فيا ليتنا نؤمن به حق الإيمان

(١) انظر الكشاف ٢٧٤/٤.

ونــتوكل علــيه حــق التوكل. لو فعلنا لَحَقَّقَ آمالَنَا وَنَصَرَنا على من يتربص بنا الدوائر. فاللهم وفقنا لذلك.

٧- حــــرم: فى

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٣٥ النحل.

لعلــك أيها القارئ العزيز تستحضر هنا آية الزخرف (وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون).

فاستحــضار تلــك الآية يَرُدّ على مزاعم المشركين فى آية النحل التى نحن بصددها ولعلك – مع هذا الاستحضار – تلتفت أحاسيسك وتتنبه مشاعرك إلى ما فى آية النحل من استغراق واستئصال لما يزعمون حيث يقولون (لو شاء الله ما عبدنا مــن دونه) فهذا استغراق للمعبود غير الله حيث يبتدئ – بحسب أوهامهم– من الله المنزه عن الأين والكيف والزمان. ويقولون (من شئ) لاستغراق أدنى شئ يسول لهم شيطانهم بعبادته. وكأنهم يقرون ويُقَرِّرُون أن الله هو الذى هداهم إلى الإشراك به – إن صح التعبير– وحاش لله أن يكون ذلك. وهم يقولون (نحن ولا آباؤنا) فهذا استغراق للمشركين منذ عصر محمد الرسول الخاتم عليه صلوات الله وسلامه. إلى أول عهد البشرية بالرسل والرسالات وإذا كان ما سبق فى حق العقيدة وهى عقيدة التوحيد. فقوله من بعد ذلك (ولا حرمنا من دونه من شئ) يدل على أن منهجهم فى الــشريعة مــثل مــنهجهم فــى العقــيدة إذ كلاهما قائم على المغالطة والمزاوغة والاستسلام للأوهام التى تسوغ لهم الإشراك بالله. والتشريع بغير ما شرع الله.

وتعميما للاستغراق يقول الله عز وجل (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى أن مزاعم المشركين منذ بدء الخليقة إلى نهايتها واحدة متمدة فى أن انحرافهم عن عقيدة التوحيد والعمل بما يترتب عليها إنما يتوهمون أنه من الله.

ومن هنا صدق الله عز وجل فى ختام الآية (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين)!!.

٨- خلص: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ٩٤ البقرة، وقوله: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٥٠ الأحزاب.

يقول أبو البقاء فى الأولى: " من دون: فى موضع نصب بـ (خالصة) لأنك تقول : خلص كذا من كذا"(١).

ولست أدرى ما معنى النصب هنا؟ أنا أعلم أن (خَلُصَ) فعل لازم نحو (قام) مثلا. فهل إذا قلنا: قام محمد فى المسجد. أعربنا (فى المسجد) مفعولا به منصوبا؟ الذى يرتضيه الفهم الدقيق أن (فى المسجد) بينا لمكان القيام. وكذا قولنا: مررت بمحمد. تدل الباء فيه على ملاصقة مرور المتكلم لمحمد. وأما ما جرى على قلم سيبويه والتزم به النحاة من بعده من أن (محمد) مفعول به فهذا محل نظر إذ شتان بين قولهم: جاوزت محمدا. وقولهم: مررت بمحمد. وهذا واضح لا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح عنزتان كما قيل فى سالف الزمان.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/٢٩.

فكذا هنا أرى أن (خالصة من دون الناس) ليس فيه مفعول به في محل نصب إذ الظرف (دون) مخفوض بـ (من) الدالة على أن اليهود يتوهمون أن الدار الآخرة لا يشاركهم فيها أحد من الناس، فهم قد استأثروا بها – حسب زعمهم وأوهامهم- دون سائر الناس، فكأنها قد خلصت من أيدى الناس جميعا لتكون عند اليهود وحدهم، وقد أشار أبو البقاء إلى هذا المعنى بقوله (خلص كذا من كذا) فأين معنى المفعولية هنا؟

ففي الآية تحدٍّ قَوِيٌّ لليهود بأن يتمنوا الموت أن كانت الدار الآخرة تخصهم دون غيرهم، وهيهات، لأنهم أحرص الناس على حياة، كما بينا ذلك فيما سبق. ومثل ذلك يقال فى (خالصة لك من دون المؤمنين) أى أن الرسول ﷺ قد استأثره الله عز وجل واختصه بذلك الحكم دون سائر المؤمنين ومِنْ ثَمَّ رأينا أبا حيان يقول:" و (دون) هنا لفظ يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول: هذا لي دونك.. وفي غير هذا المكان يأتي لمعنى الانتقاص في المنزلة أو المكان أو المقدار"[(١)].

ولعل هذا ما حدا بالشهاب إلى أن يقول: " من دون: مؤكد لـ (خالصة) لأن (دون) تستعمل للاختصاص"[(٢)].

وهذا مبني على أن (خالصة) بمعنى (خاصة) ولكن صاحب تفسير المنار يقول: " وقالوا إنه استعمال لم يعهد في الكلام الفصيح، والتخصيص مفهوم من قوله: من دون الناس"[(٣)].

---

(١) البحر المحيط ٣١٠/١.
(٢) انظر حاشية الجمل ٩٦/١.
(٣) تفسير القرآن الحكيم ٣٨٩/١.

٩- دعا: في ثلاثين آية وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٣ البقرة، وقوله: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ ١١٧ النساء، وقوله: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٥٦، ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ ٧١ الأنعام. وقوله: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٧، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ١٩٤، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ ١٩٧ الأعراف. وقوله: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾٣٨، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ٦٦، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ ١٠٦ يونس. وقوله: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ١٣، ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ١٠١ هود. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ ١٤ الرعد. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا ﴾ ٢٠، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾ ٨٦ النحل. وقوله: ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ ١٤ الكهف. وقوله:

﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٨ مريم. وقوله: ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ ١٢، ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ ٦٢، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ ٧٣ الحج. وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ٤٢ العنكبوت. وقوله: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ ٣٠ لقمان. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ ١٣، ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ...﴾ ٤٠ فاطر. وقوله: ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ﴾ ٣٨ الزمر. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ ﴾ ٢٠، ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٦ غافر. وقوله: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ ٨٦ الزخرف. وقوله: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٤، ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ ٥ الأحقاف.

فآيـــة البقرة (وادعوا شهداءكم من دون الله) فيها (ادعوا) و (شهداءكم) وكل مـــنهما صالح لتعلق (من دون الله) به. ومن ثم قال الزمخشرى:" و(من دون الله): متعلق بـــ (ادعوا) أو بـــ (شهداءكم). فمعناه: ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمـــتم أنهـــم يشهدون لكم... أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله. من قول الأعشى:

"تريك القذى من دونها وهى دونه"

أى تـــريك القذى قدامها وهى قدام القذى. لرقتها وصفائها.. وادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه من غير المؤمنين. فإن علقته بالدعاء فمعناه: ادعوا مـــن دون الله شهداءكم. يعنى: لا تستشهدوا بالله. وادعوا الشهداء من الناس الذين شـــهادتهم ببينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام. وهذا تعجيز لهم وبيان لانخذالهم وانقطاعهم...؟

أو ادعـــوا مـــن دون الله شهداءكم يعنى: أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد... والجن والإنس شاهدوهم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجـــن والإنـــس إلا الله. لأنـــه القادر وحده على أن يأتى بمثله دون كل شاهد من شـــهدائكم. فهـــو فى معنى قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ٨٨ الإسراء"[١].

---

(١) الكشاف ٧٥: ٧٦ مختصرا.

وتتضح هذه الأوجه بذكر صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ .. الآية﴾.

فعلى تعليق (من دون الله) بـــ (شهداء) يكون فى الآية احتمال ثلاثة أوجه:

(أ) أن الله يأمرهم – أى المعاندين المنكرين للنبوة والقرآن– أن يستعينوا بآلهتهم الذين يعبدونهم من دون الله ويزعمون أنهم يشهدون لهم. أن يأتوا بسورة من مثله...

(ب) أو أن الله يأمرهم أن يدعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله أن يأتوكم بسورة مـــن مـــثله. وفـــى هذا الوجه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ....الآية ﴾ ٣ الزمـــر. فهل يستطيع هؤلاء الأولياء الذين يزعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله زلفى أن يأتوا بسورة من مثله... وفى أمرهم أن يـــستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن ففصاحته غاية التهكم بهم.

(ج) أن الله يأمرهم أن يدعوا شهداءهم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم إنكم أتيتم بمثله. وفي هذا من المساهلة وإرخاء العنان وإشـــعارهم بأن شهداءهم تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضـــوا لأنفـــسهم الـــشهادة بـــصحة الفاسد البين عندهم فساده.. وقد ذكر الزمخشرى أن تعليقه(من دون الله) بالدعاء على هذا الوجه جائز.

وأمـا علـى تعليق (من دون الله) بـ (ادعوا) ففيه احتمال أوجه ثلاثة أيضا هى:

(أ) ادعوا من دون الله شهداءكم... يعنى: لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا: الله يشهد أن ما ندعيه حق.

(ب) ادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بهم الدعاوى عند الحكام. وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم.

(ج) أو أنـه يقـول لهم. ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى: أن الله شاهدكم لأنه أقـرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم. والجن والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى. لأنه القادر وحده على أن يأتى بمثله دون شهدائكم. وهذا معنى آية الإسراء.

تلكم هى المعانى المحتملة على ما ذكره الزمخشرى. ويلاحظ أنه لم يتعرض لمعنى (من) وقد ذكر الألوسى أنها: للابتداء إلا إذا كانت (دون) بمعنى (أمام) وهو الوجه الثانى من أوجه تعلقها بـ (شهداءكم) وهو نظير قول الأعشى:

تريك القذى من دونها وهى دونه ∴ إذا ذاقهـا مـن ذاقهـا يَـتَمَطَّق

فـ (دونها) أى قدامها وهو قدامه. والمراد الخمر فإذا ذاقها من ذاقها يتمطق أى يصوت بفتح فمه ومص لسانه وشفتيه. أو يطبق فمه ويفتحه تلذذا بها فيصوت[١].

يقـول الألوسـى:" و (من) لابتداء الغاية متعلقة بـ (ادعوا)... وجوزوا أن تـتعلق بـ (شهداءكم) وهى للابتداء أيضا. وإذا كانت (دون) بمعنى (أمام) فهو ظـرف لغو معمول لـ (شهداءكم) ويكفيه رائحة الفعل. فلا حاجة إلى الاعتماد ولا إلى تقدير (ليشهدوا). و (مِنْ) للتبعيض كما قالوا فى (من بين يديه ومن خلفه) لأن

---

(١) انظر هامش الكشاف: ١/٧٥.

الفعـل يقع فى بعض الجهتين. وظاهر كلام الدماينى فى شرح التسهيل أنها زائدة وهو مذهب ابن مالك"[١].

والحق أن (من) حرف ابتداء ولا تصلح للبعضية هنا إذ ما معنى (بعض بين يديـه أو بعض خلفه..) وهذا ما جزم به الشهاب لأنه رأى الجمهور ثم قال: " ولم ينقل عن النحاة التبعيض والظرفية"[٢].

وفـى قول الألوسى: " وجوزوا أن تتعلق بـ (شهداءكم) ما يوحى بضعفه فالراجح إذاً أنها متعلقة بـ (ادعوا). ومما يزيده رجحانا ويقر به من اليقين أننا لو تأملـنا سائر الآيات لأدركنا أن (مِنْ) فيها متعلقة بالفعل (دعا) أو يدعوا أو ادعوا. ومن ذلك ما ذكره أبو البقاء فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ ٧١ الأنعام:" من: متعلق بـ (ندعو) ولا يجوز أن يكون حالا مـن الـضمير فـى (ينفعنا) ومفعولا له أى لـ (ينفعنا) لتقدمه على (ما) والصلة والصفة لا تعمل فيما قبل الموصول والموصوف"[٣].

وأيـضا مـا ذكره الألوسى فى قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٨ يـونس.:" مـن دون الله: متعلق بـ (ادعوا) و (من) ابتدائية على معنى أن الدعاء مبتدأ من غيره تعالى لا ملابسة له معه جل شأنه بوجه. وجوز أن

(١) روح المعانى: ١٦٥/١.
(٢) حاشية الشهاب ٤٣/٢.
(٣) إملاء ما من به الرحمن ١٣٨/١.

يكـــون مـــتعلقا بـــ (ما) - لعله يعنى (ما لا ينفعنا ولا يضرنا)- و (من) بيانية أى ادعوا من استطعتم من خلفه. ولا يخلو من حسن"(١).

وإذا كـــان هذا هو المراد فإنى أرى الأحسن فيه؟ إذ كيف يكون فيه شئ من حـــسن وهـــو من باب التقديم والتأخير الذى هو خلاف الأصل فضلا عما فيه من دعوى زيادة (من) إذ كونها بيانية تقتضى زيادتها؟. ولذلك يخلو وجه المعنى لكون (من) ابتدائية مرتبطة بـــ (ندعو).

١٠- زعم: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ ٥٦ الإسراء. وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ... الآية﴾ ٢٢سبأ.

ويرى الزمخشرى تقدير هذه الآية على:" الذين زعمتموهم آلهة من دون الله على حذف مفعولى (زعم) لأن (من دون الله) لا يصح أن يكون المفعول الثانى. إذ قولك: هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا يصح أن يكون (لا يملكون) لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم. فلم يبق إلا أن يكون محذوفا وهو (آلهـــة) و (من دون الله) صفة له. ثم قال: والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما"(٢).

---

(١) روح المعانى٣/٤٤٢.

(٢) الكشاف ٣/٤٥٨ ببعض تصرف.

وقـــد حققنا قبح ذلك وذكرناه غير مرة. ونزيده تحقيقا بأن سيبويه عده شاذا حـــيث قـــال:" مـــا فـــيهم يفضلك من شئ يريد: ما فيهم أحد يفضلك والشواذ فى كلامهم كثيرة"(١).

فلا داعى لتخريج القرآن عليه.

هذا و (زعم) التى تنصب مفعولين ليست بمعنى (كفل) ولا (رأى) ومصدرها: الزعم واختلف فى معناها، فقال السيرافى: وهو قول مقرون باعتقاد صح أم لا. وقال الجرجانى: هو قول مع علم. وقال ابن الأنبارى: إنه يستعمل فى القول من غير صحة. ويقوى هذا قولهم: زَعَمَ مَطِيَّةُ الكذب أى هذه اللفظة تركب الكذب"(٢).

١١- سجد:

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٤ النمل.

أى ملكـــة سبأ وقومها فهم يجعلون الشمس معبودهم أى إلاههم. وكأنى بكلمة (من) هنا تجعل قرب الله منهم حقيقة واقعة ولكنهم يغفلونها وينصرفون عنها.

١٢- أشرك: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾٥٤، ﴿ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ ٥٥ هود، وقوله: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ٧٣، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ .. الآية﴾ ٧٤ غافر.

---

(١) الكتاب ١١٥/٢ هارون.

(٢) منهج السالك للأشمونى بحاشية الصبان ١٩/٢: ٢٠.

والآية الأولى من قول هود عليه السلام لقومه عاد عليهم اللعنة. فقد قالوا "إن نقـول إلا اعتـراك بعض آلهتنا بسوء. قال: إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه".

يقول الزمخشرى:" وجئ به- أى اشهدوا- على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الـرجل لمـن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد على أنى لا أحبك. تهكما به واستهانة بحاله. (مما تشركون من دونه) من إشراككم آلهة من دونه. أو مما تشركون به من آلهـة مـن دونـه. أى أنـتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا"(١).

أمـا الآيـة الثانـية فهى فى سياق آيات تخص الذين يجادلون فى آيات الله ويكذبون بالكتب وبالرسل. وجزاءهم فى الآخرة.. ثم قيل لهم: أين ما كنتم تشركون من دون الله؟ ولِمَ لا يغيثونكم فقالوا: ضلوا عنا... ؟ إلخ.

١٣- عبد: فى عشرين آية هى:

قـوله تعالـى: ﴿ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٩ آل عمران. وقوله: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا ﴾٧٦المائدة. وقـــوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ ١٨، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ١٠٤ يـــونس. وقـــوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً

---

(١) الكشاف: ٢/٣١٥: ٣١٦.

سَمَّيْتُمُوهَآ ...﴾ ٤٠ يوسف. وقوله: ﴿ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ ٣٥ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾٧٣ النحل. وقوله: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ٤٩مـــريم. وقـــوله: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ ٦٦، ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٦٧، ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ٩٨ الأنبياء. وقـــوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾٧١ الحـــج. وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾١٧، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ٥٥ الفـــرقان. وقـــوله: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾٩٢، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ ...﴾ ٩٣ الـشعراء. وقوله:﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ الـنمل. وقوله: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ ١٧ العنكـــبوت. وقـــوله: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ ٢٢، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ

ٱلۡجَحِيمِ ﴾ ٢٣ الصافات. وقوله: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ ١٥ الزمر.

وقوله: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤ الممتحنة.

يقول أبو السعود فى الآية الأولى:" من دون الله متعلق بلفظ (عبادا) لما فيه من معنى الفعل. أو صفة ثانية له. ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف أى متجاوزين الله"(١).

وما دام المعنى يفهم بلا تقدير فليس هناك ما يدعو إلى تقدير شئ لما عرفنا من أن التقدير: تكدير.

ثم يقول فى آية يونس (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) (من دون الله): متعلق بـ (يعبدون) ومحله النصب على الحالية من فاعله أى متجاوزين الله سبحانه. لا بمعنى: ترك عبادته بالكلية بل بمعنى: عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الأصنام كما يُفْصِح عنه سياق النظم الكريم"(٢).

وبالتأمل فى هذا النص ندرك ما فيه من تناقض. لأنه جعل (من دون الله) متعلقا بالفعل (يعبدون) فهو مما يعرف بالظرف اللغو أى الذى لا يتحمل ضميرا.

فكيف يكون حالا؟! إننا نقول: مررت بالمدينة. فليس لهذا الظرف إعراب إلا التنبيه إلى كونه من تمام الجملة وهى (مررت). فلو قلنا: مررت بمحمد بالمدينة. كان الظرف الثانى صالحا لأن يكون حالا أى حالة كون محمد بالمدينة.

هذه واحدة. وأخرى لابد منها وهى أن أبا السعود جعل (دون) لا تقتضى الترك حيث ذكر أنها لا تقتضى – فى الآية – ترك عبادة الله بل المعنى على أنهم

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢/٤٤٤هـ، الرازى.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/٤١٥هـ الرازى.

لا يكـــتفون بعـــبادة الله بل يشركون غيره فيها. وقد سبق أن وضحنا غير ذلك لأن (دون) تستعمل للاختصاص وقطع الشركة.

١٤- عمـــل:

فـــى قـــوله تعالــــى:﴿ وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴾ ٦٣ المؤمنون، والآية التى قبلها: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٦٢: ﴿ بـــل قلـــوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال....إلخ﴾.

والمعنى: أن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه. ولدينا كتاب فيه عمل الـــسابق والمقتصد. ولا نظلم أحدا من حقه. ولا نحطه من دون درجته. بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهـــم أعمـــال) مـــتجاوزة متخطـــية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب[1].

فهـــذه الأعمـــال التـــى اعـــتادها هؤلاء وضَرِيَ بها كل منهم أى أُولِعَ بها واعتادوها بحيث لا يستطيعون أن يفطموا أنفسهم عنها كانت من دون تلك الأعمال أى فى مرتبة أدنى منها وأخف ميزانا وأثقل خطايا. ومع ذلك هم لها عاملون أى لا يتخلفون عنها ولا يفارقونها.

---

(١) انظر الكشاف ١٥٢/٣.

١٥- فـــرى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٧ يونس.

أى وما صح واستقام وكان محالا أن يكون مثله- أى القرآن- فى علو أمره وإعجازه مفترى[1] (من دون الله) أى لا يجوز لأحد مهما بلغ أن يزعم أنه من عند غيـــر الله بمعنى أن يوحى إليه بـــ من دون الله أى من جهة الله. وذلك مثل قوله تعالـــــى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ٨٢ النساء.

١٦- كشف:

فى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ٥٨ النجم.

والـــضمير فى (لها) للساعة التى وصفها الله بقوله : ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴾٥٧، لـــيس لهـــا...، وهى التى وصفت فى مستهل السورة من بعدها وهى سورة القمر بقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ١ القمر.

ومـــن ثَـــمَّ قال الزمخشرى:" ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله تعالـــى:﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ١٨٧ الأعـــراف. أوليس لها نفس كاشفة أى

---

(١) انظر الكشاف ٢٧٢/١.

قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله. غير أنه لا يكشفها. أوليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير. وقيل: الكاشفة مصدر بمعنى: الكشف كالعافية"[1].

وهـنا وقفة مع صياغة الآية. ولعل القارئ يعلم أن للنحاة فى هذه الصياغة كلاما خلاصته: أن (ليس) فعل يرفع الاسم وينصب الخبر. وأن اسمها (كاشفة) فهو مـرفوع أخـر عـن خبـرها ذكـرا وهـو (لها) وأما (من دون الله) فهو مرتبط بـ (كاشفة). وعلى هذا الإعراب تكون صياغة الآية هكذا (ليس كاشفة لها من دون الله) أى أنه لا يستطيع أحد كَشْفَهَا مهما بلغ شأوه من العلم بل مهما ارتفعت درجته فى النبوة. فـ (من دون الله) فيها ابتداء غاية لا نهاية لها.

وبالتأمل فى هذا النسق الذى حصلنا عليه من فكر النحاة ومنهجهم ندرك أنه قد مَزَّق نصها وفَرَّق كلماتها.

ولهـذا رأينا أن نقلل من ذلك ما استطعنا إليه سبيلا. فقلنا: إن (ليس) حرف نفـى اعـتمد علـيه (لـنا) وهو ظرف. فرفع (كاشفة) على الفاعلية. وبذلك نترك الكلمـات قَارَّةً فى أماكنها. اللهم إلا (من دون الله) وهنا لنا ثلاثة أوجه (أحدها) أنه مـتعلق بـ (كاشفة) وهو واضح لا يحوم حوله غموض: صريح لا تعلوه رغوة. فمن ثم كان سهلا على العقل إدراكه. وهذا ما حملنا على وضع هذه الآية مع مادة (كشف) ومما يرجح هذا ويصححه أن (كاشفة) لَمَّا كانت فاعلا للظرف (لها) كانت مرتبتها أن تذكر من قبل (من دون الله). ولكنها ذكرت قبل الفاعل للعناية والاهتمام إذ بـيان أن الساعة من مأمورات الغيب الخاصة بالله أهم وأخطر من ذكر كاشف سـرها غيـر الله. ألـم يقـل الله عز وجل: ﴿ **إن الله عنده علم الساعة.. الآية** ﴾ ٣٤ لقمان. ولا يغيب عن الأذهان هنا أن (كاشفة) مصدر كما ذكره الزمخشرى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٤١.

و (الآخـــر) أنـــه مرتبط بما فى الظرف من معنى الفعل كما تقرر ذلك غير مرة. أى لا يختص من دون الله أحد بكشفها. ولا تميل إليه النفس كما أشرنا آنفا.

الــوجه الــثالث: أن (مـــن دون الله) متعلق بـــ (ليس) إذ فيها معنى الحدث وهو النفى.

١٧- منـــع:

فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ ٤٣ الأنبياء.

ومـــن قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ ٤٢.

وفيها: " يأمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين لهم أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثم أضرب عن ذلك بما فى (أم) من معنى (بل) وقال: (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب بتجاوز منعنا وحفظنا. ثم استأنف (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم من يصحبون) فبين أن ما ليس بقادر علـــى نـــصر نفـــسه ومـــنعها ولا بمـــصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره"[1].

فقـــوله (تمنعهم من دوننا) يثبت أن (من) لابتداء جهة منعهم الممنوع – من عذاب الله. وأن هذه الجهة جهة الله عز وجل التى ليس لها أَيْنٌ ولا كَيْفٌ.

١٨- نصر: فى أربع آيات: هى

قـــوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ الكهف.

وقـــوله: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٨١ القـــصص.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٩٤.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٦ الشورى.

وقـــــوله: ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ ٢٠ الملك.

قـال الزمخشرى في الأولى :" معناه: يقدرون على نصرته من دون الله أى هـو وحـده القـادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استجابة أن يخذل"(١).

وذكـر الشيخ المغربى فى الأخيرة معنى (دون) وهو القرب ويستعمل بمعنى (غيـر) ثـم قـال:" فمعنى (من ينصركم من دون الرحمن): من يقدر أن ينصركم نـصرا واصلا إليكم من غير الرحمن. ويمكن أن تبقى (دون) على معناها الأصلى وهـو المكـان القريب. ويكون محل المعنى هكذا: من يمكنه أن يمدكم بالنصر من مكـان قريب من الله ولا ريب أن كل الأمكنة قريبة منه تعالى أى: أنه تعالى عالم بالأمكنة وبمن حل فيها. وليس اقترابه منها كاقتراب بعض الأجسام من بعض. فكل أحد إذًا عاجز عن نصرة المشركين لأن الله ناظر إلى من ينصرهم عن كثب متمكن من قهره آخذ بناصيته"(٢).

١٩- وجد: فى عشر آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٢٣ ، ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٧٣ النـساء. وقوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ

---

(١) الكشاف ٢/٥٦٥.

(٢) تفسير جزء تبارك ص ١٢.

لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِه ﴾ ٩٧ الإسراء. وقوله: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾، ٢٧، ﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلاً ﴾٥٨، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ ٩٣ الكهف. وقوله: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ ٢٣ القـصص. وقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٧ الأحـزاب، وقـوله: ﴿ فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ ٢٥ نـوح، وقـوله: ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ٢٢ الجن.

وأغلب الظن – إن لم يكن أقوى اليقين– أن المعنى يدركه القارئ مما سلف شرحه وتبيينه. غير أن هنا بعض الآيات تحتاج إلى توضيح بعض الأشياء:

(أ) قوله (فلن تجد لهم أولياء من دونه) ٩٧ الإسراء ففي هذه الآية ربما يفهم بعض القَـرَأة أن (من دونه) مرتبط بـ (أولياء) على أنه وصف له وعليه يكون ذكر هذه الآية هنا غير سديد.

وتوضـيح ذلـك: أننا لو استسغنا ذلك وأجزناه لما منع مانع من ارتباط (من دون) بالفعـل (تجـد) لأن (أولياء) بينه وبين (تجد) علاقة وثيقة قائمة على التأثير والتأثـر إذ هـو رافع لفاعلٍ هو المضمر وناصب للمفعول وهو (أولياء) فإذا كان الأمر كذلك فلابد إذاً من ارتباط (من دونه) بالفعل (تجد).

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ٢٧ الكهف. وقوله: ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ٢٢ الجن.

أما آية الكهف فهى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم " واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد.... إلخ".

يقول الزمخشرى:" كانوا يقولون له: أئت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له: أتل ما أوحى إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك.. (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك"(١).

ويقول فى آية الجن:" قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد... إلخ" "جملة معترضة أى بين قوله ﴿قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ ٢١ وقوله ﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ ٢٣. اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه. على معنى: أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرها لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوى إليه. والملتحد: الملتجأ. وأصله: المدخل من اللحد. وقيل: محيصا ومعدلا.. أى لن أجد من دونه منجى إلا أن أُبلِّغ عنه ما أرسلنى به"(٢).

(ج) قوله تعالى: ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا﴾ ٥٨ الكهف. وصدر هذه الآية: وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد من يجدوا... الآية.

ذكر الزمخشرى أن الموعد هو يوم بدر. و(موئلا) منجى ولا ملجأ يقال: وأل إذا نجا. و وأل إليه إذا لجأ إليه"(٣).

---

(١) الكشاف ٥٥٩/٢.

(٢) الكشاف ٥٠٥/٤.

(٣) الكشاف ٥٧٠/٢.

٢٠- ولــــى:

وآيات (من دون) مع هذه المادة وردت فى القرآن بصيغتين: إحداهما ذكرت فـيها (مـن دون) بعد (ولى) وذلك فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾ ٤١ سبأ. والثانية قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ٦الجمعة.

وقـبل آيـة سبأ قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ ٤٠، ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾٤١.

" فالخطاب للملائكة وهو تقريع للكفار. وارد على المثل:

إياك أعنى واسمعى يا جارة

ونحوه قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ١١٦ المائـدة. وقـد علم الله أن الملائكة وعيسى منزهون برءاء مما وُجِّه علـيهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض: أن يقول ويقولوا. ويسأل ويجيبوا. فيكون تقريعهم أشد. وتعبيرهم أبلغ. وخجلهم أعظم. وهوانه ألزم. ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه. وزَاجِرًا لمن اقتصر عليه.

والمـوالاة: خلاف المعاداة ومنها: الله وال مَنْ والاه. وعاد مَنْ عاداه. وهى الـبعد والولْى: وهو القرب. كما أن المعاداة من العدواء وهى البعد. والولىّ: يقع على الموالى جميعا. والمغنى: أنت الذى نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم. فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان

على هذه الصفة كانت حالة منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين. حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله..."[1].

فقــول الملائكة : (سبحانك أنت ولينا من دونهم) أى أنت الأقرب إلينا منهم ولكن التعبير بـــ (من دونهم) أعمق دلالة وأدق معنى. أما الصيغة الثانية فقد وردت على صورة أخرى وهى ذكر (من دون الله) قبل (ولى). وذلك فى اثنتى عشرة آية هى:

قـــوله تعالــــى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ١٠٧ البقرة. وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ٥١، ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ ﴾ ٧٠ الأنعام. وقوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ١١٦ التوبة. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٢٠، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ١١٣ هـــود. وقـــوله: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ ١١ الـــرعد. وقـــوله: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ ٢٦ الكهف. وقوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٢٢ العنكبوت. وقوله: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ ٤ السجدة. وقوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٣١ الـــشورى. وقوله: ﴿ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ﴾ ٣٢ الأحقاف.

---

(١) الكشاف ٤٦٣/٣: ٤٦٤.

ومـــن هذه الآيات ثلاث منفية بـــ (ليس) والباقى منفى بـــ (ما). ومنها تسع آيـــات ذكرت (من) فيها قبل (ولى) أو (أولياء) أو (وَالٍ). والثلاث الباقية لم تذكر فيها (من).

وقد سبق لكلام على قوله تعالى :" ليس لها من دون الله كاشفة" وفيها قررنا أن (ليس) حرف نفى وليست فعلا ناسخا من باب (كان). و (لها) ظرف يعتمد عليه ولذا رفع (كاشفة) فاعلا. و (من دون الله) مرتبط بـــ (كاشفة).

ومـــثل ذلـــك يقـــال فـــى الآيات الثلاث المصدرة بـــ (أليس) هنا و (ولى) و(أولـــياء) فاعل للظرف بعدها وهو (لهم) أو (لها) و(من دون الله) أو (ومن دونه) مـــتعلق بـــ (ولى) أو (أولياء). ولا غضاضة فى ذلك لأن ذكر (من دون الله) أولا وفاعـــل الظـــرف آخـــرا يدل على العناية التامة بهذا الظرف (من دون الله). أما الظرف الرافع للفاعل فمذكور فى مكانه. ومثل هذا يقال فى الآيات المنفية بـــ (ما). وهو واضح. غير أننا يلزمنا بيان حكم (مِنْ) التى ذكرت قبل (ولى) أو (أولياء) – (من ولى) و (من أولياء) فالمشهور أنها زائدة. والحق أنها هى الفاعل للظرف وما بعدها مضاف إليه فهى بعضية أى مالكم من دون الله بعض جنس الولى ففيها معنى الاستغراق إذ نفى البعض يترتب عليه نفى الكل.

وبهـــذا نكـــون قـــد حافظـــنا علـــى نسق تلكم الآيات ونزهناها عن دعوى الزيادة الباطلة.

هـــذا: ولعل القارئ يذكر هنا ما قلناه فى قوله تعالى:" ليس لها من دون الله كاشفة) وهو الوجه الثانى الذى يرتبط (من دون الله) بما فى معنى (لها) من الحدث.

وهــنا نذكر أن بعض علماء النحو يرى مثل ذلك فيقول. أبو حيان فى الآية الأولــى: " مــن دون الله: متعلقة بما يتعلق به المجرور الذى هو (لكم) وهو يتعلق بمحذوف هو فى موضع الخبر و (من) لابتداء الغاية[١].

وهذا هو منهج النحاة المشهور فى مثل هذا النص. غير أن أبا حيان لم يذكر المبـتدأ ولو صرح به لقال: إن (من) زائدة و (ولى) هو المبتدأ وبذلك يرتكب فى الـنص دعوى التقديم والتأخير وهى خلاف الأصل ودعوى الحذف – وهو حيف- والتقدير – وهو تكدير- وما أغنى النص عن كل ذلك.

وإذا كان أبو حيان لم يصرح بزيادة (مِنْ) مع (دون) فإن السمين قد نقل عن بعـضهم أنها زائدة حيث يقول فى آية الأنعام الثانية (ليس لها من دون الله ولى): "فــى (مــن) وجهان أظهرهما أنها لابتداء الغاية والثانى أنها زائدة نقله ابن عطية وليس بشئ. وإذا كانت لابتداء الغاية ففيما تتعلق به وجهان (أحدهما) أنها حال من (ولــى) لأنها لو تأخرت لكانت صفة له فتتعلق بمحذوف هو حال. و (الثانى) أنها خبر ليس فتتعلق بمحذوف أيضا هو خبر (ليس) ليس فيكون (لها) متعلقا بمحذوف على البيان"[٢].

وبهذا يكون السمين على رأى من يجعل (ليس) هنا فِعْلاً ناسخاً وقد عرفنا أن فى هذا عدة مخالفات تترتب عليه. وهى غير لائقة بجلال كلام الله. فلا داعى إليه.

وبــذلك يتبين أن اللائق جعل (ليس) حرفا نافيا. و (لها) ظرف معتمد عليه. و(ولــى) فاعله. وأما (من دون الله) فإما أن يكون مرتبطا بــ (ولى) من بعده ولا غــضاضة فى ذلك كما نبهنا سابقا. وإما أن يكون متعلقا بما فى (ليس) من معنى

---

(١) البحر المحيط ٣٤٥/١، وانظر روح المعانى ٢٩٠/١.

(٢) حاشية الجمل ٥٣/٢.

النفـــي كما قررنا ذلك فيما سبق بالنسبة لـــ (ما). ومما يؤيده أن الرضي يرى أن (ليس) تدل على الحدث وهو الانتفاء. على حين يرى ابن هشام أنها لا تدل عليه[1].

وأن ابـــن جنـــي يرى أن (ما) تنوب عن (أنفي) كما وضحنا هذا في الباب الأول وما دام هذا رأيا مبنيا على العلاقة المعنوية بين كلمات النص فلا أرى مانعا منه. وعليه فلا حذف ولا تقدير لأنهما: حيف وتكدير.

تتمـــــه:

يبقى من أساليب (من دون) في القرآن أربع آيات. وقعت في ثلاث منها صلة للموصول. وهي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ١١ لقمـــــان. وقـــــوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ٣٦ الزمـــر. وقوله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٤٥ الزمر.

وأما الآية الرابعة فهي قوله تعالى: ﴿ ومن دونهما جنتان﴾ ٦٢ الرحمن.

يقول الزمخشري في آية لقمان:" هذا: إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنـــى المخلوق. و (الذين من دون): آلهتهم. بَكَّتَهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه. فأروني ماذا خَلَقَتْهُ آلهتكم حتى استوجبوا عندهم العبادة. ثم أضرب

---

(١) انظر المغني بحاشية الأمير ٢/٧٦.

عـــن تبكيـــتهم إلـــى التسجيل عليهم – يعنى قوله: بل الظالمون فى ضلال مبين- بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال"[١].

فالمـــراد بـــــ (الذين من دونه) آلهتهم التى يعبدونها من دون الله. وكذا هو المراد فى الآيتين من سورة الزُّمَر.

ولـــو ســـألنا النحاة عن إعراب (من دونه) لقالوا: إنه جار ومجرور متعلق بمحـــذوف صـــلة الموصـــول. ومـــن المقرر أن صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. والتقدير: الذين عبدوا من دونه. من أصنام وغيرها. وإنما قَدَّرت (عُبِدُوا) ويمكـــن تقدير (عبدوهم) لأن ذلك يجعل هذه الآيات من باب الحذف للإيجاز للعلم بما قدرته من سياق الآيات الثلاث. إذا المقام مقام توحيد الله بالعبادة والاستعانة به مع مقام إشراك المشركين غيره معه فى العبادة.

أمـــا المشهور المألوف من النحاة فهو تقدير (استقر) وهذا غير لائق إذ (من دونه) معناه الاستقرار لأن (من) حرف ابتداء يجعل المراد الذين عبدوهم ابتداء من الله إلى ما لا نهاية. فالله ليس من معبوداتهم. وأما قوله تعالى:" ومن دونهما جنتان" فالضمير فى (دونهما) للجنتين المذكورتين فى الآية رقم ٤٦ (ولمن خاف مقام ربه جنـــتان) فبـــين المعطوف والمعطوف عليه خمس عشرة آية وكلها صفات لهاتين الجنتين ثم عطف عليهما (ومن دونهما جنتان) أى ومن دون تَيْنِك الجنتين الموعودتين للمقربين أى الذين يخافون مقام ربهم (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين[٢].

ولـــو ســـئل النحاة عن إعراب (ومن دونهما جنتان) لقالوا: (من دون) جار ومجـــرور مـــتعلق بمحـــذوف خبـــرا مقدما و (جنتان) مبتدأ مؤخر. وعليه فأصل التعبيـــر(وجنـــتان من دونهما). أى مستقرتان من دونهما. والذى أراه لائقا بجلال

(١) الكشاف ٣٨٨/٣.

(٢) انظر الكشاف ٣٦١/٤.

النص القرآنى أن (من دونهما) ظرف فيه معنى الحدث وهو الابتداء يرفع ما بعده أى (جنـــتان) وبذلك نربأ بالنص عن دعوى الحذف - الحيف- والتقدير -التكدير- ثم دعوى التقديم والتأخير.

وكأن هاتين الجنتين يبتدئ مقامها فى الانخفاض مباشرتين للجنتين اللتين وعد بهمـــا الذين خافوا مقام ربهم. ففى الجنة طبقات وكذا فى النار. ولا يمكن أن تكون أى منهما منزلة واحدة لأن الناس - لا محالة- متفاوتون فى تقواهم وفى فجورهم. والجزاء على قدر العمل. ولا يظلم ربك أحدا.

الظرف العاشر: أسفل

وذلــك فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ ١٠ الأحزاب.

وفيها يقول الزمخشرى:" من فوقكم: من أعلى الوادى من قِبَلِ المشرق وهو غطفان. و (من أسفل منكم: من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا: سنكون ربطة واحدة حتى نستأصل محمدا"(١).

الظرف الحادى عشر: شاطئ

وذلــك فــى قــوله: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٣٠ القصص.

---

(١) الكشاف ٤١٦/٣.

وفيها يقول الزمخشرى:" مِنْ: الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شـــاطئ الـــواد مـــن قبل الشجرة. و (من الشجرة) يدل من قوله (من شاطئ) يدل الاشـــتمال لأن الـــشجرة كانـــت نابتة على الشاطئ كقوله: ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ ٣٣ الزخرف"[١].

وهذا المعنى الذى ذكره الزمخشرى لا غبار عليه ولا تكلف فيه.

ولكـــن غيره يأبى إلا التكلف فى تفسير النص. فمثلا يقول الألوسى:" و(من) الأولى على ما اختاره جمع لابتداء الغاية متعلقة بما عندها -يعنى: نودى- ويجوز أن تتعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير موسى عليه السلام المستتر فى (نودى) أى نودى قريبا من شاطئ الواد.

وجـــوز - علـــى الحالية- أن تكون (من) بمعنى (فى). أى نودى كائنا فى شاطئ الوادى...

و(من) الثانية لا تحتمل أن تكون بمعنى (فى) كما سمعت فى الأولى.

نعم: جوز فيها أن تكون للتعليل كما فى قوله (مما خطيئاتهم) ٢٥نوح. متعلقة بالمباركة أى البقعة المباركة لأجل الشجرة. وقيل يجوز تعلقها بالمباركة. مع بقائها للابتداء على معنى أن ابتداء بركتها من الشجرة"[٢].

وبالتأمل فى هذا النص ندرك أن فيه أشياء يمكن الاستغناء عنها وهى:

---

(١) الكشاف ٣٢١/٣ وانظر المغنى بحاشية الأمير ١٨/٢.

(٢) روح المعانى ٣٤٩/٦.

(أ) مـــا الداعي إلى تعلق (من شاطئ) بمحذوف أي نودى قريبا من شاطئ؟ هل هـــناك قـــرب أدنـــى من معنى الابتداء الذى تؤديه (من) أليس ابتداء الحدث مرتبط مباشرة بما هو أساسه لأنه جز منه؟!

(ب) ومـــا الحاجة إلى جعل (مِنْ) بمعنى (فى)؟ ثم نقدر لها (كائن)؟ أليس فى ذلك حكم بافتقار النص إلى سواه حتى يتم معناه؟! وما ذلك بجائز فى كلام الله؟!

(ج) قـــرر الزمخشرى أن (من الشجرة) بدل اشتمال من (من شاطئ) وهذا معنى جمـــيل لأن الـــشاطئ يشتمل على مكان الشجرة. فأى ضرورة تجعلنا نحملها علـــى التعليل؟ إننا على القول بأن (من الشجرة) بدل اشتمال تكون قد أدركنا أن البركة فى هذه البقعة لا علة لها لأن اختيار الله لا علة فيه ولا له.

(د) ذكـــر الألوسى فى نهاية كلامه تعلق (من) الابتدائية بالمباركة بمعنى : ابتداء بركتها الشجرة. وفى هذا من الضعف ما ليس فى جعل (من الشجرة) بدلا من (مـــن شاطئ) بدل اشتمال لأن البركة على هذا تعم الشاطئ كله بما فيه موقع الشجرة. وهذا ما يليق بمقام كليم الله موسى عليه السلام وهو فى حضرة تكليم الله له. فيكون محوطا من جميع جهاته بالبركة.

الظرف الثانى عشر: عند

تمهـــيد: يقـــول ابـــن هشام: " عند : اسم للحضور الحسى ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ ٤٠ الـــنمل. والمعنوى ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ٤٠ النمل. وللقرب كذلك- أى الحسى- نحو قوله تعالى : ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ ١٤، ١٥ النجم

والمعــنوى نحــو قــوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ ٤٧ص.

وكسر فائها أكثر من ضَمِّها وفتحها. ولا تقع إلا ظرفا أو مخفوضة بـــ (من) وقول العامة (ذهبت إلى عنده) لحن....

وقولـــنا: عند اسم للحضور موافق لعبارة ابن مالك. والصواب: اسم المكان الحـــضور فإنهـــا ظرف لا مصدر. وتأتى أيضاً لزمانه نحو: الصبر عند الصدمة الأولى. وجئتك عند طلوع الشمس"[1].

ومن هذا نستخلص مايلى:

(أ) أن (عند) تكون ظرف مكان وظرف زمان. والذى يحدد هذا أو ذاك المضاف إليه.

(ب) أنها اسم لمكان الحضور أو زمانه.

(ج) أنها تفيد القرب الحسى والمعنوى.

(د) أنـــا لا نخفض إلا بـــ (من). ومعنى هذا أنها عند دخول (من) عليا تدل على زيادة القرب لأن (من) بمعنى الابتداء وابتداء الشئ جزؤه فهو أقرب ما يكون إليه. وهذا هو موضوع دراستنا.

ومن ثم قال النحويون: إنها لا تحقر – أى لا تصغر – لأنها نهاية القرب"[2].

وإذا كانت نهاية القرب بدون (من) فإنها معها تدل على أنها بمثابة جزء من المضاف إليه زمانا أو مكانا.

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٣٥/١، وانظر كليات أبى البقاء:٢٥٥.

(٢) المخصص ٥٨/١٤.

هــذا: وهناك ظرف آخر وهو (لدى) قد يبدو أنه يدنو فى المعنى من (عند) والحق ان بينهما فرقا يبينه ما يأتى:

أنها لا تخفض مطلقا وأما (عند) فتخفض بــ (من). خاصة لأنها أم حروف الخفض. وأنها أخص من (عند) و أبلغ لأنها تدل على ابتداء نهاية الفعل(١).

ولم ترد (من) مع (لدى) فى القرآن. وقد قيل: لدى بجميع لغاتها بمعنى (عند) متضمن لمعنى (من) ولذا كان مبنياً(٢).

هــذا تمهيد لابد منه لمعرفة ما تختص به (عند) فى اللغة. ثم ننتقل منه إلى دراسة الآيات التى وردت فيها(عند) مخفوضة بــ (من) الابتدائية فنقول:

اقترنت من بــ (عند) فى القرآن الكريم خمسا وثلاثين مرة. سبقت (من) فيها بالمواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾٥٢ المائدة. وقــوله: ﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ ٢٨ هود. وقوله: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ ٦٥ الكهــف. وقــوله: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ ﴾ ٤٩ القصص.

(١) الكليات ص ٢٥٥.

(٢) الكليات ص ٣٢٠.

قال الزمخشري فى الأولى: " فعسى الله أن يأتى بالفتح" لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين. (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك: أنهم كانوا يشكون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء.

وقيل (أو أمر من عنده) أو أن يؤمر النبى ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم.

وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب"(١).

ففى هذه الآية يرجو رسول الله ﷺ أن يأتى الله بالفتح أى بغلبة بنى النضير فى الحرب وإجلائهم عنوة عن ديارهم. أو أمر آخر وهو طرح الرعب فى قلوبهم فيفروا من ديارهم دون قتال. وكون الأمر آيتان عند الله. لا يحتاج إلى تأويل أو توضيح إذ هو نص فى أن الأمر أمر الله لا غيره. إذ لا يأتى من عنده إلا ما هو من شأنه عز وجل.

أما آية هود فهى فى حق نوح عليه السلام: وآية الكهف فى حق العبد الصالح الذى علّمه الله من لدنه علما. واتبعه موسى عليه السلام ليعلمه مما عُلِّمَ رشدا. والفعل فيها (آتينا) وهو بمعنى (أعطينا) فينصب مفعولين وأما آية القصص فهى أمر لرسول الله ﷺ. فقد ذكر قبلها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴾ ٤٨، فأمره الله أن يقول لهم ائتوا بكتاب أهدى منهما أى مما أنزل على موسى وعلى وهما: التوراة والقرآن.. وتأمل هداك الله إلى قوله (فأتوا بكتاب من عند الله) لتقف على مدى التعجيز.

---

(١) الكشاف ١/٥٠٠.

٢- أمــر:

فــى قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ٤، ٥ الدخان.

يقــول الزمخشرى:" أمرا من عندنا: نصب على الاختصاص. جَعَل كُلَّ أَمْرٍ جــزلا فخمــا بأن وصفه بالحكيم. ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا.."[(١)].

٣- بــرز:

فــى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ ٨١ النساء.

ولــو قــيل هــنا: برزوا عندك لربما فهم أنهم حضروا عنده. مع أن المراد انــصرافهم عنه. ومِنْ ثَمَّ قال أستاذنا محمد على النجار:" فأما (من) مع (عند) فإنها تفــيد من المعنى ما لا يكون عند سقوطها. فإذا قلت: ذهبت من عند فلان فالمعنى أنــك زايلــته وانطلقــت مــن حــضرته. ولو حذفت (من) استحال المعنى وتغير أيما تغير"[(٢)].

(١) الكشاف ٢١٤/٤.
(٢) لغويات ١١٢/١.

٤- تـم :

في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ ٢٧ القصص. وهي مـن خطاب من أراد أن ينكح موسى عليه السلام إحدى إبنتيه وهو من أهل مدين، فقـد قال له: "إني أريد أن أنكحك إحدى إبنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك...." أي فالتمام من عندك. ومقتضى هذا أن ذلك ليس مـن صـدقه ابنته. فصدقتها ثماني حجج وأما هاتان فهما من فضل موسى عليه السلام. ولذا قال أبو البقاء: " فقد أفضلت من عندك"[1].

٨- ثاب : في آيتين هما:

قـوله تعالى: ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ ١٠٣ البقرة. وقوله: ﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ١٩٥ آل عمران.

مـصدر الأولى: ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة...إلخ. فجملة (لمثوبة من الله خيـر) جـواب (لو) وإنما كانت اسمية للدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. كما عدل عن النصب إلى الرفع في قوله تعالى:" سلام عليكم.." لذلك. ولم يقل: لمثوبة الله خير لأن المعنى: بشئ من الثواب خير لهم[2].

وأما آية آل عمران فذكر الزمخشري أن (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد بمعنى: إثابة أو تثويبا. (من عند الله) لأن قوله لأكفرن عنهم.. ولأدخلنهم) في معنى لأثيبنهم. (والله عنده حسن الثواب) مثل أن يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه عنده

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢ /٩٢.

(٢) انظر الكشاف ١/١٣٠.

ولا يقــدر عليه. كما يقول الرجل: عندى ما تريد. يريد: اختصاصه له وبملكه وإن لم يكن بحضرته"(١).

وهذا فى (عند) بدون (من) أما (من عند) فيفيد أنه حاضر مع اختصاصه به.

٦- جاء : فى ست آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ﴾ ٨٩، ١٠١ البقـــرة. وقـــوله:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾، ٧٦ يونس وقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ ﴾ ٣٧، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ ٤٨ القصص.

وقـــوله: ﴿ فلمـــا جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ ٢٥ القصص.

يرى كل من أبى البقاء وأبى السعود أن تتعلق (من) بـــ (جاء) وهى لابتداء غاية المجئ. أو أن تكون صفة لما قبلها إذا كان نكرة وحالا إذا كان معرفة(٢).

والأول هـــو الصحيح اللائق بجلال القرآن لأن الثانى أى كونه نعتا أو حالا يقتضى تقدير شئ لا حاجة بالنص إليه وهو قولهم: كائن أو كائنا. أو مثل ذلك وقد عرفنا أن الحذف: حيف. وأن التقدير تكدير.

---

(١) الكشاف ٣٥٢/١.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢٨/١ وإرشاد العقل السليم ٤١١/١: ٤١٢.

٧- حسد:

في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ ١٠٩ البقرة.

يقول الزمخشري: في (من عند أنفسهم) وجهان: أحدهما: أن يتعلق بـ (ود) على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم. وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم. ومن قبل شهوتهم.

الثاني: أن يتعلق بـ (حسدا) أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم"(١).

وأشار ابن المنير إلى ترجيح الأول حيث قال: "يُبْعِدِ الوجه الثاني دخول (عند) ويُقَرِّب الأول: " تلك أمانيهم".

ولم يرتض زاده تعلقه بأي منهما:" لأنه لا يقال حسدت من الشئ، ولا وددت منه، بل يقال: حسدته على كذا. فيتعين أن يكون متعلقا بمحذوف يكون وصفا لـ (حسدا) أو وصفا لمصدر(ود) أي حسدا كائنا من عند أنفسهم. أو ودا كائنا من عند أنفسهم "أ.هـ من الحواشي السعدية"(٢).

وقيل يتعلق بقوله (يردونكم) و (من) سببية أي يكون الرد من تلقائهم وبإغوائهم وتزيينهم(٣).

وخلاصة تلك النصوص أن (من عند أنفسهم) فيه الأراء الآتية:

(أ) أنه متعلق بالفعل (ود) .

---

(١) الكشاف ١/١٣١.

(٢) حاشية زاده على البيضاوي ١/٣٨٨. وانظر روح المعاني ١/٢٩٢.

(٣) هامش الكشاف ١/ ١٣١.

(ب) أنه متعلق بالمصدر (حسدا).

(ج) أنه متعلق بمحذوف وصفا لمصدر مقدر لـ (ود).

(د) أو متعلق بمحذوف وصفا بـ (حسدا).

(ه) أنه متعلق بالفعل (يردونكم).

وظاهر تلك الأراء أن (من) على غير الرأى الأخير حرف ابتداء أما على الأخير فهى حرف تعليل.

وبالتأمل فيها تجد أغلبها مفروضا على النص لا نابعا منه أو صادرا عنه. وحسبنا أن تكون قائمة على الحذف والتقدير وقد عرفنا أنها (حيف) و(تكدير). أو أن تكون قائمة على الفصل بين الظرف (من عند أنفسهم) والمتعلق به.

وهذا كله لا يوجد على تعلقه بـ (حسد) وعليه يسلم النص مما سبق ذكره فلا تباعد بين بعض كلماته فى الارتباط ولا حذف لشئ متوهم لا حقيقة له. والأصل أن تؤخذ المعانى من كلمات النص على نسقها التى وردت به. بل إن الواجب الحتم أن نجعل النص القرآنى أول النصوص العربية التى تستنبط منها قواعد النحو واللغة لأنه أوثقها وأصدقها فقد نزل الروح الأمين. جبريل عليه السلام على قلب محمد النبى المصطفى ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين.

فهل نجد نصا يدانيه تواترا وحفظا وصدق الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ٩ الحجر.

ومن العجيب أن نرى أبا حيان يقول :" إن الظرف (من عند أنفسهم) مستقر إذا تعلق بـ (حسدا) أى حسدا كائنا من عند أنفسهم وإنه لغو إذا تعلق بـ (ود) ، ثم يقول:" إن (من عند أنفسهم) على كلا التقديرين توكيد... لأن ودادة الكفر والحسد

على الإيمان لا يكون إلا من عند أنفسهم فهو نظير:﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ ٣٨ الأنعام"[١].

ومعنى كون الظرف مستقرا أى يكون متحملا للضمير. ومعنى كونه لغوا أنه لا يتحمل ضميرا. وقد جرت عادة العلماء أن يختصوا الأول بالظرف الذى يتعلق بمحذوف والثانى بما يتعلق بشئ موجود. ولست أدرى حاجة إلى تعلق الظرف هنا بمحذوف إذ لا فرق بين تعلقه بـ (ود) وتعلقه بـ (حسدا) إذ كل منهما صالح لتعلق الظرف به. على أننا قد رأينا أن الراجح – إن لم يكن الصحيح– تعلقه بـ(حسدا) بدون حذف ولا تقدير.

هـذه واحدة. وأخرى وهى: أن جعل أبى حيان (من عند أنفسهم) مقيسا على (يطير بجناحين) محل نظر لأنه يقتضى أن يكون الظرف توكيدا لـ (وَدَّ) أو لـ(حسدا) إذ هما من الصفات النفسية لأن النفس هى التى تَوَدُّ وتريد كما أنها هى التى تحسد وتحقد. فكأن المعنى الواحد ذكر مرتين. وذلك كما أن (الطائر) يطير بجناحيه. ومن ثم كان (يطير بجناحيه) توكيدا.

والصحيح أن يكون كل نص فى القرآن تأسيسا لمعنى يخالف المعنى فى النص قبله فلا يوجد تكرار للفظ لمعنى واحد. وهذا ما ذهب إليه ابن جنى فى آية الطائر. حيث ذكر أن (يطير بجناحيه) تفيد فائدة جديدة لأنه قد يقال فى المثل: طار علاهن فشل علاها – أى ارتفع واركب– وعلاها لغة فى (عليها) تنسب إلى الحارث بن كعب. ومن أبيات الكتاب:

وطرت بمنصلى فى يعملات   دَوَامِى الأَيْدِ يخبطن السريعا

---

(١) البحر المحيط ٣٤٨/١.

فيكون قوله (يطير بجناحيه) على هذا مفيدا أى: ليس الغرض تشبيهه بالطائر ذى الجناحين بل الطائر بجناحيه البتة[١].

ومقتضى هذا أن (طائر) قد يراد به السريع سرعة تشبه سرعة الطائر. كما فــى قول الشاعر إذ معناه: وأسرعت بمنصلى أى الأداة الحادة فى بعملات لتقطيع أوصــالها وتمزيق أعضائها. فلما قيل (يطير بجناحيه) علمنا أن المراد الطير التى تُسبّح بحمد ربها.

وعلى هذا يكون (حسدا) بدون (من عند أنفسهم) مرادا به القوة النفسية الكافية فلمــا قــيل (من عند أنفسهم) دل ذلك على تحريك تلك القوة نحو الهدف وإصابته. وعليه فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ٥ الفلق. وفيه يقــول الزمخــشرى:" إذا ظهر حسده وعَجَّل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود. لأنــه إذا لــم يظهــر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه."[٢].

وهكذا يكون فهم النص القرآنى بدون ادعاء تكرار أو حذف وتقدير لأنه منزه عن اللغو والقصور عن أداء المعنى المراد.

٨- حــيى:

وذلــك فى قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ ومن قبل ذلك قوله:" فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية...إلخ.

---

(١) انظر الخصائص ٢٦٨/٢.

(٢) الكشاف ٦٥٦/٤.

أي:" ثابـــتة بأمـــره مشروعة من لدنه. أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمُسَلَّم عليه والمحيا"[١].

فكمـــا كـــان الحسد في الآية السابقة صادرا مبتدأ من نفس الحاسد فهنا نرى التحية مبتدأ صادرة من جهة الله العلي القدير. وهمل بعد ذلك رضا.

٩- خرج: في:

قـــوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ ١٦ محمد.

فالرسول عليه السلام مبدأ خروجهم أي من حضرته أي مكان حضوره.

١٠- رحمة: في:

قـــــوله تعالـــــى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ ٨٤ الأنبـــياء، وفي آية أخرى يقول: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ ٤٣ص. ممـــا يجعل الإنسان الدراس للقرآن يقف مختارا أما هذا التنوع في التعبيـــر مـــع أن المراد بالآيتين فرد واحد وهو نبي الله أيوب عليه السلام مضرب المـــثل في الصبر على المرض. وهذا ما فعله أبو عبد الله الخطيب الإسكافي. فقد ذكر أن سياق آية الأنبياء استوجب الإتيان بـــ (عند) -من عندنا- بينما لم يستوجب ذلـــك سياق آية ص~ -منًا- ومن ثم بين الفرق بين الأسلوبين وهو أن (رحمة من عندنا) معناه: من حيث لا تناله قُدَر -جمع قدرة- العباد.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٢٠٣.

وكـــل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه (عند الله). وربما يوليه مقربا من ملائكته.

وأمـــا (رحمة منا) فمعناه: أنه لا يجرى أمثالها على أيدى خلقه بل هى: مما يختص بفعله ولا يوليه مقربا من ملائكة. وإن كان ما يقدرهم من مثل ذلك مضافا إلى قدرة الله. فهذا فَرْقٌ ما بين قوله (رحمة من عندنا) و "رحمة منا"(١).

ومن هذا يستبين لنا أن (رحمة منا) تدل على أن الرحمة صادرة من الله عز وجل وهذه منزلة أقرب ومكانة أرفع لأيوب. وأما (رحمة من عندنا) فتدل على أن الرحمة ربما تكون من ملائكة الله بأمره. مع أن الملائكة بحضرة الله عز وجل.

ولعل سبب تفاوت منزلة الرحمة فى الآيتين أن آية ص~ التى ورد فيها (منا) مطلعها:" ووهبنا له أهله ومثلهم معهم.." وأما آية الأنبياء فمطلعها " وآتيناه أهله.." وشـــتان بين الهبة والعطية ومن ثم كانت الرحمة مع الهبة من الله. ومع العطية من عند الله. أى من حضرته فربما تكون من الملائكة.

ويـــرى أبو حيان أن (من عند الله) أعم يقال فيما كان يرضاه وبسخطه وفيما يحصل وقد أمر به ونهى عنه. ولا يقال: هو من الله إلا فيما كان يرضاه ويأمره(٢).

هذا وقد ذكر الزمخشرى ما أصيب به أيوب من ضيق بعد سعة ومرض بعد صـــحة وصـــبر علـــى كـــل ذلك وأن الله جزاه بَرَدِّ ما فقده إليه بل جعله ضِعْفًا – ومـــثلهم معهم– لرحمة العابدين وتذكيرا لهم بالإحسان لا ننساهم. أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب فى الدنيا والآخـــرة فرحمة وذكرى. مفعول لهما والمعنى: أن الهبة كانت للرحمة لله ولتذكير

(١) درة التنزيل ٢٣٩: ٢٤٠ بتصرف.

(٢) البحر المحيط ٣٠٢/٣.

أولـــى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره. رَغَّبَهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم.."[١].

١١- صـــاب :

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ ٥٢ التوبة.

وصدر هذه الآية: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ.... الـــخ﴾ والمـــراد بالحـــسنيين: العاقبتان اللتان كل واحدة منهما فى حسنى العواقب. وهما: النصرة والشهادة. (ونحن نتربص بكم) إحدى السوأيين من العواقب. إما (أن يـــصيبكم الله بعـــذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر[٢].

فالحـــسنى عاقـــبة المؤمنين المجاهدين والسوأى: عاقبة الكافرين المعاندين وهـــى فـــى قوله تعالى:﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١٠ الروم.

فـــ (من عندنا) مرتبط بالفعل (يصيبكم) أى أن الإصابة بالعذاب من عنده كما كـــان إتـــيان الرحمة فى آية الأنبياء من عنده أيضا وربما يقال هنا: إن (من عنده) مـــرتبط بـــ (عذاب) كما قيل هناك إن (من عندنا) مرتبطة بـــ (رحمة) بمعنى: أن العـــذاب والرحمة من عند الله عز وجل. وعلى هذا الرأى يكون (من عنده) و (من

---

(١) انظر الكشاف ١٠٣/٣، ٧٥/٤: ٧٦.
(٢) انظر الكشاف ٢١٨/٢.

عـندنا) فـي محـل خفـض فـي الأولى. وفي محل نصب في الثانية لأنها نعت لـ (عذاب) و (رحمة).

ولا غـبار علـى ذلك حسب الظاهر. ولكن الحقيقة أن الظروف في الآيتين مرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل (يصيب) والفعل (آتينا). لأن إصابة العذاب من عند الله. كما أن إعطاء الرحمة من عنده.

١٢- نـزل:

في قوله تعالى: ﴿ نُزُلاً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ١٩٨ آل عمران.

وأولهـا ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلاً ..﴾ والنَّزل والنُّزل ما يقام للنازل. وقال أبو الشعراء الضَّبي:

وكـنا إذا الجـبار بالجيش ضافنا ∴ جعلـنا القـنا والمرهفات له نزلا

ضافنا: نزل ضيفا، والقنا: الرماح. والمرهفات: السيوف المسنونة، والنُّزُل: الطعام المعد للضيف.

وانتـصاب (نزلا) إما على الحال من (جنات) لتخصصها بالوصف والعامل الـلام - يعني في:لهم- ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد[1] قال أبو البقاء: "إن جعلـت (نزلا) مصدرا فـ (من عند الله) صفة له. وإن جعلته جمع نازل كما ذكره أبـو علـي في التذكرة ففيه وجهان: أحدهما: هو حال من المفعول المحذوف لأن التقدير: نزلا إياها.

---

(١) انظر الكشاف ١/٣٥٣.

الثانـــى: أن يكـــون خبـــر مبتدأ محذوف أى ذلك من عند الله أى بفضله" [١] فموضـــع (مـــن عند الله) إما منصوب لأنه حال وصاحب الحال محذوف. أو لأنه صـــفة لـــ (نزلا) وهذا ما نراه لأنه يغنى النص عن الحذف والتقدير. وإما مرفوع لأنه خبر لمبتدأ غير مذكور. وتقدير المبتدأ فى النص العربى وخاصة القرآن وارد بكثرة وفيه بلاغة الإيجاز. ولكنى –هنا– أرى أنه لا حاجة إليه إذ أن الظرف (من عند الله) واضح الارتباط بـــ (نزلا) فما الداعى إلى جعله مرتبطا بما هو مقدر.

وبهذا يكون معنى النص أن هذا النزل المعد المهيأ للمتقين ابتداؤه حضرة الله عز وجل. وحسبه ذلك شرفا ومتعة ونعيما.

١٣- نعمـــة:

فى قوله تعالى: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ ٣٥ القمر وقـــبل هـــذه الآية: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ - أى قوم لوط - حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ ٣٤، " نعمة من عندنا....".

وممـــا ينبغـــى الالتفات إليه أن هذه الآيات الأربع وهى المذكورة بأرقام ٨ (تحية من عند الله)، ١٠ (رحمة من عندنا)، ١٢ (نزلا من عند الله)، ١٣ (نعمة من عندنا) فيها التحية والرحمة والنزل والنعمة وكلها من حضرة الله عز وجل.

والأولـــى فى تحية الإسلام (فسلموا على أنفسكم) فهى عامة للمسلمين كافة. والثانـــية فـــى أيوب عليه السلام. الذى صبر على فقد أهله ومرضه فرد إليه أهله ومـــثلهم معهم وعافاه من مرضه. أليس ذلك منتهى الرحمة والفضل؟! والثالثة فى الذين اتقوا وهم الذين اختصهم الله بالإكرام حيث جعل منزلهم من عند الله وهو يليق

(١) إملاء ما من به الرحمن ٩٢/١ بتصرف.

بمنـــزلتهم. أما الرابعة ففى حق آل لوط الذين نجاهم الله بسحر لنعمته عليهم. ولا يغـيب عــن الــذهن هــنا أن امــرأته لَــمْ تكن من الناجين كما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ ٨٣ الأعـــــــراف. وغير ذلك.

تتمـــــه:

ورد الظـــرف (من عند) خبرا إما للمبتد غير منسوخ أو منسوخا بــ (كان) أولا: ورد خبرالمبتدأ غير منسوخ تسع مرات فى ثمانى آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٩ البقرة. وقوله: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ، ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾،﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ ٧، ٣٧، ٧٨، ١٢٦، ١٦٥ آل عمران.

وقـــــــوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٨ النساء، وقوله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ١٠ الأنفال.

ففـــى هذه الآيات ورد (من عند) خبر للمبتدأ غير المنسوخ إحدى عشرة مرة لعـــل القـــارئ يعلم منهج النحويين فى مثل هذه الجمل ألا وهو تقدير خبرٍ يتعلق به الظرف. وكأنهم بذلك يقررون بل يلزمون غيرهم بفهم هذه الآيات على منهجهم.

ولو كانت هذه الآيات فى حاجة إلى منهجهم لَمَا منعنا مانع من اتباعهم والدفاع عن منهجهم. ولكن الحق غير ذلك إذ مَا من دارس منتبه قوى العارضة ثاقب الفكر مستبصر العقل إلا ويدرك المعنى من النص دون احتياج إلى تقدير شئ. فمن من القرأة النحاة لا يفهم المراد من قوله تعالى: " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.. الآية".

أيجد فى نفسه شوقا أو تلهفا أو حاجة إلى تقدير شئ بعد المبتدأ وهو (هذا) كلا؟! وحسبنا ذلك فهما ووقوفا على المراد بتلك النصوص كلها. ومما يلزمنا الالتفات إليه والتنبيه عليه الفرق بين قولنا (هذا عند الله) وقول الله (هذا من عند الله). فالأول ليس فيه حركة أو انتقال من جهة إلى آخرى بل الذى يراد به أن الفضل عند الله لا عند سواه أى يحضره ولا يحضر غيره. أما الثانى ففيه الحركة والانتقال من حضرة الله عز وجل إلى من أراد مجازاته بالحسنى أو بالسوءى. ولو لم يكن لـ (من) من أثر غير هذا الأثر الخطير لكفاها فخرا وفضلا.

هذا: وهناك آية تحتمل على قراءة فيها أن تكون من باب المبتدأ والخبر وهى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٤٣ الرعد. ففيها قراءات أربع. هذه إحداها و (من) عليها اسم موصول مبتدأ و (عنده) صلة الموصول وليس فى حاجة إلى تقدير لأنه (تكدير) لصفو النص. و(علم الكتاب) خبر. وفيها أوجه آخرى ذكرها الزمخشرى[1].

والقراءة الثانية (ومن عنده علم الكتاب) بكسر الميم. وذكر أبو حبان أنها قراءة عَلِيٍّ وأُبَيٍّ وابن عباس وعكرمة وابن جبير و عبد الرحمن ابن أبى بكرة...وغيرهم[2].

---

(١) انظر الكشاف ٤١٧/٢، واتحاف فضلاء البشر ص ٣٢٥.

(٢) انظر البحر المحيط ٤٠٢/٥.

والمـــنهج الـــسائد فى اعرابها هو أن (من عنده) متعلق بمحذوف خبر مقدم و(علم الكتاب) مبتدأ مؤخر[١].

ولعل القارئ يعلم أننا يمكننا أن نربأ بساحة النص عن دعوى التقديم والتأخير بـــأن نجعـــل الآيـــة من قبيل الجملة الظرفية أى التى يرفع الظرف فيها ما بعده. فـــ(علم الكتاب) فاعل بـــ (مَنْ عنده). فلا تقديم ولا تأخير ولا حذف ولا تقدير.

أما القراءتان الباقيتان فهما (ومِنْ عنده علم الكتاب) ببناء الفعل (عُلِمَ) للمفعول إما ثلاثيا بكسر اللام فقط. وإما مضعفا بتشديدها أى (عُلِّمَ الكتاب).

وربما يسأل القارئ عن إعراب هاتين القراءتين و الجواب من وجهة نظرى أن الجملة ظرفية أيضا. والفاعل المرفوع بـــ (من عنده) يدركه العقل من الفعل أى (عُلِمَ الكتاب) على قراءة (عُلِمَ الكتاب) أو (تعليم الكتاب) على قراءة (عُلِّمَ الكتاب). وبذلك نصون النص القرآنى عن دعوى التقديم والتأخير.

والـــضمير فـــى (عـــنده) على قراءات (من) الخافضة عائد على الله تعالى. والمعنـــى: مـــن جهة فضله وإحسانه علم الكتاب. أو علم الكتاب. أو تعليم الكتاب. أى معانيه.

ثانيا: ورد (من عند) خبرا عن (كان) فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ٨٢ النساء. وقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ٥٢ فـــصلت. وقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ

---

(١) انظر الإتحاف ص ٣٢٥.

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٠ الأحقاف.

والآيــة الأولى فى شأن القرآن الكريم وفيها يقول الزمخشرى:" تَدَبُّرُ الأمر: تَأَمُّلُهُ والنظر فى إدباره وما يؤول إليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل. ففــى: تدبــر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه. (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثيــر منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه؛ فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته. وبعضه إخبارا بغيب قد وافق الخبر عنه. وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه.. فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى الــبلغاء... علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره؛ عالم بما لا يعلمه أحد سواه"(١).

فواضــح من كلام الزمخشرى أن هذه الآية إنما المقصود بها تحدى العرب البلغاء بأنهم لا يستطيعون أن يدوروا فى فلك كتاب الله. وقد سبق الحديث عن آيات التحدى ومنهجه.

وأمــا الآيــتان الآخريان فهما – وإن كانت فى شأن القرآن – لا يقصد بهما الــتحدى وإنمــا هما وصف لشأن من كفر به بأنهم أَضَلُّ ممن يقال عنهم إنهم فى شقاق بعيد كما أنهم ظالمون مستكبرون. ولو سئل النحاة عن إعراب (ولو كان من عــند غير الله). و (إن من عند الله) لقالوا: اسم كان مضمر. وخبرها مقدر يتعلق بــــ (مــن عــند غير الله) و (من عند الله). وقد عرفنا أن المعنى واضح تام فلا يحتاج إلى تكدير صفوه بتقدير ما لا نفع له ولا فائدة فيه.

ومعنــى (مــن) الابتداء أى لو ابتدأ نزول القرآن من عند غير الله لما كان معجــزا هذا: وهناك آية رابعة تدور فى فلك تلكم الآيات الثلاث صياغة غير أنها

---

(١) الكشاف ٤١٨/١.

غيــر متساوية بهن. وهى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٣٢ الأنفال. وهى أيضا فى شأن القرآن الكريم. غير أن نصها غير نصوص الآيات السالفة الذكر. فاسم (كان) هو (هذا) و (هو) إما ضمير فصل و (الحق) خبر (كان) منــصوب. و (مــن عــندك) حال من (الحق) على قراءتى رفعه ونصبه. و (من) حرف ابتداء[1].

وممــا يلفت الذهن هنا قول هؤلاء المعاندين المكابرين (فَأَمْطِر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم). ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه". ومن ثــم كــان تهديدهم بالعذاب البديع الشنيع أمَّا كونه بديعا فلأن المطر مصدر رزق وخير ولكنه هنا عذبهم به ولذا قال الزمخشرى:" وقد كثر الإمطار فى معنى العذاب – ولعلــه اعــتمد فــى ذلك على أن آيات القرآن التى ورد فيها المطر كانت آيات عــذاب لا رحمة– ثم قال:" فإن قلت: ما فائدة قوله (من السماء) والأمطار لا تكون إلا مــنها؟ قلــت: كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب. فوضع (حجارة من السماء) موضع السجيل"[2].

الظرف الثالث عشر: فوق

وردت (من) مقترنة: بهذا الظرف فى أربع عشرة آية مع المواد اللغوية الآتية:

١ – أكــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ ٦٦ المائدة.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/٤.

(٢) الكشاف ٢/ ١٧٠.

وقـد سبق الحديث عن هذه الآية فى آيات الظرف (تحت) فلا داعى لتكراره هـنا. ولكن الذى ينبغى التنبيه إليه ما ذكره أبو السعود وهو قوله: " مفعول (أكلوا) محذوف لقصد التعميم؛ أو للقصد إلى نفس الفعل كما فى قوله: فلان يعطى ويمنع؛ و (من) الموضعين لابتداء الغاية"(١).

٢- بعـث :

فـى قـوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ٦٥ الأنعام.

وقـيل (مـن فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسـل علـى قـوم نوح الطوفان.. أو من قِبَلِ أكابِركم وسلاطينكم (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون.. أو من قِبَلِ سِفْلَتِكم وعبيدكم(٢).

وربما يقال إن (من فوقكم) وصف لـ (عذابا) فيكون مرتبطا بمادة (عَذَّب) لا (بَعَثَ). والحق أن ابتداء بعث العذاب هو فوقهم أو تحت أرجلهم. ولذا نرى ما قاله الزمخـشرى من كونه من قِبَلِ أكابركم أو من قِبَل سفلتكم وعبيدكم غير دقيق لأن الواقع أن العذاب إذا حقت كلمته كان واردا إما من فوق المعذبين وإما من تحتهم.

٣- خبـث:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٢٦ إبراهيم.

---

(١) انظر حاشية الجمل ٦١٢/١.

(٢) انظر الكشاف ٢٥/٢.

قيل: الكلمة الخبيثة كملة الشرك؛ وقيل كل كلمة قبيحة. وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل[١].

وقـال ابن سيده: " وشجرة مجتثة: ليس لها أصل فى الأرض، وفى التنزيل: (اجتثت من فوق الأرض) فُسِّرت بأنها المنتزعة المقتلعة.

وقـال الزجاج: " أى استؤصلت من فوق الأرض. ومعنى: اجتث الشئ فى اللغة أخذت جثته كله"[٢].

وبالتأمل ندرك قيمة (مِنْ) فى النص إذ لو قيل: اجتثت فوق الأرض لما فُهِمَ معنى بل لما كان فيه معنى يفهم. فالمقام والمقال فى حاجة إلى (من).

٤- جعـل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾ ١٠ فصلت.

قـال الزمخشرى:" فإن قلت: ما معنى قوله (من فوقها)؟ وهل اختصر على قـوله (وجعـل فـيها رواسى) كقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ ٢٧ المرسـلات، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ ٣١ الأنبـياء، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ ٦١ النمل؟

قلت: لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها؛ أو مركوزة فيها كالمسامير لمـنعت مـن الميدان أيضا، وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع فى

---

(١) انظر الكشاف ٤٣١/٢.

(٢) اللسان ١٢٦/٢.

الجـبال معرضـــة لطالبيها. حاضرة محصليها. وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لابد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته"[1].

أقول: وهل يوجد هذا المعنى لو قيل: وجعل فيها رواسى فوقها. بدون (من)؟ لا: وإنمـــا المعنـــى فى حاجة إلى (فى) و (من) لأن الجبال ذات جذور عميقة فى الأرض. كمـــا لها بقية. من فوقها فهى ظاهرة باطنه. وكلمة (من) تدل على أن ما فـيها – أى الأرض– متـصل بما (فوقها). وذلك هو الإحكام الإلهى الذى لا يقدر عليه سواه.

٥- جـــاء:

فـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ ١٠ الأحزاب.

(من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق: بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب: قريش. تحزبوا وقالوا: سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمداً"[2].

وإذا لا حظـــنا (مـــن) فى موضعيها أدركنا مدى القرب القريب بين غطفان والمـــسلمين مـــن جهة فوق. وبين قريش المسلمين من الجهة السفلى. وكأن هؤلاء وأولئك قد أخذوا السبل على المسلمين. محيطين بهم من كل جانب.

٦- خَـــرَّ:

فى قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ ﴾ ٢٦ النمل.

---

(١) الكشاف ٤/١٤٧.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٤١٦.

وقد عرفنا أن (على) ظرف فيه معنى العلو. وهو قريب من الفوقية ليس هو هو. ومن ثَمَّ ذهب أغلب العلماء على أن بين (عليهم) و (من فوقهم) فرقا يجعل كلا منهما لمعنى على جهة التأسيس فليسا من قبيل التوكيد.

يقـول ابن جنى :" إن كلمة (على) تستعمل فى الأفعال الشاقة المستثقلة كما يقـال: قـد حفظـت القرآن وبقيت عَلَيَّ منه سورتان.... ويقال فى الاعتداد على الإنسان بذنوبه وقبيح أفعاله: قد أخرب علي ضَيْعَتي وَمَوَّت عَلَيَّ عواملي... فعلى هذا لو قيل: (فخر عليهم السقف) ولم يقل (من فوقهم) لجاز أن يظن به أنه كقولك: قـد خـربت عليهم دارهم. فإذا قال (من فوقهم) زال ذلك المعنى المحتمل؛ وصار معناه أنه سقط وهم من تحته. فهذا معنى غير الأول"(١).

ويقـول صـاحب الكلـيات:" ولما كانت (على) تفيد الملك جئ بقوله: (من فوقهم) بعد (فَخَرَّ عليهم) إمحاضا للاستعلاء"(٢).

وبهـذا يثبت أن الآية من قبيل التأسيس لا التوكيد. وهو الأصل في استعمال النصوص العربية بعامة والقرآنية بخاصة.

ولكـن العكبـرى يأبى إلا دعوى التوكيد حيث يقول:" من فوقهم: يجوز أن يـتعلق بـ (خر) و (من) لابتداء الغاية. وأن تكون حالا أى كائنا من فوقهم؛ وعلى كلا الوجهين هو توكيد"(٣).

فمقتـضى ذلك أن (عليهم) و (من فوقهم) بمعنى واحد فمِنْ ثَمَّ كانا من قبيل التوكيد. ومما يضعف ذلك إن لم يَرُدَّه.

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٧٠: ٢٧١ وانظر البحر المحيط ٥/ ٢٨٥.

(٢) الكليات ص ٢٥٣.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/٤٢.

(أ) أن (علـــى) و (فـــوق) وإن اتفقـــا فى الجهة يختلفان فى الاستعمال إذ يمكن اســـتعمال أحـــدهما فى مكان لا يستعمل الثانى فيه. ألا يقال: على دين. فهل يقـــول: فوقى دين؟ ثم ألا يقال: وَجَبَتْ عَلَىَّ الصلاة. فهل يقال: وجبت فوقى الصلاة... إلى غير ذلك.

(ب) أن ادعـــاء العكبرى تقدير (كائنا) مع (من فوقهم) لا حاجة بالنص إليه. إذ ما معنى (كائنت) هنا؟ أليس: موجودا. ثم أليس قوله (من فوقهم) يدل بذاته على وجوده؟.

وبهذا نسقط دعوى التوكيد المقامة على النص. ويبقى لكل تعبير معناه الذى يدركه العقل لتبادره إلى الذهن دون حائل أو حاجز بينهما.

هـــذا: وهناك من يذهب إلى التجوز فى (على) فيجعلها بمعنى (عن) التعليلية وأنّ التعليلية وأنّ معنى (فخر عليهم السقف): فخر عنهم السقف من فوقهم أى خر عـــن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقال: اشتكى فلان عن دواء شربه. فـــتكون (على) و (عن) بمعنى واحد أى من أجل الدواء. وكذلك يكون معنى الآية: فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم.

أو يكـــون (على) بمعنى (اللام) والمراد فخر لهم السقف؛ فإن (على) قد قام مقـــام الـــلام.. فأخبر بقوله (من فوقهم) عن فائدة لولاه ما فهمت؛ ولجاز أن يتوهم مـــتوهم فـــى قـــوله (فخر عليهم السقف) ما يتوهمه من قولهم (ضُرِبَ عليه ربعه. ووقعت عليه دابته"[1].

أرأيت كيف يرهق أحد العلماء عقله ويُلْقِى على النص ثقله بما لا ثمرة له إلا كدّ الذهن وتشتيت الفكر؟!.

---

(١) أمالى المرتضى ٢/٢٤: ٢٥.

إن (خــر علــيهم السقف) أسلوب جميل على العقل وقعه خفيف على اللسان نطفــة عــذب اللفظ سهل النطق واضح الدلالة بين المراد. بحيث لو تلاه صبى ذو عقــل علــى فطرته لأدرك معناه ولكن صاحب النص سالف الذكر وهو الشريف المرتضى يحمل النص على غير ما ورد له ويحمله بما يؤود معناه ويفسد مبناه.

إن المقــام ليس مقام تعليل لخرور السقف وإنما المقام مقام سقوطه على من هــم تحــته. فمــا الداعى إلى جعل (على) بمعنى (عن) ثم ادعاء أنهما مَعًا بمعنى التعليل. ثم ادعاءه ثالثا أن (على) بمعنى اللام أى بمعنى التعليل. ؟!

ألــيس فى ذلك فرض وصاية أو ولاية على النص القرآنى بحيث يساير فكر البــشر ويجــرى على هوى عقولهم؟! كلا إن القرآن ينبغى أن يعكف العقل على التأمل فى اختيار كلماته ووضعها فى أماكنها بحيث يدرك معنى الكلمة فى موضعها دون تــدخل فى معناها أو فى مكانها. وبهذا يثبت كل شئ مكانه وينتقل المعنى إلى شعور القارئ والباحث فيستقر فى وجدانه.

ولــذا: فــلا مناص مما ذكره ابن جنى فى الآية من حيث إيتاء كل ذى حق حقه فى معناه بعد الحكم وهو فى موقعه.

٧- خــاف:

فى قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ٥٠ النمل.

فــ (من فوقهم) يدل على أنه قريب منهم قربا لا مزيد عليه أليس هو القائل: ولقــد خلقــنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" ١٦ ق؟.

وإذا كــان الأمــر كــذلك فلا بد من خوف البشر ربهم لأنه أقرب منهم يعلم سرهم ونجواهم.

ولقد طرق الزمخشرى باب هذا المعنى بقوله:" من فوقهم: إن علقته بـ (يخافون) فمعناه: يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم".

وكنا نأمل أن يكتفى بهذا فهو واضح الدلالة على المراد بالنص ولكنه أردف قائلا:" وإن علقته بـ (ربهم) حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا عليهم قاهرا كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ١٨، ٦١ الأنعام. وقوله: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ ١٢٧ الأعراف[١].

ولست أدرى ما الحاجة إلى جعل (من فوقهم) حالا مع أن المعنى المقصود واضح بدون ذلك لأن الذى يكون فوق غيره هو الجدير بأن يرهبه من تحته.فالإنسان وهو فى مسكنه لا يخاف الأرض التى ينام أو يعيش عليها. وإنما يخاف السقف الذى فوقه. فجهة الفوق يخشى منها وسواء فى ذلك الفوق الحسى والفوق المعنى بل هذا الثانى هو الجدير بالخوف والفزع من جهته.

وأما الآيتان اللتان ذكرهما الزمخشرى فبينهما وبين ما نحن بصدده فرق إذ مقام القهر غير مقام الخوف. فالقهر إجبار وإخضاع وإذلال وذلك مقام الكفار الجاحدين العالين فى الأرض المستكبرين على العباد.

وأما الخوف فمقام المؤمنين التوابين الطاهرين. فحسبهم استشعار رهبة الله ومراقبته لهم وعلمه سِرَّهم ونجواهم. ولكل مقام مقال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٥.

٨- صـــب:

في قوله تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ ١٩ الحج.

وهناك آية أخرى وهي: ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ ٤٨ الـدخان. وقـال فـيها الزمخشري: " فإن قلت هلا قيل: صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله:" يصب من فوق رؤسهم الحميم" لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه؟

قلت: إذا صَبَّ عليهم الحميم فقد صُبَّ عليه عذابه وشدته إلا أن صَبَّ العذاب طريقة الاستعارة كقوله:

صُبَّتْ عليهم صروف الدهر من صَبَبِ

وكقـوله: ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ ٢٥٠ البقرة. فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا ليكون أهول وأهيب"(١).

وبالتأمل في هذا النص يدرك القارئ أن الزمخشري لم يطرق باب آية الحج التـي نحـن بصددها إذ الفرق بينها وبين آية الدخان واضح جلي. من حيث قوله تعالـى (يصب من فوق رءوسهم) في الأولى وقوله (صبوا فوق رأسه) في الثانية. ومن حيث قوله في الأولى: (من فوق رؤوسهم الحميم) وفي الثانية (فوق رأسه من عذاب الحميم).

فالصب في الأولى ابتداؤه فوق رءوسهم فهو مباشر لتلك الرءوس. وأما في الثانية فغير مباشر لأنه فوق الرأس أي من جهة الفوق دون تحديد ابتدائه.

---

(١) الكشاف ٣٢٢/٤.

كمـا أن الـصب فى الأولى لـ (الحميم) كله لا بعضه. وأما فى الثانية (من عذاب الجحيم) أى بعض عذاب.

فلـو قيل فى الأولى (يصب فوق رؤوسهم من الحميم) ثم قيل فى الثانية (ثم صـبوا فـوق رأسـه من الحميم) لربما يقال: إن بين الآيتين اتفاقا أو مساواة بين المعنيين. أما وقد جاء نصاها على غير ذلك. فلابد من الاختلاف بينهما فى المعنى. وهـذا هو المتفق مع سياق الآيتين إذ الأولى في الذين كفروا وقد قطعت لهم ثياب مـن نـار يـصب من فوق رؤوسهم الحميم. فالثياب شاملة سابغة على أجسامهم. والصب مباشر لرءوسهم أشد وأشمل لأن العذاب يحيط بهم من جميع جهاتهم. كما أن الحمـيم كله يصب من فوقهم أما الثانية فهى فى شأن الأثيم الذى طعامه شجرة الـزقوم كالمهـل يغلى فى البطون. وشتان بين هذه الصورة وصورة الذين كفروا الـذين قطعت لهم ثياب من نار. وما دام المهل يغلى فى البطون فذلك يتناسب مع قوله (صبوا فوق رأسه بعض العذاب لأنه يكفيه والله أعلم بأسرار كلامه.

٩- ظـل:

فى قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ١٦ الزمر.

١٠- غرف:

فى قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ ﴾ ٢٠ الزمر.

وهاتان الآيتان من قبيل الجملة الظرفية إذ الظرف (لهم) رافع لـ (ظلل) فى الأولى. و (غرف) فى الثانية. لما فيه من معنى الاختصاص. وأما (من فوقهم) فى الأولـى فمـرتبط بـ (ظُلَل) وهو – وإن ذكر بعده– رتبته قبله لأنه فاعل الظرف (لهم) والأصل أن يذكر الفاعل مباشرا لرافعه. ولكن الفصل بينهما هنا كلا فصل إذ أن (مـن فـوقهم) يناسب لا محالة (ظلل) فالظلة يناسبها جهة الفوق. وقد جاء فى عـذاب أصحاب الآيكة حينما قالوا للنبى شعيب عليه السلام (فأسقط علينا كسفا من السماء...) فقد ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾

١٨٧: ١٨٩ الشعراء. يقول الزمخشري:" فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظله إن أرادوا بالسماء: السحاب. وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم"(١).

وأما في آية الزمر فالعذاب ظلل لا ظلة واحدة فلهم من فوقهم ظلل من النار. ومن أي أطباق من النار ومن تحتهم أطباق هي ظلل لآخرين.

أما آية الغرف فـ (لهم غرف) جملة ظرفية رَفَع الظَّرْفُ (لهم) (غرف) فاعلا. و (من فوقها غرف) جملة ظرفية ثابتة في محل رفع نعتا لـ (غرف) الأولى. ومقتضى التعبير بـ (من) مع (فوق) أن الغرف في الجنة طبقات لا فاصل بينها بل يتصل بعضها ببعض بلا حاجز.

١١- غشي: في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ ﴾ ٤١ الأعراف. وقوله: ﴿ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞ ﴾ ٤٠ النور . وقوله : ﴿ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ ﴾ ٥٥ العنكبوت.

ففي الأولى (من فوقهم) ظرف رافع لـ (غواش) وهو جمع (غاشية) أي أن رؤوسهم ابتداء تلك الغواشي.

وفي الثانية (من فوقه موج) جملة ظرفية نعت لـ (موج) الأولى. و (من فوقه سحاب" جملة ظرفية نعت لـ (موج) الثانية.

---

(١) الكشاف ٣/٣٦٢.

أمـــا الآية الثالثة فــ (من فوقهم) حال من (العذاب) أى يغشاهم العذاب حالة كونه مباشرا لهم من جهة الفوق.

١٢- فطـــر:

فى قول تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ ٥ الشورى.

قـــال الزمخشرى:" فإن قلت: لِمَ قال (من فوقهن)؟ قلت لأنه: أعظم الآيات وأدلهـــا علــــى الجلال والعظمة فوق السماوات وهى: العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتبه بالتسبيح والتقديس حول العرش. وما لا يعلم كنهه إلّا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (يتفطرن من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية. أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس أن يقال: يتفطـــرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها الكلمة، ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثـــرة فـــى جهة الفوق. كأنه قيل: يكدن يتفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن... وقيل: من فوق الأرضين"[1].

الظرف الرابع عشر: قبل

وردت (من) معه فى اثنتين وتسعين ومائة آية مع المواد اللغوية الآتية:

١- أتى: فى أربع عشرة آية هى:

قـــوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ١٨٦آل عمران. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ١٣١ النـــساء. وقوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) الكشاف ١٦٣/٤: ١٦٤.

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مـن قبلكم﴾، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٥، ٥٧ المائـــدة. وقـــوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ ١٠٧ الإســراء. وقــوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ ٥١ الأنبـياء. وقوله: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ٤٢ النمل. وقوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ، ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٤٦، ٤٨، ٥٢ القصص. وقوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ٣ الـــسجدة. وقـــوله: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ ٢١ الزخرف. وقوله: ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ ﴾ ٤ الأحقاف. وقوله: ﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ ﴾ ١٦ الحديد.

ويمكننا أن نجعل هذه الآيات باعتبار مادة (أتى) على النحو الآتي:

(أ) ست آيات فيها (أوتوا الكتاب من قبله). (ب) آيتان فيهما: آتيناهم كتابا من قبله. ائتونى بكتاب من قبل هذا. (جـ) آيتان فيهما أوتوا العلم من قبله. وأوتينا العلم من قبلها. (د) آتينا إبراهيم رشده من قبل. (هـ) آيتان: ما أتاهم من نذير من قبلك. (و) آيـــة (أوتى موسى من قبل) و (من) فيها لابتداء الغاية فهى لاستغراق الزمان

كلـــه. وأما قوله (ما أتاهم من نذير) فـــ (من) فاعل وهى اسم بمعنى (بعض) وتفيد أيضا الاستغراق أى ما أتاهم بعض هذا الجنس وهو النذر.

٢- أخــذ:

فـــى قوله تعالى: ﴿ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ ٥٠ التوبة أى من قبل ما وقع

وتولـــوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون. وقيل تولوا: أعرضوا عن رسول الله ﷺ(١).

٣- أذن:

فى قوله تعالى: ﴿ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ ﴾ ٥٨ النور.

أى الوقت الذى يتلوه مباشرة صلاة الفجر.

٤- أذى:

فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾ ٢٩ الأعراف .

فإيذاؤهم ظلّ واقعاً بهم إلى وقتٍ يسيرٍ جدا قبل إتيانه.

٥- أمن: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ ٤٧ النـــساء. وقوله: ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن

---

(١) الكشاف ٢١٨/٢.

قَبْلُ ﴾ ١٥٨ الأنعــام. وقــوله: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ ٦٤ يوسف.

ففــي الآيتــين الأولى والثانية الفعل (آمن) ومصدره الإيمان. وفى الأخيرة (آمن) ومصدره الأمن. وهى من كلام يعقوب فى حق يوسف وأخيه الشقيق.

٦- بغى:

فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾ ٤٨ التوبة.

أى طلبوها وبحثوا عنها ليفرقوا به الجمع فى جميع الأزمنة والأمكنة.

٧- أبلس:

فــي قــوله تعالــى: ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ ٤٩ الروم.

ذكــر الزمخــشرى أن (مــن قــبله) تكرير وتوكيد كقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ﴾ ١٧ الحشر.

والمراد: الشيطان والإنسان الذى قال له: اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك...

ومعنــى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأســهم وتمــادى إبلاســهم. أى الــيأس مــن الخيــر. مكان الاستبشار على قدر اعتمامهم بذلك[١].

---

(١) الكشاف ٣/٣٨٢.

ومقتضى هذا أن يكون (من قبله) توكيدا لـ (من قبل) أن ينزل المطر عليهم) فالضمير فيه عائد على المصدر المفهوم من ذلك أى تنزليه. أى: وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمبلسين. وهذا مذهب الأخفش. ويرى قطرب أن (قبل) الأولى للتنزيل والثانـية للمطر. قال الزجاج: والقول قول الأخفش لأن تنزيل المطر بمعنى: إذ لا يكون إلا به[1].

وقـد ذكر ما يشير إلى المطر في الآية من قبل هذه الآية وهى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٤٨، ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ.. الآية ﴾ ٤٩.

ففى هذه الآية بيان لأن الله يجعل الرياح تثير السحاب مبسوطا أى متصلا أو كسفا: أى قطعـاً وبسطه فى السماء لا يراد: السماء المعهودة التى تقابل الأرض. بل المراد جهة السماء إذ السحاب يكون دونها وفوق الأرض. وقوله (فترى الودق يخرج من خلاله) أى المطر ينزل خارجا من خلال السحاب المبسوط أو غيره. فإذا أصاب الله به من يشاء حلت بهم البشرى ونزل عليهم السرور)..

فقـوله (من قبل أن ينزل عليهم) يدل على أن الإبلاس ظل ملازما لهم فإذا ما استهل المطر نازلا زال إبلاسهم. فـ (مِنْ) تدل على التعقيب أى المباشرة بين البشرى واليأس. إذ الفرج مِنْ بعد الكرب كأنهما يتصل أحدهما بالآخر. بل هما كذلك فعلا.

٨- بـوأ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٩ الحشر.

---

(١) اللسان ٥٣٦/١١.

والمـــراد بهـــم الأنـــصار وهـــم الـــذين يقابلون المهاجرين فى الآية رقم ٨ ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ ﴾.

ودار المهاجرين: مكة. ودار الأنصار: المدينة. ومن البدهى أن (الدار) مكان يتبوأه الإنسان ففى القاموس: " وبوأه منزلا وفيه أنزله ..." (١).

وأما الإيمان فمكانه يتصف بها المؤمن ويعلو شأنه ومن ثم جاز للمفسرين أن يقفـــوا متأملين فى عطف (الإيمان) على (الدار) لأنه إذا جاز للأنصار أن يسكنوا الـــدار أى المديـــنة فلن يجوز لهم أن يسكنوا الإيمان. إذ الإيمان إنما يسكن النفوس والقلوب والمشاعر والأحاسيس. ولا تسكنه هى.

ومـــن هؤلاء المفسرين الزمخشرى فقد ساءل نفسه: ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال: تبوؤوا الإيمان. ثم أجاب بأربعة أجوبة:

(أ) أن المعنى: تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان. كقوله: علفتها تبنا وماء باردا- أى وسقيتها ماء باردا-

(ب) أنهـــم جعلـــوا الإيمان مُسْتَقَرًّا وموطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك.

(ج) أن يكـــون التقدير: تبوؤوا دار الهجرة - أى المدينة- ودار الإيمان فأقام لام التعـــريف فـــى الـــدار مقام المضاف إليه. وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه.

(د) أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان.

---

(١) انظر ٩/١.

ثــم قــال (من قبلهم) من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم فى تبوئ دار الهجرة والإيمان. وقيل: من قبلهم هجرتهم"(١).

وبالــتأمل فــى هذه الأوجه ندرك أنها نابعة من العقل المدرك المراد بعمق ويقــين. إذ تقديــر (أخلصوا) قبيل (الإيمان) لائق بل موافق ومنطبق على ما يراد فالدار يتبوؤها الساكن والإيمان يُخلِصُه ذو السكينة.

وكــونهم متمكنين من الإيمان تمكن الساكن من الدار والمكان لا يحوم حوله شئ من شبهة ولا يرد عليه نسيان.

وأمــا جعل (الدار): دار الهجرة. ثم جعل (الإيمان) دار الإيمان ففيه ضرب مــن الإيجــاز الذى يدركه العقل ويستمتع بإدراكه. وأخيرا: تسمية المدينة بالإيمان لأنها دار الهجرة ومكان ظهوره.

فــلا بــأس به إذ كما يعبر القرية ويراد أهلها فلا غرابة بأن يعبر بالإيمان ويراد داره؛ ولا يكون ذلك إلا فى حالة تشبه حالة المدينة وأهلها.

فلا غرابة إذا أن يجيز أى وجه من تلك الأوجه الأربعة.

وبعــد ذلك نتأمل فى (من قبلهم) لندرك أن الضمير مراد به المهاجرين ولا يخفى ما فى هذا التعبير من تعقيب ومباشرة تؤديه (من) إذ لا فاصل بينهما.

وتبقــى كلمــة لابــد منها: ألا وهى: أن الزمخشرى جعل (والذين تبوءوا) معطــوفا على المهاجرين. وهو وصف مخفوض لأن موصوفه (الفقراء) مخفوض بــاللام. وعلــى هــذا يكون (والذين) فى محل خفض. وهنا يرد سؤال فى إعراب (يحــبون مــن هاجــر إليهم.. إلخ)؟ هل هو استئناف جواب لسؤال مقدر وهو: ما صنعتهم؟ فيجاب: يحبون ..إلخ؟ أو يمكن أن يقال: إن واو (الذين تبوؤوا..) ليست

---

(١) الكشاف ٤/٤٠٢: ٤٠٣.

عاطفـــة بـــل هــــى اســــتئنافية فما بعدها مرفوع على الابتداء وخبراه يحبون من هاجر ..إلخ).

٩- تبع: فى آيتين هما:

فــوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ ١٣٤طــه.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ٥٥ الزمر.

فــ (من قبل أن نذل ونخزى) فى الأولى. و (من قبل أن يأتيكم العذاب..) فى الثانــية كأنهما ناقوسان ينذران بالخطر الداهم المباغت دون أن يشعروا به أو تبدو لهم أمارة أو إشارة إليه. ولذا لا مناص لهم من المبادرة إلى تعديل سلوكهم وتبديل عقيدتهم ليخرجوا من إسار الكفر والعصيان إلى ظلال الطاعة والإيمان.

١٠- تــلا:

فــى قــوله تعالــى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ ٤٨ العنكبوت.

وقــوله (من قبله) يعنى: من قبل أن يُنَزَّل عليه وحى الله وهو القرآن الكريم فقــد ظل أميا لا يخط بيمينه ولا يقرأ بلسانه حتى بادره الوحى فى غاره متأملا فى كــون الله حتــى هبط عليه وحى الله. ولا ينبغى أن يغيب عن ذهن القارئ ما فى

قوله (من كتاب) من أستغراق لجنس الكتاب لأن نفى البعض يستلزم لا محالة نفى الكل كما حققنا ذلك.

١١- تـم:

فـى قـوله تعالـى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ٦ يوسف.

ومـن المعلـوم أن إبراهيم جَدّ يعقوب وإسحاق جَدّ يوسف. وقد عبر القرآن عنهما بـ (أبويك) إذ الجَدّ أب بلا غرابة.

وهـنا نجـد (من) تدل على مسلسل النسب بلا فاصل إذ يعقوب ابن إسحاق وإسـحاق ابن إبراهيم. ويوسف ابن يعقوب. فقوله (كما أتمها على أبويك من قبل) نص صريح ذو دلالة عميقة دقيقة على المراد بالآية.

١٢- تاب:

فـى قـوله تعالـى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ ٣٤ المائدة.

وهـذه الآية استثناء من جزاء المحاربين الله ورسوله والساعين فى الأرض فـسادا. الـذين وردوا فى الآية من قبلها. وجزاؤهم: التقتيل أو التصليب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف- أى اليمنى مع اليسرى- أو النفى من الأرض.

وهذا الحَدّ لازم عليهم واجب على أولى الأمر تنفيذه. ويستثنى من ذلك الذين تابوا ولو كانت توبتهم أقرب من مقدرة أولى الأمر عليهم.

يقول الزمخشرى:" إلا الذين تابوا" استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصـــة. وأمـــا حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاءوا عفوا وإن شاءوا استوفوا. وعن على رضى الله عنه أنه: الحارثة بن بدر التميمى. جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فبل توبته ودرأ عنه العقوبة"[1].

١٣- جعل: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ٧مريم. وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ ٣٤ الأنبياء.

ففـــى الآية الأولى يخبر الله عز وجل زكريا عليه السلام ويبشره بأنه سيمن علـــيه بغـــلام لم يُطْلَق اسمه على أحد من قبله من البشر من لدن آدم عليه السلام فـــ (من قبل) استغراق للزمان كله ومن ثم أرى أن قول الزمخشرى:" لم يسم أحد بـــ (يحيى) قبله".

لا يدانـــى الـــنص القرآنـــى دقة وإحكاما. ومن البدهى أن عنصر تلك الدقة وأســـاس هذا الإحكام هى كلمة (من) التى جعلت الظرف عاما يشمل كل ما مضى حتى لحظة البشرى بـــ (يحيى). ثم أخذ الزمخشرى يوضح قيمة هذا المعنى بقوله: " وهذا شاهد على أن الأسامى الشُّنْع جديرة بالأثرة. وإياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنْبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم:

سُـــنْعُ الأســـامى مُـــسْبلِى أُزُرٍ ∴ حمـــر تمـــس الأرض بالهـــدب

---

(١) الكشاف ٤٨٨/١.

– أى أســماؤهم حسنة إذ يقال: سَنُع الرجل كَظَرُفَ فهو سنيع أى جمل فهو جمــيل. وهُــدْب الشئ طَرَفه والأُزْر جمع إزار. وتمس الأرض كناية عن طولها. وفى هذا كله دلالة على أنهم أغنياء وأثرياء–.

وإنمــا قيل للمِثْل (سَمِىّ) لأن كُلّ متشاكِلَيْن كان يسمى كل واحد منهما باسم المِــثْل والــشَّبِيه والشَّكل والنظير وكل واحد منهما سمى لصاحبه. ونحو (يحيى): يعمر ويعيش. "وقد سموا بـــ (يموت) أيضا وهو (يموت من الزرع).

قالــوا: لم يكن له – أى يحيى– مثل فى أنه لم يعص ولم يهم بمعصيته قط. وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا"[١].

أمــا آية الأنبياء فهى فى حق خاتم الرسل محمد ﷺ. وفيها استئصال الخلد عن بنى البشر من لدن آدم إلى آخر نفس تكون على ظهر الأرض وآخر نفس يتردد عليها يوم القيامة. ولو قيل (قبلك) لما كان النص لائقا بالمعنى المراد أو دالا على كماله.

وقــد صــور الزمخشرى شعور قريش وإحساسهم فى هذا الشأن حيث قال:" كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفَى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ألا يُخلَّد فى الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ وفى معناه قول القائل:

فقــل للــشامتين بـــنا أفــيقوا ∴ ســيلقى الــشامتون كمــا لقيــنا

– والــشامت: المتشفى من غيظه بما أصاب عدوه. وشبههم بالسكارى لعدم تــيقظهم للعواقب. وأمرهم بالإفاقة. ثم بين ذلك بقوله: سيلقون من الهزيمة مثل ما لقينا. وتكون الدولة لنا عليهم فليفيقوا من سكرتهم–[٢].

---

(١) الكشاف ٣/٣: ٤ .وهامشها.

(٢) الكشاف ٩١/٣، هامش ٩٢.

١٤- جاء: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ١٨٣ آل عمـــــران. وقـــوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ ٣٤غافر.

وصــدر الآية الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ ... ﴾ ومعنى هذا أن اليهود يفترون على الله الكذب بأنه عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسولٍ إلا إذا أتاهم بقربان تأكله النار. وقد رد الله افتراءهم ودحض مقولتهم بأنهم قد جاءتهم رسلهم بهذه الآية التـــى اقترحوها ومع ذلك لم يؤمنوا بهم بل قتلوهم. فمعنى (بالذى قلتم) هو: قولكم: قربان تأكله النار. ومع ذلك لم يؤمنوا بل قتلوا أنبيائهم.

فــــ (مــن قبلـــى) فـــى الآيـــة يقصد بها أنبياء بنى إسرائيل الذين كذبوهم بل قتلوهم.

وأمـــا آيـــة غافر فهى حكاية الرجل الذى آمن مِّن قوم فرعون فقد سبق أن المراد إما يوسف بن يعقوب. وإما يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب.

والمـــراد أنـــه لا فاصـــل بـــين يوســـف هـــذا وموسى عليهما السلام وهذا معنى(جاءكم يوسف من قبل) حتى قيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف كما سبق ذكره.

١٥- استجاب:

فـــى قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ وفى هذه الآية حث(٣) للناس أن يبادروا ويسارعوا إلى اعتناق دين الله الحـــق والاستجابة إلى ما فيه من عدل وخير وصدق. حتى لا يباغتهم يوم القيامة وهـــم فى غفلة معرضون. وبالتأمل يدرك العقل أن محور هذه المبادرة ومصدرها هـــو التعبير بـــ (من قبل) فلو قيل (قبل أن يأتى يوم) بدون (من) لكان هناك فسحة للاستجابة واسترخاء عن التوبة والإنابة.

١٦- حارب:

فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ.. ﴾ ١٠٧ التوبة.

وفـــى هـــذه الآية إشارة إلى أن هناك جماعةً أرادوا أن يبنوا مسجدا يناظر مـــسجد قباء. وقالوا: نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ يصلى فيه ويصلى فيه أبـــو عامـــر الراهب من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم الذين بنوا مـــسجد قباء. وهذا الراهب سماه رسول الله: الفاسق. وقال لرسول الله ﷺ يوم أحد: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين.

فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام... فلما قفل رسول الله من غزوة تـــبوك ســـألوه إتيان المسجد فنزلت عليه الآية فأمر بهدمه ومات أبوا عامر بالشام بقنسرين. ومعنى (ضرارا) مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة. و(كفرا)

أى تقوية للنفاق و(تفريقاً بين المؤمنين) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغــتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وإرصادا) إعدادا (لــ) أجل (مــن حارب الله ورسوله من قبل) وهو الراهب. أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله ﷺ.

و (من قبل) متعلق بــ (الذين اتخذوا مسجدا ضرارا) أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف(١).

ويرى الألوسى غير ذلك حيث قال: "من قبل: متعلق بــ (حارب) أى حارب الله ورسوله قبل هذا الاتخاذ"(٢).

فالتعبيــر بــ (من قبل) يثبت قرب العهد بذلك الذى حارب الله ورسوله وهو الــراهب الــذى ملــئ غيظا وحقدا على رسول الله وأتباعه المخلصين. فــ (من) للتعقيب أى وقوع الحدثين أحدهما فى إثر صاحبه لا تراخ ولا مهلة. ولذا نرى أن تعبيــر الألوسى (قبل هذا الإتخاذ) لا يرقى إلى النص القرآنى دقة فى أداء المعنى. وإن كــان جَعْلــه (مــن قــبل) متعلقا بــ (حارب) أقرب إلى الصواب من تعبير الزمخشرى.

١٧- حــرر:

فــى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ ٣ المجادلة.

---

(١) انظر الكشاف ٣٤٣/٢.

(٢) روح المعانى ٣٦٨/٣.

أى أن من ظَاهَرَ من زوجة أى جعلها عليه كظهر أمه يعنى: أنها حرام عليه ثم عاد ورجع عن ذلك فلا تحل له زوجه إلا إذا بادر إلى تحرير رقبة وحينئذ يحل له أن يمس زوجه. وكأنى بهذا التعبير يلزم ذلك المظاهر بالإسراع إلى تلك المماسة من فور تحرير الرقبة.

١٨- حرم: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾ ٧٣ آل عمران. وقوله: ﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ ﴾ ١٢ القصص.

والمراد بـ (إسرائيل) فى الآية الأولى: يعقوب عليه السلام. وقد حرم على نفسه بعض ما أحل له الله وقيل: لحوم الإبل وألبانها. وقيل: العروق. وكان ذلك قبيل نزول التوراه على موسى عليه السلام وقوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبنى إسرائي): معناه: كل أنواع الطعام أو كل المطعومات. و (حِلاًّ) مصدر يقال: حل الشئ حلا كقولك: ذَلَّت الدابة ذلا. وَعَزَّ الرجل عِزًّا... ولذلك استوى فى الوصف بـه المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى: لا هن حل لهم" ١٠ الممتحنة. وقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلٌّ لَّهُمۡ ﴾ ٥ المائدة(١).

فقول الله (من قبل أن تنزل التوراة) يثبت قرب تنزيل التوراه مما فعله يعقوب.

وأما المراد بالآية الثانية (وحرمنا عليه المراضع..) فهو موسى الرضيع وفيه يقول الزمخشرى:" التحريم استعارة للمنع لأن من حرم عليه شئ فقد منعه ألا ترى

---

(١) انظر الكشاف ١/٢٩٥.

إلى قولهم: محظور وحجر. وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يرضع ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك. والمراضع جمع مرضع وهى موضع الرضاع: يعنى: الثدى.. (من قبل) أى من قبل قصصها- أى أخته- أثره.."[1].

فمن رحمة الله بهذا الرضيع المعد للنبوة أن قرب المسافة بين منعه من الرضاع وبين وصول أخته التى أتت بأمه.. فـ (من) للتعقيب والتقريب وهذا هو جو الآيات كلها فمن بعد قوله تعالى (من قبل) قوله:" فقالت – بالفاء- هل أدلكم... فقوله: ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ...﴾ ١٣.

هذا: ولا ينبغى أن نغفل تنبيه القارئ إلى ما فى قول الزمخشرى:" (فكان لا يقبل ثدى مرضع قط..) حيث استعمل (قط) فى سياق مستقبل وقد عهدنا ذلك منه كثيرا وهو خطأ مشهور كما نبهنا إلى ذلك عدة مرات. وكان الجدير به أن يقول: فكان لم يقبل ثدى مرضع قط.

١٩- خفى:

فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ ١٢٨ الأنعام والمراد به ما كانوا يخفون من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضَجَراً. ومن ثم عقب الله على قولهم بقوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

هذا: وبالاطلاع على عدد مرات (مِنْ) فى هذا الجزء من ص ٢٥٥ إلى ص ٣٨٢: ٣٠٦ ست وثلاثمائة مرة. وبالله التوفيق.

---

(١) الكشاف ٣/٣١١.

٢٠- خلق: فى ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ ٢٧ الحجر. أى من قبل الإنسان الذى قال عنه فى الآية من قبلها: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ ﴾ ٢٦. وقـــوله: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ ٩ مريم. وقوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ ٦٧.

فالله يخاطب زكريا عليه السلام حينما استبعد أن يرزقه الله بغلام لأن امرأته عاقـــر وقد بلغ هو من الكبر عتيا. فذكّره الله بأنه خلقه من قبل ولم يك شيئا. فكيف لا يرزقه بغلام؟!

وأما فى الآية الثانية فالله يحث الإنسان أيًّا كان أن يذكر دائما أنه مخلوق لله من العدم. والذى يُخلق من العدم يكون حاله فى الإعادة أولى وأقرب.

٢١- خلا: فى أربع عشرة آية هى:

قـــوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ ٢١٤ البقرة. وقوله: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ ١٣٧، ١٤٤ آل عمران. وقوله: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ ٧٥ المائدة. وقوله: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم

مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ ٣٨ الأعراف. وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ١٠٢ يونس. وقوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ ٦، ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ٣٠ الرعد وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ٣٤ النور. وقوله: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ ٣٨، ٦٢ الأحزاب. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ١٧، ١٨ الأحقاف. وقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ ٢٣ الفتح.

والفعل فى هذه الآيات من مادة (خ ل و) يقال: خلا فلان أى: مات، ويقال: خلا مكانه بهذا المعنى[1].

وتلك الآيات قد تنوع المسند إليه فيها على النحو الآتى:

---

(١) انظر القاموس ٣٢٥/٤ وهامشها.

(أ) مسند إليه ظاهر والفعل ملحق به تاء التأنيث. وآياته هى: (قد خلت من قبلكم سنن) مرة واحدة (قد خلت من قبله الرسل) مرتين (وقد خلت من قبلهم المثلات) مرة واحدة. (قد خلت من قبلها أمم) مرة واحدة (وقد خلت القرون من قبلى) مرة واحدة. فهى ست آيات.

(ب) أسند الفعل إلى علامة إضمار (واو الجماعة) وآيات ذلك هى: (ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم) مرتين (الذين خلوا من قبلهم) مرة (والذين خلوا من قبل) مرتين فهذه خمس آيات.

(ج) جاء الفعل ملحقا به تاء التأنيث وعلامة إضمار الفاعل ليست ظاهرة وذلك فى الآيات الآتية: (فى أمم قد خلت من قبلكم) مرة (أمم قد خلت من قبلهم) (سنة الله قد خلت من قبل) مرة. فهذه ثلاث آيات.

وحسبنا أن بين معنى آية من كل نوع إذ بذلك يتيسر على القارئ علم الباقى فمن النوع الأول آية فى حق خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. وهى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل.. الآية) قد أشيع فى غزوة أحد قتل الرسول عليه السلام. فانكفأ المسلمون فجعل الرسولﷺ يدعو: إلىّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلا مهم على هربهم.. فنزلت. والمعنى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا. أى يموت كما ماتوا. وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خُلُوِّهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خُلُوِّه. لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه"[(١)].

فخلو الرسل أى موتهم واقع لا شك فيه ثابت لا يمكن إنكاره. والتعبير بـ(من قبله الرسل) مستغرق شامل للرسل جميعا فلا استثناء. ولو قيل (قد خلت قَبْله الرسل) لربما فَهِم فاهم أو وَهِم واهم أن رسولا قبله - وهو المسيح عليه

(١) انظر الكشاف ١/٣٢٥: ٣٢٦.

السلام- لا يزال حيا. وهذا ضرب من الظن لا أساس له ولا حقيقة فيه. وحسبنا فى ذلك الآيات الواردة فى آخر سورة المائدة وهى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ...... وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ .... الآيات ﴾ ١١٦: ١١٩ المائدة.

فالحديث فيها صريح واضح فى إثبات وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو بين من أرسل إليهم وهم اليهود. ولعل فى هذه الآيات من سورة المائدة ما يُدْحِضَ زَعْم اليهود وافتراءهم أنهم قتلوا المسيح عليه السلام. وقد تضمن هذا الزعم آيات قريبة من أواخر سورة النساء التى هى من قبل المائدة حيث يقول الله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ١٥٧. ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ....﴾ إلى آخر الآية رقم ١٦٠.

فهنا ذكر الرفع وفى سورة المائدة وذكر الوفاة. وهذا تفصيل إجمال فى سورة آل عمران حيث يقول الله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... إلخ الآية﴾ ٥٥.

أرأيــت كيف يكون كلام الله مرتبطا بعضه ببعض وإن تفرقت آياته فى عدة ســور ليكون عَرْضُ ذلك الأمر مُتَنَوِّعَ الصور حتى يحمل القارئ على استحضار فكره وعقله وقوة ذهنه وهو يقرأ القرآن.

هذا: ومما ينبغى التنبيه إليه من آيات هذه المجموعة قوله تعالى: (وقد خلت المثلات). وأولها :" ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت...".

أى يستعجلونك بالنقمة قبل العافية. والإحسان إليهم بالإهمال وذلك أنهم سألوا رســول الله ﷺ أن يأتــيهم بالعــذاب اســتهزاء منهم بإنذاره. (وقد خلت من قبلهم المــثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين. فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا. والمــثلة: العقــوبة يــوزن: الــسَّمُرَة. والمَــثُلَة لمــا بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة"[١].

والتعبيــر بــ (من قبلهم) لا يترك قوما من أقوام الرسل السابقين فقد شملتهم تلك المثلات لَمَّا عمتهم -غالبا- المعاندة والمكابرة واستعجال السيئات.

ومــن النوع الثانى: قوله تعالى: " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم".

وفــيها يقول الزمخشرى:" ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات – تشجيعا لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر مــع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعدوانهم له – قــال لهم على طريقة الإلتفات التى هى أبلغ (أم حسبتهم... ولما فيها معنى التوقع وهى فى النفى نظيرة (قد) فى الإثبات. والمعنى: أن إثبات ذلك متوقع منتظر (مثل الــذين خلــوا) أى حــالهم التــى هــى مــثل فى الشدة. (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف...إلخ[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٢/٤٠٠.

(٢) انظر الكشاف ١/١٩٤.

و (مـــن قبلكم) استغراق لجميع: الأزمنة والأمم التى عاشت فيها وكان منها المــؤمن الــصابر والكافــر الفاجر. ولولا صبر المؤمنين على فجور الكافرين لما استقام أمر الأمم. فمن سَبَق أُسْوة وقُدْوة لمن لحق.

وأمـــا المجموعة الثالثة فمنها: (سنة الله التى قد خلت من قبل) ومن قبل هذه الآيـــة قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ٢٢،﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ..﴾ ٢٣ الفتح.

ذكـــر الزمخـــشرى أن المراد أهل مكة – فإنهم لو قاتلوا ولم يصالحوا.وقيل المراد: من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا. (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سَـــنَّ الله غلـــبة أنبـــيائه سُنَّةً. وهو قوله تعالى: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ ٢١ المجادلة[(١)].

ومما ينبغى أن يستحضر دائما فى الذهن أن (خلا) يغلب فيها أن يكون بمعنى (مات) كما سبق. ولكنها ليست وقفا على هذا المعنى. بل قد يكون بمعنى (مضت) ولذا قال المجد :" وخلا مكانه مات ومضى"[(٢)].

٢٢- خـــان:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ٧١ الأنفال.

---

(١) الكشاف ٤/٢٧٠.

(٢) القاموس ٤/٣٢٥.

أى نكثوا ما بايعوك عليه من الإسلام. بأن أرادوا الردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقص ما أُخِذَ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم فى بدر فَسَيُمَكِّن منهم إن أرادوا الخيانة"(١).

فالتعبير بـ (من قبل) يجعل الرسول ﷺ ومن معه يذكرون ما كانوا عليه من كفرهم بالله وخيانة عهده.فيهون عليه خيانتهم لأن الشئ من معدنه لا يستغرب.

٢٣- دعا: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ ٨ الزمر.

و (خَوَّله) من مادة (خ و ل) ومن معانى (الخَوَل) ما أعطاك الله تعالى من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحَشَيَّة للواحد والجمع والذكر والأنثى.. واستخولهم اتخذهم خولا... وخوله الله تعالى المال: أعطاه إياه متفضلا.. (٢).

وفى الكشاف:" خوله: أعطاه... وفى حقيقته وجهان: أحدهما :جعله خائل مال. من قولهم: خائل مال. وخال مال إذا كان متعهدا له حسن القيام به. ومنه ما روى عن رسول الله ﷺ (أنه كانَ يَتَخَوَّل أصحابه بالموعظة) أى يتعهدهم بحيث لا يثقل عليهم فيسأموا. والثانى: جعله: يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر...

(نسى ما كان يدعو إليه) أى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه وقيل: نسى ربه الذى كان يتضرع إليه ويبتهل إليه(٣).

---

(١) انظر الكشاف ١٨٦/٢: ١٨٧.

(٢) القاموس ٣٧٢/٣.

(٣) انظر الكشاف ٩٠/٤.

ولا يخفـى علـى القارئ قيمة معنى (من قبل) وهو: أن الكافر يعرف الله ويلجـأ إليه بل يضرع ويذل إذا مسه الضر فإذا ما رفع الله عنه الضر أعقب ذلك بكفـر نعمـة الله عليه. ولو قيل: نسى ما كان يدعوا إليه قبل. لما كان لائقا بالمقام وهذا فى كلام الله محال.

وقوله: ﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾ ٧٤ غافر

وهذا جواب لقوله: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ٧٣، ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ .....﴾.

والمـراد: أنهم إذا أصابهم عذاب الله يوم القيامة من ذل الأغلال فى أعناقهم وهـم يـسحبون فـى الحميم ثم فى النار يُسْجَرُون. فيوجه إليهم هذا السؤال لعلهم يستنصرون بما كانوا يعبدونهم من دون الله. فيكون الجواب: (لم نكن ندعو من قبل شيئا) وفى هذا الجواب نفى لأولئك نفيا شاملا للبدء والنهاية وتأمل كيف ينفون عنهم أنهم لم يكونو شيئا. وهذا منتهى التحقير والامتهان.

وقوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ ٤٨ فصلت.

ألست ترى هنا لونا عجيبا من التناسق المعجب المطرب بين آيتى غافر وهذه الآيـة مـع ما بينهما من آيات كثيرة وكون إحداهما من سورة غير سورة الأخرى أليس فى ذلك كله ما يجعل القلب يخشع والعقل يخضع والجسم يركع لعظمة وجلال كـلام الله عـز وَجَـلّ ؟! فيا ضيعة من لا يؤمن به ويعقله!! وقوله:﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٢٨ الطور.

وهذه الآية من قبلها سبع آيات وهى الثامنة وهى فى وصف نعيم أهل الجنة وأولهـا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ .. إلى قول .... (٢٧) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ ٢١: ٢٧ الطور.

فكان يسأل بعضهم بعضا عن أعماله التى استوجب بها نيل ما عند الله فيجيب إنـا كنا قبل فى أهلنا مشفقين. فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم. إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم.

و (عـذاب السموم) هو عذاب النار ووهجها ولفحها. والسَّموم: الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (من قبل) من قبل لقاء الله عز وجل والمصير إليه. يعنون: فى الدنيا. (ندعوه) لغيره ونسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة إذا عُبِدَ آثاب. وإذا سُئِل أجاب(١).

وهـنا وقفـتان للـتأمل إحـداهما عند قوله :" إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين" والأخرى عند قوله :" أنا كنا من قبل ندعوه".

ففـى الأولى (قبل) وفى الثانية (من قبل) فهل لذلك سر يدركه العقل أو سبب يطمئن إليه القلب؟!

والجواب – والله أعلم- أن (من) لم تذكر فى الأولى لأن المقصود أنهم كانوا فـى الدنـيا أحـياء فى أهلهم. والمسافة نائية بين الدنيا والآخرة فلا يصلح المقام لـ (مِنْ) التى تفيد التعقيب بينهما.

وأما الثانية فإنها فى حق الله عز وجل. وعبادة الله وطاعته ودعاؤه فى الدنيا هـو الذى مَهَّد سبيلهم إلى الجنة والإنسان عند وفاته يرى مقعده من الجنة إن كان

---

(١) انظر الكشاف ٤/٣٢٨.

عابـداً لله مخلـصا فـي عبادته. ومن هنا صلح المقام لـ (من) إذ لا فاصل بين عبادتهم وإخلاصهم لله وبين تمتعهم وتصميمهم عند الوفاة. ولله فى كلماته أسرار لا يعلمها إلاه.

ومما يلزم الإرشاد إليه والتنبيه عليه أننا قد التزمنا تعليق وارتباط (من قبل) بـ (ندعوه) مع أنه مذكور قبله. فما السر فى ذلك؟.

والجـواب: أن تحديـد القبل وتعيينه هنا مما يضفى جمالا على المعنى لأن الـذين ينعمون بالجنة فى الآخرة لا يحصل لهم ذلك إلا بما قدمت أيديهم من عمل صـالح فكـأنهم يقـررون أنهـم تمتعوا بالجنة لأنهم قدموا فى الدنيا طاعتهم لله. وإخلاصهم فى عبادته فلم يشركوا به شيئا.

٢٤- ذكـر:

فـي قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي ﴾ ٢٤ الأنبياء.

فـي هـذه الآية قراءة حفص وهى برفع (ذكر) بدون تنوين وفتح الميم من (مـن) أى هذا الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على ورد جميع الأنبياء فهو ذِكْر: أى عظة للذين معى يَعْنى: أُمتَّه. وذِكْر للذين من قبلى يريد: أمم الأنبياء عليهم السلام. فـ (ذكر) مضاف و (من) مضاف إليه.

وفـيه قـراءة ثانـية بتنوين ذكر وفتح الميم من (من) فهى مفعول منصوب بـــ (ذكر) كقوله تعالى: ﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ. يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴾ ١٤، ١٥ البلد.

وهـو الأصل. والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾٢، ٣ الروم وفـيه قـراءة ثالثة بكسر الميم من (من) مع تنوين (ذكر) وهى (من) الإضافية أى حرف إضافة أى ذِكْرٌ مِنْ معى وذكرٌ مِنْ قبلى.

وقـد قـيل: وإدخال الجار على (مع) غريب. والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحـو: قـبل وبعـد وعـند ولـدن ومـا أشـبه ذلك. فدخل عليه (من) كما دخل على أخواته..[1].

والـذى يعنينا هنا قراءة تنوين (ذكر) مع كسر ميم (من) أى أن الوحى ذكر مـن قـبل محمد ﷺ عليه وسلم. وكلمة (ذكر) ذات شأن فى هذه السورة ففى الآية رقم ٧ يقول الله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفـى الآية رقم ١٠ يقول: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وفى الآية رقم ٣٦: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ وفـى الآيـة رقـم ٤٢ ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ وفـى رقم ٤٨ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وفـى رقـم ٥٠ ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ ثـم فـى الآية

---

(١) انظر الكشاف ٣/٨٧: ٨٨.

رقـــم ١٠٥ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾.

ففـــى قوله (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) إشارة إلى أن رسالات السماء مـــن أولهـــا إلى خاتمها ما هى إلا ذكر أى تذكير لبنى البشر وتبصير لهم لما فيه صلاحهم فى الحياة الدنيا وفى الحياة الأخرى.

غيـــر أن هذه القراءة تثبت أن القرآن ذكر من الرسول ﷺ. وذكر من قبله. أى من الأنبياء الذين جاء خاتما لهم.

فـــ (من) فى (من قبلى) تستغرق مَنْ قبله من الرسل جميعا.

ويأبى أبو البقاء إلا أن يقدر شيئا حيث يقول: التقدير: هذا ذِكْـرُ مـــن كِتَابٍ معى. ومِنْ كِتَابٍ قبلى. فحذف الموصوف(١).

وكـــان عليه أن يستحضر ويستذكر قاعدة النحاة وهى: أن حذف الموصوف قبـــيح. ولا ســـيما أننـــا لا نرى هنا حاجة إليه فما من قارئ يقرأ الآية حتى يدرك معناها والمراد بها.

٢٥- رؤيـــا:

فى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ ﴾ ١٠٠ يوسف.

وكأنـــى بيوســـف عليه السلام نجد أبويه وإخوته بأن رؤياه التى ذكرت فى مستهل السورة ما زالت فى ذاكرته لا تنشى وفى حاضرته لا تغيب فهى مصاحبة

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٦٩/٢.

له فى الشدة والرخاء ولولا التعبير بـــ (من) فى (من قبل) لما تمكن هذا المعنى من نفس القارئ بل لما تبادر إلى ذهنه.

ولعلك أيها القارئ ندرك ذلك واضحا بغير غموض كاملا بلا إدعاء نقصان. ولكن علماءنا يأبونه ويستمسكون بالتقدير – الذى هو تكدير –.

يقول أبو البقاء :" الظرف– من قبل– حال من (رؤياى) لأن المعنى: رؤياى التى كانت من قبل. والعامل فيها (هذا).

ويجـــوز أن يكون ظرفا للرؤيا أى تأويل رؤياى فى ذلك الوقت. ويجوز أن يكون العامل فيها (تأويل) لأن التأويل كان من حين وقوعها هكذا والآن ظهر لى"(١).

وإعـــراب الظـــرف حالا ليس متفقا عليه كما يرى الشهاب الجفاجى. ولكن الإمـــام المرزوقى فى شرح الحماسة يرى أنه يقع صفة وخبرا وصلة وحالا ونقل هذا الإعراب المذكور هنا عن الرمانى وغيره واستشهد بما يثبته من كلام العرب(٢).

٢٦– رزق: فى

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ٢٥ البقرة.

وفـــى قـــوله (من قبل) وجهان (أحدهما) أن المراد به الدنيا والأخرة معا. و(الآخر) أن المراد الآخرة فقط.

يقـــول الزمخشرى: " معناه: هذا مِثْل الذى رُزِقْنَاه من قبل وشِبْهُه بدليل قوله "وأتوا به متشابها" وهذا كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٣١/٢.

(٢) روح المعانى ٩٧/٤.

تـــريد: أنـــه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته.ويرجع الضمير في (ربه) إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله (هذا الذى رزقنا من قبل) انطوى تحته ذكر ما رُزِقُوه في الدارين.

ويجوز أن يرجع الضمير في (وأتوا به) إلى الرزق كما أن (هذا) إشارة إليه. ويكـــون المعنـــى: أن مـــا يُـــرْزَقُونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه... والتفـــسير الأول هـــو هـــو"[1]. وعلـــى كـــل فـــ (مِنْ) متعلقة بـــ (رزقنا) وهى لابتداء الغاية"[2].

ومعنى (ابتداء الغاية) التعقيب بين ما رزقوه أولا وما رزقوه ثانيا.

٢٧- أرسل: وذلك في إثنتى عشرة آية متنوعة عل النحو الآتى:

(أ) ثمانى آيات وقعت (من) فيها عقب الفعل (أرسل) وهى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ ١٠٩ يوسف. وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ١٠ الحجر. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ ٤٣ النحل. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ ٢٥ الأنبياء. وقوله:

---

(١) الكشاف ٨١/١.

(٢) البحر المحيط ١١٤/١.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ ٥٢ الحج. وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ ٤٧ الروم. وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ..﴾، ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ ٢٣، ٤٥ الزخرف.

فالخطاب في هذه الآيات لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم. ومنها خمس آيات مُصَدَّرَة بنفى (وما أرسلنا من قبلك...) وآيتان مصدرتان بـ (لقد): (ولقد أرسلنا من قبلك) وآية مصدرة بسؤال وهى آخرها (وسْئَلْ من أرسلنا من قبلك...).

ومن هذه الآيات يثبت أن الرسول المصطفى محمدا ﷺ هو الرسول الخاتم وأن أمته هى الأمة الخاتمة فلا يحتمل بل لا يخطر ببال أحد مهما كان أن يكون رسول بعد محمد ﷺ. إذ الرسل جميعا قد استغرقوا الزمان من قبله فهو الآخر وهو الخاتم وهو العاقب: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ٤٠ الأحزاب، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٢٨ سبأ. ولذا قال الرسول ﷺ: " أنا العاقب فلا نَبِيَّ بعدى".

ومما ينبغي أن نقف عنده وقفة تأمل أن المرسلين فى هذه الآيات قد تنوع التعبير عنهم فتارة نراهم (رجالا). وتارة نراهم (رسلا) وأخرى (من رسول) وهو نص استغراقي ومثله (من نذير). وثالثه (من رسلنا).

وهو أيضا من نصوص الاستغراق ولعل الفرق بينه وبين (من رسول) أن هذا أشمل منه وأكمل لأن المفرد أعمق استغراقا من الجمع وأكمل فقد قال الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ٢٨٥ البقرة. :" وقرأ ابن عباس: وكتابه يريد: القرآن أو الجنس. وعنه: (الكتاب أكثر من الكتب) فأن قلت : كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس- والجنسية قائمة فى وحد ان الجنس كلها – لم يخرج منه شئ. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع"(١).

ولذا قرئ فى قوله تعالى :" وصدقت بكلمات ربها وكتبه". بكلمته وكتابه(٢).

تتمه:

هناك آيتان وردتا بدون (مِنْ) وهما قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ٧ الأنبياء. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ ٢٠ الفرقان.

---

(١) الكشاف ٢٥٣/١: ٢٥٤.

(٢) انظر الكشاف ٤٥٩/٤.

وما كان هذا ليفوت علماءنا الذين تميزوا بدقة الملاحظة وعماقة التفكير ولذا وجـدنا أبـا عبد الله الخطيب الإسكافى يقول:" أكثر ما فى القرآن (وما أرسلنا من قبلك) ولم يجئ بحذف (من) إلا فى موضعين... وهما آيتا الأنبياء والفرقان. فأما الأول فإنه حذفت فيه (من) بناء على الآية المتقدمة وهى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٦ الأنبياء. فلما كان الزمان الذى تقدمهم هو الزمان الذى تقدم النبى المذكور فى قوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك﴾ وكانت (قبل) إذا عـريت مـن (مـن) موضوعة للزمان المتقدم كله صار بناؤه على (قبل) مذكورا كالتوكيد الواقع بـ (من) فى سائر المواضع.

فأما قوله (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) فى الفرقان. فإنه لمْ يُؤكَّد بـ (من) لأن المعتمد بالخبر إنما هو الحال التى للمرسلين وهى: أنهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب الكُفَّار أن يبعثوا إليهم. وأخبر الله تعالى به عنهم فى قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ ٢١ الفرقان.

ثـم أورد الإسـكافى اعتراضا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ ٥٢ الحـج. فـإن المقـصود فيها ذكر حال الرسول والنبى وهو المعتمد بالخبر؛ ومع ذلك أكد (قبلك) بـ (من) .

وأجـاب عليه بقوله: القصد بـ (مِنْ) فى هذا الموضع توكيد ذكر الرسول وذكر حاله ألا تراه قال (من رسول ولا نبى) فجمعهما فى نفى ما نفى عنهما إلا ما

أثبته بعد قوله (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) فلما كان المكانان مُعتَمِدين بالخبر صح التوكيد وكان المقصود"(١).

وظاهر كلام أبى عبد الله الخطيب الإسكافى:

(أ) أن عدم ذكر (مِنْ) فى آية الأنبياء للتناسق بينها وبين الآية من قبلها. وهذا ملحظ جميل وفيه دقة التعليل.

(ب) وأن عدم ذكرها فى آية الفرقان لأن المقصود ليس استيعاب الزمان بل هو بيان حال المرسلين على وجه العموم وهى: أنهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وبذلك تثبت بشريتهم وعدم كونهم ملائكة. وهذه الصفة هى التى قررها القرآن الكريم للمسيح عيسى ابن مريم حيث قال: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ٧٥ المائدة.

فأكلهما الطعام دليل على أنهما من البشر: لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض – ما خرج من المعدة عن طريق القبل والدبر– لم يكن إلا جسما مركبا من عَظْمٍ ولَحْمٍ وعروق وأعصاب. وأخلاط وأفرجة مع شهوة. وغير ذلك مما يدل على أنَّه مصنوع مؤلَّف مدبَّر كغيره من الأجسام"(٢).

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٢٠٠.

(٢) الكشاف ٥١٨/١.

ومما ينبغى الالتفات إليه ما جاء فى سورة الأنعام وهى التالية لسورة المائدة فـى حـق خاتم الرسل محمد ﷺ وهو قول الله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ ٩ الأنعام.

يقول الزمخشرى:" ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون: لـولا أنـزل على محمدٍ ملَك. وتارة يقولون: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ٢٤ المؤمـنون. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ ٢٤ المؤمـنون. (لجعلـناه رجلا) لأرسـلناه فـى صـورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله ﷺ فى أعم الأحـوال فـى صورة دحية الكلبى لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة فى صورهم. (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا المَلَك فى صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك. فإن قال لهم: الدليل على أنى ملك أنى جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأنى ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمداً ﷺ"(١).

فبذلك يتحتم كون الرسول بشرا ما دام المرسل إليهم بشرا.

(ج) ذكـر أبـو عـبد الله الخطـيب أن (من) إذا ذكرت مع (قبل) كانت توكيدا. ومقتـضى هذا أن (قبل) بدونها تستغرق الزمان كله فما (من) إلا تكرارا لهذا المعنى فلا تدل على معنى جديد بل تدور فى فلك معنى (قبل).

ولـو أخذنا بوجهة نظره لترتب عليه أمر خطير إذ بذلك نفتح ثَغْرةَ شَرٍّ على النص القرآنى بدعوى أن فيه كلمات يمكن الاستغناء عنها وهذا ما جرى على ألسنة الـنحاة بعـد أن تمكن من عقولهم ورسخ فى أذهانهم ألم نعهد قولهم (زائد للتوكيد)

---

(١) الكشاف ٢/٥: ٦.

حتـــى صـــار مألـــوفا معروفاً لا يكاد يجهله أحد بل لا يكاد ينكره أحد!! وهذا ما رصـــدناه وحققنا أنه زَبَد والزبد يذهب جفاء. إذ من البدهى أن كل كلمة لها مكانها ومكانتها فى القرآن الكريم. فإذا ذكرت علمنا بما لا شبهة حوله أنها فى مكانها ولها مكانتها. وإذا لم تذكر فهمنا أنه لا مكان لها ولا مكانة فكيف تذكر لتكون حشوا ولغوا؟

هـــذه واحـــدة. وأخـــرى خير منها وأبقى لأنها تُسْتَنْبَط من نص أبى عبد الله الخطـــيب. فقد قرر فى مستهل نصه أن أكثر ما فى القرآن (وما أرسلنا من قبلك) ولـــم يجئ بحذف (من) إلا فى موضعين) فهل الكثرة تكون لغوا وحشوا على حين تكون القلة غير ذلك؟

إن هـــذا لعمرى فى القياس غريب. لأننا نتكلم فى النص القرآنى ومن بدائة الفكر أن القليل يحمل على الكثير بمعنى أننا لو وجدنا (من) مثلا مع (قبل) فى مائة آيـــة ثم وجدناها غير موجودة فى آيتين لكان الفكر المستقيم هو أن نلحظ وجودها فـــيما لـــم توجد فيه استدلالا بكثرة وجودها. لا أن نعكس فنزعم الحكم بإعدام مائة (مـــن) لأجـــل عدم ذكرها مرتين؟! أليس ذلك بقلب للحقائق بل قضاء عليها بما لا يُبقّى لها من أثر؟!

بهذا كله يستبين لنا – ونرجو أن يستبين للقرأة- أن (من) ذات قيمة دلالية إذا ذكرت لابد لها منها إذ المقام هو الذى اقتضى ذلك.

فـــإذا لم تذكر أدركنا أن المقام هو الذى منع ذلك.فاللغة: مقام مقتض لمقاله. ومقال واقع فى مقامه.

فكـــل ما ورد فى القرآن من (من قبل) كان استغراقا للزمان فلا يفوت شيئا مـــنه. والذى ورد بدون (من) فهو خالٍ من هذا الاستغراق إذ (من) لابتداء الشئ ولابد منه فى الشئ فلكل شئ بداية ونهاية إلا الله سبحانه فليس له بادية ولا نهاية.

ثانيا: النوع الثانى من آيات من (قبل) لم تباشر (من) فيه الفعل أرسل وهى آيتان هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ٤٢ الأنعام. وقوله: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٦٣ النحل.

ففى هاتين الآيتين ذكرت (من قبلك) فى إثر (أمم).

ثالثا: النوع الثالث: آيتان وقع فيهما (من قبلك) فى إثر (رسلا) وهما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٨ الرعد. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ٧٨ غافر.

وبالتأمل والنظر فى هذه الآيات الأربع لربما نفهم أو نعقل أن (من قبلك) فى الآيتين الأوليين نعت لـ (أمم) فهو فى محل خفض وفى الآخرين نعت لـ (رسلا) فهو فى محل نصب.

ولو قلنا بذلك لترتب عليه ما يذاع ويشاع عن النحاة وهو أن (من قبلك) لابد له من مُتَعَلَّق مقدر أى إلى أمم كائنة من قبلك. و (رسلا) كائنين من قبلك. وقد عرفنا فساد ذلك التقدير لما فيه من (تكدير) صفوا النص.

فلا نباهى إذا من ارتباط (من قبلك) بالفعل (أرسل).

ولا ينبغـــى أن يتبادر إلى ذهن القارئ أننى -هنا- أنزع عن قوس أو أصدر عـــن رأيى بل إننى أنزع عن قوس النحاة وأصدر عن رأيهم فهم - والحمد لله- لم يتركوا شيئا إلا حققوه. ولا أدل على ذلك - فى مقامنا هذا- مما قاله أبو البقاء فى مـــثل الآيـــات الأربـــع سالفة الذكر وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ ٣٤ الأنعام.

ونصه:" من قبلك: لا يجوز أن يكون صفة لــ (رسل) لأنه زمان والجهة لا توصف بالزمان وإنما هى متعلقة بـــ : كذبت"[1].

ومـــثل ذلـــك يقـــال فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ١٠ الأنعام أيضا.

وعلـــى هذا يكون معنى آيتى النوع الثالث أن إرسال الرسل من قبل إرسال محمـــد ﷺ. وفـــى الأولـــى منهما إخباره عليه السلام بأن الله جعل لهؤلاء الرسل أزواجا وذرية. وفى الثانية إخباره بأنه عليه السلام لم يعلم بعض الرسل لأن الله لم يخبره بهم.

يقـــال: بعث الله ثمانية آلاف نبى: أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة من سائر الناس. وعن عَلِيّ رضى الله عنه: أن الله تعالى بعث نبيا أسود قال: أرسل الله عبدا حبشيا فهو الذى لم يُقصص على رسول الله عليه السلام. وهناك رواية أخرى عـــن على رضى الله عنه أيضا: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشى بعث نبى من الحبشة إلى قومه[2].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٣٤/١.

(٢) انظر القاموس ٣٢٥/٤.

وأما آيتا النوع الثانى (أرسلنا إلى أمم من قبلك. فقد ذكر فيهما المرسل إليهم (إلـى أمم) فهل يمكن أن يكون المعنى على: أن تلكم الأمم من قبل محمد صلى الله عليه وسلم؟ على تقدير: من قبل أمتك. وربما يجوز حينئذ ان يكون (من قبل أمتك) وصـفا لـ (أمم) إذ أن (من قبل) أضيف إلى ما يجعله بمعنى (الذات) أم أن اللازم أن يكـون (من قبلك) متعلقا بـ (أرسلنا) أى أرسلنا رسلا من قبلك إلى أممهم. فالله يقول: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ٢٤ فاطر. أى أرسل إليها. يقال: خلا: وقع فى موضع خالٍ[1] أى فلا تخلو أمة من نذير بل لابد من إرسال بشير ونذير إليها. وتقدير (رسلا) لا تكدير فيه للنص لأنه من مادة الفعل (أرسل) فيدركه العقل وهذا ضرب من الإيجاز يتحلى بها دائما كلام الله عـز وجـل. هذه واحدة. وأخرى أجمل وأكمل ألا وهى ذكر (إلى أمم) أولا ثم شـفعها بـ (من قبلك) لأن المقام مقام المرسل إليهم لا المرسل. وقد عرفنا عند دراسة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أن (بالله) ذكرت قبل (من الشيطان) فهى فى مقام انتهاء الغاية.

لأن المقام مقام المستعاذ به لا المستعاذ منه إذ ما دام الأول ذا قوة ومنعة فلا خوف من الثانى.

وإنما ذكرنا هذا ليستحضر القارئ ما سلف ذكره فلا يساوره شك فى أن هذه النـصوص مـا يزعمه الزاعمون من تقديم وتأخير. إذ الكلمة رهن بما يطلبها من حيث نوعها ومن حيث وضعها في مكان هى مختارة له وهو مختار لها.

---

(١) انظر الكشاف ١٤١/٤ وهامشها.

٢٨- سأل في آيتين:

هما قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ ١٠٨ البقرة. وقوله: ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ ١٠٢ المائدة.

ففي الآية الأولى ينكر الله على أتباع محمد ﷺ أن يفهموا نهج بني إسرائيل في جهلهم وتعنتهم وانحراف فكرهم. حينما قالوا لموسى:" ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ٥٥ البقرة. وقالوا له: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ١٣٨ الأعراف.

فالآية تنكر على اتباع الرسول الخاتم عليه السلام أن يسألوه كما سئل موسى عما سلف ذكره. وقوله (من قبل) يثبت أن (موسى) و (محمدا) لم يكن بينهما حاجز قوى إذ عيسى بن مريم كان مرسلا إلى بني إسرائيل فرسالته بمثابة تتمة لرسالة موسى عليه السلام.

أما آية المائدة فمن قبلها آية نصها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ١٠١. قد سألها قوم من قبلكم... الآية.

وفيها نهي لأتباع محمد ﷺ عن أن يسألوا عن أشياء لم يحثهم عنها الرسول عليه السلام لأنه إن يبدها لهم تسؤهم. وإبداؤها مرهون بنزول القرآن بذلك. فلو نزل حكمها – وهي شاقة عليهم– للزمهم القيام بها مع مشقتها وحينئذ يندمون أشد الندم.

ومن ذلك ما روى أنه عليه السلام حينما قال: يا أيها الناس: كتب عليكم الحج فقال عكاشة بن محصن الأسدى: أفى كل عام يا رسول الله؟ قال: أما أنا لو قلت نعم لوجـبت؛ ولو وجبت ثم تركتكم لضللتم، اسكتوا عنى ما سكت عنكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم... وقوله (قد سألها قوم من قبلكم) المـراد بـه بـنوا إسرائيل أيضا كانوا يستفتون أنبيائهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا[١].

فالمـراد بـ (قوم من قبلكم) بنو إسرائيل وهم – مع أنبيائهم الذين آخرهم عيسى بن مريم– من قبل أتباع محمد ﷺ.

وممـا يلفت الذهن هنا أن (من قبلكم) تلت (قوله) فهل يجوز أن يكون وصفا لهم؟ أو اللازم ارتباطه بـ (سأل)؟

سـبق الجـواب عـن ذلك بأن الثانى هو الواجب لأن (من قبلكم) زمان و (قـومه) ذات ولا تنعت الذات بالزمان إذ لا يقال: جاء فى رجل يوم مثلا. ومن ثم التزم النحاة فى قولهم: الهلال الليلة ألا يخبر بالليلة عن (الهلال) والخبر مثل النعت لأنـه بمثابة وصف للمبتدأ. أقول: التزم النحاة تقدير: طلوع الهلال الليلة فالمصدر يخبـر عـنه بالزمان نحو: الصيام شهر رمضان. وغير ذلك وبهذا يثبت أن (من قبلكم) مرتبط معناه بالفعل (سأل).

٢٩- سـرق:

فـى قـوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ ٧٧ يوسف. هذا النص عقب عدة آيات من الآية رقم ٧٠ إلى الآية رقم ٧٦ وهى تحكى حكاية صواع الملك الذى وضع فى رحل أخى يوسف. ثم جعل سارقا له لأنه وجد

---

(١) انظر الكشاف ٥٣٣/١ وهامشها.

فــى رحلــه. فاستغرب إخوتهما ذلك حينما وجدوه فى رحله... فأرادوا أن يلتمسوا علة لذلك فوجدوها فى يوسف نفسه. أى ليس سرقة أخيه الشقيق ببدع أو بموضع اســتغراب لأن شقيقه يوسف له سابقة فى ذلك فهذا قولهم: " إن يسرق - أى أخو يوسف الشقيق- فقد سرق أخ له من قبل - أى يوسف- فأسرها يوسف فى نفسه.. قال:" أنتم شر مكانا".

يقــول الزمخشرى:" واختلف فيما أضافوه إلى يوسف من السرقة فقيل: كان أخذ فى صباه صنما لجده ابى أمه فكسره وألقاه بين الجيف فى الطريق.. إلى غير ذلك (فأسرها): إضمار على شريطة التفسير. وتفسيره (أنتم شر مكانا). وإنما أنث لأن قوله (أنتم شر مكانا) جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام: كلمة كأنه قيل: فأسر الجملة أو الكلمة التى هى قوله (أنتم شر مكانا)... أى أنتم شر منزلة فى الــسرقة لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم. (والله أعلم بما تصفون) يعنى :أنه لم يصح لى ولا لأخى سرقة. وليس الأمر كما تصفون"(١).

ويقــال فــى (مــن قبل) هنا ما قبل فى الآية من قبلها أى أنه مرتبط بالفعل (سرق) لا بقوله (أخ له).إذ لا يصح أن يكون وصفا له.

وتأمل هداك الله قوله (أخ له) دون أن يقال (أخوه)؟ لعل السر فى ذلك أنه لو قــيل (أخوه) لأمكن أن يراد به أحد إخوته مطلقا شقيقا أو غير شقيق. أما (أخ له) ففــيه اختصاص أى أنه أخ يخص يوسف أو يختص به وما ذلك إلا أنه شقيق لا: لأب. ولله فى كلماته أسرار لا يعلمها إلا هو.

٣٠- أسلم فى آيتين: هما

قــوله تعالــى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ ٥٣ القــصص. وقــوله: ﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ٥٤ الزمر.

---

(١) الكشاف ٣٨٣/٢.

ومن قبل آية القصص قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥٢، ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ ٥٣.

فالآية الأولى نزلت في مؤمنى أهل الكتاب. وعن رفاعة بن قرظة: نزلت فى عشرة أنا أحدهم. وقيل في أربعين من أهل الإنجيل: إثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من أرض الحبشة. وثمانية من الشام. والضمير فى (من قبله) للقرآن.

ولا يخفى ما فى (من قبله) من المباشرة والتعقيب بين القرآن والإنجيل إذ لا فاصل بينهما. كما سبق بيانه.

ومن صفة هؤلاء السابقين أنهم (إذا يتلى عليهم القرآن قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين).

وممـــا لاحظه علماؤنا الاستئنافان فى (إنه) و (إنا) وبيان الفرق بينهما فجعلوا الأول تعليلاً للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به.وجعلوا الثانى: بيانا لقوله (أمنا به) لأنه يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده. فأخبروا أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرأوا فى الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم.

ومعنى (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحدٍ مصدق للوحى ومقتضى هذا النص أن (من قبله مرتبط بـــ (كنا) بدليل (كائن على دين الإسلام).

وأرى أنـــه غيـــر واضح لأن (كان) بمعنى: حدث ووجد. ومقتضى هنا أنهم وجدوا من قبل نزول القرآن. ولا يلزم من وجودهم من قبله إيمانهم به فكم من أهل الكـــتاب لـــم يؤمنوا به. ولذا فإنى أطمئن إلى أن (من قبله) له علاقة وثيقة عميقة

بـ (مسلمين) أى أنهم أسلموا حينما آمنوا بالإنجيل. ومن البدهى أن الإنجيل منزل مـن قبل القرآن على نبى وهو المسيح عيسى بن مريم وهو من قبل خاتم الأنبياء محمـد علـيه السلام. وهذا ما نص عليه القرآن فى قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ٣، ﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ ٤ آل عمران.

ومما لاحظه علماؤنا وبينوه: الفرق بين (نزل عليك الكتاب) و (أنزل التوراة والإنجيل) لأن القرآن نزل منجما على حسب الأحداث التى كانت تعرض للمسلمين ليكون أرسخ فى العقل وأقوى فى العلاج وأوضح للواقع. بخلاف التوراة والإنجيل فقد نزل كل منهما جملة واحدة.

ثـم اختلفوا فى المراد بالفرقان. وخير ما قيل فيه أنه الزبور لأننا قد عهدنا ذكره آخرا كما فى قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ ١٦٣ النساء[١].

أمـا آية الزمر: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ فمـن قـبلها قـوله تعالى: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٥٣.

فذكر الله عز وجل الإنابة على أثر المغفرة – أى من بعدها وفى إثرها– لئلا يطمـع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط لازم فيها فلا تحصل بدونه[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٢٥٦/١: ٢٥٧.
(٢) انظر الكشاف ١٠٥/٤.

وقــيمة (من قبل أن يأتيكم العذاب) الدلالية والمعنوية هى: أنها تستحث الذين يمهلــون التوبة ويهملونها ركونا إلى تخيل طول العمر أو السلام من اليأس الشديد والعــذاب المهين فهم دائما يبادرون بالإنابة فى إثر الوقوع فى الإثم أو الجرم. لأن العذاب يأتى بغتة.

وبــذلك تكون (من) للتعقيب كالفاء فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ١٣٥ آل عمران. وكالفــاء فى قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢٠٠ الأعــراف. وكالفــاء مع (إذا) فى قوله من بعد هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ٢٠١ الأعراف.

وهكــذا نجــد أساليب المبادرة بالاستغفار حين الوقوع فى الإثم أو مباشرة الخطيــئة متــنوعة مــع اتحاد الهدف فيها. ولا غرابة فى ذلك فالقرآن: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ١ هود.

٣١- سمى:

فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِى هَٰذَا ﴾٧٨ الحج.

أى مــن قــبل القــرآن فى سائر الكتب؛ وفى القرآن. أى فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم.

٣٢- أشرك: فى آيتين هما:-

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ﴾ ١٧٣ الأعراف، وقوله: ﴿ إِنِّى كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾ ٢٢ إبراهيم.

ومــن قبل آية الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ١٧٢، ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ ١٧٣.

فــ (أن تقولوا) مفعول لأجله أى فعلنا ذلك وقلناه لكم بنصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة (أن تقولوا) أو كراهة (أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل...).

هذا ما ذكره الزمخشرى ثم ذكر أن المَعْنِىّ بـ (بنى أدم) أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا:" عُزَيْرٌ ابن الله" ٣٠ التوبة. والمقصود بـ (ذرياتهم): الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ من أخلافهم المقتدين بآبائهم.

والدليل على أنها فى المشركين وأولادهم قوله:" أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل).

والدليل على أنها فى اليهود: الآيات التى عطفت عليها هى. والتي عطفت عليها وهى على نمطها وأسلوبها وذلك قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ ١٦٣ الأعراف. ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾ ١٦٤ الأعراف.

وقوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ ١٦٧ الأعراف. وقوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ ١٧١ الأعراف.

فهذه الآيات عطف عليها قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ...﴾ ١٧٢ الأعراف.

ثم عطف على هذه الآية قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ﴾ ١٧٥ الأعراف.

ثم بين الزمخشرى معنى قوله تعالى: " أفتهلكنا بما فعل المبطلون" قائلا: أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك، وتقدمهم فيه، وتركه سنة لنا (وكذلك)

ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الايات) لهم (ولعلهم يرجعون) وإدارة أن يرجعوا عن شركهم تفصلها"[1].

وبهــذا يتبــين لــنا أن المراد بهذه الآيات هم بنوا إسرائيل. أى يعقوب ابن إبــراهيم. ولــيس المــراد آدم أبا البشر. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن هــؤلاء كانوا أصحاب القدح المُعَلّى فى الإشراك بالله والافتراء على الله وترصدهم بالأنبياء للبغى عليهم وإيذائهم بل قتلهم بغير حق.

وفــى (أو تقولــوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) أبلغ حجة وأقوى برهان على أن المــراد ليس أبا البشر آدم. لأنه لو أزيد ذلك لترتب عليه محال وهو: أن يكون هناك آباء من قبل آدم. وهذا محال بالبداهة فلا يستسيغه عاقل ولا يقول به إلا غافل.

هــذه واحدة؛ وأخرى أجمل وأكمل ألاَ وهى: إثبات أن بنى إسرائيل يمتازون بــصفات يندر بل ينعدم أن توجد فى غيرهم وهى: إلقاء كل ما لا يليق على آبائهم مــن قــبل وبذلك يتوهمون أو يزعمون أن تلك الحيلة تخلع عنهم هذه الصفات أو تنجيهم من آثامها وعاقبة أمره من العذاب المهين والنكال المبين.

وأمــا آيــة ســورة إبــراهيم فهى فى حق الشيطان إذ صدرها : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ

---

(١) أنظر الكشاف ٢/١٣٨: ١٣٩.

إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٢ إبراهيم.

وفـيها يقـول الزمخـشرى:" ما: مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتمونى يعنـى: كفـرت الـيوم – أى يـوم القيامة – بإشراككم إياه من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا....

أو (مـا) موصـولة و (من قبل) يتعلق بـ (كفرت) أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو: الله عز وجل"[1].

وبالـتأمل فى هذين الوجهين نرجح الأول – بل نصححه- لأن هذه الآية من المـشاهد القـرآنية التى تعرض يوم القيامة لرسم صورة واضحة للشيطان والذين اتـبعوا خطواته التى نهاهم الله عن اتباعها ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ٢٠٨ البقرة وحذرهم من عداوته لهم فلابد أن يتخذوه عدوا ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ٦ فاطر.

فمـن البدهى أن تكون المحاورة بين الشيطان ومن اتخذوه إلها من دون الله يوم القيامة فالشيطان يريد أن يبرئ ساحته مما أضفاه أتباعه عليه وأضافوه إليه من جعلـه شريكا لله. وبهذا يثبت إيمانهم به. وإيمانه بهم. وهناك – فى الآخرة- يكفر بذلك كله أى إنى كفرت اليوم بما نسبتموه إلىّ فى الدنيا من كونى شريكا لله.

---

(١) الكشاف ٤٢٩/٢.

هــذا هو المعنى الذى يقتضيه سياق الآية وزمان المحاورة الواقعة فيها وهو زمان الآخرة لا الدنيا.

أما الوجه الثانى الذى ذكره الزمخشرى فواضح التكلف والتعسف بالخروج بالنص عن موضعه زمانا ومكانا إلى موضع آخر.

ومع هذا نرى بعض العلماء لا يرضى عن الوجه الأول ويحتم أن يتعلق (من قــبل) بــــ (كفــرت) أى : كفرت من قبل بما أشركتمونى. ألا ترى أن كفره قبل كُفْرِهم؛ وإشراكهم إياه فيه بعد ذلك فإذا كان كذلك علمت أن (من قبل) لا يصح أن يكون من صلة (أشركتمونى) وإذا لم يصح ذلك فيه ثبت أنه من صلة: كفرت"[1].

أليس فى هذا نقل للنص من موضعه وموقعه إلى موضع وموقع آخرين؟!

فــإن الله يقــول: ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر.. ﴾ إلخ الآية. يعنى يوم القيامة. التى يتلاوم فيه الظالمون وهم الذين عُبِدُوا من دون الله والذين عبدوهم من دونــه. وفى ذلك يقول الله: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾، ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ ٣٠، ٣١ القلــم. وهــنالك يقول الشيطان " فلا تلومونى ولومــوا أنفــسكم" فــلا مناص إذاً من كون (من قبل) متعلقا بـــ (أشركتمونى) لا بـــ (كفرت).

٣٣- صــام:

فى قوله تعالى:

﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ ٤ المجادلة.

---

(١) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ٧٠٦.

وفـــى هذه الآية حث واستنهاض للمظاهر من زوجه لأن يبادر بسرعة فائقة إلى التكفير عن ذنبه حتى لا تغلب شهوته التى قال الله فيها: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ .. ﴾ ١٤ آل عمـــران. فحـــب الـــشهوة مزين للرجال، وموطـــنها: النساء وما ذكر بعدهن. فهن أصحاب قصب السبق فى مبادرة الرجال إلـــيهن حـــلالا أو حـــراما. والواجب أن يكون ذلك فى الحلال. فإذا ما حدث أمر كالظهـــار يقتـــضى منع الرجل من ملامسة زوجه أو جماعها وله مخرج من ذلك المنع بادر إلى تحقيق هذا المخرج حتى لا تغلبه نزوة الشهوة وهى غلابة فيرتكب ما يخرج به عن حيز التيسير ويوقع نفسه فى إثم كبير.

فـــــ (مـــن قبل أن يتماسا) ليس إخبارا فحسب بل يتضمن إنذارا بالشر الذى يترتب على عدم مبادرته بالصوم ومن هنا تكون قيمة الدلالة فى (من قبل).

٣٤- ضل: فى أربع آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ١٩٨ البقرة. وقوله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ١٦٤ آل عمـــران. وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ٢ الجمعة.

وفى هذه الآيات الثلاث نرى (من قبل) مسبوقة بالفعل (كان) ومن بعدها فى أن البقرة (لمن الضالين) وفى آيتى آل عمران والجمعة (لفى ضلال مبين).

وأمـا الآية الرابعة فهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٧٧ المائدة.

فـ (من قبل) مرتبط بـ (ضلوا) أى ضلالهم مستغرق للزمان منذ خطاب هؤلاء إلى ما شاء الله من زمان سَلَف ومضى. وهذا واضح صريح لا خلاف حوله ولا شبهة فيه.

أما الآيات الثلاث الأولى فقد لاحظنا أن الوصف من مادة (ضل) متأخر عن (من قبل) . فمن ثم وجدنا فيها خلافا نحويا عبر عنه أبو حيان قائلا:" التقدير: وإن كنتم ضالين من قبله لمن الضالين. أى أن (من قبله) متعلق بمحذوف يدل عليه (الضالين). ثم قال: " ومن تسمح من النحويين فى تقديم الظرف والمجرور على العامل الواقع صلة للألف واللام. فتتعلق على مذهبه (من قبله): بقوله (لمن الضالين) (١).

ومثل هذا يقال فى آية آل عمران (وإن كانوا مِنْ قَبْلُ لفى ضلال مبين) ومقتضى هذا أن العلماء لم يجعلوا (من قبله متعلقا بالفعل (كان) لأن ذلك لا مفهوم له إذ ما معنى (وإن كانوا من قبل)؟

وعليه ينحصر القول فى أحد الوجهين اللذين ذكرهما أبو حيان. والذى ترتاح إليه النفس ويطمئن به القلب هو الثانى لأن العقل يدركه المعنى المراد وهو أن

---

(١) البحر المحيط ٢/٩٨.

ضـــلالهم كـــان من قبل المضاف إليه المفهوم. وقد نسبه الأستاذ عباس حسن إلى الكوفيين والمازنى والمبرد من البصريين. ثم رَدَّ الوجه الأول قائلا:" وهذا التأويل مـــرفوض إذ لا حاجـــة تضطرنا إليه وإلى إخراج الآيات المتعددة وغيرها عن ظاهرها التركيبى"(١).

وبأدنـــى الـــتفاته ذهنية يدرك القارئ المعنى من نسق اللفظ الذى ورد عليه. وكـــون (مـــن قبله) مرتبط بـــ (من الضالين) بعده لا يعيب النص بل يزيده كمالا وجلالا لأنه: ما من شك فى أننا لو قلنا: (وإن كانوا لمن الضالين من قبله) لسقطت هيبة النص وضاعت حليته وزينته وبهجته.

ومـــن قـــبل ذلك كله ومن بعده يكون غير لائق بجلال كلام الله وما فيه من عنصر لا يتوفر فى سواه من كلام البشر ألا وهو: أن القرآن يخاطب الفكر ويحرك العقـــل نحـــو ما فيه من دقائق لأن العقل إذا حصل على هذه وتلك كان أحرص ما يكـــون علـــى الوقوف عند النص القرآنى مستمتعا فى رحلته الفكرية حول النص وداخله ليستخرج ما فى باطنه من جواهر ودرر وإذا كان الغواص الذى يغوص فى عمـــق البحر إنما يرتكب ذلك للحصول على دُرَّة ثمينة غاية أمرها أن تكون زينة لجـــسد فان أوله التراب وآخره التراب فما بال العقل يكسل ولا ينشط بل لا. بجمع أمره ويلم شتاته حتى يصل إلى ما هو أغلى من الدرر الكامنة فى البحر.

وتبقى كلمة حول (أل) فى (الضالين) فقد جعلها أبو حيان موصولة أى الذين ضلوا. ومن ثم منع ارتباط (من قبله) به إذ لا يتقدم جزء الصلة على الموصول فلا يقال: (حضر محمد الذى أكرم) أى الذى أكرم محمداً.

والحـــق أن (أل) هنا ليست موصولة بل حرف للعهد أى الضالين المعهودين عند التالين للقرآن ودارسيه.

---

(١) النحو الوافى ١/٣٨٠.

٣٥- طلق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ ٢٣٧ البقــرة. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ ٤٩ الأحزاب.

فـــ (من قبل أن تمسوهن) فى الآيتين فيه معنى المبادرة والسرعة فى الطلاق إذا دب دبــيب النــزاع أو الخـــلاف مخافة أن يمسها الزوج أى يباشرها. فيقع فى محظــور وهو وجوب المهر كله عليه كما تقع هى فى محظور وهو وجوب العدة علـــيها. فالإســـراع بالطلاق عند استحكام الخلاف ولم تحصل مباشرة ولامس. فيه فائــدة ونفــع لكل منهما حيث إن الزوجة تكون فى حل أن تتزوج بغير هذا الزوج دون انـــتظار وحــيث إن الزوج لا يغرم إلا نصف ما قدم من مهر بل إن الآية قد ذكـــرت أنه يجوز للزوجة أن تعفو عن المهر كله (فنصف ما فرضتم إلا أن يعفو الـــذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير".

وممـــا تقــدم ندرك أن المراد بالمس الجماع ومن ثم قال الزمخشرى:" ما لم تمسوهن" ما لم تجامعوهن"[١].

---

(١) الكشاف ٣١٦/١.

ولــو قــيل: "وإن طلقــتموهن قبل أن تمسوهن) لما فهم معنى المبادرة إلى الطلاق ريثما يقع الخلاف الذى يوحى بعدم الوفاق الزوجى. خشية أن يحصل جماع لأنه حلال فتتعقد الأمور ويحصل ما ليس فيه تيسير بل ما فيه كلفة وعنفة.

٣٦- عبــد:

فــى قــوله تعالى: ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ﴾ ١٠٩هود.

يــريد: أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فَسَيَنزلَنَّ بهم مِثْلُه... و (ما) فى (كما) يجوز أن تكون مصدرية أى كعــبادتهم. أو موصــولة أى مــثل مــا يعــبدون"[١]. ومن البدهى أن المراد بــ (آباؤهم) ليس الآباء فقط بل المراد الآباء والأجداد وبذلك يتضح استغراق (من قبل) للزمان السالف.

٣٧- عجل:

فــى قــوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ ١١٤ طه.

أى فتأن ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك.

وقــيل: معــناه: لا تَــبَلِّغْ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان[٢] فواضح أن المــراد نهــى الرسول عن الإسراع بالقراءة من فور إلقاء جبريل. بل يتمهل حتى يقضِىَ وَحْيَه المأمور به.

---

(١) انظر الكشاف ٣٣٧/٢.

(٢) الكشاف ٧١/٣.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه ﴾ ١٦: ١٩ القيامة.

فقوله (من قبل) يدل على أن الرسول مأمور بالتأنى والتمهل فى استماع الوحى من جبريل حتى يفرغ من إلقائه وبيانه وحينئذ له أن يبادر ويسارع إلى قراءته على جبريل. فالتعبير يوحى بأنه ينبغي للرسول ﷺ المبادرة بالقراءة بُعَيْد انتهاء جبريل من قراءته بلا فاصل بين انتهائه وابتداء محمد ﷺ.

وهنا ينبغى أن نستثمر النص فى التربية والتعليم والتعلم. إذ ينبغى أن يحرص التلميذ على الإصغاء الكامل إلى الأستاذ فإذا ما فرغ الأستاذ من بيانه بادر التلميذ بدون تراخ ولا مهلة إلى إعادة ما ألقاه الأستاذ.

٣٨- علم:

فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٤٩ هود.

والذى يتبادر إلى الذهن أن (هذا) مشار به إلى الوحى المفهوم من قوله (نوحيها إليك) أى من قبل إيحائى إليك وإخبارك بها. وهذا ما بدأ به الزمخشرى ثم قال:" أو من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى. أو من قبل هذا الوقت"[1].

---

(١) الكشاف ٣١٤/٢.

وبالــتأمل فى هذين يدرك المتأمل أنهما يدوران فى فلك الأولى ولا يخرجان عــنه لا مــن بعــيد ولا من قريب إذ الوحى هو حجر الزاوية أو قاعدة المثلث أو العنصر الفاعل على جميع هذه الأوجه. وما دام أولها أوضحها وأسرعها تبادرا إلى الذهن فلا حاجة إلى ترداد آراء ليس فيها إلا ألفاظ جوفاء.

٣٩- عمــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ٧٨ هود.

وهــذه الآية فى حق لوط عليه السلام فما الآية التى من قبلها هى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ ٧٧ هــود، ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ....الآية ﴾ ٧٨ هود.

والفعل (يُهْرَعُون) من باب (فُعِلَ) (يُفْعَلَ) بضم فاء الماضى وكسر عينه مثل (ضــرب) وبضم باء المضارع وفتح عينه مثل (يُكْرَم) ففى القاموس:" وأقبل يُهْرع بالضم وفى التنزيل (يُهْرَعون إليه) وأُهْرِع مجهولا فهو يُهْرَع - يُرْعَد من غضب أو ضعف أو خوف"[1].

ويقــول الزمخشرى:" يهرعون: يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملــون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها. فَضَرَوُا بهــا وَمَــرِنُوا علــيها، وقل عندهم استقباحها. فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء.

وقيل: معناه: وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك"[2].

---

(١) القاموس ٩٨/٣.

(٢) الكشاف ٣٢٣/٢.

فـــ (من قبل) استغراق لزمان عملهم السيئات وارتكابهم الفواحش من حين مجيئهم لوطا إلى ما يعلمه الله من ابتداء ذلك العمل.

٤٠- عهد: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾ ١١٥ طه. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ ١٥ الأحزاب.

أمـــا آية طه فمن قبلها آيتان فى شأن القرآن وهما قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ ١١٣، ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ..... ﴾.

فقـــوله (ولقـــد عهـــدنا) معطوف على قوله (وَصَرَّفنا فيه من الوعيد لعلهم يـــتقون). وعهد الله إلى آدم أى وصاه وعزم عليه. والمعنى: وأقسم قسما لقد أمرنا أبـــاهم آدم ووصــــيناه ألا يقـــرب الشجرة وتوعدناه بالدخول فى جملة الظالمين إن قربها. وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهى عنه وتوعد فى إرتكابه مخالفتهم. ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون.

كأنه يقول: إن أساس أمر ابنى آدم على ذلك. وعرقهم راسخ فيه. والمراد

بـ (نسى) إما نقيض الذكر وإما الترك[١].

فهـذه الآيـة بمثابة إشارة واضحة إلى ما كلف الله به بنى البشر من أعمال يقومـون بها يلزمهم طاعته. ومن أعمال ينتهون عنها ولا بد من التزامهم بتركها. ولم تكتف بذلك بل تثبت أن عهد الله إلى آدم كأن من قبل ما سبق ذكره فى الآيتين من أن القرآن حينما نزل على خاتم الرسل عليه السلام وَصَرَّفَ الله فيه من الوعيد لـم يلـزم بـه إلا قليل من أمة محمد. وذلك على عهد آدم أى البشر فهو لم يلتزم بالنهى الذى كلفه الله إياه بالنسبة للأكل من الشجرة.

وأمـا آيـة الأحزاب فهى فى سياق الكلام على المنافقين والذين فى قلوبهم مـرض وما قالوه ووصف سلوكهم من أنهم لم يتورعوا عن إتيان الفتنة لو سئلوها وما تأخروا عن ذلك إلا زمنا يسيرا.

وبعـد ذلك يُقْسِم الله – وهو الغنى عن القسم- أن هؤلاء قد عاهدوا الله (من قـبل) أن معاهدتهم الله لم يمر عليها ما يسدل عليه ستار النسيان بل لم يزل المسلمون علـى ذُكْر منها؛ فهذا معنى (من قبل) إذ (من) تدل على المباشرة والتعقيب أى قرب معاهـدتهم لله على ألا يولوا الأدبار ومع ذلك لم يراعوا ذلك العهد مع أن عهد الله كان مسئولا أى منذ الأزل إلى أن تنتهى حياة البشر على أرض البشر.

وعـن ابـن عباس: عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم.

وقيل: هم قوم غابوا عن بدر فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لَنُقَاتِلَنَّ وعن محمد ابـن إسحاق عاهدوا يوم أحد ألا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل. ومعنى (مسئولا) مطلوبا مقتضى حتى يُوَفَّى به"[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٣/٧١.

(٢) انظر الكشاف ٣/٤١٨.

٤١- غفــل :

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ ٣ يوسف.

أظـــن- إن لم أستيقن- أن القارئ لم يزل على ذُكْر مما سلف بحثه في آيات تـــشبه هـــذه الآية في نسقها ومنها قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ وما معها. وقد عرفنا أن اللائق بالنسق القرآني هو ارتباط (من قبله) بـــ (الضالين) من بعـــده لأنه هو ما يدركه العقل مع ذكر الظرف قبل متعلقه إذ ليس ذلك بغريب أو بعيد على النص العربي بعامة والنص القرآني بخاصة.

وصدر الآية: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ.. إلخ ﴾.

أي بإيحائنا إليك هذه السورة. على أن يكون (أحسن) منصوبا نصب المصدر لإضـــافته إليه. ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) مغـــن عـــنه... (وإن كنت) إن: مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافـــية والـــضمير فـــي (قـــبله) راجع إلى قوله (ما أوحينا) والمعنى: وإن الشأن والحديث: كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي: من الجاهلين به؛ ما كان لك فيه علم قط. ولا طرق سمعك طرف منه"[١].

٤٢- فتـــح:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ ٨٩ البقرة.

---

(١) الكشاف ٣٤٤/٢.

وهـذه الآية فى حق اليهود الذين كانوا يعرفون أن الله سيبعث رسولا وكانوا إذا قاتلـوا المشركين قالوا: اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعـته وصـفته فى التوراة. فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة. ومن ثم حقت عليهم لعنة الله. (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم. واللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا(١).

فقوله(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يثبت أن استفتاحهم على الـذين كفـروا بالنبى الذى أظلهم زمانه ودنا منهم أوانه قريب عهد لهم. بحيث لا يمكـنهم أن ينـسوه أو يزعموا جهله. وذلك استحضار لما سلف إلى موقع النظر ومدرك الفكر فلا يشك أحد فيه.

وكـم عهدنا منهم صفات الغدر ونكث العهد إثر ما يبرمون عقدا أو يمضون عهدا. حتى عصرنا هذا؟ فهى صفة لازمة لا ينفك عنهم ولا ينأون عنها.

ولا غبار على ذكر الظرف (من قبل) قبل الفعل (يستفتحون) لأنه فى متناول إدراك العقل له. والقرآن إنما يخاطب العقول والألباب.

٤٣- فـرط:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ ٨٠ يوسف.

وهـذا الـنص من آية تتحدث عن حالة إخوة إزاء أخيهم الشقيق الذى صار متهما بسرقة صواع الملك فأراد يوسف أن يحجزه ويمنعه من العودة مع اخوته إلى أبيهم فأخذوا يعرضون عليه أن يستبقى أحدهم مكانه فقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ

---

(١) الكشاف ١/١٢٣.

إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ ٧٩، ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ... إلخ الآية ﴾ ٨٠ يوسف.

وللعلماء فى هذه الجملة (ومن قبل ما فرطتم) آراء متعددة. ومع أهم ذكروها لم يريدوا أن يميزوا بينها بما يجعل بعضها أفضل من بعض أو أيسر فهماً للمراد. وهـذا ديدنهم دائما فكان منهجهم فى تفسير القرآن قائم على ذكر ما يمكن احتماله ولا يعنيهم أن يذكروا ما يرجحه أو يضعفه.

وحسبنا هنا أن نذكر بإيجاز ما أورده الزمخشرى ومن بعده أبو البقاء. يقول الزمخشرى:" فى (ما) – يعنى (ما فرطتم)– ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون صلة أى زائدة. والتقدير: ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم.

الثانى: أن تكون مصدرية وفى محل المصدر وجهان (أحدهما) الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو (من قبل) ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف (الآخر) النصب عطفا على مفعول (ألم تعلموا) وهو (أن أباكم) كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف.

الوجه الثالث: أن تكون (ما) موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة. ومحله الرفع أو النصب على الوجهين[١].

---

(١) الكشاف ٢/٣٨٥ بتصرف.

وتعقيبنا على هذا النص فيما يأتى:

(أ) أن دعـــوى زيـــادة (ما) فى (ما فرطتم) باطلة كما حققنا ووثقنا لأن ذلك هو اللائـــق بكمال وجمال النص القرآنى. ومما يثبت ذلك هنا أن الزمخشرى قد ذكـــر فيها وجهين جميلينَ يَرُدَّان تلك الدعوى الزائفة فلست أدرى ما الداعى إلـــيها مع إمكان أن نفهم لها معنى وأن نحقق لها قيمة وأن نحافظ عليها من الاعـــتداء علـــى قدســـيتها؟! ألـــيس فى هذا تناقض وإفتئات على حق النص القرآنى؟!

(ب) بعد رد هذه الدعوى تبقى الموازنة والمفاضلة بين الوجهين الآخرين.

أولا: جعـــل (مـــا) مصدرية. ذكر الزمخشرى فى محلها وجهين الرفع على الابتداء وخبره الظرف أى: ومن قبل هذا – أى أخذ أبيهم موثقا من الله فى شأنه– تفريطكم فى يوسف. هذا هو التقدير الذى يريده الزمخشرى على أن (من قبل) خبر مقدم و (تفريطكم) مبتدأ مؤخر.

ولكـــن نص تقديره يخالف ذلك فقد قال(ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم فى يوســـف) وهـــذا من باب الفعل والفاعل وليس من باب المبتدأ والخبر. هذه واحدة وأخرى أحب إلَىّ من تلك ألا وهى: جعل (تفريطكم) فاعلا للظرف (من قبل) دون ذكـــر الفعل كما قد يشير إليه نص الزمخشرى. فرفع الظرف للفاعل قد نال عناية مـــن الـــنحاة المتقدمـــين؛ ولما أمعنت فيه النظر وأعملت العقل جمعت من أساليبه أساليب متنوعة من القرآن أربت على الألف أسلوب كما نبهنا غير مرة.

والوجه الثانى: على جعل (ما) مصدرية هو النصب عطفا على مفعول (ألم تعلموا) أى ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف...

وفى هذا الوجه ما يجعله مرادا لأنه يشتمل على ما يصون النص القرآنى من دعاوى زائفة وتأويلات محرفة.

وعليه يكون (من قبل) مرتبطا بـــ (فرط) كما رتبناه هنا.

ثانــياً: جعل (ما) موصولة. وقد ذكر الزمخشرى وجهى الرفع والنصب فى (مـــا) الموصولة. فالرفع على أن (ما) مبتدأ مؤخر و (من قبل) خبر مقدم أى ومن قبل الذى أخذه عليكم أبوكم فى شأن الأخ المتهم الذى فرطتموه فى حق يوسف.

والحق ألا تقديم ولا تأخير إذ الأسلوب جملة ظرفية.

والنصب على العطف على محل (أن أباكم...) أى ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا علــيكم والــذى فــرطتموه من قبل فى حق يوسف. وبالتأمل ندرك أن (جعل ما) مصدرية أجمل فى الصياغة وأكمل فى الدلالة على المعنى وأجزل فى التركيب.

هــذا مـــا ذكره الزمخشرى وأما أبو البقاء فيرى ضعف جعل المصدر مبتدأ و (مــن قــبل) خبرا لأن (قبل) إذا وقعت خبرا أو صلة لا تقطع عن الإضافة لئلا تبقى ناقصة وذكر وجها ثالثا على جعل (ما) مصدرية وهو العطف على اسم (أن) – مــن: أن أبـــاكم– والتقدير وأن تفريطكم من قبل فى يوسف. والأولى أن يكون الخبر(فى يوسف) لئلا يجعل (من قبل) خبرا.

وبهــذا يتــضح أن الــراجح هو : جعل (ما) مصدرية أو موصولة وتكون معطــوفة علـــى مفعول (لم تعلموا) أو على اسم (أن). ولكن أبا البقاء عقب قائلا:" وقــيل هــو ضــعيف علـــى هـــذين الوجهين لأن فيها فصلا بين حرف العطف والمعطوف. ثم عقب بقوله: "وقد بينا فى سورة النساء أن هذا ليس بشئ"[١].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/٣٠: ٣١، وانظر المغنى بحاشية الأمير ٢/١٣.

وبهــذا يسلم هذان الوجهان من الضعف. ولعل الذى يريد أبو البقاء ما ذكره فــى ســورة النساء هو ما قاله عند الكلام على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ ٥٨ النساء.

فقــد ذكــر أنــه يجوز نصب (إذا) بــ (يأمركم) وكذا (أن تحكموا بالعدل). والتقديــر: أن يكــون حرف العطف مع (أن تحكموا) لكن فصل بينهما بالظرف... و (بالعدل) يجوز أن يكون مفعولا به وأن يكون حالا"[١].

ولو أردنا تنسيق النص على ما ذكره أبو البقاء لكان هكذا:

إن الله يأمــركم أن تــؤدوا الأمانات على أهلها وقت حكمكم بين الناس وأن تحكموا بالعدل وهذا تدخل فى (النص) بما لا يغنى عنه فتيلا ولا يثبت له دليلا.

إذ أن ظاهــرد أن (أن تحكموا) معمول لــ (حكمتم) على تقدير: ويأمركم إذا حكمــتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. ففيه إيجاز بحذف (يأمركم) بعد واو العطف للعلــم به من قوله (يأمركم أن تؤدوا الأمانات) والإيجاز بالحذف للعلم فن رفيع من فنون البيان. فهو لائق بجلال نص القرآن.

٤٤- فعــل:

فــى قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُ ﴾ ٥٤ سبأ.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٠٤/١.

أى حيل بين الكافرين الذين ناصبوا الرسول ﷺ العداء ونصبوا فى سبيله كل عائق يحول بينه وبين من يريد الإيمان به وإتباعه وبين ما يشتهون يوم القيامة من نفع الإيمان والنجاة من النار. والفوز بالجنة. أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ ٢ السجدة. كما فعل بأشياعهم أى أشياعهم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم"[١].

فقوله (من قبل) استغراق لما فعل بهؤلاء من زمن الرسول ﷺ إلى أول كافر فى عهد آدم عليه السلام.

٤٥- قتل: فى

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ٩١ البقرة.

فظاهر قوله (تقتلون) مع قوله (من قبل) يوحى بتناقض إذ الفعل يستقبل الزمان على أن (من قبل) ماضى الزمان. فكيف يقال: تقتل محمد أمس؟ إن هذا غير سائغ ولا جائز فى اللغة العربية لغة الحكمة والدقة والتناسق العجيب بين مفردات نصوصها فلا تعارض ولا تدابر ولا تناقض.

وعليه كان ينبغى – بناء على فهم عقولنا– أن يكون النص: فلم قتلتم أنبياء الله من قبل؟.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٤٦٩.

والحق أنه لا تناقض ولا تدابر. فقد حققنا أن تخصيص كل فعل بزمان فـي لغة العرب إنما هو رهن بوجود الفعل فى المعجم العربى. فنقول: ضرب للزمـان الماضى ويضرب للحاضر أو المستقبل. وإذا ما صيغ من هذا الفعل ومـن سـواه نص خضع زمانه لما يوحى به هذا الـنص: فيقـرأ ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ ٩٤ النساء. وحينئذ يدرك العقل أن (ضرب) زمانه مستقبل لأنه قد حكم بحكم الأسرة اللغوية بعد أن كان فى المعجم فردا وحيدا فريدا.

وكذا الحال فى آيتنا (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) فمن البـدهى أن إنكـار وقوع شئ لا يكون إلا بعد وقوعه إذ النفى بعد الإثبات. فإذا لم يقع عقوق من أحد الأبناء لأحد الآباء. فلا يجوز أن يقال: لم تعق والدك؟ لأنه لـم يقـع بعـد وإنمـا الأصل: لم عققت والدك. وبذلك يكون النص أقرب إلى الاستفهام منه إلى التقريـع والتوبيخ. فإذا ما أردنا ذلك كان لابد من تغيير الصيغة إلى أسلوب تستحضر بـه صورة العقوق فتصير ماثلة بين الأنظار حاضرة لا ينكرها أحد. وذلك الأسـلوب هو: لم تعق والدك؟!

وهذا ما حدث فى النص القرآنى وإنى لأبادر فأقول: إنما تعلمنا ذلك كله من النص القرآنى. وساعدنا على ذلك بحثنا فى كيفية دلالة الفعل على زمان الحـدث. فليس وقفا على زمان بعينه. بل هو صالح للدلالة على الأزمنة المتعددة ما دامـت هناك قرينة على المقصود فلو قيل فى النص القرآنى (فلم قتلتم أنبياء الله من قبـل) لكان فى إسناد القتل إلى اليهود المعاصرين للرسول الخاتم ﷺ مجازفة وعدم دقـة فى نسبة الذنب إلى مقترفه إذ يؤخذ الحفيد بإثم الجدود؟! إن هذا الشئ عجيب.

أمــا إذا جعلــنا النص من باب استحضار صورة الجرم الشنيع الذى ارتكبه جدود وآباء هؤلاء اليهود بحيث يراه أحفادهم وتملأ صورته عقولهم وأذهانهم. فلا تحتاج هذه الصورة بعد ذلك إلى بيان.

وبعــد: فقــد أدلـــى بعــض علمـــاء التفسير بدلوه فى هذا التعبير وحسبنا التمثيل ببعضهم:

يقــول ابن جرير الطبرى:" بعض نَحْوِيِّ البصرة على أن (فلِمَ قتلتم) كما قال جــل ثــناؤه (واتبعوا ما تتلوا الشياطين...) ١٠٢ البقرة. أى ما تلت.... وبعض نَحْوِيِّ الكوفة على أنه إن خاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضى.. ومثله فى الكــلام: إذا نظــرت فى سيرة عمر لم تجده يسئ. المعنى: لم تجده أساء؛ فلما كان أمــر عمر لا يشك فى مضيه لم يقع فى الوهم أنه مستقبل فلذلك صلحت (من قبل) مع قوله (فلِمَ تقتلون) وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة"[1].

ففى نص الطبرى إشارة إلى سر التعبير بـــ (تقتلون) وهو أن العقل يدرك أن المراد آباء اليهود المعاصرين للنبى محمد ﷺ.

وهذا ما يثبت مرونة دلالة كلمات اللغة العربية فليس زمان الفعل هنا بصورة معينة للفعل بل الذى يعينه ما يحيط به من دلالات يدركها العقل.

ويقول السيد رشيد رضا:" ولما كانت هذه الصيغة – تقتلون– تدل على الحال فتوهم أن الذين فى زمن التنزيل كانوا لا يزالون يقترفون هذه الجريمة. على أنه لم يكــن فى ذلك العهد أنبياء إلا من يُبَكِّتهم ويحتج عليهم وَصَلَهَا بقوله (من قبل) دفعا لذلك الوهم"[2].

---

(١) جامع البيان ٣١٦/١، وانظر من مفاتيح الغيب ٤٣١/١.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٣٨٤/١.

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز:" ولقد كان التعبير بهذه الصيغة مع ذكر الأنبـياء وبلفظ عام مما يفتح بابا من الإيحاش لقلب النبى العربى الكريم وبابا من الأطماع لأعدائه فى نجح تدابيرهم ومحاولاتهم لقتله. فانظر كيف أسعفنا بالاحتراس مـن ذلـك كله بقوله (من قبل) فقطع بهذه الكلمة أطماعهم وثبت بها قلب حبيبة إذ كانت بمثابة وعده إياه بعصمته من الناس.

وذلـك إلى ما فيها من تنبيه على أصل وضع الكلام. وعلى ما صنع به من التجوز المذكور آنفا فى الإسناد والصيغة"[١].

فالتعبيـر بــ (مـن قبل) مع (تقتلون) مقصود لاستحضار صورة الأجداد للأحفاد عن كثب. وسبحان من يعلم أسرار كلماته.

ومعنى قول أستاذنا الدكتور دراز (التجوز المذكور والصيغة) أن القتل مسند إلى اليهود المعاصرين للنبى محمد ﷺ وهم من ذرّية اليهود الذين قتلوا الأنبياء فلم يقـتلوهم. وأن صـيغة (تقتلون) للزمان الحاضر والحق أن القتل كان فى الزمان الماضى.

فعلـى العرف اللغوى السائد عند النحاة من أن الفعل المضارع يكون زمانه حاضرا أو مستقبلا. والقتل إنما وقع فيما مضى من الزمان. يكون هناك تجوز فى التعبير.

وربما يقال: إنه لا تجوز لأن المقصود استحضار صورة الأجداد أمام الأحفاد حتى يقفوا على بشاعة ما كان عليه أجدادهم من قتل الأنبياء بغير حق.

---

(١) النبأ العظيم ص ١٣٧.

٤٦- قـرأ:

فـي قـوله تعالـى: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ ٩٤ يـونس. وصدر هذه الآية: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ...إلخ ﴾ أى فإن وقع لك شك مثلا (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) والمراد بـنوا إسـرائيل فهم قَرَأَةُ الكتاب لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم فى التوراة والإنجـيل وهـم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصـحة نـبوة محمد عليه السلام... يعنى: أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك.

فالغـرض وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله عليه السلام لا وصف رسول الله بالشك[1].

فالتعبير بـ (من قبلك) يثبت قرب عهد رسول الله بهم وعهدهم به أى أن كلا منهم متمكن من الإتصال بالآخر حتى يقف على حقيقة أمره. ومن هذه الآية يثبت قـوة العلاقة بين الإنجيل والتوراة من جانب والقرآن من جانب آخر. وبذلك يتبين لكل منصف أن لا خلاف بين (محمد) ﷺ وبين (موسى وعيسى) عليهما السلام.

٤٧- أقسم:

فـى قـوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ ٤٤ إبراهيم.

---

(١) انظر الكشاف ٢/٢٩٠.

ومعنى (أخرنا إلى أجل قريب): إما ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد قريب من الـــزمان لنـــتمكن من تدارك ما فرطنا فيه من اتباع رسلك. فالمراد بـــ (يوم يأتيهم العذاب) يوم القيامة.

وإما أن يراد به يوم هلاكهم بالعذاب العاجل. وإما أن يُرادَ يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى. وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجـــل قـــريب كقـــوله: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٠ المنافقون.

والرد عليهم (أَوَ لَمْ تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) على احتمال تلك الأوجه الثلاثة. والمراد بهذا القسم ما ورد فى قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٨ النحل[1].

ففـــى قـــوله (أقـــسمتم مـــن قبل) دليل على قرب عهدهم بهذا القسم فهم لا يستطيعون التنصل منه أو الإنكار له.

٤٨- قـــص: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ١٦٤ النـــساء. وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ ١١٨ النحل.

---

(١) انظر الكشاف ٢/٤٤٠.

فالآيـــة الأولـــى فى حق الرسل الذين قص الله على رسوله الخاتم نبأهم مع أممهم من حيث تحملهم إيذاءهم وصبرهم على ما كانوا ينالونهم به من عنت وعناد. فهذا زاد لرسوله ﷺ يقوى به على على ما يلقاه من قومه حتى لا يخرج عن دائرة أولى العزم من الرسل.

وبدهـــى أن قـــصص هؤلاء قريب جدا من رسول الله ﷺ ولذا أوثر التعبير بـــ (من قبل) حتى لا تكون هناك فرصة لأن ينسى الرسول محمد ﷺ ما حفظه من ذلك التاريخ. وصدق الله إذ يقول: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ ٦ الأعلى.

وأمـــا الآية الثانية فهى فى حق اليهود والمراد ما أخبره به فى سورة الأنعام مـــن قـــوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ ١٤٦ الأنعام.

أى أنـــه حرم عليهم لحم كل ذى زفر أى ماله إصبع من دابة أو طائر وحرم علـــيهم بعض البقر والغنم وهى الشحوم إلا ما اشتمل على الظهور أو على الأمعاء – الحوايا– أو شحم الألية– ما اختلط بعظم.

فقوله (من قبل) يوضح قرب عهد الرسول عليه السلام بما أوحاه الله إليه من تحريم بعض الطيبات على بنى إسرائيل بسبب ظلمهم.

٤٩- قال: في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ ٩٠ طه. وقوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ ٤٣ فصلت. وقوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ ١٥ الفتح.

فآية طه وردت في سياق قصة السامري وعجل بني إسرائيل الذين عبدوه أو اتخذوه إلها من دون الله وقالوا ﴿ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ ٨٨ طـه. قال الزمخشري:" أي فنسي موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور. أو فنسي السامري أي: ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر".

ومن بعد ذلك يقول الله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ٨٩. أي أن هذا العجل لا ينطق بشئ ولا يفعل شيئا نافعا أو ضارا. ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ .. الآيـة﴾ أي من قبل أن يقول لهم السامري ما قال. كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه. فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون عليه السلام. بقوله: ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾[1].

فالتعبير بـ (بادرهم هارون) يشير إلى معنى (من قبل) أي أن قول هارون كان مبادرة سبق هارون بها السامري. وكأن السامري كان يلمح على وجه هارون أمارة القول فأراد أن يسبقه ولكن الحق أسبق من الباطل.

---

(١) انظر الكشاف ٦٥/٣.

وأمـــا آيـــة فــصلت فهى إخبار للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتحمل بل يتجمل بما يسمع من الكافرين والمنافقين لأن هذه عادتهم مع جميع الرسل من لدن آدم إلى المسيح عيسى بن مريم. فهذا الاستغراق إنما عبر عنه بقول الله (ما قد قيل للرسل من قبلك) إذ ينطوى فى (من قبلك) كل من سبقوه فى الزمان كله من زمان آدم إلى زمان بعثته ﷺ . وليس بعد ذلك مَثَل للتأسى والتحمل بل التجمل.

وفــيها يقول الزمخشرى:" أى ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة. (إن ربك لذو مغفرة) ورحمة لأنبيائه. (وذو عقاب) لأعدائهم.

ويجــوز أن يكون: ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك؛ والمقول هــو قــوله: (إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته. والغرض تخويف العصاة"[١].

وبالتأمل ندرك أن الوجه الأول هو الذى يلائم ويليق بسياق الآية إذ قبلها قوله تعـــال:" إن الـــذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا..." ثم قوله: " إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم..." ثم قوله: " ما يقال لك ... الآية. فالسياق يصف حال الملحدين وبذكـــر تهديد الله لهم (اعملوا ماشئتم) ثم يذكر صفة الكافرين بالذكر أى القرآن ثم يـــسجل صفته (وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بي يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ما يقال لك... الآية).

ثـــم يقـــول مـــن بعدها : " ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته. أعجمى وعربى.. الآية. أى قرآن أعجمى ونبى عربى أو مرسل إليه عربى.

---

(١) الكشاف ١٥٨/٤.

فالسياق واللحاق يثبتان بما لا خلاف عليه أن المراد إنما هو تسجيل حال الكفار مع الرسل جميعا فـ (من قبلك) استغراق للرسل من لدن محمد ﷺ الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام.

وأما آية الفتح فصدرها: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

والمراد بـ (المخلفون): الذين تخلفوا عن الحديبية. والمراد بتبديل كلام الله: تغيير موعد الله لأهل الحديبية. وذلك: أنه وعدهم أن يعوضهم من مغنم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا[1]. ثم أمر الله رسوله بقوله: ﴿ قل لن تتبعونا ﴾ (كذلكم) أى مثل ذالكم قول الله من قبل أى قريبا جدا بحيث لا يمكن نسيانه أو الغفلة عنه.

٥٠- قـام:

فى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ الروم.

أى استمر فى الاتجاه إلى الدين القيم أى بليغ الاستقامة حتى لا يبادرك يوم القيامة الذى لا يرده أحد غيره أو لا يرده هو يقول الزمخشرى:" القيم: البليغ

---

(١) انظر الكشاف ٤/٢٦٧.

الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج (من الله) إما أن يتعلق بـ(يأتى) فيكون المعنى: من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد. كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ ٤٠ الأنبياء. أو بـ (مرد) على معنى: لا يرده هو بعد أن يجئ به ولا رد له من جهته. والمرد: مصدر بمعنى : الرّد(١).

فالتعبير بـ (من قبل أن يأتى يوم) حث على المبادرة والاستمرار على ذلك لأنه لا يعلم متى يأتى هذا اليوم. فلا ينبغى أن يباغته وهو ساه عن طاعة الله لاهٍ عما يرضى مولاه.

٥١- كتب:

فى قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ ٢٢ الحديد.

المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) يعنى الأنفس. وقال الزمخشرى:" أو المصائب" (٢).

والذى يتبادر على الذهن: الأول أى الأنفس إذ المصائب تابعة لها أو قل: نابعة منها. ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ٥٣ يوسف، ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ٧٩ النساء... إلى غير ذلك من آيات.

---

(١) الكشاف ٣/٣٨١.

(٢) الكشاف ٤/٣٨٢.

ويقــول أبــو البقاء:" في كتاب: حال أى إلا مكتوبة و (من قبل) نعت له أو متعلق به"(١).

وأرى أنـــه لا معنى لجعل (من قبل) نعتا لــ (كتاب) بل اللائق أنه مرتبط به ارتباط المكتوب بزمانه الذى يستغرق الظرف.

٥٢- كذب: فى ست آيات هى:

قـــــوله تعالـــــى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ .. ﴾ ١٨٤ آل عمــران. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ ....الآية ﴾ ٣٤ الأنعام. وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ٤ فاطر.

وهــذه الآيات الثلاث خطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو يحمل إليه التأسى والتحمل لما يعرض له من إيذاء وافتراء وبهتان وعدوان لأن هذه سنة الله فى خلقه مع رسله عليهم السلام.

والتعبيــر بــ (من قبلك) فيه استغراق للرسل جميعا فى كل الأزمنة. ويقول أبــو الــبقاء فــى آية الأنعام: " من قبلك: لا يجوز أن يكون صفة لــ (رسل) لأنه زمان. والجهة لا توصف بالزمان؛ وإنما هى متعلقة بــ (كذبت)"(٢).

وقد سلف مثل ذلك فلا حاجة إلى تكرار القول فيه.

أما الآيات الثلاث الآخرى فهى:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾ ١٠١ الأعــــراف.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن٢/١٣٥.

وقـــوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ -أى نوح عليه السلام- رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ ٧٤ يـــونس. وقـــوله: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ ١٨ العنكبوت.

فهذه الآيات ليس الخطاب فيها مقصورا على نبى بذاته بل هو عام يشمل كل الرسل مع كل الأمم.

يقـول الزمخشرى فى آية الأعراف:" فما كانوا ليؤمنوا: عند مجيء الرسل بالبيانات بما كذبوه مِن آيات الله من قبل مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين"(١).

فالمـراد أنهم لمّا كذبوا من قبل أستمر تكذيبهم حتى رحلوا إلى الآخرة وهم يكذبـون. فـ (من قبل) تستغرق الزمان السابق وتوحى باستغراق الزمان اللاحق. فكأنها تستغرق الزمان ماضيا ومستقبلا.

٥٣- كفر فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ ٣٠ التوبة. وقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١٣٤.

بَعِيدٍ ﴾ ، ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ ٥٢، ٥٣ سبأ. وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٥ التغابن.

فالظرف (من قبل) قد أثبت أن كفرهم أى الذين كفروا من قبل المتحدث عنهم استغرق الزمان كله حتى عصر المخاطبين بذلك.

٥- كان: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ ٩٤ النساء. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٢١ غافر.

وصدر الآية الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ... ﴾.

أى كنتم أول ما دخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم"(١).

ففى قوله (من قبل) إثبات أن حالتهم أقرب ما تكون إليهن فلا يمكنهم أن ينسوها. وما دام الأمر كذلك فعليهم أن يعاملوا غيرهم بمثل ما عاملهم سواهم.

---

(١) انظر الكشاف ٤٢٨/١.

أما آية غافر فهى حث للكافريـن الذين سـاروا فى الأرض ونظـروا فـى تـاريخ مـن كان قبلهم وعرفوا عاقبة كفرهم. وهؤلاء أقرب ما يكونون منهم لأن وجودهم باشر وجودهم دون تباعد أو تراخ فهم على ذكر منه.

هـذا: وممـا ينبغى التنبيه غليه أن الفعل (كان) هنا قد تعلق به الظرف (من قبل) فليس خبرا له لأنه فعل تام بمعنى (حدث وحصل).

٥٥- لبث:

فى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ ١٦ يونس.

والآيـة من قبلها: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ١٥.

فالـذين يكفـرون بيوم الجزاء والحساب أى اليوم الآخر يظنون أن الرسول عليه السلام هو الذى إن شاء جاءهم بقرآن وإن لم يشأ فلا.فإذا ما تلا عليهم القرآن وفيه ما يؤذى أحاسيسهم أمروه بأن يأتى بقرآن أخر فليس فيه ما تغيظهم أو يبد له القـرآن الـذى يوحى إليه به حسب هواهم بمعنى أن يأتيهم مكان آية العذاب بآية رحمة أو يمتنع عن ذكر آلهتهم بسوء فأجابهم بأنه لا يستطيع ذلك (ما يكون لى أن

أبدلــه مــن تلقــاء نفــسى) لأنــه يتبع ما أوحى إليه فهو يخاف العذاب الأليم إن عصى ربه.

ثــم بين أنه يتلوه بمشيئة الله. ولو شاء الله ما تلاه ولا أدراكم به أى أعلمكم به. يقال: وأدراه به أعلمه. فقد لبثت فيكم عمرا من قبله شابا يافعا وكهلا فلم تعهدوا منى قدرتى على الإتيان بشئ من نحوه حتى تتهمونى باختراعه"[1].

فقوله (لبثت فيكم) معناه: أننى لم أغب عنكم حتى أتمكن من تعلم شئ بل أنتم أدرى بحياتى كلها وقوله (من قبله) معناه: من قبل أن يوحى إلى به. فــ (من قبله) مــتعلق بــ (لبث) وقد سبق فى بعض الآيات أنه لا يكون وصفا لما قبله إذا كان ذاتاً. وهنا نرى ما قبله وهو (عمراً) زمانا ؛ ولكنه مع هذا يكون مرتبطا بــ (لبث) أى أنه مكث فيهم من قبل أن يوحى إليه به عمرا. فــ (من) تفيد التعقيب بين نزول الوحى إليه والزمان الذى قبله.

٥٦- تمنــى:

فــى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ ١٣٤ آل عمران.

والمخاطــبون بهــذه الآيــة هم الذين لم يشهدوا بدرا فتمنوا أن يشهدوا مع الرسول ﷺ موقعة أخرى فلما حضروا معه غزوة أحد انهزموا عنه ولم يثبتوا.

فمعنــى (مــن قبل أن تلقوه) أن تمنيهم الموت كان مباشرا لانصرافهم عن رسول الله حيث شاهدوا بوادر هزيمة يوم أحد. أى أنهم سرعان ما نقضوا كلامهم حينما رأوا هول الموقف فانفضوا من حوله وَوَلَّوْا مدبرين.

---

(١) انظر الكشاف ٢/٢٦٢: ٢٦٣.

٥٧- نادى:

فى قوله تعالى:﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ ٧٦ الأنبياء.

فـــى الآيات من قبل هذه الآية قصة إبراهيم مع قومه وانتصار الله بأن نجاه من نار أعدائه وقومه. وتنجية الله لوطا معه إلى الأرض التى بارك فيها للعالمين. ثـــم تنجـــية لـــوط من القرية التى كانت تعمل الخبائث... وفى هذه الآية يقول الله ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

ومقتضى التعبير بـــ (من قبل) أن يكون هؤلاء المذكورون فى الآيات السابقة مباشرين لنبى الله نوح أى أنه من قبلهم مباشرة.

٥٨- أنـــذر:

فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١ نوح.

وفـــى هذه الآيات حثٌّ نوحٍ على مبادرة إنذار قومه حتى لا يباغتهم العذاب الألـــيم. فقـــوله (مـــن قبل) يوحى بأن العذاب على الأبواب فلم يلبث أن يداهمهم فيقضى عليهم. وتأمل هداك الله ذكر هذه الآية من بعد آية الأنبياء مع مراعاة ذكر الـــظـــرف (مـــن قبل) فى الإثنين. فمع ما بينهما من مسافة واسعة حسب ترتيب المصحف نجد كلمة (من قبل) تربط بينهما برباط وثيق لما بينهما من معنى عميق دقيق.

٥٩- نزل: فى سبع آيات:

قـــوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ ٤ البقـــرة. وقـــوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾

٣، ٤ آل عمـــران. وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾، ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ ٦٠، ١٣٦، ١٦٢ النساء. وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ٥٩ المائـــدة. وقوله: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ ١٥٦ الأنعام.

ومما ينبغى ملاحظته هنا ما يأتى:

(أ) أن الآية الثانية – آية آل عمران– والآية السابعة– آية الأنعام قد صرح فيهما بالتوراة والإنجيل؛ ثم باليهود والنصارى إذ هما المقصودان بـــ (طائفتين من قبلـــنا) أى أهـــل التوراة وأهل الإنجيل. ففى آية آل عمران إثبات أن التوراة والإنجيل هما الكتابان اللذان أعقبهما القرآن الكريم. وفى آية الأنعام إثبات أن الـــيهود والنصارى هما الطائفتان اللتان كانتا أهل كتاب وقد باشرهما العرب لأنهم نزل بين ظهرانيهم على خاتم الرسل خاتم الرسالات. وهو القرآن.

ولعـل القارئ يستحضر هنا ما سبق ذكره بل تكراره وهو: أن (من قبل) لا يوصف به الذات. وعليه لا يجوز أن يكون من (قبلنا) وصفا لـ (طائفتين) بل هو واضح العلاقة بالفعل (أنزل الكتاب).

كمـا لا يخفى أن المراد بـ (الكتاب) هنا التوراة والإنجيل. ولعل فى التعبير عـنهما بـذلك إشـارة إلى ما سطره بعض العلماء – وذكرناه فيما سبق- من أن الإنجيل متمم للتوراة كما أن المسيح عيسى بن مريم مرسل إلى بنى إسرائيل.

(ب) وأما الآيات الخمس الباقية فالتعبير فيها (ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) كما فى آية البقرة. وآية النساء الأولى ثم الثالثة.

وأمـا فـى آية النساء الثانية فالتعبير فيها (والكتاب الذى نَزَّلَ على رسوله والكـتاب الذى أنزل من قبل وتبقى آية المائدة والتعبير فيها : (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل).

(ج) للعلمـاء فـى المـراد بالكتاب الذى أنزل من قبل القرآن رأيان: الأول: أنه الإنجـيل. وعليه يكون المراد بأهل الكتاب هم اليهود لأنهم آمنوا بالتوراة ولم يؤمنوا بالإنجيل الذى أنزل من قبل القرآن. فالتعقيب بـ (من قبل) بين القرآن والإنجـيل. وذلـك واضـح فى غير آية البقرة إذ المراد بها أتباع محمد ﷺ وصـفتهم أنهم يؤمنون بما أنزل إليه وهو القرآن وما أنزل من قبله والمراد سائر الكتب لا بعضها أما إذا أريد اليهود فيكون المراد بـ (من قبل) الإنجيل. وهذا هو الراجح فى سائر الآيات ودليل رجحانه:

أن البيـئة التى ظهر فيها النبىﷺ لم تكن بيئة نصرانية ولا يهودية من بدء نزول الوحى عليه إلى الهجرة. وأما بعد الهجرة فكانت بيئة يهودية. ولو ظهر النبى

محمد ﷺ فى الحيرة أو فى بحران للقى من نصارى هاتين المدينتين مثل ما لقى من مشركى مكة ويهود المدينة(١).

والسبب فى ذلك أن هجرة اليهود كانت إلى قلب شبه الجزيرة العربية لأنهم لم ينزلوا بغير المدن والقرى التى تحميهم فيها الآطام والأبنية فنزلوا تيماء وفدك وخيبر ويثرب.

وأما هجرة النصارى فلم تصل إلى داخل شبه الجزيرة العربية عِشْرَة كبيرة منهم. ولم يأتها قوم بلسان غير اللسان العربى كما حدث فى هجرة اليهود(٢).

ومن ثم ذكر الدكتور حنفى حسنين ما نَصُّه:" والذى نعرفه يقينا أن أهل المدينة فى عصر الرسول ﷺ كانوا عربا ويهودا وكان العرب فيها ينقسمون إلى قبيلتين كبيرتين هما: الأوس والخزرج وبينهما صلة قربى معروفة.

وكان اليهود يعيشون فيها قبائل بلغت نيفا وعشرين قبيلة وقد اشتهر من بينها قبيلتا قريظة والنضير"(٣).

الرأى الثانى: أن المراد بآية البقرة اليهود أيضا ففيها يقول الزمخشرى:" يحتمل أن يراد بهؤلاء -يعنى : والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك- مؤمنوا أهلِ الكتاب كعبد الله بن سلام وأحزابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحى أُنزِل من عند الله... فيكون المعطوف غير المعطوف عليه.

ويحتمل أن يراد وصف الأولين؛ وَوَسَّطَ العاطف على معنى: أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه"(٤).

---

(١) انظر فى الأدب الجاهلى ص ٧٩.

(٢) انظر مطلع النور ٤٨: ٧٧.

(٣) حسان بن ثابت ص٢٠.

(٤) الكشاف ١/٣٢: ٣٣، وانظر تفسير القرآن الحكيم ١/١٣١: ١٣٧، ١٩٢: ١٩٤.

والأول هو المروى عن ابن عباس وابن مسعود كما فى روح المعانى.

وإذا كان المراد: أهل الكتاب فالمعنى هنا اليهود فقط بدليل التمثيل بعبد الله بن سلام بل ذكر الزمخشرى أنه ومن معه هم المقصودون بآيتى النساء رقم ١٣٦، ١٦٢[١].

وعلى ذلك يكون المراد بالكتاب الذى أنزل من قبل القرآن هو الإنجيل. بل هناك آية فى البقرة قد نصت على أن اليهود قد كفروا بالإنجيل والقرآن معا. وهى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ وفيها يقول أستاذنا الدكتور: محمد عبد الله دراز: " انظر إلى التعبير عن القرآن بلفظ (بما وراءه) فإن لهذه الكلمة وجها تعم به غير القرآن ووجها تخص هذا العموم. ذلك: أنهم كما كفروا بالقرآن المنزل أى جاء بعدها ولكنهم لم يكفروا بما قبل التوراة من صحف إبراهيم مثلا"[٢].

وبهذا كله يثبت أن (من قبل) تفيد التعقيب بين القرآن وما أنزل من قبله. ثم إما أن يراد الإنجيل وحده. وإما أن يراد جميع ما سبق من الكتب السماوية.

٦٠- نسى:

فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ... ﴾ ٥٣ الأعراف.

---

(١) انظر الكشاف ١/٤٤٦، ٤٥٧.

(٢) النبأ العظيم ص ١٣٣.

وفى الآية من قبلها: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥٢ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ..... ﴾.

يقول الزمخشرى:" فصلناه على علم: عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه؛ حتى جاء حكيما فى غير ذى عوج... (إلا تأويله): إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه مِنْ تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد. (يقول الذى نسوه من قبل) أى تركوه عناد واستهزاء (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين ووضح أنهم جاءوا بالحق"(١).

ولا يخفى ما فى التعبير بـ (من قبل) من طى المسافات البعيدة بين الحاضر والماضى واستحضار عملهم الذى جنى عليهم وهو ترك الطريق المستقيم إلى طريق الغواية من الشيطان الرجيم. وهل ينفع هناك ندم أو يُسْمَع أنين مكروب؟!

٦١- نفق: فى أربع آيات هى:-

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ ٢٥٤ البقرة. وقوله:﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾. وقوله: ﴿ لا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ ١٠ الحديد. وقوله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن

---

(١) الكشاف ٢/٨٦.

قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ١٠ المنافقون.

فالتعبيـــر بـــــ (من قبل) فى سياق الأمر بالإنفاق فيه استنهاض للهمم وحث على المبادرة والمسارعة إلى تقديم ما ينفع المنفق من بذل وعطاء يكون ذخراً له يوم القيامة. ولذا لا ينبغى أن يُسَوِّف هذا الإنفاق لأن الإنسان لا يدرى متى تدركه منيته فتنقطع أمانيه ولا تنفعه أطماعه.

٦٢- هـــدى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ٨٤ الأنعام.

وصـــدر هـــذه الآيـــة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ... ﴾.

ومما ينبغى التأمل فيه ذكر المفعول أولا فى (كلا هدينا) و (ونوحا هدينا من قـــبل) لـــيدرك المتأمل مدى الاهتمام والعناية بالمهدى لأن هداية الله عز وجل تعم الجمـــيع بمعنى: أن الجميع يمكنهم أن يحصلوا عليها إذا ما سلكوا سبيلها. والشأن حينئذ لمن يترك الضلالة ويسلك سبل السلام والهداية.

فإبـــراهيم وابـــنه إســـحاق وحفيده يعقوب. ممن اختصوا بهذه الهداية ولعل المقصود بها النبوة. ومن قبلهم نوح فهو ممن اختصهم الله بالنبوة. بل مَيَّزَهَ بطول مـــدة إقامـــته بـــين قومه يدعوهم إلى الحق وينأى بهم عن الباطل. وكأنى بالتعبير (ونوحا هدينا من قبل) يجعل القارئ مستحضرا نوحا مع إبراهيم وإبنه وحفيده. ولا

غـــرابة فى ذلك إذ الأنبياء صف واحد يعمل لغاية واحدة لأنهم أرسلوا إلى أقوامهم بدين واحد.

هل هناك تلاحم وانسجام أعلى وأقوى وأهدى من ذلك؟!

٦٣- هزأ: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١٠ الأنعـــام، ٤١ الأنبياء. وقوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ ٣٢ الرعد.

فـــنص آيتي الأنعام والأنبياء متحد لأنهما مكيتان. وأما آية الرعد فمدنية فمن ثم كان الجزاء فى المكيتين عقب الاستهزاء فمشهد الاستهزاء بالرسل حاضر ماثل للأذهـــان إذ قـــوله (من قبلك) استحضار لهؤلاء الرسل ويعقبه بلا مباشرة معاقبة جزاء الاستهزاء بالساخرين. وهكذا يكون المشهد ذا طلقات سريعة. لأن الدعوة فى بدئها تحتاج إلى صيانة ومحافظة حتى يتمكن من نفوس أصحابها كمالها وجلالها.

وأما آية الرعد فلأنها مدنية لمَ يُعَقِّب وَقْعَ العذاب صفة الاستهزاء وإنما الذى يعقـــبها هـــو الإمـــلاء للمـــستهزئين وإرخاء العنان لهم ومن ثم جاء بـــ (ثم) التى للتراخـــى فهـــى توحى بأن الإملاء تطول مدته حتى يظن المستهزئون أنهم ناجون وحينئذ يأخذهم العذاب بغتة.

وأغلب الظن – إن لم يكن أقوى اليقين- أن القارئ يذكر ما قيل فى مثل هذه الآيـــات من احتمال كون (من قبلك) صفة لـــ (رسل) ولكن ذلك بعيد لأن (رسل) ذوات و (من قبلك) زمان. فلا مناص إذاً من ارتباط هذا الظرف بالفعل (استهزئ).

٦٤- هلك: في سبع آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ ٦ الأنعام. وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ... ﴾ ٥٥ الأعراف. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ ١٣ يونس. وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ ١٣٤ طه. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ ٧٨ القصص. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ ٢٦ السجدة. وقوله: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ٣ ص~.

وهذه الآيات نوعان:

أحدهما: باشَرتْ (مِنْ) الفِعلَ (أهلك) وذلك في أربع آيات: هي آية الأنعام وآية القصص وآية السجدة وآية ص~.

والأخر: فُصِل بين الفعل و (مِنْ) بالمفعول به وذلك في ثلاث آيات هي:

آية الأعراف (أهلكتهم من قبل) وآية يونس: (أهلكنا القرون من قبلكم) وآية طه~:" ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله..."

وكـــم ذكرنا أن هذا الفصل لا يترتب عليه شئ من حيث تعلق الظرف (من قبل) بالفعل. وهذا التعلق يقتضى من القارئ استحضار صورة المهلكين لأن (من) للتعقـــيب أى أن هؤلاء المهلكين على ذكر من القارئين أو الذين نزلت تلك الآيات على الرسول محمد ﷺ وهو بين ظهرانيهم. ومن ثم تكون العظة أبلغ ووقع الآيات فى النفوس أعمق.

تتمه:

لقد تعودنا من النصوص القرآنية ألا تكون ذات جرس واحد ونسق متحد وإن اســـتعمل كثيرا بل يأتى بين الفترة والفترة آية تكون. ذات صيغة مختلفة فلا تذكر فـــيها (مِـــنْ) مع تكرارها فى عدة آيات. ولم يكن ذلك ليفوت علماءنا ذوى البصر النفاذ والبصيرة اللماحة. وفى مقامنا هذا رأينا آية لم ترد فيها (من) مع (قبل) وهى قـــوله تعالـــــــى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ ١٢٨ طه. على حين ذكرت (من) فى الآية رقم ١٣٤ من السورة ذاتها (ولـــو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله..). بل إن (من) وردت فى آية السجدة مع اتحاد نـــصيهما تقريبا إلا فى ذكر (مِنْ) وعدمه. وهى قوله (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم". ففى آية طه (أفلم) وفى هذه الآية (أو لم).

وهذا ما هدى الله إليه الخطيب الإسكافى لبيان الفرق بين ما ذكرت فيه (مِنْ) وما لم تذكر فقال:" إن القائل إذا قال (كم أهلكنا قبلهم) فكأنه قال: فى الزمن المتقدم

علـــى زمانهم. وإذا قال (من قبلهم) فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذى قبل زمانهم. والزمان من أوله إلى آخره ظرف للإهلاك لا يختص به بعض دون بعض"[١].

أرأيت أيها القارئ أثر وضع الكلمة (من) فى نص لأن المعنى يقتضيه وعدم وضعها فى نص آخر لأن المعنى لا يقتضيه. إن فى ذلك لآيات لأولى النهى.

٦٥- وعد: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٨٣ المؤمـــــنون. وقــــوله: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٦٨ النمل.

وممـــا يلفـــت الذهن نظير ما سبق آنفا فى ذكر (مِنْ) وعدمه غير أن المراد اختلاف مكان الكلمة فى آية عن أخرى. فالنوع الأول يتعلق بذات الكلمة من حيث ذكـــرها وعدم ذكرها. والنوع الثانى يتعلق بمكان الكلمة والمراد هنا اسم الإشارة (هذا) ففي الآية الأولى ذكرت بعد (نحن وآباؤنا) وفى الثانية ذكرت قبلها. ولم يكن ذلك ليفوت عقول علمائنا دون تأمل وتفكر ولذا رأينا الزمخشرى يقول :" التقديم – يعنـــى فى آية النحل- دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر؛ وأن الكلام إنما سبق لأجله؛ ففى أحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذى تعمد بالكلام. وفى الأخرى دل على اتخاذ المبعوث بذلك العدد"[٢].

---

(١) درة التنزيل ص ٢٣٥.

(٢) الكشاف ٢٩٩/٣.

والذى يعنيه الزمخشرى بالبعث والمبعوث هو الآيتان اللتان قبل هاتين الآيتين ففى سورة المؤمنون قوله :﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ٨٢، ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ ... الآية ﴾ ٨٣.

وفى سورة النمل قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ ٦٧ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ .. الآية ﴾ ٦٨.

ففى آيتى المؤمنون ذكر المبعوث أى الكافر الذى كان لا يظن أنه يبعث أولا والبعث آخرا (هذا) فالمشار إليه به هو البعث الذى يدركه العقل من النص. وفى آيتى النمل ذكر (هذا) أول وهو الإشارة إلى البعث. وذكر المبعوث (نحن...) آخرا.

وبهذا يتحقق ما قرره علماؤنا منذ نشأة البحث اللغوى والدرس النحوى إلى الآن من أن (لكل كلمة مقام) و (لكل مقام مقال). فهذه أصول رواسخ وقواعد ثوابت لا تختل ولا تعتل مهما طال الزمان وتعاقب البحث والدرس تعاقب الأجيال. أما (من قبل) فمقامه مقام استحضار صورة الرسل مع قومهم فكأنهم ماثلون بين ظهرانينا شاخصون نراهم ونبصرهم وهم يوعدون أممهم وينذرونهم سوء عاقبة كفرهم وعنادهم ثم يأبى هؤلاء إلا الاستهزاء بذلك كله.

٦٦- وفـاة:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ ٦٧ غافر.

يقول الزمخشرى:" أى من قبل الشيخوخة -يعنى قوله : لتكونوا شيوخا- أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا"(١).

يعنى فى المراحل السابقة على إخراجه طفلا. وهى المذكورة فى قوله " هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم يخرجكم طفلا... الآية".

هـذا وفـى سـورة الحج قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ... ﴾ ٥ الحج. ولم يرد (من قبل) هنا ولعل السر فى ذلك أن سورة غافر مكية فذكر فيها دون الحج لأنها مدنية لعلمه مما سبق نزولا. وكم نبهنا إلى مثل ذلك مما يدل على أن فهـم آيات القرآن لابد فيه من استحضار الآيات المتعددة فى المعنى الذى يظهر بـادئ ذى بدء أنه واحد ولكن الحقيقة أن لكل آية معنى ومدلولا يختلف – ولو من طـرف خفى- عن غيرها. فـ (من قبل) فى آية غافر يدرك معناها العقل فى آية الحج.

بـل إنـك لتجد فى آية الحج ما يدركه العقل فى آية غافر. ففى الأولى نرى قـوله :" ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم. ونقر فى الأرحام مـا نشاء إلى أجل مسمى. ثم نخرجكم طفلا". وأما الثانية ففيها :" ثم من مضغة ثم من علقة ثم نخرجكم طفلا..." فلم يذكر المضغة ونوعيها. ولم يذكر العلة فى تطور خلـق الجنين فى الرحم من حال إلى حال وهى (لنبين لكم) وأخيرا لم يذكر أن الله يقر فى الأرحام ما يشاء إلى أجل مسمى. وربما يكون المراد بذلك أن بعض النطف وسـائر تطـور خلق الجنين حتى يكتمل يستغرق من الزمان – بقدرة الله وبعلمه- أكبر من المدة المعهود وهى تسعة أشهر. والله أعلم.

---

(١) الكشاف ١٣٩/٤.

ومـــن يـــتحقق بمـــا لا شـــبهة فيه أن العلاقة بين نصوص القرآن التكامل لا التقابل.

٦٧- ولـــى:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا ﴾ ١٦ الفتح. وصدر هذه الآية: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا ....إلخ﴾.

والذين خُلِّفوا من الأعراب هم من تخلفوا عن الحديبية (ستدعون إلى قوم..) يعني: بني حنيفة قوم مُسَيْلِمَة وأهل الردة والذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه.. وهـــذا دليل على إمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه. فإنهم لم يدعوا إلى حرب فـــى أيام رسول الله ﷺ ولكن يعد وفاته.. لقوله تعالى: ﴿ لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ ٨٣ التوبة.. ثم قال: ﴿ وإن تتولوا- أى عن القتال مع أبـــى بكـــر رضى الله عنه- كما توليتم من قبل _ أى فى غزوة الحديبية- يعذبكم عذابا أليما... ﴾(١).

فالظـــرف (من قبل) يثبت التعاقب بين غزوة الحديبية وحرب الردة فى عهد الخليفة الأول رضى الله عنه فهى آخر غَزْوة حضرها رسول الله ﷺ ولم يكن بعده إلا سرايا.

(١) انظر الكشاف ٢٦٨/٤.

أساليب أخرى لاستعمال (من قبل)

هناك نوعان من أساليب (من قبل) اشتمل كل نوع على عدة آيات وبيان ذلك:

النوع الأول في: خمس آيات هي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾.

وصـــدر هذه الآية: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ... ﴾ إلخ. وفيها يقول الزمخشري:" ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى.

وقــرئ (كتاب موسى) بالنصب. ومعناه: كان على بينة من ربه وهو الدليل علـــى أن القــرآن حق (ويتلوه) ويقرأ القرآن (شاهد منه) شاهد ممن كان على بينة كقـــوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ ١٠ الأحقـــاف ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ٤٣ الرعد.

(ومن قبله كتاب موسى) ويتلو من قبل القرآن والتوراة (إماما) كتاب مؤتما به في الدين قدوة فيه"[(١)].

ومن هذا النص يتبين أمران:

(١) الكشاف ٢/٣٠١.

أحـــدهما: أن (كتاب موسى) على قراءة الرفع فاعل لفعل لم يذكر لعلمه مما ذكـــر وهو (يتلو). فقد ذكر فى قوله (ويتلوه شاهد منه) ويتلو ذلك من قبل القرآن كتاب موسى. ففى الآية (بينة) وهى ما وضحه الزمخشرى بقوله (البراهن) والمراد به دليل العقل فهو الذى يبين أن دين الإسلام حق. ويتبع ذلك البرهان شاهد منه أى شـــاهد يشهد بصحته وهو القرآن (مِنّ) أى من الله. أو شاهد من القرآن كما تقدم ذكره آنفا. ففى النص بلاغة الإيجاز.

الثاني: على قراءة النصب يكون معنى (يتلو) يقرأ لا (يتبع) والمراد بـــ(شاهد مـــنه) أى ممن كان على بينة من ربه. وهو الرسول ﷺ فهو الذى كان يقرأ كتاب موسى من قبل القرآن.

وعلى كل فالظرف (من قبل) فيه دلالة على مباشرة القرآن للتوراة والتعقيب بينهما كما مرت إشارات إلى ذلك لأن الإنجيل كان متمما للتوراة.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ ١٢ الأحقاف

وإنما قدمتها على ما بعدها للعلاقة الوثيقة بينها وبين آية هود.

وفـــيها يقول الزمخشرى:" كتاب موسى: مبتدأ و(من قبله) ظرف واقع خبرا مقـــدما علـــيه وهو ناصب (إماما) على الحال. كقولك: فى الدار زيد قائما. وقرئ (كتاب موسى) بالنصب على: وآتينا الذين قبله التوراة"(١).

وأرى أنـــه لا داعى إلى دعوى التقديم والتأخير إذ الظرف (من قبله) صالح لرفع (كتاب موسى) و (إماما) حال وناصبه الظرف أيضا. فهو رافع ناصب وهذا أجدر بملائمته جلال القرآن.

---

(١) الكشاف ٢٣٨/٤.

وبهاتين الآيتين – آية هود وآية الأحقاف– يتبين مدى التعاقب والمباشرة بين القــرآن والــتوراه. أما الإنجيل فهو كتاب لبنى إسرائيل أيضا والمرسل له المسيح عيسى ابن مريم.

٣- قوله تعالى: لِلَّهِ﴿ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ ٤ الروم.

وهــذه الآيــة واضح فيها رفع الظرف (لله) لما بعده وهو (الأمر) فلا داعى لدعــوى الــتقديم والتأخر. أما (من قبل) فهو ظرف مرتبط بما فى (لله) من معنى الاختــصاص. والمراد بالذى من قبله ومن بعده هو (غَلَبُ الروم) ثم (انتصارهم). أى من قبل هزيمتم ونصرهم.

٤- قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾ ٤٦ الذاريات

٥- قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾ ٥٢ النجم.

وفــى الأولى يقول الزمخشرى: " وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه. أو واذكر قوم نوح"(١).

ومــثله يقال فى آية النجم نهى فى سياق قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ . وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ . وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾..

---

(١) الكشاف ٤/٣٢١.

ولابد من ملاحظة الفرق بين الآيتين لأن الأولى لم يذكر فيها الفعل (أهلك) وإنما يدركه العقل من السياق. وأما الثانية فقد صرح بها فقوله (وقوم نوح) معطوف على المتصوب الأول (أهلك عادا... إلخ). فهو ملفوظ لا ملحوظ.

النوع الثاني: ورد ستًّا وثلاثين مرة في خمس وثلاثين آية. و(من قبل) فيها صلة للموصول. وتلك الآيات هي:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ٢١، ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ ١١٨، ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ١٨٣ البقرة. وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ١١آل عمران. وقوله: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ٢٦ النساء. وقوله: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ١٤٨ الأنعام. وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٥٢، ٥٤ الأنفال. وقوله: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ ٦٩، ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ٧٠ التوبة. وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٩ يونس.

وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ١٠٩ يوسف. وقوله: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ٤٢ الرعد. وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٩ إبراهيم. وقوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ ٢٦ ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٥ النحل. وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. ﴾ ٥٥، ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٥٩ النور. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣ العنكبوت. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٩، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ ٤٢ الروم. وقوله: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٤٥ سبأ، وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٢٥ ، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً ﴾ ٤٤فاطـــر. وقـــوله: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَـٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ٢٥، ﴿ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ ٥٠، ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴾ ٦٥ الزمـــر. وقـــوله: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ٨٢ غافر. وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ ٣ الـشورى. وقوله: ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ٣٧ الدخان. وقوله: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ١٠ محمـــد، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾ ٥٢ الذاريات. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ٥ المجادلة. وقوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ١٥ الحـــشر. وقـــوله: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ١٨ الملك.

ومن هذه الآيات ما هو واضح الدلالة على المراد به ومِنْ ثَمَّ رأينا أن نمسك القلم عن كتابة شئ فيه إذ ما نذكره فيما يحتوى على غموض أو إيهام سيوحى إلى ذهن القارئ أن يستكمل فهم ما قصر ذهنه عن إدراكه. فلعلك أيها القارئ قد علمت من مصاحبتك إياى فى رحلة آيات (من) قد حفظت أن العلاقة بين آيات القرآن على وجه العموم هى التكامل لا التقابل. وأن هذا التكامل إما بتكملة نص. وإما بإتمام معنى. وإما بالدلالة على حكم... إلى غير ذلك.

وقبل أن نتناول تلك الآيات التى نبهنا على شئ فيها يستوجب هذا التناول ينبغى أن يقرر ما يتبادر إلى الذهن ويدركه العقل لأول وهلة من نصوصها ألا وهو أن نصها (الذين من قبلهم) لا يمكن أن يتسرب إلى ذهن القارئ ولو خيطا رفيعا أو وهما ضئيلا بين نقص فى لفظة أو فى معناه. فـ (الذين) موصول محتاج إلى صلة تتمم معناه حتى لا يحتاج قارئه إلى شئ.

ولكن النحاة حينما دونوا قواعد النحو كان يعتريهم أحيانا ما ينحرف بأفهامهم ثم بألسنتهم أو أقلامهم عن صراط لغة العرب المستقيم ومنهجها القويم. ومن ثم راحوا يلتمسون أشياء فى مثل هذه الآيات ثم يستوحونها من خيالهم متوهمين أن فى نصها شيئا ناقصا فأبوا إلا أن يكملوه. وهذا الشئ هو تقديرهم فعلا ترتبط به (من) أى الذين كانوا من قبلهم مثلا.

وبالتأمل فى (كانوا) التى قدروها يدرك العاقل أن المقام ليس فى حاجة إليها. إذ من الذى يقرأ (الذين من قبلكم) ولا يمتلئ ذهنه ويقتنع عقله وترتاح نفسه ويطمئن فؤاده بالذين من قبلهم فهم محكوم عليهم بالوجود من قبل المخاطبين؟!

إن هذا الأسلوب أورده القرآن ليكون تعبيرا جديدا لم يألفه العرب وفيه من الإيجاز ما لا يرد فى كلامهم.

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٢١ البقرة.

المشهور لدى من درسوا القرآن الكريم وذكروا مكيه ومدنيه أنهم يحكمون على المكى بأنه ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدنى ما نزل بالمدينة ثم استنبطوا أن ما يرد فيه (يا أيها الناس) مكى وما يرد فيه (يا أيها الذين آمنوا) مدنى.

ولو أخذنا بهذا الرأى واتجهنا هذا الاتجاه لكانت آية البقرة (يا أيها الناس) مخالفة لذلك لأنها فى سورة مدنية فكيف يرد فيها ذلك التعبير؟!

ولذا رأينا بعض المحققين المدققين ينحون منحى آخر فى تحديد المكى والمدنى فيجعلون المكى ما وقع خطابا لأهل مكة والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة لأن الغالب على أهل مكة كان الكفر فخوطبوا (يا آيها الناس) وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا (يا آيها الذين آمنوا). أفاده الشيخ بهاء الدين بن عقيل"(١).

وفى آية البقرة ثلاث قراءات (أولها) (والذين من قبلكم) بـ (من) الابتدائية وهى حرف إضافة. ومعنى (خلق): أوجد الشئ على تقدير واستواء يقال: خلق النّعل إذ قدرها وسواها بالقياس"(٢).

---

(١) انظر هامش الكشاف ٦٨/١.

(٢) الكشاف ٦٩/١.

ويقول أبو البقاء:" من: هنا لابتداء الغاية فى الزمان، والتقدير: والذين خلقهم من قبل خلقكم؛ فحذف الخلق وأقام الضمير مقامه"(١). وهنا يتضح مدى تدخل النحاة فـــى النص القرآنى لا لشئ إلا ليطابق ما قعدوه وما دأبوا عليه من أمور تنأى بلغة العرب عن محيطها الواسع وصفائها الرائع ونسقها البديع. وما حمل أبا البقاء على هـــذا إلا لأن (من قبلكم) ليس مذكورا فيه فعل فلا يصح أن يكون صلة لموصول. وسرعان ما استجاب أبو حيان لهذه الصيحة فوجدناه يقول:" وفى كون (من قبلكم) صلة (الذين) إشكال لأن (الذين) أعيان و (من قبلكم) جار ومجرور ناقص ليس فى الإخـــبار بـــه عـــن الأعيان فائدة؛ وكذلك الوصل- أى الصلة- به إلا على تأويل؛ وتأويلـــه أن ظرف الزمان إذا وصف صح وقوعه خبرا نحو: نحن فى يوم طيب. كذلك يقدر هذا – لعله : هنا- والذين كانوا من زمان قبل زمانكم وهذا نظير قوله : " كالذين من قبلكم" ٦٩ التوبة (٢).

وهذا ما نبهنا إلى عدم ملائمته للغة العرب عامة ولغة القرآن خاصة. وللعقل أن يـــشرح معنى الآية بما ترتاح إليه النفس ولكن لا يفرض ما يذكره الشارح إلى نص القرآن تحت أى زعم كان؟

والـــذى ينبغـــى الحرص عليه والتزام الإرشاد إليه وهو بيان قيمة (مِنْ) فى الدلالة الا وهى أنها كلمة استوعبت الزمان كله منذ زمان المخاطبين إلى زمان آدم عليه السلام. أى من الحاضر إلى الماضى السحيق؛ وحسبك بهذا دليلا على الإيجاز والإعجاز.

القراءة الثانية: قراءة ابن السميفع وهى:" الذى خلقكم وخلق من قبلكم"

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٣/١ وانظر إرشاد العقل السليم ١٨٦/١ هـــ الرازى.

(٢) البحر المحيط ٩٥/١.

القـــراءة الثالثـة:" والذين من قبلكم" بفتح ميم (من) وبذلك تحولت من حروف الإضـــافة إلـــى الأسماء الموصولة. وتلك عجيبة من عجائب اللغة العربية. تتعدد معانى جوهر الكلمة بتعدد حركات أحرفها. وقد تناولنا ذلك فى مستهل فصل الكلام عـــن (مـــن) التـــى يـــزعمون أنهـــا زائـــدة وتلك قراءة زيد بن على. وقال عنها الزمخـــشرى:" وهـــى قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال: أقحم الموصول الثانى بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم فى قوله:

يَاتَيْم تَيْمَ عَدِىٍّ لا أَبَالَكُم

تيما الثانى بين الأول وما أضيف إليه. وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه فى: لا أبالك...." (١).

وبأدنى التفاته ذهنية يدرك القارئ الواعى المتنبه ما فى هاتين القراءتين من افتئات على نص القرآن وزعم تقدير شئ فيه هو أنأى ما يكون عن الاحتياج إليه. إذ مـــا معنى إقحام كلمة بين كلمة مناظرة لها وغيرها؟ ثم ما معنى ذكر (خلق) مع (من قبلكم)؟!

إن الإقحـــام لـــو استساغته بعض العقول فى الشعر فلا ينبغى استساغته فى أعلـــى نص عربى وهو القرآن. وكذلك تقدير (خلق) فى الآية لا حاجة إليه إذ قوله تعالى: " اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم"

واضح المعنى بحيث يدركه المبتدئ فى الدرس النحوى لأن (الذين) معطوف على علامة الإضمار (كُمْ) فى (خلقكم) والعامل فى المعطوف عامل فى المعطوف علـــيه. فكـــيف يستبيح عَقْلٌ أيّاً كان تقدير شئ موجود نصه ولفظه فى الأسلوب؟! أليس هذا قائما على قاعدة (لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير)؟!

---

(١) الكشاف ٦٩/١.

٢- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ ١١٨ البقرة.

والمراد بـ (الذين لا يعلمون) إما الجهلة من المشركين وإما الجهلة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ونفى العلم عنهم بعدم علمهم بما جاء فى الرسالة الخاتمة. ومن ثم: اقترحوا أن يكلمهم الله كما يكلم الملائكة أو كما كلم موسى عليه السلام. استكبارا منهم وعتوا.

أو أن تأتيهم آية. لأنهم جحدوا ما أتاهم من آيات الله واستهانوا بها ثم قال الله (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) أى مثل ذلك الذى قالوه قاله الذين لا يعلمون..."(١).

وفى إعراب الكاف هنا كلام لا يروقنا أغلبه ولذلك نمسك عن ذكره. ومما ينبغى التنبيه إليه أن أبا حيان قد تَقَوَّلَ هنا على الزمخشرى ما لم يقله حيث قال: "وقال الزمخشرى: أى مثل ذلك الذى سمعت على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل أهل دين ليسوا على شئ. وهو توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم"(٢).

فهذا النص لا اثر له ولا وجود فى الكشاف عند الكلام على هذه الآية لست أدرى من أى مصدر أتى به أبو حيان.

---

(١) انظر الكشاف ١/١٣٥: ١٣٦.

(٢) البحر المحيط ١/٣٥٣.

هــذا: وارجـــح الأقــوال – إن لم يكن هو الصواب- فى إعراب الكاف من (كذلك) أنها مبتدأ إذ هى بمعنى (مثل) وقد حققنا ذلك فى الباب الأول تحقيقا لا يقبل شــكا إلا ممن تمكنت من عقله قواعد النحاة المخترعة المبتدعة ثم المفروضة على نصوص اللغة قرآنا غيره.

فهـــى فـــى محل رفع أى مثل ذلك. وجملة (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) خبـــر ونصب (مثل قولهم) على أنه مفعول مطلق إذ (مثل) أضيفت إلى (قول) كما يقال: ضربت مثل ضرب المؤدب. وهناك علامة إضمار يدركها العقل في قوله (لا يعلمون) أى لا يعلمونه.

وبالـــتأمل فـــى هـــذا الشرح والبيان يدرك القارئ الفرق بين صياغة القرآن ونصبه وما نشرح به تلك الصياغة وهذا النص. كما تستيقن نفسه أنه لا غبار على هـــذا الإعراب. ولكن أبا حيان يضرب فى وادى النحاة فيزعم أن استعمال الكاف اســـما ضعيف ولا يجوز ذلك عنده إلا فى ضرورة الشعر. وذلك منه استمساك بما أشار إليه سيبويه[١].

وقـــد أعطينا ذلك كله حقه من التحقيق الذى يثبت مدى فرضه على نصوص العـــربية والشأن فى قواعد اللغة أن تكون نابعة منها صادرة عنها وبعد: فهل تجد نفسك أيها القارئ فى حاجة إلى تقدير شئ فى هذه الآية عند (قال الذين من قبلهم)؟ ألـــيس النص دالا على معناه محيطا به؟! ثم أليست (من) مستغرقة الزمان كله منذ بعثة الرسول الخاتم محمد ﷺ إلى أول رسول أرسله الله إلى بنى آدم؟!

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٥٣/١.

يقـــول القرطبى:" إذا قلنا بأن (الذين لا يعلمون) جهلة المشركين كان المراد بــــ (الـــذين مـــن قبلهم) اليهود والنصارى، وإذا قلنا بأنهم النصارى كان المراد بـــ(الذين من قبلهم): اليهود"(١).

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ ١٨٣ البقرة.

وظاهر هذه الآية أن المراد بـــ (من قبلكم) هم اليهود والنصارى لأن رسالة المـــسيح علـــيه الـــسلام متممة لرسالة موسى عليه السلام وهما معا إلى اليهود ثم اختص من اتبع المسيح بصفة النصارى.

ولكـــن علماءنـــا قد ذكروا عدة أوجه فابن جرير الطبرى يقول:" وأولى هذه الأقـــوال بالـــصواب قول من قال: معنى الآية: كما فرض على الذين من قبلكم من أهـــل الكتاب أياما معدودات وهى شهر رمضان... وقد روى عن السدى أنه قال:" أمـــا قوله (لعلكم تتقون) فمعناها: تتقون من الطعام والشراب والنساء مثل ما اتقوا يعنى: مثل الذى اتقى النصارى قبلكم"(٢).

وهـــنا نـــرى الطبرى يقتصر على ذكر النصارى على عكس ما ذكره فى صدر النص وهو: (أهل الكتاب) ولعل ذلك لما يعلمه العامة من أن النصارى كانوا يفعلون مثل ما يفعل اليهود.

ويقـــول ابـــن العربـــى:" فـــيه ثلاثة أقوال قيل: هم أهل الكتاب؛ وقيل: هم النـــصارى، وقـــيل: هم جميع الناس؛ وهذا القول الأخير ساقط لأنه قد كان الصوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٤٧٩، ط. الشعب.

(٢) جامع البيان ٢/٧٢: ٧٣.

علـــى من قبلنا لإمساك اللسان عن الكلام؛ ولم يكن فى شرعنا؛ فصار ظاهر القول راجعا إلى النصارى لأمرين:

(أحدهما) أنهم الأدنَوْن إلينا (الثانى) أن الصوم فى صدر الإسلام كان إذا نام الرجل لم يفطر وهو الأشبه بصومهم"(١).

وفـــى هـــذا إشارة إلى معنى (من) التى تفيد معنى التعقيب بين أتباع محمد صـــلى الله علـــيه وسلم وأتباع المسيح عليه السلام. ولكن ذلك فى نظرى لا ينبغى قصره على النصارى بل يجوز أن يشمل من عداهم ممن سبقهم.

فعهـــدنا بالعـــبادات فـــى الـــدين الإسلامى كالصلاة والصيام والزكاة والحج مفروضة على البشر منذ بدء الخليقة وإرسال الرسل.

٤- قـــوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ١١آل عمران ومنها ٥٢ الأنفال.

وإنمـــا ذكـــرنا هذه الآية ونظيرتها لإثبات أن الكاف اسم معرب محلا يقول الزمخشرى:" والكاف مرفوع المحل تقديره: دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم.

ويجوز أن ينتصب محل الكاف بـــ (لن تغنى) – يعنى فى الآية من قبلها: إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم..– أو بقوله فى آخرها:" وأولئك هم وقود النار" أى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك؛ أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول: إنـــك لـــتظلم الـــناس كدأب أبيك تريد: كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم، وإن فلانا

---

(١) أحكام القرآن، ق١، ص ٧٤.

لمحـــارف - بفتح الراء- أي محدود محروم خلاف (مبارك) كداب أبيه؛ تريد:كما حورف أبوه"(١).

فـصريح هذا النص يثبت أن الكاف اسم معرب محلا وهو إما في محل رفع أو فـي محل نصب و (من قبلهم) ظرف يفيد التعقيب و(الذين) في محل خفض إذ هو معطوف على (آل فرعون).

ومـثل الكاف في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ﴾ ٦٩ الـتوبة. وقـوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٩ يونس، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٣، ٣٥ النحل. وقولك: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٣ الشورى. وقـــوله: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ٥٢ الـذاريات. وقوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ ١٥ الحشر.

ومـثل هـذه الآيات أربع آيات دخلت فيها الكاف على (ما) في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ ٦٩ الـتوبة ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) الكشاف ١/٢٦٠: ٢٦١.

قَبْلِهِمْ﴾٥٥، وقـــوله: ﴿ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

٥٩ النور. وقوله: ﴿ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٥ المجادلة.

فهذه عشر آيات استعملت فيه الكاف. والمشهور أن هذه الكاف حرف إضافة ولا تكـون اسـما إلا فـي ضرورة الشعر كما سلف عن أبى حيان نقلا عن إمام النحاة سيبويه.

والحق أن القرآن حجة على سيبويه وعلى الشعر بل على غيرهما. ولذا رأينا رأى الزمخشرى هنا – وكم له من آراء كانت تتفق وجلال وجمال اللغة– فقد عرفنا أنـه جعـل الكاف في (كدأب) اسما إذ هى بمعنى مثل ومن ثم كانت ذا محل من الإعراب؛ رفعا كان أو نصبا. وقد قال فى آية التوبة:" كالذين من قبلكم...." الكاف محلها رفع على: أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على: فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو: أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا..."(١).

وقال فى آية يونس:﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٩. :" أى مثل ذلـك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى: قبل النظر فى معجزات الأنبياء؛ وقيل: تديرها من غير إنصاف من أنفسهم؛ ولكن قلدوا الآباء وعاندوا. وقيل: هو فى الذين كذبوا وهم شاكون"(٢).

وقال فى آيتى النحل: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٣٣، ٣٥ أى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب: فعل الذين من قبلهم"(٣).

---

(١) الكشاف ٢/٢٢٥.

(٢) الكشاف ٢/٢٧٣.

(٣) الكشاف ٢/٤٧٠.

وقــال فى آية الشورى: " كذلك يوحى إليك.." أى مثل ذلك الوحى، أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك وإلى الرسل(من قبلك) يعنى: أن ما تضمنته هذه السورة من المعانـــى قد أوحى الله إليك مثله فى غيرها من السور و أوحاه من قبلك إلى رسله. على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين. ولم يقل: أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته"(١).

وقــال فـــى آية الذاريات:" كذلك ما أتى من الذين من قبلهم..." ٥٢:" كذلك الأمر أى مثل ذلك. و(ذلك) إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا. ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى...).

ولا يـــصح أن تكـــون الكاف منصوبة بـــ (أتى) لأن (ما) النافية لا يعمل ما بعـــدها فـــيما قبلها. ولو قيل: لم يأت لكان صحيحا على معنى: مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول: إلا قالوا..."(٢).

وقـــال فى آية الحشر:" كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا..." ٥٢:" أى مثلهم كمثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعدواتهم لرسول الله ﷺ من قولهم (كلأ وبيل وضيم سيئ العاقبة) يعنى: ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا"(٣).

وفـــيها يقول أبو البقاء:" و (قريبا) أى استقروا من قبلهم زمناً قريبا؛ أو ذاقوا وبال أمرهم قريبا أى عن قريب"(٤).

---

(١) الكشاف ١٦٣/٤.

(٢) الكشاف ٣٢٢/٤.

(٣) الكشاف ٤٠٥/٤.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١٣٦/٢.

وقــد علمــنا أن هــذه الآيــات ليست فى حاجة إلى ما ذكره أبو البقاء وهو (اســتقروا) و (زمنا) إذ الظرف (من قبلهم) معناه: الاستقرار والتمكن فكيف نقدر معه ما هو بمعناه: وكذلك تقدير الموصوف (زمنا) فالآية فى أقوى الاستغناء عنه إذ من الذى يفهم من (قريبا) غير الزمان؟!

يــا أهل النحو رفقا بنصوص القرآن ففى ذلك الرفق كل الرفق بدارسى لغة القرآن. ولعل أبا البقاء قد تأثر بقول الزمخشرى (فى زمان قريب).

ففى هذه الآيات السبع رأينا الزمخشرى يدأب على تفسير الكاف بــ (مثل) ثم يجعلها ذات محل من الإعراب. وبالتأمل فى نصوصه ندرك أنها فى محل رفع فى آيــة التوبة. وآية يونس. وآيتى النحل. وآية الشورى. وآية الحشر. وأنها فى محل نصب فى آية الذاريات.

ومما ينبغى الوقوف عنده والتأمل فيه آية الحشر(كمثل الذين من قبلهم قريبا) فقــد علمنا أن (من قبلهم) معناه: التعقيب بين المُتَحدَّث عنهم ومن سلف زمانه على مختلف الدهور والعصور. وهذا فيه من القرب الشديد ما لا يخفى فلم ذكر (قريبا)؟

والجــواب نستوجبه من نص الزمخشرى وهو قوله (كوجود أهل بدر قريبا) فلو لم تذكر (قريبا) لاستقر فى ذهن القرأة أن (من قبلهم) يراد به الأمم التى أعقبتها أمــة محمــد ﷺ. ولــم يكــن ليرد على ذهن أحد أن المراد طائفة من تلك الأمة المحمديــة. فلما قال: قريبا. انتبه الذهن وأدرك العقل أن لهذه الكلمة إيحَاءً معينا لا يــستقيم معنــى الآية إلا به ألا وهو: أن التأمل فى عاقبة الظالمين المعاندين ليس مقــصورا على الأمم بل يشتمل على طوائف الأمة الواحدة. وكانت آية الحشر هذه تنبــيها عميقا وإشارة دقيقة إلى هذا المعنى. وبه يسلم النص مما عساه قد يرد على بعض الأذهان من أن (من قبلهم) و (قريبا) كان يمكن الاستغناء عن أحدهما. وكيف

يستساغ ذلك فى الكلام المعجز. وما طريق إعجازه إلا الإيجاز. فهل يجوز أن يكون فى الإيجاز إطناب؟ كلا ولا مساواة. فهل لنا أن نأخذ من هذه الآية قاعدة راسخة ونبنى عليها فهمنا للنص القرآني. وهل لنا أن نستشف منها هدى وضياء تسير عليها فى دراسة ذلك النص؟!

هذا: ويبقى الحديث على الآيات الأربع التى دخلت فيها الكاف على (ما) ومنها آيتان فى سورة النور (ليستخلفنهم كما استخلف الذين من قبلهم) (فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم). والثالثة قوله: (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) ٥ المجادلة.

والذي يرد إلى الذهن لأول وهلة أن (ما) فى هذه الآيات مصدر به أى: كاستخلافهم الذين من قبلهم. وكاستئذان الذين من قبلهم. وكَكَبْت الذين من قبلهم. والكاف فى محل نصب مفعولا مطلقا لإضافتها إلى المصدر والذى يدركه العقل من قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ ٦٩ التوبة. أن الله يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوه من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة. وأن يحسن أمر الاستمتاع ويهجن أمر الرضى به؛ ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم"(١).

فـ (ما) مصدرية أى استمتعتم كاستمتاع الذين من قبلكم .

ومن قوله تعالى (استخلف الذين من قبلهم) هم المؤمنون فى مختلف العصور مع عديد الرسل. ومن قوله (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) الكافرون مع أنبيائهم

---

(١) انظر الكشاف ٢٢٦/٢.

من لدن أمة الرسول الخاتم ﷺ إلى أول رسول أرسله الله إلى قومه فكفر به من كفر وآمن من آمن. فكان عاقبة الكافرين الكبت وهو: الإذلال والصرف عن الشئ يقال: كبت الله العدو بكبته إذا صرفه وأذله قال الله تعالى:" إن الذين يجادون الله ورسوله كبتوا.. الآية"[1].

وأمـــا (الذين من قبلهم) فى آية الاستئذان فيقول فيها الزمخشرى: "يريد الذين بلغـــوا الخلـــم من قبلهم وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ...﴾ ٢٧ النور[2].

فـــ (من قبلكم) يثبت المباشرة والتعقيب إن فى نوع المستأذن وهو الرجال وإن نوع الذى يريد دخوله المستأذن وهو المنزل أو البيت".

تتمه:

هناك صيغتان من مادة (ق ب ل) غير صيغة (قبل) وهما (قبل) و (قبل) وقد دخل عليها (من) فى القرآن وذلك:

فـــى قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٢٦ يوســـف. وقوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ ١٣ الحديد.

يقـــول الزمخشرى فى الأولى:" وقرئ فيها الضم (قبل) على مذهب الغايات والمعنـــى: مـــن قبل القميص. وأما التنكير (من قبل) فمعناه: من جهة يقال لها قبل

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥٢/٥.

(٢) الكشاف ٤٠٥/٤.

وعن ابن أبى إسحاق أنه قرأ (من قبل) بالفتح كأنه جعله علما للجهة فمنعه الصرف للعلية والتأنيث"[١].

ولا شـك أن هناك فرقا بين (قُبْل) و (قُبُل) فـ (قَبْل) تفيد زمانا سابقا. وأما (قبل) فهو خلاف (دبر) وقد ورد فى قصة سيدنا يوسف أيضا:" وإن كان قميصه قد من دبر.. الآية". وذلك أن مقدمه يقبل على الشئ"[٢].

فالقـد من قبل: يثبت أن المقدود مباشر لما هو عليه لا يفصل بينهما فاصل. وذلك من الأمام. بخلاف القَدّ من دُبُرٍ فهو من الخلف.

وأمـا آية الحديد فيقول فيها الزمخشرى:" وظاهره: ما ظهر لأهل النار (من قُبُلِه) من عنده ومن جهته : العذاب"[٣].

ويقـول ابن فارس:" يقال: فعل ذلك قبلا أى مواجهة؛ وهذا من قبل فلان أى من عنده كأنه هو الذى أقبل به عليك"[٤].

وفى هذه العبارة الأخيرة حجة بالغة على أن (من) مع هذا الظرف إنما تفيد التعقيب والمباشرة وهذا ما عبر عنه النحاة بـ (ابتداء الغاية).

والـذى يعنيـنا هنا – بعدما سلف ذكره- أن الحركة ذات أثر بالغ فى تعدد معانـى الكلمة الواحدة فـ (قَبْل) و (قُبُل) و (قِبَل) من مادة واحدة فهى جوهر واحد إن صـح التعبير. وأما يعانيها فمتعددة وما أصل التعدد إلا الحركة المتعددة. فلِكُلٍّ حـركته ومِـنْ ثَـمَّ كان للسكون معنى. وما أعجب لغة القرآن وما أغزر معانيها وأوفر مراميها.

---

(١) الكشاف ٣٥٩/٢.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٥١/٥.

(٣) الكشاف ٣٧٩/٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥٢/٥.

الظرف الخامس عشر: لدن

لدن فى اللغة:

يقـول سـيبويه:" وأما (لدن) فالموضع الذى هو أول الغاية، وهو اسم يكون ظـرفا يـدلك على أنه اسم قولهم: (من لدن). وقد يحذف بعض العرب النون حتى يصير على حرفين. قال الراجز – غيلان بن حريث الربعى:

يـستوعب التوعـين من جريرة ∴ مـن لـد لحيـيه إلـى مـنحوره[1]

يـريد الشاعر أن يصف طول عنق البعير. فجعل طول حبله كناية عن ذلك فهو بوعان. أى باعان والباع مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما فالحبل الذى يقاد به البعير من لحييه على موضع نحره مقدار باعين.

وقد حذف الشاعر النون من (لدن) مع نيتها بدليل أنه أبقى ضمه الدال[2].

١- ومن نص سيبويه هذا نستنتج أن (لدن) معناه أول الغاية على حد تعبير سيبويه؛ ولـم يوضح: هل هو أول غاية الزمان أو المكان. وقد وضح ذلك فى موضع آخر حيث قال: ومن ذلك قول العرب:

من لد شولا فإلى إتلائها

نَـصب لأنه أراد زمانا. والشول لا يكون زمانا ولا مكانا. فيجوز فيها الجر كقولك: من لد صلاة العصر إلى وقت كذا. وكقولك: من لد الحائط إلى مكان كذا.

فلمـا أراد الزمان حمل الشول على شئ يحسن أن يكون زمانا إذا عمل فى الشول.. كأنك قلت: من لد أن كانت شولا فإلى إتلائها.

---

(١) الكتاب ٤/٣٣٣: ٣٣٤.

(٢) انظر هامش الكتاب ٤/٣٣٤.

وقـد جـره قوم على سعة الكلام وجعلوه بمنزلة المصدر حين جعلوه على الحـين. وإنما يريد: حين كذا وكذا وإن لم يكن فى قوة المصادر لأنه لا يتصرف تصرفها"[١].

وعلـق السيرافى على هذا بما ملخصه:" المعنى أن (لد) إنما تضاف إلى ما بعـده مـن زمان متصل به؛ أو مكان إذا اقترنت بها (إلى) كقولك: جلست من لد صلاة العصر إلى وقت المغرب.

فلما كان الشول جمع (شائل) – الناقة التى تشيل بذنبها أى ترفعه للضراب– لـم تصلح أن تكون زمانا؛ فأضمر ما يصلح أن يقدر زمانا؛ فكأنه قال: من لد أن كانـت شولا. والكون: مصدر والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنة كقولك: جئتك مقدم الحاج، وخلافة المقتدر، وصلاة العصر على معنى: أوقات هذه الأشياء"[٢].

وبذلك يثبت أن (لدن) لأول الغاية زمانا ومكانا.

٢- ذكـر سيبويه أن الدليل على اسمية (لدن) دخول (من) الابتدائية عليه. و(من) هذه تدل على ابتداء الغاية فكيف تستعمل العرب (من لدن) وفيه كلمتان بمعنى واحـد ألا وهو ابتداء الغاية (زمانا أو مكانا). وعلى هذا سار النحاة من بعده. فـيقول الرضى:" لدن: مثل: عضد ساكنة النون هى المشهورة. ومعناها: أول غاية زمان أو مكان نحو: لدن صباح و:" من لدن حكيم" ١ هود. وقلما تفارقها (مـن). ثم ذكر اللغات فيها وقال: يلزمها فى جميع لغاتها معنى الابتداء؛ فلذا يلزماه (من) إما ظاهرة وهو الأغلب؛ أو مقدرة فهى بمعنى: من عند"[٣].

---

(١) الكتاب: ١/٢٦٤: ٢٦٥.

(٢) هامش الكتاب ١/ ٢٦٥.

(٣) شرح الكافية ٢/١٢٣.

٣- لعلك أيها القارئ علمت من مصاحبتنا فى هذه الدراسة أننا لا نرضى عن ذكر كلمتين بمعنى واحد. لأن شأن كلمات اللغة شأن ما يتعدد من المخلوقات كأوراق الشجر وأعضاء الجسم فليس هناك ورقتان فى شجرة متحدتان فى تكوينهما. كما أنه ليس هناك عضوان فى جسم كاليدين والرجلين وغير ذلك لا يوجد بينهما تفاوت ومفارقة. وتلك سنة الله فى خلقه. وليس لسنة الله تبديل.

ولذا أرى عدم المساواة فى المعنى بين قوله تعالى:﴿ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ١ هود. وبين أن تقول: ثم فصلت لدن حكيم خبير. وذلك بَيِّن واضح لا يخالف فيه إلا شاك مجادل. ففى الآية إثبات إحكام آيات القرآن ثم تفصيلها. وبعد ذلك تثبت (من) حركة للنص القرآنى بمعنى أنه نزل به الروح الأمين على قلب المصطفى الخاتم ﷺ فابتداء الغاية هو (الحكيم الخبير) مع اعتقادنا أنه منزه عن المكان والزمان. وأنتهاؤها هو (محمد الأمين) ولم تذكر لأن المقام ينطق بها بغير لفظ ولا قلم. وتلك سنة كلام الله مع عقل البشر يترك ما يدركه العقل ليكون هناك علاقة وثيقة واتصال حميم بين خلق الله – وهو العقل- ووحى الله- وهو القرآن.

٤- مما سبق يتضح بما لا غبار عليه ولا ليس فيه الفرق بين (من) و (لدن) وخلاصته أن (لدن) تدل على ابتداء الغاية دون تحريك لما وصف بها. فإذا دخلت عليها (مِنْ) حَرَّكتها فكأنها أرسلت الحياة فى حروفها فحييت من بعد موات. وتحركت من بعد سكون.

ولعل ذلك كله هو السبب فى ملازمة (من) لها غالبا فهى نفسها ونسقها. وهى مصدر حركتها وقوتها فإذا تجردت منها سلبت قوتها وضاعت حركتها وخمد نفسها وزهقت نَفَسُها.

وهكـــذا يكـــون تحقـــيق معاني كلمات اللغة العربية ولا سيما فى النصوص القرآنية وليس (من لدن) بدعا فى ذلك؛ بل إننا لو تأملنا مركبات اللغة كلها لأدركنا أن تلك صيغتها كلها لا يشذ عنها شئ ولا تضيق هى عن شئ.

وحسبنا الفعل مثلا. نحو: ضرب. فحينما ننطق به وحده ندرك معنى الحدث وهـــو الضرب. ولكن هذا المعنى يكون طَىَّ اللفظ لا يبرحه ولا يفارقه فإذا ما قلنا: ضرب محمد. أدركنا أن الحدث قد تحرك بعد سكون؛ إذ الفاعل قد أبرز معناه إلى ما تراه العين بعد أن كان ساكن العقل. ثم تزداد هذه الحركة لو قلنا: ضرب محمد المذنب. فهنا نكتمل الصورة بذكر عناصرها المادية التى تحرك بها اللسان أو جرى بلفظها القلم ثم تلقفتها الأذن من اللسان أو اقتنصها العقل من الخط.

أليس فى ذلك دليل على أن الكلمات كالإنسان سواء بسواء؟!

فـــإذا مـــا ظل الإنسان قابعا فى عقر داره قانعا بما يساق إليه من عناصر الحـــياة كـــان غيـــر ذى أثـــر فى الحياة لأنه خلق ليضيف إليها لا لينزف خيرها دون تعويض.

٥- ربمـــا أكـــون قد أسهبت بعض الشئ. ولكنى وجدتنى مضطرا إلى ذلك لأنى وجدت علماء النحو حينما يتناولون تركيبا مثل (من لدن) قد تلتوى بهم الطرق وتلتـــبس عليهم الأمور. فلا يجدون مخلصا ولا منجى من ذلك. ويكفينا فى مقامنا هذا ما كتبه أستاذ فاضل كان ذا باع طويل فى دراسة النحو فأثره لا ينكر بل يذكر فيشكر. ألا وهو الأستاذ عباس حسن فى كتابه (النحو الوافى).

فقـــد ذكـــر أن (لدن) لأول جزء من الغاية ثم قال: لكن قد يخطر على البال الـــسؤال الآتـــى: إذا كـــان لفظ (لدن) للدلالة على بداية الغاية فما الداعى لمجيء الحرف (من) قبله ومعناه الابتداء أيضا؟.

أجاب النحاة عن هذا إجابة غير مقنعة فقالوا: إن دلالة (لدن) على بداية الغاية ليست مألوفة فى الأسماء فجاء الحرف (من) ليكون بمنزلة الدَّالِّ على ذلك. ولهذا يكون فى الأعم الأغلب مذكورا. ثم قال: ولكن السبب الحق هو استعمال العرب القدامى دون تعليل"[١].

ثم قال: " إن (لدن) قد يتجرد للظرفية المباشرة ولكن الأغلب أن يخرج منها إلى شبه الظرفية بالجر بـ (من) ..."[٢].

فأستاذنا – هنا– بين أمرين:

أحدهما: أنه لا تعليل لذكر (من) مع (لدن) لأنها هكذا وردت عن العرب وذلك نظير قول النحاة: أَيٌّ كذا خلقت.

وتلك صفة تجرد لغة العرب عن أخص ميزة لها وهى: أنها تحمل فكرا وتمتلئ حسا يفيض منها إلى السامع أو القارئ فينهل من معنيها الصافى ويتلذذ بمعدنها الصادق. فلا يشبع من الأول ولا يقنع بغير الثانى.

الثانى: تجريد (لدن) عن الدلالة على ابتداء الغاية. حتى لا يتعارض ذلك باجتماع معنيين لكلمتين مكررتين. وفى هذا عيب ومنقصة لا تليقان بلغة الإيجاز والإعجاز.

وقد أجبنا عن ذلك بأن (لكل كلمة مع أختها مقام ومكانة) فلا تعدد للفظ بدون غزارة المعنى وفيض الدلالة.

---

(١) النحو الوافى ٣/ ١١٩: ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق.

آيات من (لدن):

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ ٤٠، ﴿ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ ٦٧ النـساء. وقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رشـداً﴾ ١٠ الكهف. وقوله: ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾ ٩٩ طه.

يقـول الزمخـشرى فـى آيتى النساء:" وإن تك حسنة: وإن يكن مثقال ذرة حسنة؛ وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث. وقرئ بالرفع على (كان) الـتامة (يـضاعفها) يـضاعف ثـوابها لاستحقاقها عنده الثواب فى كل وقت من الأوقـات.. والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها مـن عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه (أجرا) لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بإثباته".

ثـم يقول: " وإذاً: جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبـيت؟ فقـيل: وإذاً لـو ثبتوا لآتيناهم لأن (إذا) جواب وجزاء. (من لدنا أجرا عظيما) كقوله: (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) فى أن المراد العطاء المتفضل به من عنده؛ وتسميته أجرا لأنه ...إلخ"[1].

ومـن هذين النصين يتضح أن الزمخشرى قد فسر (لدن) بـ (عند) وربما يفهم فاهم أنهما بمعنى واحد. والحق _ كما حققنا ذلك _ أن بينهما فرقا ألا وهو أن (عـند) تفيد معنى الحضور بغير تحديد ابتدائه. أما (لدن) فقد علمنا أنها تفيد ابتداء

(١) الكشاف ٣٩٥/١: ٣٩٦، ٤١٠.

الحضور. غير أنها لا تحرك المراد إلا إذا عانقتها (من) وباشرتها. فلو قيل فى مثل هذه الآيات ويؤت لدنه وآتيناهم لدنا أجرا لدل ذلك على أن المعطى حاضر موجود فــى قدســية الله عــز وجــل. فلما ذكرت (من) حركت المعطى من المتفضل إلى المتفضل عليه.

٢- أخــذ:

فى قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ١٧ الأنبــياء. فــى الآيــة من قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ ١٦، فــيها ينفــى الله عز وجل:" أنه ما سوى السماء والأرض وما بينهما لاعبين" والمهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائــق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وســائر زخارفهم للهو واللعب؛ وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التى لا تعد والمرافق التى لا تحصى.

ثــم بــين أن السبب فى ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتقائه عن أفعالى: هو أن الحكمــة صــارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأنى على كل شئ قديــر. وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله (رزقا من لدنا) ٥٧ القصص. أى من جهة قدرتنا.

وقيل اللهو: الولد بلغة اليمن. وقيل: المرأة. وقيل: من لدنا أى: من الملائكة لا من الإنس رَدًّا لولادة المسيح وعُزَيْر"[1].

---

(١) الكشاف ٣/٨٤.

يعنــى فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ .. الآية ﴾ ٣٠ التوبة.

أمــا المـــسيح فأمره واضح مشهور. وأما عزير فسبب هذا القول: أن اليهود قـتلوا الأنبـياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم. فخرج عزيز وهو غلام يسبح فى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تـذهب؟ قال: أطلب العلم. فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرج حرفاً؛ فقالوا: ما جمع الله التوراة فى صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه.

هــذا مــا ذكره الزمخشرى ثم أردف قائلا:" والدليل على أن هذا القول كان فيهم: أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب[١].

ومعــذرة إن كــنت قد أطلت بذكر هذه النصوص. لأنى أردت أن أوضح ما عساه أن يكون غامضا فى بعض العقول.

ولعل القارئ قد وقف على حقيقة معنى قوله تعالى (لاتخذناه من لدنا) أى من جهة قدرتنا. وربما يسأل أين التحرك فى المأخوذ والآخذ والمأخوذ منه واحد وهو الله عز وجل؟

وجــواب ذلك ما نقرأه فى قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ ١١٨ الــتوبة. فهو المبتدأ وهو المنتهى:" ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ ٤٢ النجم.فالمتخذ من الله وإلى الله. و (مِنْ) هى مصدر هذا التحرك بدءا ونهاية.

---

(١) الكشاف ٢/٢٠٧.

ولـــيس معنى ذلك أنه يصح قولنا: ذهبت من لدنك إلى لدن محمد مثلا. لأن ذلك لم يرد عن العرب فقد ذكر ابن منظور أنه لا يقال: مضيت إلى عندك ولا إلى لدنك"[١].

قـــد خول (من) عليهما لازم أو شبه لازم ولكن دخول (إلى) عليهما ممنوع غير جائز.

وقـــد علل أستاذنا محمد على النجار لهذا قائلا:" وكأن ذلك لأن (إلى) لا تفيد معنى زائدا مع (عند) ولا يدعو إليها الكلام ألا ترى أن (ذهبت عنده) يؤدى معنى: ذهـــبت إلى عنده كاملاً غير منقوص؟. فكان ذكر (إلى) مع (عند) ضربا من العبث ولغـــو القـــول. ومِنْ ثَم هجر العرب هذا الأسلوب واطَّرحوه. وما أطرحه العرب فعليـــنا اطراحه. إذا كان علينا أن نتبعهم ونسلك سبيلهم فيما أخذوا من فنون القول وشعاب الحديث.

فأما (مِنْ) مع (عند) فإنها تفيد من المعنى ما لا يكون عند سقوطها. فإذا قلت: ذهـــبت من عند فلان. فالمعنى أنك زايلته وانطلقت من حضرته. ولو حذفت (من) اســـتحال المعنـــى وتغيـــر أيما تغير؛ فلم يكن الحرفان (من) و (إلى) شرعا – أى متساويين– فى صحابة (عند) فى الكلام"[٢].

٣- بلـــغ:

فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ ٧٦ الكهف.

---

(١) انظر ص ٣١٢٥.

(٢) لغويات ١/١١١: ١١٢.

وبالتأمل فى هذا النص يدرك الفكر الفرق الشاسع الواسع بينه وبين قولنا مثلا (قد بلغك عذرى) ففى هذا التعبير إخبار عن أن العذر بلغ المخاطب ولكن ليس فيه دقة وإحكام وعمق التعبير القرآنى لأن قصارى أمره أنه قد أعتذر عما فعله وجملة (قـد بلغـك عـذرى) تحـتمل أن يكـون الاعـتذار وصله حقيقة كما يحتمل أن يكون مجازا.

وأما قوله تعالى: (قد بلغت من لدنى عذرا) ففيه أن المخاطب هو الذى وصل إلـى أعمـاق المتكلم ووقف على ما فيها من ندم واعتذار. وهل هناك أقوى دليلا وأهـدى سـبيلا وأقـوم قـبلا من أن العذر يقف عليه المخاطب فى نفس وضمير المتكلم؟!

٤- جعل: فى آيتين ثلاث مرات:

فى قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ ٧٥ النـسـاء. وقـوله: ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ ٨٠ الاسراء.

وبالـتأمل فى آيات القرآن نقرأ مرتين فى سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ٨٩، وقوله ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٢٣، وقوله ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٧٣. فلـم يذكـر الفعـل مرتين كما فعل فى الآية ٧٥. ولعل السر فى ذلك أنها مـسوقة لبـيان حال المستضعفين فى الأرض من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون:" ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا...الآية".

فليس أولى من المستضعف المظلوم ولا أجدر بأن يلجأ إلى الله بالدعاء ويلح فـــيه بالتنوع فى الأداء لأنه مكروب مغلوب وشدة الكرب يتبعها وينبع منها حرارة الوجد ووهج التعبير فى طلب الولى والنصير.

وواضـــح أن قوله تعالى (من لدنك) فى الآيتين يثبت أن الولى والنصير من قبل الله عز وجل. أى أنه يرسل إليهم الولى والنصير من حضرته. والذى يأتى من حضرة القوى قوى والذى يكون مرسله عزيزا عزيز.. وفى القرآن آيات تثبت ذلك فقد نصر المؤمنين بالملائكة وبالريح وبغير ذلك مما كان كله مما قبله عز وجل.

ولكـــن علماءنا يأبون إلا فرض قاعدة نحوية افترضوها ثم راحوا يفرضونها علـــى كلام الله عز وجل. الا وهى قاعدة التجريد أى انتزاع شئ من شئ بدل على أصـــالته وقوته. فقد ذكر صاحب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج بابا للتجريد فـــى التنزيل ثم ذكر أن معنى (واجعل لنا من لدنك وليا ... الآية) أى كن لنا وليا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى كن لنا نصيرا"(١).

فالله هو الولى والنصير فى الحقيقة. و (من) تجريدية أى جعلت الله مصدرا لها. والذى يكون مصدر الشئ يكون هو الشئ ذاته.

وقد عرفنا أن الآية فى غنى عن ذلك.

وهـــناك من يزعم أن فى الآية التقديم والتأخير فجعل نسقها (واجعل لنا وليا مـــن لدنك) فيكون (من لدنك) نعتا لـــ (وليا) فلما ذكر من قبل (وليا) أعرب حالا من محذوف تقديره: واجعل لنا وليا من لدنك أى حالة كونه مستقرا من لدنك.

ففى هذا دعويان باطلتان دعوى الحذف - وهو حيف- ودعوى التقدير -وهو تكديـــر- ثـــم دعوى التقديم والتأخير وهذه خلاف الأصل. وفضلا عن ذلك فقد

---

(١) انظر القسم الثانى ص ٦٦٤.

حققنا أن (من) المزعوم أنها تجريدية إما معناها ابتداء الغاية وإما بيانية. وهذه قد حققنا القول فى عدم صدقها. فلم يبق إلا معنى الابتداء لـ (من). وهو المعنى المراد بالنص لا بالتجريد أى بانتزاع شئ من شئ، إذ هذا كله ظن وتخمين لا يرقى إلى مستوى القواعد الثوابت الرواسخ. فلا مناص إذا من كون (من لدنك) متعلقا بالفعل (اجعل) وهى ابتدائية.

٥- حنان:

فى قوله تعالى: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ ١٣ مريم.

ومن قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ١٢.

والمراد بالكتاب: التوراة. ومعنى (بقوة): بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد و (الحكم): الحكمة.. وهو فهم التوراة والفقه فى الدين عن ابن عباس. وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبى فقال: ما لِلَّعِبِ خُلِقْنا عن الضحاك وعن معمر: العقل. وقيل: النبوة لأن الله أحكم عقله فى صباه وأوحى إليه. (وحنانا) رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة.. وقيل(حنانا من الله عليه). وحن فى معنى: ارتاح واشتقاق ثم استعمل فى العطف والرأفة، وقيل: لله حنان كما قيل (رحيم) على سبيل الاستعارة. والزكاة: الطهارة وقيل: الصدقة أى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم[1].

---

(١) انظر الكشاف ٣/٥: ٦.

فهذه صفات اختص الله بها يحيى عليه السلام وهى: إيتاؤه الحكم فى صباه. والحنان والزكاة والتقوى. ثم البر بوالديه وكونه غير جبار عَصِيٍّ. ثم السلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

والذى يلفت الذهن وينبه العقل أن صفة الحنان مُيِّزَتْ على غيرها بأنها (من لدنا) وقد عرفنا ما فى هذا التعبير من دقة لأنه يوحى بصدور الحنان مبتدأ من الله فالحنان ابتداءه الله عز وجل وأنتهاؤها يحيى عليه السلام. وما كان ابتداؤه حضرة المولى عز وجل فحدث عن عظمته وجلالته ورحمته بغير حساب.

٦- رزق :

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا.. ﴾ ٥٧ القصص.

وفـــى هـــذه الآية امتنان من الله عز وجل على أهل مكة بجعل الحرم – أى البـــيت الحرام- فى قريتهم وجعل الأفئدة تهوى إليه وأصحاب هذه الأفئدة يحملون معهم مما آتاهم الله لأجل رزق أهل هذا البلد الحرام ثم نبههم وحرك مشاعرهم إلى أن هـــذا الـــرزق مـــن لدنه عز وجل أى هو مصدره فى الحقيقة فكأنه صادر من حضرته إلى أهل مكة. وحسبنا بذلك تفضلا وامتنانا عليهم.

٧- علم:

فـــى قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا- أى موسى وفتاه- عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ ٦٥ الكهف.

وأغلب الظن - إن لم يكن حق اليقين- أن علماءنا قد خطوا منهجا وسلكوه فى مثل هذين الأسلوبين ألا وهو: أنهما متساويان نصا وصياغة ومعنى. إذ هم -غالبا- لا يكادون يُعنَوْن العناية اللازمة بالبحث عن الفروق الخفية الدقيقة بين ما يبدو لأول وهلة أنه من باب الترادف بمعنى: ان تخلف الكلمة كلمة أخرى أى تحل محلها وتؤدى دورها وتقوم بمعناها.

والحق: أن الترادف المطلق بمعني: المساواة التامة بين كلمتين فى المعنى لا يكاد يوجد.

وهذا ما وجدناه فى (عند ولدن) فالمادة الأولى (ع ن د) تدور معانيها حول المجاوزة وترك طريق الاستقامة.. ومنه المعاندة وهى أن يعرف الرجل الشئ ويأبى أن يقبله. يقال: عند فلان عن الأمر. إذا حاد عنه.... ويقال: وجل عنود إذا كان وحده لا يخالط الناس. وأما العنيد فهو من التجبر لذلك خالفوا بين العَنيد والعنود والعاند.....

فأما قولهم: زيد عند عمرو فليس ببعيد أن يكون من هذا القياس كأنه قد مال عن الناس كلهم إليه حتى قرب منه ولزق به(١).

وأما (لدن) فمن معانى مادتها: اللين من القضبان(٢).

يقول ابن منظور:" اللَّدْن: اللِّين من كل شئ من عود أو حبل أو خلق. والأنثى لدنه. والجمع لِدَان ولُدْن... وتلدن فى الأمرَ تَلبَّث وَتَمكَّث... ولدن ولدن.. ظرف زمانى ومكانى معناه: عند. قال سيبويه: لدن جزمت ولم تجعل كعند لأنها لم تَمَكَّن فى الكلامَ تَمَكُّنَ: عِنْدَ... لأنك تقول: هذا القول عندى صواب ولا تقول: هو

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥٣/٤: ١٥٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢٤٣/٥.

لدنـــي صـــواب وتقــول: عندى مال عظيم. والمال غائب عنك. ولدن لما يليك لا غير"[(١)].

وحـــسبنا ذلك في مقامنا هذا إذ به يتضح أن النص القرآني (آتيناه رحمة من عـــندنا وعلمناه من لدنا علما) لا بد فيه من سر لذكر (من عندنا) فى مقام الرحمة. وذكـــر (من لدنا) فى مقام العلم. وربما يشير إلى ذلك قول الزمخشرى:" رحمة من عـــندنا: هـــى الوحى والنبوة. (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب"[(٢)].

فـــالعلم أوســـع مدى وأكثر عمقا إذ البشر لا يحيطون بشئ من علم الله. وما الوحـــى والنـــبوه إلى نوع من العلم. فلما كان هذا مقامه وتلك مكانته أوثر بالتعبير الثانـــى (وعلمناه من لدنا علما) إذ فى (لدن) من معنى القربى من الله ما ليس فى (عند) وفي العلم عموم ينضوى تحته النبوة.ومِنّ ثَمّ قرأنا قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ ١١٤ طه. أليس المعنى هنا أن العلم ذو ميزة خاصة به مقصورة عليه؟ ومما يؤيد ذلـــك أن أول مـــا نزل من القرآن كان فيه: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ٣-٥ العلق.

---

(١) انظر لسان العرب ص ٤٠٢٢.

(٢) الكشاف ٥٧٢/٢.

في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ١ هود.

أى نظمت نظما رصينا محكما لا نقص فيه ولا خلل؛ وقيل: أحكمت منقول من (حكُم) بضم الكاف أى صار حكيما كقوله تعالى: ﴿ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ ٢ لقمان. وقيل: منعت من الفساد. من قولهم: أحْكَمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح.

قال جرير:

أبَنِيَ حَنِيفةَ أحْكِمُوا سُفَهاءكم ∴ إنى أخاف عليكم أن أغضبا

(ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص. أو جعلت فصولا: سورة سورة، وآية آية، وفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة. أو فُصِّلَ فيها ما يحتاج إليه العباد أى بُيِّنَ ولُخِّصَ. و(ثم) للتراخى فى الحال والمرتبة لا فى الوقت كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل(١).

وبالتأمل فى صياغة هذه الآية ندرك أن (من لدن حكيم خبير) يمكن للنحاة أن يطبقوا عليه ما زعموه تنازعا وما هو بتنازع إذ أنه يمكن تعلقه بكل من (أحكمت) و (فصلت) وهذا لا يمكن أن يكون فى حالة واحدة بل الواجب ارتباطه إما بـ (فصلت) ثم يقدر نظيره مع (أحكمت) وإما بـ (أحكمت) كذلك.

والحق أن النص ليس فى حاجة إلى كل هذا الإرهاق والتعنت بل هو من باب الإيجاز الذى هو سمة القرآن المعجز. والإيجاز خطاب العقل لا صنعة اللسان. وقد

---

(١) انظر الكشاف ٢/٢٩٥.

ذكـــر الزمخـــشرى مـــا يـــشير إلى ذلك حيث يقول:" وكتاب: خبر مبتدأ محذوف و(أحكمت صفة له وقوله(من لدن حكيم خبير) صفة ثانية.

ويجـــوز أن يكون خبرا بعد خبر، وأن يكون صلة لـــ (أحكمت وفصلت) أى مـــن عنده إحكامها وتفصيلها. وفيه طباق حسن لأن المعنى: أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور"(١).

فقوله (صفة ثانية) و (خبر بعد خبر) معناه أنها مستقلة كما فى قولنا:" رجل فى المنزل عاقل. أو محمد فى المنزل. وأما قوله (صلة لـــ (أحكمت وفصلت) فهو إشارة واضحة إلى ما يسمى بالتنازع. وما هو منه من قريب أو بعيد. ولكن قاعدته – أى هذا التنازع– قد تمكنت من النفوس ورسخت فى الأذهان ومن ثم تفيض على الألسنة والأقلام دون وعى وإدراك.

ولعـــل القارئ – بناء على ما تقدم– أصبح فى غنى عن التنبيه إلى أن (من لـــدن) أقوى وأحكم مما لو قيل (من عند) فلكل منها مقام ومقال. ولذا أرى أن قول الزمخـــشرى (من عنده إحكامها وتفصيلها) ما هو إلا تقريب وتوضيح وليس دليلا علـــى مـــساواة (عـــند) بـــــ (لدن) وإلا لما جمع بينهما فى آية واحدة كما سلف فى آية الكهف.

٩- لقـــى:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ٦ النمل.

---

(١) الكشاف ٢/٢٩٥: ٢٩٦.

وتأمــل – هداك الله- كيف تكون آية هود (حكيم خبير) على حين تكون هذه الآيـــة (حكـيم عليم) فالمقام هناك للخبرة وهنا للعلم. وحاش لله إن ظننت أن هناك تفاوتـــا بين صفات الله بل الذى أعنيه وأحرص عليه أن المقام الذى يقتضى الخبرة غير المقام الذى يقتضى العلم وكل منهما كامل فى مقامه.

هذه واحدة. وأخرى: ألا وهى أننا لو تأملنا فى آيتى هود والنمل لما استطعنا أن نستغنى عن (من) مع (لدن) إذ لو قيل: (أحكمت ثم فصلت لدن حكيم خبير) أو (لتلقـى القـرآن لدن حكيم عليم) لما كمل النص وجمل ومن ثم لا يكمل ولا يجمل المعنـى. فكـأن (من) هى عنصر الحياة وأصل الحركة فى الآيتين. فبدونه يجمد الـنص وتخمـد حركته. وكم لله فى خلقه من دقائق وأسرار. فـ (من) قد حركت النصين وبعثت فيهما الحياة فانتقلا من مكان إلى مكان ليحييا موات القلوب ويحركا خوامد المشاعر.

١٠- نــذر:

فى قوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ ٢ الكهف.

والآيـــة الأولى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ ١ الكهف. ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ ....وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... الآية ﴾ ٢.

وهنا نجد الزمخشرى – كدأبه- يفسر (لدن) بـــ (عند) أى صادرا من عنده. وقد عرفنا أن ذلك ليس من باب المطابقة فى المعنى بل هو من باب تقريب المعنى.

١١- وهب: في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ ٨، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ٣٨ آل عمـــران. وقـــوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ ٥ مريم.

والآيـــتان الثانـــية والثالـــثة فـــى حق زكريا عليه السلام. وأما الآية الأولى فهى عامة.

وقـــد ذكـــر أبو البقاء فى الثانية أن (من) يجوز أن تتعلق بالفعل وأن تتعلق بمحذوف حالا من النكرة بعدها لأنه فى الأصل صفة لها"(١).

ومقتـــضى هذا أن يكون نسق الآية هكذا (هب لى ذرية طيبة من لدنك). ولو كـــان كـــذلك لما صح إعراب (من لدنك) نعتا بل الصواب أن يكون حالا أيضا إذ النكـــرة مـــن قبله موصوفة (ذرية طيبة) فلست أدر ما الداعى على دعوى الحذف - وهو حيف- والتقدير - وهو تكدير- ؟

إن نـــسق الآيـــة في أشد الاستغناء عن تلك الدعاوى الزائفة فـــ (من لدنك) مرتبط بقوله (هب لى).

ويقول أبو السعود:" ومن: لابتداء الغاية المجاز به"(٢).

ولعـــل الذى حمله على هذا أن الله منزه عن الزمان والمكان والأين والكيف. والحـــق أن ابـــتداء الغاية فى كل شئ بحسب حاله وكيفيته. ولا دخل لهذه الكيفية بالمجاز ما دام المعنى ليس فيه حرج.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٧٥/١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣١٩/٢.

ويقول الزمخشري في الآية الثالثة:" من لدنك: تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا إلى الله تعالى وصادرا من عنده. وإلا -فهب لي وليا يرثني- كاف. أو أراد: اختراعا منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة"(١).

ولست أدري كيف يستبيح الزمخشري - وهو من هو دقة فهم وعلو ذوق في شرح كلام الله- هذا التهجم على النص القرآني ؟! ومن العجيب أنه بعد هذا التهجم رجع إلى رشده وعاد إليه صوابه فذكر المعنى اللائق بالنص دون أن يمسه من قريب أو بعيد بما يوحي بتعديله أو تبديله.

إن المقام واضح جلي وهو مقام شيخ عتي وزوج عاقر. فيبعد - إن لم يكن محالا- أن يصلحا للذرية. فجاء الدعاء مطابقا للحال والمقام.

ولا يغني (من عنده) غناء (من لدنه) كما علمنا.

الظرف السادس عشر: تلقاء:

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ ١٥ يونس.

ومادة هذا الظرف هي (ل ق ى) يقال: لقيه كرضيه لقاء ولقاءه ولقاية.. رآه كتلقاه والتقاه والاسم التلقاء بالكسر.. وتوجه تلقاء النار وتلقاء فلان"(٢).

فهذا التعبير الأخير يوضح أنه بمعنى: جهة. ففيه معنى الظرفية ولذا قال الألوسي:" أي من جهتي ومن عندي. وأصل تلقاء: مصدر على تفعال بكسر التاء ولم يجئ مصدر بكسرها غيره وغير تبيان في المشهور... وقد خرج من ذلك إلى

---

(١) الكشاف ٣/٣.

(٢) القاموس ٣٨٦/٤.

الظــرفية المجازيــة. والجربــ (من) لا يخرج الظرف عن ظرفيته. ولذا اختصت الظروف الغير المتصرفة كــ (عند) بدخولها عليها"[١].

وقول الألوسى (الغير المتصرفة) صوابه (غير المتصرفة).

فالرســول علــيه السلام يخبر قومه أنه لا ينبغى له أن يبدل القرآن من جهة نفــسه لأنــه إنما يوحى إليه من لدن حكيم خبير. ولن نزال على ذكر لقوله تعالى: ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ والعلاقة واضحة بين (تلقى) و (تلقاء).

الظرف السابع عشر: مع:

ســبق الكــلام على قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ ٢٤ الأنبياء.

فقــد قرئ (هذا ذكر من معى ومن قبلى) بكسر ميم (من). قال الزمخشرى: "وإدخال الجار على (مع) غريب. والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو (قبل) و (بعد) و (عند) و (لدن) وما أشبه ذلك فدخل عليه (من) كما يدخل على أخوانه"[٢].

وذكــر ابن هشام أن (من) لا تجامع (مع). قال الدمياني:" وقد يشكل بأنه قد سمع دخول (من) على (مع) كما حكاه سيبويه: ذهبت من معه. وقراءة من قرأ (هذا ذكر من معى) بكسر ميم: من.

ويجــاب بــأن (مــع) المدخولة لــ (من) بمعنى (عند) التى يراد بها مكان الاجــتماع أو زمانه ؛ ولا شك أن (مع) التى تجعل الواو بمعناها فى المفعول معه ليس بمعنى (عند) بل بمعنى: الاجتماع"[٣].

---

(١) روح المعانى ٤٢٩/٣.

(٢) الكشاف ٨٧/٣: ٨٨.

(٣) شرح الدماينى على المغنى.

والذى نستنبطه من هذه النصوص أن (مع) تكون بمعنى المصاحبة أى بمعنى الاجتماع فإذا دخلت عليها (من) كانت بمعنى (عند) أى تتضمن معنى الجهة والظرفية.

وعليه يكون معنى الآية: هذا أى القرآن ذكر من جهتى وذكر من قبلى. أى من الرسل ولا عجب فى ذلك. فالقرآن هو الكتاب الجامع للرسالات السابقة فمن قرأه علم تاريخ الكون كله والبشر أجمعين وما جرى بين البشر والرسل. ولذا كان خاتم الرسالات والذى أوحى إليه هو خاتم الرسل.

الظرف الثامن عشر: مكان:

وآيات هذا الظرف نوعان أحدهما لم تضف (كل) إلى (مكان) والثانى أضيف فيه (كل) إليه.

النوع الأول: فى ست آيات مع المواد الآتية:

١- أخذ: فى قوله تعالى: ﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ٥١ سبأ.

٢- رأى: فى قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ ١٢ الفرقان.

٣- قذف: فى قوله تعالى: ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ٥٣ سبأ.

٤- نادى فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ٤٤ فصلت، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ٤١ ق~.

٥- ناش فى: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ٥٢ سبأ.

النوع الثانى: فى ثلاث آيات مع مادتين:

١- أتـــى: فـــى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ١٧ إبراهيم. وقوله: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ١١٢ النحل.

٢- جاء: فى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ٢٢ يونس

فهذه تسع آيات وردت فيها (من) مع (مكان) مباشرة لها أو مضافا إليها (كل) قال الزمخشرى فى الآية الأولى – آية سبأ– " والأخذ من مكان قريب من الموقف إلـــى النار إذا بعثوا. أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا. أو من صحراء بدر إلى القليب – البئر– أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم"(١).

وقـــال فى آية ق~ : " من مكان قريب: من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الأرض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعره: أيتها العظام البالية"(٢).

وقـــال فـــى آيـــة يـــونس (وجاءهم الموج من كل مكان):" من جميع أمكنة الموج"(٣) وبهذا يثبت بما لا ريب فيه أن التعبير بـــ (من كل) مقصود فيما ذكر فيه والتعبيـــر بدون (كل) كذلك. فلو قيل: (وجاءهم الموج من مكان) لسقط نظم الكلام وأصبح فارغا لا فائدة فيه. ولو قيل: (وأخذوا من كل مكان) أو (إذا رأتهم من كل مكان) ... لما كان فى سمو ودقة النص القرآنى فسبحان من يعلم أسرارا كلماته فى آيات محكم كتابه.

---

(١)الكشاف ٤٧٦/٣: ٤٦٨.

(٢) الكشاف ٣١٢/٤.

(٣) الكشاف ٢٦٦/٢.

الظرف التاسع عشر: أول:

وذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ ١٠٨ التوبة.

وقد سبق الحديث عن هذه الآية عند تحقيق القول في دلالة (من) على ابتداء الزمان. ولذا قال أبو البقاء:" إن (من) متعلقة بـــ (أسس) وهي للابتداء. ورد بتقدير البصريين (من تأسيس أول يوم) فقال: وهذا ضعيف لأن التأسيس المقدر ليس بمكان حتى تكون لابتداء غايته، ويدل على جوار دخول (من) على الزمان ما جاء في القرآن من دخولها على (قبل) التي يراد بها الزمان وهو كثير في القرآن وغيره"(١).

وقال ابن عطية:" قوله (من أول يوم) قيل: معناه منذ أول يوم؛ وقيل معناه: من تأسيس أول يوم. وإنما دعا إلى هذا الاختلاف أن بعض أصول النحويين أن (من) لا تجربها الأزمان. وإنما تجر الأزمان بـــ (منذ) تقول: ما رأيته منذ يومين أو سنة أو يوم. ولا تقول: من شهر ولا من سنة ولا من يوم. فإذا وقعت (من) في الكلام وهي تلي زمنا فيقدر مضمر يليق أن تجره (من) كقول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

لمن الديار كفنة الحجر ∴ أقوين مذ حجج ومذدهر

ولما كان (أول يوم) يوما وهو اسم زمان احتاجوا فيه إلى تقدير: من تأسيس ويحسن عندي أن يستغني في هذه الآية عن تقدير وأن تكون (من) تخفض لفظة (أول) لأنها بمعنى (البدأة) كأنه قال: من مبتدأ الأيام... وهي كما تقول. جئت من

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٢/٢، وينظر روح المعاني ٣٦٨/٣.

قــبلك ومن بعدك؛ وأنت لا تدل بهاتين اللفظتين إلا على الزمن. وقد حكى لي هذا الذي اخترته عن بعض أئمة النحو"(١).

وبهــذا يثبت أن (من) مع (أول) مثلها مع (قبل وبعد) ومن المقرر أن معنى هــذين الظــرفين على حسب ما يضاف إليه كل منهما فإن كان زمانا كان الظرف زمانــا وإن كان مكانا كان الظرف مكانا. ومن ثم كان (أول) في هذه الآية ظرف زمان إذ هو مضاف إلى (يوم).

وربمــا يقــال: إن (أول يوم) فيه معنى ابتداء اليوم فما معنى (من) في قوله تعالى: (من أول يوم)؟

والجواب: أن (أول الشئ) يشتمل على جزء غير محدد منه. وأما (من) فهي تدل على أدنى جزء. يكون ابتداء الحدث. وفي هذا من الدقة ما يدركه الذوق الرفيع والحس الصادق.

الظرف العشرون: وراء

ومعناه: المستتر قداما أو خلفا. قال الآمدي: إنما هي من المواراة والاستتار. فما استتر عنك فهو وراء خلفك كان أو قدامك"(٢).

وقد وردت في القرآن مقرونة بــ (من) اثنتي عشرة مرة: في الآيات الآتية:

١- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ ١٠٢النساء.

قــال الزمخــشري: فليكونوا: يعني غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم" وعلق على ذلك ابن المنير قائلا: " والظاهر أن معنى السجود هنا الصلاة وقد عبر عــنها بالــسجود كثيرا. فإذا صلت الطائفة أي أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم.

---

(١) المحرر الوجيز ٨٣/٣.

(٢) الموازنة ١٤٨، وانظر كليات أبي البقاء ص ٣٧٥.

وفـيه دليل لمشهور مذهب مالك من أن الطائفة الأولى تتم صلاتها. والإمام منتظر للطائفة الأخرى. (ولتأت طائفة أخرى) يعنى: إذا أتمت الأولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الأخرى التى لم تصل بعد شيئا فليصلوا معك.."[١].

وبالـتأمل يـدرك المـتأمل قيمة (من) فى (من ورائكم) إذ لو قيل (وراءكم) بدونها لكانت هناك فجوة بين الطائفتين وبهذا يتحين العدو الفرصة فيركز جيشه فى تلك الفجوة فينهزم المسلمون لما يصيبهم من تباعد وتنافر فى صفوفهم وحسبنا فى هذا المقام أن نورد قول الله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ ٧٩ الكهف فعدم ذكر (من) هنا يثبت المسافة بين الملك وبين هؤلاء المساكين. ومما ينبغى لفت الأذهان إليه أن (كان) فى الآيتين تامة ترفع الفاعل ويرتبط بها الظرف سواء كانت معه (من) أم لم تكن.

هـذا وقد عرفنا أن (وراء لما يوارى عنك من أمامك ومن خلفك. ولذا رأينا العلماء يجوزون المعنيين فى آية الكهف فقد ذكر الآمدى: أن (وراء) بمعنى (أمام) أى أن الملك كان أمامهم. وصلح ذلك لأنهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه[٢].

وذاد الزمخـشرى: أنه بمعنى: خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه. وما كان عندهم خبره.فأعلم الله به الخضر[٣].

وسـواء قلـنا إن (وراء بمعنى (قدام) أو بمعنى (خلف) فعدم ذكر (من) معه يثبت بعد الشقة بين الملك وأصحاب السفينة. ولكنه سيتمكن منها فى يوم ما بواسطة

---

(١) الكشاف ٤٣٤/١ وهامشها.

(٢) الموازنة ١٤٨.

(٣) الكشاف ٥٧٨/٢.

جـباته الـذين يجوبون الأرض تحصيلا لما تشبع نهمه أو يسد غريزة الطمع فيه. ولولا بعد الشقة لما تمكن العبد الذى صاحبه موسى من إحداث خلل فى تلك السفينة يرد أولئك عنها.

٢- قوله تعالى:﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ ٧١ هود.

قد يدرك القارئ لأول وهلة أن جملة (ومن وراء إسحاق يعقوب) عطف على قـوله: (فبشرناها بإسحاق). والمعنى أن (إسحاق) سيلد ابنا وهو (يعقوب) فالبشارة بالوليد والحفيد معا وليس بعد ذلك منتهى تتطلع إليه نفس الوالد والوالدة.

ويفهم هذا من قول الزمخشرى:" يعقوب: رفع بالابتداء كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود من بعده. وقيل: الوراء ولد الولد"[(١)].

وعلـى ذلك يكون نسق الآية (ويعقوب من وراء إسحاق مولود). ففى النص دعوى التقديم والتأخير.

وارى أنـه في غنى عن ذلك إذ الظرف (من وراء) يرفع ما بعده فاعلا له. أى يخلفه يعقوب. فالجملة ظرفية وليست اسمية.

وهـناك قـراءة ثانـية ينصب (يعقوب) وفيها يقول الزمخشرى:" كأنه قيل: ووهبـنا لـه إسـحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قوله: ليسو مصلحين عشيرة... ولا ناعب.. البيت[(٢)].

ويعنى قول الشاعر:

مـشائيم ليـسوا مصلحين عشيرة ∴ ولا ناعـبٍ إلا بِبَـيْنٍ غُـرَابُهَا

(١) الكشاف ٣٢١/٢.

(٢) الكشاف ٣٢١/٢.

وذكــر الــنحاة أن الرواية بخفض (ناعب) على توهم إدخال الباء المزعوم زيادتها في خبر (ليس) أى ليسول بمصلحين ولا ناعب...

ولست أدرى وجها لشبه الآية بهذا البيت؟! إن نصها (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) فلا أرى داعيا لتفسير الزمخشرى (بشر) بـــ (وهب) بل الحق والعدل أن يفهم من هذه البشارة بإسحاق هبته الحفيد إذ يدرك ذلك. ويكون المعنى. ووهبــنا لها من وراء إسحاق يعقوب. ففى الآية بشارة وهبة فالبشارة بالوليد. وزيد عليها هبة الحفيد.

٣- قوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾، ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ ١٦، ١٧ إبــراهيم. ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ١٠٠ المؤمنون. وقوله: ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ ١٠ الجاثية.

فهــذه الآيـــات الأربع فيها مذهبان نحويان أولهما مشهور ولكنه غير سديد وخلاصته أن الظرف يتعلق بمحذوف خبرا مقدما. و (جهنم) و (عذاب) و (برزخ) مبــتدأ مؤخــر. وفى هذا دعاوى باطلة وهى دعوى الحذف وهو (حيف) ودعوى التقدير وهو (تكدير) ثم دعوى التقديم والتأخير وهى خلاف الأصل.

فلا مناص إذا من المذهب الثانى وهو اللائق بجلال النص القرآنى وخلاصته أن الظــرف (مــن وراء) رافع لما بعده فاعلا له. فالجملة ظرفية لا اسمية. وبهذا نكون قد تكلمنا على ست آيات.

٧- قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى ﴾ ٥ مريم.

يقـول الزمخـشرى:" مـن ورائى: بعد موتى. وقرأ ابن كثير (من وراى) بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بـ (خفت) لفساد المعنى. ولكن بمحذوف أو بمعنى الـولاية فـى (المـوالـى). أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائى.

وقـرأ عـثمان ومحمـد بن عَلِيٍّ وعلى بن الحسين رضى الله عنهم (خَفَّتْ الموالى من ورائى) -بفتح الخاء وتشديد الفاء وتسكين التاء- وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون (ورائى) بمعنى خلفى وبعدى. فيتعلق الظرف بالموالى. أى قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه.

الثانـى: أن يكون بمعنى (قدامى) فيتعلق بـ (خَفَّتْ) ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تَقَوٍّ واعتضاد"[1].

وبالـتأمل فى هذا النص ندرك أن الزمخشرى يرى أن (من ورائى) أو (من وراى) علـى قـراءة (خفـت) -بكسر الخاء وسكون الفاء وضم التاء- لا يتعلق بـ(خفـت) لفساد المعنى. ولعل السر في ذلك أن زكريا عليه السلام إذا مات لا يتأتى منه خوفه مما أو ممن بعده. ومن ثَمَّ قرر الزمخشرى تعلقه إما بمحذوف أى فعل الموالى وإما بما فى (الموالى) من الولاة أى الذين يَلُونَ الأمر من بعدى. وأما على قراءة (خَفَّت) بفتح الخاء وتشديد الفاء وتسكين التاء. فإذا كان (ورائى) بمعنى (خلفـى) تعلـق الظـرف بـ (الموالى). وإذا كان الظرف بمعنى (قدامى) تعلق بـ(خفت) أى أنهم درجوا إلى طريق الآخرة ولم يبق من يتقوى به.

٨- قـوله تعالـى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ٥٣ الأحزاب.

---

(١) الكشاف ٣/٣، وانظر المغنى بحاشية الأمير ٢/١٢٠.

ولا يخفى أن المراد بهذه الآية أزواج النبى محمد ﷺ. والمتاع الحاجة أى مما يتعلق بالدين أو بنظام حياة النبى عليه السلام مع أزواجه. وبالتأمل فى (من وراء حجاب) يدرك العقل القرب بين السائل والمسئول من أزواج النبى حتى لا ترتفع أصواتهن فهن منهيات عن ذلك كما أنهن منهيات عن الخضوع بالقول ولا يخفى أن الذى يدل على ذلك التقارب الشديد هو (من) فى (من وراء حجاب).

٩- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ ٥١ الشورى.

وفى هذا الآية ذكر الزمخشرى أربعة أوجه:

(أولها) أن التقدير: وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على طريق الوحى وهو الإلهام.. أو على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه فى ذاته غير مرئى. وقوله (من وراء حجاب) أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب. فيسمع صوته ولا يرى شخصه ولذلك كما كلم موسى. ويكلم الملائكة.

(ثانيهما) أن التقدير: وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا. فـ (وحيا) و (أن يرسل) مصدران واقعان موقع الحال. و (من وراء حجاب) ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله (وعلى جنوبهم) ١٩١ آل عمران.

(ثالثهما) أن يكون (وحيا) موضوعا موضع (كلاما) لأن الوحى كلام خفى فى سرعة. وكذلك (إرسالا) جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة. تقول: قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك. وقوله (من وراء حجاب) معناه: أو إسماعا من وراء حجاب.

(رابعهمـــا) أن يكون (وحيا) فى معنى (أن يوحى) وعطف (يرسل) عليه فى معنى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أى إلا بأن يوحى أو بأن يرسل. وعليك يكـــون تقديـــر (مـــن وراء حجاب) على وجه يطابقها نحو: أو أن يسمع من وراء حجاب"[١].

والـــذى نـــستنبطه مما ذكره الزمخشرى أن (من وراء حجاب) مثل يراد به تمثـــيل كـــلام الله لـــبعض رسله وهو لا يراه بكلام الملك بعض خواص من وراء حجـــاب فـــلا يراه وإنما يسمع صوته. وذلك كما حدث لموسى عليه السلام. وكما يحدث للملائكة على الدوام.

وعليه يكون (من وراء حجاب) متعلقا بـــ (بكلمة الله) تمثيلا لا تحقيقا. ولكن أبا البقاء يرى عدم جواز ذلك لأن ما قبل الاستثناء المنقطع لا يعمل فيما بعد (إلا).. ولكنه استدرك قائلا:" وقيل: تتعلق به لأنه ظرف والظرف يتسع فيه"[٢].

وهـــذا ما نرجحه ما دام الأمر ليس على الحقيقة بل سبيله سبيل المجاز الذى يوحى بالإعجاز ومقتضاه أن (من وراء حجاب) وصف الله عز وجل.

وهناك من يرى أنه وصف لكلام الله. يقول المرتضى:" وعنى بقوله (أو من وراء حجـــاب) أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى وحده فى كلامه إياه أولا.

فأمـــا كلامه إياه فى المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه. وحجبه عن جميع الخلق سواهم. فهذا معنى قوله (أو من وراء حجاب)

---

(١) الكـــشاف ١٨٣/٤ بتـــصرف واختـــصار. وانظر إعراب القرآن٦٤٥: ٦٤٦، ٨٥٧: ٨٥٨، والمغنى بحاشية الأمير ١٣٤/٢، والوحى المحمدى ٢٣: ٢٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١١٨/٢.

لأن الكـــلام هو الذى كان محجوبا عن الناس.. ولا يجوز أن يراد أن الله كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المعدودة(١).

والذى يعنينا من كل ذلك هو ذكر (مِنْ) فى (أو من وراء حجاب) فذكره هو العنــصر القوى فى الدلالة على أن الذى يستمع أو الذى يوحى أقرب ما يكون إلى الآخر. وهذا تمثيل فلله المثل الأعلى لأنه عزيز حكيم. بل إنى أقول: إن بلاغة هذا التعبيــر لها مذاق عند أصحاب الذوق يغاير مذاق البلاغة فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ... ﴾ ١٨٦ البقرة. وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾١٦ ق~. فلكل أسلوب مذاقه ومسلكه البلاغى.

١٠- قوله تعالى: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات....الآية ﴾ .

وفـــيها يقول الزمخشرى:" والوراء: الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف وقدام. و (من) لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان.

ثـــم ذكر الفرق بين ما تُذكَر فيه (مِنْ) وما لا تذكر بأن المنادَى والمنادِى فى أحدهما – أى الذى لم تذكر فيه- يجوز أن يجمعها الوراء. وفى الثانى _ أى تذكر فـــيه- لا يجوز لأن الوراء بصير بدخول (من) مبتدأ الغاية. ولايجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد. والذى يقول: نادانى فلان من وراء الدار

---

(١) أمالى المرتضى ١١٥/٤: ١١٦ مجلس ٦٩.

لا يريد وجه الدار ولا دُبُرَّها. ولكن أى قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص"[١].

ولكـــن أبا حيان يقول:" وقد أثبت أصحابنا فى معانى (من) أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها فى فعل واحد. وأن الشئ الواحد يكون محلا لهما. وتأولوا ذلك على سيبويه وقالوا: من ذلك قولهم: أخذت الدرهم من زيد. فـــ (زيد) لابتداء الأخذ منه وانتهائه معا"[٢].

ويـــرى ابن هشام أن (من) فى هذا المثال لابتداء الغاية فقط لأن الأخذ ابتدئ من عنده وانتهى إليك[٣].

بـــل هـــناك من يرى أن (من) زائدة فلا يفرق بين صليت خلف الإمام ومن خلفه[٤] وقد علمنا بطلان ذلك بما لا شك فيه.

١١- قوله تعالى: ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر﴾.

ولا يخفى دلالة (من) على المباشرة والملاصقة ومن ثم قال الزمخشرى:" أو من وراء جدر: دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم"[٥].

١٢- قوله تعالى: ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾.

قـــال الزمخـــشرى: وهـــذا مَـــثَل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوتُ فائدةَ الشئ المحيطُ به[٦].

---

(١) الكشاف ٢٨٣/٤.

(٢) البحر المحيط ١٠٨/٨.

(٣) المغنى ١/ ٣١٨.

(٤) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٧٤/٨.

(٥) الكشاف ٤٠٥/٤.

(٦) الكشاف٥٨٥/٤.

أما بعـــد:

فأحمد الله سبحانه وتعالى أن منّ عليَّ بجميل الصبر حتى استطعت أن أقف علـــى عدد مرات ورود (من) فى الفصل الأول من الباب الرابع التى وصلت إلى سبع وأربعين وثمانمئة مرة. ٨٤٧ مرة على قدر استطاعتي. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون والله حسبنا وهو نعم الوكيل.

الفصل الثانى

آيـــات (مِنْ) لابتداء الحدث مع غير الظرف فى القرآن

والمـــراد بغيـــر الظـــرف الأشخاص والذوات والأمكنة نحو أخذت من زيد ديناراً. ونلت من الله فضلا. وخرجت من المنزل.

وبالتأمل فى هذه الأمثلة ندرك أنها بمنزلة الأمكنة. وكون ابتداء الغاية للمكان لا خلاف فيه يقول البغدادى : "وأما ورودها – أى : من – لابتداء الغاية فى المكان والأحداث والأشخاص فلا خلاف فيها عندهما يعنى: البصريين والكوفيين"(١).

ويرمـــى مـــن وراء هـــذا النص أن كون (من) لابتداء الغاية فى الزمان فيه خـــلاف. وقد حققنا القول فى ذلك سابقا بما لا يترك محلا أو ثغرة للخلاف إذ منه الحديث: "مُطِرْنا من يوم كذا إلى يوم كذا" ومنه: جئت من قبل زيد أو من بعده. إذ المراد : الزمان الذى يسبق زمان مجئ زيد أو يلحقه. وكذا : صليت الظهر من قبل العصر. أو العشاء من بعد المغرب ... إلى غير ذلك.

وممـــا ينبغـــى الالـــتفات إليه أن الحدث هو الذى يُبْتَدأ وهو: الأخْذ. والنيل. والقرب. والمطر. والمجئ. والصلاة. فالحدث هو المحور الذى يدور حوله الابتداء إذ الأحداث لابد لها من ابتداء وانتهاء.

ومـــن ثَـــمَّ حرصـــنا كـــل الحـــرص علـــى أن نـــورد النصوص القرآنية علـــى تـــرتيب المعاجم اللغوية فى المواد اللغوية كما عرفنا فيما سبق وكما نعرف فى الآتى:

---

(١) خزانة الأدب ٤/ ١٢٧.

فقد وردت (من) لابتداء الحدث مع غير الظرف في سياق المواد اللغوية الآتية:

١- أتى: وذلك أربع عشرة مرة في اثنتى عشرة آية هي:

قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ ١٣٦البقرة. ومثلها: ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ ٨٤ آل عمران.

قال أبو البقاء في آية البقرة : "الهاء والميم – يعني في (ربهم) – تعود على النبيين خاصة فعلى هذا يتعلق (مِن) بـ (أوتى) الثانية. وقيل: تعود على (موسى وعيسى) أيضاً ويكون (وما أوتى) الثانية تكراراً. وهو في المعنى مثل التى في (آل عمران) فعلى هذا يتعلق (مِنْ) بـ (أوتى الأولى. وموضع (مِنْ) نصب على أنها لابتداء غاية الإيتاء. ويجوز أن يكون موضعها حالا من العائد المحذوف تقديره : وما أوتيه النبيون من ربهم. ويجوز أن يكون (وما أوتى) الثانية في موضع رفع بالابتداء و (من ربهم) خبره"[1].

ففي هذا النص:

(أ) أن تقدير آية البقرة (وما أوتى النبيون من ربهم) معطوف على (وما أوتى موسى وعيسى) غير أن (من ربهم) مرتبط بـ (أوتى) الثانية. وبذلك يدرك العقل نظيرها (مع وما أوتي موسى وعيسى) ولعل ترك إدراكها للعقل دون ذكرها في اللفظ لخاصية يمتاز بها الذى أوتيه كل من موسى وعيسى ولعله أغزر وأكثر.

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٣٧/١.

(ب) أن الـــضمير فـــي (ربهم) يعود على (موسى وعيسى والنبيون) جميعاً. ويـــرى أبـــو الـــبقاء أن (مِنْ) على هذا تتعلق بـــ (أوتى) الأولى. وتكون (أوتى) الثانية تكراراً.

وكأنـــي بأبـــي الـــبقاء يريد أن يجعل نسق الآية (وما أوتى موسى وعيسى والنبـــيون من ربهم) . وبذلك تتساوى مع نص آية آل عمران. ولذا قال أبو البقاء (وهو فى المعنى مثل التى فى آل عمران. فعلى هذا يتعلق (من) بـــ (أوتى) الاولى. ولـــم يذكـــر فائدة لتكرار (أوتى) فهل يا ترى يريد: أنها من قبيل ما يسمى بالتوكيد اللفظى عند النحاة ؟

والجواب: أن ذلك لا يليق بجلال القرآن وكماله. إذ لابد لكل نقطة فى القرآن من معنى وكذا لكل حركة. فكيف لا يكون لكل كلمة معنى ؟!

ولقـــد حققنا أن ما شهرته: توكيد لفظى هو فى الحقيقة توكيد معنوى وسيلته ذكر اللفظ مرتين. غير أن هذا لا يكون إلا فى مثل قوله تعالى : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ٣٦ المؤمـــنون، وأما ما نحن بصدد الكلام عنه فلا يليق ذلك به. فلابد من سر لذكر (ما أوتى) مرتين وبذلك يتحقق الفرق الدقيق بين الآيتين. وليس هذا هو الفرق الفريد. بل هناك فروق أخرى منها:

١- ابتداء آية البقرة بـــ (قولوا) وابتداء آية آل عمران بـــ (قل) بقول الزمخشرى: "أُمِـــرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحده الضمير فى (قل) وجمع فى (آمنا). ويجوز أن يُؤْمَر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نَبِيِّه".

فالأمـــر فى آية البقرة للأمة جمعاء. وهنا للرسول وحده ثم جاء (آمنا) بعلامة إضـــمار لجماعـــة المؤمنـــين على التعدد فى آية البقرة وعلى جمع الأمة فى شخص الرسول وحده عليه الصلاة والسلام فى آية آل عمران. أو على التعظيم.

٢- التعبيـــر بـــــ (إلى) فى سورة البقرة وبـــ (على) فى سورة آل عمران. يقول الزمخـــشرى: "فإن قلت: لم عُدِّى (أنزل) فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء ؟

قلـــت : لوجـــود المعنيين جميعاً لأن الوحى لينزل من فوق وينتهى إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر.

ثـــم أردف قـــائلاً: "ومَـــنْ قال: إنما قيل (علينا) لقوله (قل) و لـــ (إلينا) لقوله (قولـــوا) تفـــرقة بين الرسل والمؤمنين؛ لأن الرسول يأتيه الوحى على طريق الاســـتعلاء؛ ويأتيهم على طريق الانتهاء فَقَدْ تعسف. ألا ترى إلى قوله: ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ ٤ البقـــرة. وقـــوله ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ٤٨ المائدة وقـــــــوله: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ ٧٢ آل عمران"[١].

ومما ينبغى الإرشاد إليه أن الزمخشرى عبر بأن (إلى) و (على) للتعدية. وذلك مبنـــى على أنهما حرف إضافة وخفض. والحق أنهما اسمان يضاف كل منهما إلى ما بعده. و (على) للاستعلاء و (إلى) للانتهاء. وقد حققنا ذلك فى غير هذا الموضـــع فحـــسبنا الإشارة إليه هنا. لأن الذى يعنينا فى هذا المقام هو تبرئة

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩١.

ساحة القرآن عن دعوى التكرار فى (أوتى) : إذا الحق أنها ذكرت مرتين فى آيـــة البقرة ليضاف هذا إلى الفروق بين الآيتين. فبالتأمل فى آية البقرة: (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم) ندرك - كما أشرنا آنفا - أن لموســـى وعيسى منزلة قد لا توجد فى بعض النبيين ومن ثَمَّ جعل القرآن لهما نــصا منفرداً ثم تلاه بنص آل عمران (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهـــم) وبـــذلك يتبين أن الانفراد مساك كان لغرض أدَّاه النص وفهمه القارئ والدارس. ولما جعل ذلك عاد بهما إلى النبيين.

فـــلا داعى لدعوى تكرار شئ فى القرآن الملئ بالأسرار التى تخفى على ذوى البـــصائر والأبـــصار. ولعـــل السر فى آية سورة البقرة أن (موسى وعيسى) رسولان إلى بنى إسرائيل.

(جـــ) وممـــا جاء فى نص أبى البقاء قوله (وموضع (من) نصب على أنها لابتداء غاية الأشياء) فما معنى ذلك ؟ أليس معناه مثل ما ذكره سيبويه فى (مررت. بمحمـــد) وقد أوردناه كثيرا وخلاصته أن (بمحمد) فى موضع نصب لأنه فى مقام المفعـــول بـــه. وهذا تفسير معنى وليس إعرابا. لأن (من) الابتدائية ارتبط معناها بالفعل قبلها. فما من شك فى أن الباء من (مررت بمحمد) دلت على إلصاق المرور ومباشرته (محمدا). هذا هو المعنى النصى للكلمات. وفيه معنى المفعولية.

(د) ويقـــول أبـــو البقاء (ويجوز أن يكون (من) موضعها حالا من العائد المحذوف تقديره (وما أوتيه النبيون من ربهم). وعلى ذلك تكون فى موضع نصب أيضاً. ولكن الفرق بين النصب هنا والنصب فى جعلها متعلقة بـــ (أوتى) أنها هناك مـــع مدخولها فى محل نصب مفعولا به تقديرا وأما هنا فهى فى محل نصب حالا. ولابد من ملاحظة مضاف إليه بعدها. أى من عطاء ربهم وعليه تكون (من) اسما بمعنى (بعض) أى حالة كونه بعض عطاء ربهم.

وعلى هذا الوجه تكون هذه الجملة معطوفة على (وما أوتى موسى وعيسى).

(هـــ) ثـم قال أبو البقاء (ويجوز أن يكون (وما أوتى) الثانية مبتدأ و (من ربهم) خبره.

قال الألوسى: "واحتمال أن يكون (ما) مبتدأ والجار خبره بعيد"(١).

وبذلك ينتهى الكلام على هاتين الآيتين.

الآية الثالثة : قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ ١٨٩ البقرة.

وصـــدر هـــذه الآية ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ .... ﴾ والـــذى يغنينا هنا أنه "كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا – بستانا – ولا دارا ولا فسطاطا – بيتا من الشعر – من باب. فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلما يصعد فــيه. وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البر) برُّ (من اتقى) ما حرَّم الله.

فكــأن ذلك على سبيل الاستطراد فلما ذكر أن الأهلة مواقيت أى معالم يوقَّت بهــا الــناس مزارعهم ومتاجرهم وصومهم وفطرهم .... ومعالم للحج يعرف بها وقــته بين لهم خطأ ما يفعلونه إذا أحرموا ، وعليه يكون المراد بالبيوت وظهورها وأبــوابها الحقيقة لا المجاز ويحتمل أن يكون ذلك من باب المجاز لأنه ينبههم إلى تعكيسهم فى سؤالهم حيث سألوا عن الأهلة ولم يسألوا عما ينفعهم فى دينهم فمثلهم

---

(١) روح المعانى ١/ ٣٢٢.

كمـثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره. والمعنى : ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكن البرَّ برُّ من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله. ثم قال: (وأتوا البيوت من أبوابها) أى وباشروا الأمور من وجوهها التى يجـب أن تباشر عليها ولا تعكسوا. والمراد : وجوب توطين النفوس وربط القلوب علـى أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فـى ذلـك حتـى يسأل عنه. لما فى السؤال من الإبهام بمفارقة – لعل الصواب : بمقارفة – الشك: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ ٢٣ الأنبياء[1].

وســواء أكان المراد بالبيوت وأبوابها وظهورها : الحقيقة أم المراد : المجاز فـإن (مـنْ) لا يفارقهـا معنى ابتداء الغاية. ولذا قال أبو حيان: "من : متعلقة بـ (تأتوا) وهى لابتداء الغاية"[2].

الآيــة الرابعة: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ ٢٥٨ البقرة.

وتأمل – هداك الله – تدرك التناسق العجيب بين آية الأهله وهى رقم ١٨٩. وآية الشمس وهى رقم ٢٥٨ فبينهما تسع وستون آية. ومع هذا نرى فى الأولـى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ ثم نرى فى الثانية : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ .

---

(١) انظر الكشاف ١/ ١٧٧ بتصرف واختصار.

(٢) البحر ٢/ ٦٤.

ففـــى الأولـــى تعلـــيم وتنبيه إلى ما ينبغى أن يكون عليه سلوك البشر إزاء مظاهـــر قدرة الله وحكمته فى كونه. وفى الثانية تعجيز للنمروذ الذى حَاجَّ إبراهيم فى ربه فزعم أنه يحيى ويميت. فانتقل به إبراهيم عليه السلام إلى مالا حيلة له إلى زعم قدرته عليه. فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾.

أليس فى ذلك ما يثير فى نفس قارئ القرآن ومتعلمه ودارسه أمورا شتى قد يدرك منها ما يريح نفسه ثم يُطمئن قلبه فيهذب سلوكه ويحمله على طاعة الله مهما بلغ به الحال ؟!

أمـــا (من) فى موضعيها من آية النمروذ فهى لابتداء الغاية. وذكر أبو البقاء أنه يجوز أن تكون حالا والتقدير: مسخَّرة أو مُنْقادة[1].

وهـــذا التقدير لا حاجة بالنص إليه. ومن ثم رأيت أبا حيان يقتصر على أنها لابتداء الغاية[2].

الآيـــة الخامسة: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ ٢٦ النحل.

قـــال الزمخـــشرى: "ومعنـــى: إتـــيان الله إتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد"[3].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦١.

(٢) انظر البحر ٢/ ٢٨٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٨.

قال الشهاب: "وفى ذلك إشارة إلى أن (من) ابتدائية[1].

الآية السادسة: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ . إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ ٩ ، ١٠ طه.

ونسق الآية واضح تمام الوضوح فى أن (مِن) يرتبط معناها بالفعل (أتى) فهى حرف ابتداء وأما (بِقَبَسٍ) فهو فى مقام المفعول به. فالنار هى ابتداء الحدث (الإتيان) بالقبس.

ولكن أبا البقاء يجيز أن تكون (منها) حالا من (قبس)[2].

وهذا تطبيق لقاعدة وضعها النحاة ولا أساس لها. وخلاصتها - كما سبق مكررا - أن نعت النكرة يجوز تقديمه عليها فيعرب حالا. وفى هذا من الزعم الباطل ما لا يخفى إذ كيف يكون النص (آتيكم منها بقبس) ثم نغير نسقه إلى (آتيكم بقبس منها)؟!

الآية السابعة: ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ٢٧ الحج.

وصدرها: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ .... ﴾ فـ (رجالا) جمع (راجل) كقائم وقيام. وهو حال أى مشاة. (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كأنه قال: رجالا وركبانا. و (يأتين) صفة لـ (كل ضامر) لأنه فى معنى الجمع. وقرئ (يأتون) صفة للرجال والركبان. و"العميق" : البعيد[3].

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٥/ ٣٢٥.

(٢) انظر إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢/ ٦٣.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠.

الآية الثامنة : ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ ٧ النمل. وهى مثل آية طه السابقة.

الآية التاسعة : ﴿ قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ٢٩: ٣٠ النمل.

سبق عن إمام النحاة سيبويه أن (من) تكون لابتداء ما هو بمنزلة المكان. وهذه الآية من هذا النوع لأن إتيان الكتاب ابتداؤه (سليمان) عليه السلام وهو منَزّل منزلة المكان. ولعلك تلحظ أن فى الآية ما يدركه العقل دون ذكر لفظه وهو ما يدرك على الحدث أى: إنه آت من سليمان. ولو قيل: إنه كتاب من كتب سليمان. فتكون (من) اسما بمعنى (بعض) خبر (إن) لكان جائزا.

الآية العاشرة : ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ ٢٩ القصص. وهى مثل آيتى طه والنمل فجميعها فى شأن موسى عليه السلام.

الآية الحادية عشرة : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ الروم.

الآية الثانية عشرة : ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ ٤٧ الشورى.

والآيتان متفقتان فى افتتاح كل منهما بطلب غَيْرَ أنه فى الأولى (فأقم) وذلك مقصور على رسول الله صلي الله عليه وسلم. ولكن الأمر له أمر لأمته كلها حتى قيام الساعة.

وقوله (من قبل) فيه من الدلالة على المبادرة مالا يخفى على ذى عقل وقلب كمـا فصلنا ذلك فى (مِنْ) الداخلة على الظروف. و (مِنْ) فى الأولى لابتداء إقامة الوجه للدين. وفى الثانية لابتداء الاستجابة للرب سبحانه.

ويبقى: (يأتى يوم لا مَرَدَّ له من الله). وهو موضوع حديثنا هنا.

ومما ينبغـى التنبيه إليه قوله (يأتى) و (مردّ) فيهما إذ كل منهما يصلح أن يكون معنى (مِنْ) مرتبطا به. وهذا ما سار عليه الزمخشرى فى الآيتين. حيث قال فى الأولى: "إما أن يتعلق (من الله) بـ (يأتى) فيكون المعنى: من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد. كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ ٤٠ الأنبياء. أو بـ (مَرَدّ) على معنى: لا يرده هو بعد أن يجئ به ولا رد له من جهته".

وقال فى الثانية: "من الله: من صلة (لا مرد) أو من صلة: يأتي"(١).

فلـو أخذنا بأنه متعلق بالفعل (يأتى) أعرب (يوم) فاعله. وجملة (لا مرد له) مـن (لا) واسـمها (مـرد) و (له) خبرها. نعت فى محل رفع و (من الله) متعلق بـ (يأتى) أى أن اليوم الذى يأتيهم لا يردُّه أحد لأنه آتٍ من الله عز وجل.

ولو أخذنا بأنه متعلق بـ (مرد) فـ (يوم) فاعله. وجملة (لا مرد له من الله) نعـت فى محل رفع أيضاً. غير أن اسم (لا) (مرد له) فـ (له) ظرف لغو وخبرها (من الله) أى يستحيل رده لأن الله هو الذى يرده فإذا لم يرده استحال ذلك.

ومنعه بعضهم: يقول الجمل: "ولا يجوز أن يعمل فيه (مرد) لأنه كان ينبغى أن يُنَوَّن إذ هو من قبيل المطولات"(٢).

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١، ٤/ ١٨٢.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٣٩٧.

والظاهر أنه لا يجوز منعه غير أن الأول أرجح وأدق لأن الذى يأتى من الله لا يرده سواه. وهذا هو محور الآية. وعنصرها الأسمى والأقوى.

أمـــا لو جعلنا (من الله) متعلقاً بـــ (مَرَدّ) لترتب عليه غموض فى جهة إتيان هذا اليوم إذ ربما يتوهم أحد أن غير الله هو الذى يأتى بهذا اليوم. وهذا مالا سبيل إلى توهمه.

٢- أخـــذ: جاء هذا الفعل مرتبطا به (مِنْ) ثلاث عشرة مرة فى ثمانى آيات هى:

الآية الأولى: ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ٤٨ البقـرة.

سبق أن ذكرنا عن سيبويه أن (مِنْ) فى قولنا: أخذت منك الكتاب.

فـــيها معنى الابتداء والانتهاء معاً لأن الأخذ ابتدأ من مخاطبك وانتهي إليك. كما أشرنا على أن ابن مالك يرى أنها للمجاوزة. وأن ابن هشام حقق أنها ابتدائية(١).

وبالتأمل فى هذا يدرك الباحث أن معنى الابتدائية لا يفارقها إذ المجاوزة فيها معنى ابتداء الحدث لشئ ما.

هذا: ويرى أبو البقاء جواز تعلق (مِنْ) فى الآية بالفعل (يؤخذ) وجواز جعله حالا من (عَدْل) لأنه كان فى الأصل صفة له فلما قدّم عليه صار حالاً(٢).

وقد علمنا ما فى الثانى من دعوى زائفة لا تليق بقدسية النص القرآنى.

وواضـــح أن الفعل فى هذه مَبْنِيّ للمفعول. وهناك آيتان أخريان فيهما الفعل كذلك وهما:

---

(١) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٠.

الآية الثانية: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ ٧٠ الأنعام.

وفــيها يقول الزمخشرى: "وإن تفدِ كل فداء. والعدل: الفدية لأن الفادى يعدل المفــدى بمــثله. و (كلَّ عدل) نصب على المصدر. وفاعل (يؤخذ) قوله (منها) لا ضمير العدل ؛ لأن العدل ههنا مصدر لا يسند إليه الأخذ.

وأمَّــا فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ فبمعنى المفدِىّ به فصح إسناده إليه.

قال ابن المنير: "وإنما جملة – أى الزمخشرى – على القول بأن العدل ههنا مصدر أن الفعل تعدَّى إليه بغير واسطة. ولو كان المراد المفدِىّ به لكان مفعولا به فلم يتعدَّ إليه الفعل إلا بالباء. وكان وجه الكلام: وإن تعدل بكل عدل. فلما عدل عنه علم أنه مصدر. والله أعلم"(١).

وقــول الزمخــشرى (وفاعــل: يؤخذ قوله (منها) يريد نائب الفاعل كما هو واضح وهذا تعبير عُرِف به ونُقِلَ عنه كثيرا.

وبالتأمل فى نصه هنا ندرك دقته وروعته فى كشف الفرق الدقيق العميق بين (عــدل) فى آية البقرة و (كل عدل) فى آية الأنعام. فالأول بمعنى (المفدِىّ به) ولذا صــح كــونه نائــب فاعل لــ (يؤخذ) وقد عبر عنه الزمخشرى بالفاعل. وكثيرا ما قال ذلك.

وأمــا الثانــى فمــصدر بمعنى الفداء ومن ثَمَّ لا يصح أن يكون المسند إليه ضميره. بل المسند إليه هو (منها) كما وضحه ابن المنير.

والذى يعنينا –هنا – أن (مِنْ) لا يفارقها معنى الابتداء مع كونها مسنداً إليها.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٨ وهامشها.

الآيــة الثالثة: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ ١٥ الحديد. وفسر الزمخشرى (فدية) بما يفتدى به[1].

فهــى بمعنى (عدل) فى آية البقرة. أما معناه فى سورة الأنعام فهو: مصدر وبهــذا يتـضح مــنهج الزمخشرى فى الآيات الثلاث الذى بنى فيه الفعل (يؤخذ) للمفعول. وخلاصته أن (عدل) يأتى مصدرا كما يأتى لما يُفتدى به.

ويظهــر من كلام ابن جرير الطبرى غير ذلك حيث يقول: "العدل فى كلام العرب بفتح العين الفدية ... فقد سئل الرسول: ما العدل ؟ فقال: العدل الفدية. وإنما قيل للفدية من الشئ والبدل منه: عدل لمعادلته إياه وهو من غير جنسه ومصيره له مثلاً من وجه الجزاء لا من وجه المشابهة فى الصورة والخلقة كما قال جل ثناؤه: "وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها" بمعنى: "وإن تفد كل فدية لا يؤخذ منها"[2].

وبهــذا يكون الطبرى قد ساوى بين معنى (عدل) فى الآيات كلها حيث جعله بمعنـــى (فدية). وبه يكون نائب فاعل فى آية الأنعام ضمير عائد على (كل عدل) وهذا ما نرجحه.

فالفعل فى هذا الآيات الثلاث مضارع مبنى للمفعول. وهناك آية رابعة فعلها مــاض مبنـــى للمفعول أيضاً وهى قوله تعالى: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ٧٠ الأنفال.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧٩.

(٢) جامع البيان ١/ ٢٠٥، وانظر روح المعانى ١/ ٢٠٩.

قـــال الزمخشرى : "من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه. أو يثيبكم فى الآخــرة. وفــى قراءة الأعمش: يثبكم خيرا ... وقرأ الحسن وثيبة: مما أخذ منكم. على البناء للفاعل"[١].

فهذه أربع آياتٍ الفعْل فيها من مادة (أ خ ذ) وهو مضارع مبنى للمفعول فى ثلاث منها. وفى الرابع ماض مبنى للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل.

أما الآيات الأربع الباقية فالفعل فيها ماض مبنى للفاعل وهى:

الآيــــة الأولـــــى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ ٢١ النساء.

يقــول الزمخــشرى: "والميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة؛ كأنه قيل: وأخــذن به منكم ميثاقا غليظا أى بإفضاء بعضكم إلى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعِظَمِــه. فقد قالوا: صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ؟!"[٢].

ولعلــك تــدرك أيها القارئ أن (من) مع مادة (أخذ) صالحة لمعنى الابتداء والانتهاء معاً كما نقل عن سيبويه وأشرنا إليه كثيرا. وذلك أوضح ما يكون فى هذه الآيــة فكــل مــن الــزوجين يبتدئ منه الأخذ وينتهى إليه لما بينهما من الامتزاج وشدة الاختلاط.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٦.

(٢) الكشاف ١/ ٣٨٠.

الآيـــة الثانـــيـــة: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ ١٥٤ النساء.

فإذا كانت الآية الأولى فى حق الأزواج فهذه فى حق بنى إسرائيل. فشأنهم – كمـــا نراه كثيرا فى القرآن – أنهم ينقضون العهد من فورهم ولا يعترفون بميثاق أخــذه الله مــنهم على أنفسهم. ولعلك أيها القارئ النجيب تلمح فى هذه الآية معنى الابـــتداء والانتهاء لـــ (من) فى آن واحد. فاليهود ابتداء الأخذ. والله – مع تنزيهه عـــن الجهة والمكان – انتهاؤه. ولله فى كلماته أسرار دفينة دقيقة لا يصل إليها إلا كل صبور ولا يحصل عليها إلا كل بصير.

الآيـــة الثالثـــة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ١٧٢ الأعراف.

يقول الزمخشرى: "من ظهورهم : بدل من (بنى آدم) بدل البعض من الكل. والمعنـــى: أن أخـــذ ذرياتهم من ظهورهم : إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم"(١).

ويرى أبو البقاء : "أن (من ظهورهم) بدل اشتمال"(٢).

قـــال الألوسى: "وادَّعى بعضهم أن القول ببدل الاشتمال أولى من القول ببدل الـــبعض؛ لأن النسبة إلى المبدل منه الكل تكون تامة وتحصل بها الفائدة بدون ذكر البدل، نحو: أكلت الرغيف نصفه، فإن النسبة تامة لو لم يذكر النصف. ولا شك أن

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٧.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٦١، وانظر الجلالين وحاشية الجمل عليه ٢/ ٢٤٦.

النسبة هنا ليست تامة بدون ذكر البدل. وأيضاً : أن الظهر ليس بعض بنى آدم حقيقة بل بعض أعضائهم. ولا يخفى ما فى ذلك من النظر"[١].

ولعل هذا النظر هو ما جعل أبا السعود يقرر أن (من ظهورهم) بدل من (من بنى آدم) بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ ﴾ ٧٥ الأعراف. و (من) فى الموضعين ابتدائية. وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الإبهام. والتفصيل بعد الإجمال"[٢].

وقال الحلبى: "إن ما فى الكشاف هو الظاهر كقولك: ضربت زيدا ظهره. وقطعته يده. لا يُغْرِبَ هذا أحدٌ بدل اشتمال"[٣].

ومن هذه النصوص تتبدى لنا حقيقة ألا وهى : أن (من ظهورهم) بدل بعض من (من بنى آدم) وقد ذكر حرف الابتداء مع البدل حتي يتفق المبدل منه كما فى الآية رقم ٧٥ من السورة نفسها وقد سلف ذكرها. وبدون ذكر (مِنْ) مع (ظهورهم) يختل النص ويضيع رونقه ويذهب بهاؤه. وإن كنت فى شك من هذا فاقرأ قولنا: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ أو قولنا: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ ﴾ هل تجد فيه الحلاوة وعليه الطلاوة التى سحرت كفرة العرب وأنطقتهم بالإعجاب وقررتهم بالإعجاز ؟!!

(١) روح المعانى ٣/ ١٥٣.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٥.

(٣) حاشية الجمل ٢/ ٢٤٦.

ومع هذا كله قد يبدو لى أن (من) فى آية الذرية بدل بعض من كل أى (وإذ أخـذنا بعـض بنى آدم بعض ظهورهم. نسلا) كما فى قوله تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ٧، ٨ السجدة. فالنـسل بعضه سلالة وهى بعض الماء المهين. ويشتمل على هذا كله الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب ولذلك يكون (ذريتهم) عطف بيان.

وهكـذا يظهر أن (مِنْ) فى آية الأعراف صالحة للابتدائية كما تكون صالحة للاسمية. فالأولى حرف والثانية : اسم.

الآيـــة الثامـــنة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ ٧ الأحزاب.

ولا يخفـى هـنا ما أشرنا إليه آنفا من أن (من) فيها معنى الابتداء والانتهاء فالميـثاق ابـتداءُ أُخْذِه النبيون. ومنتاه هو الله عز وجل. وفى هذه الآية إجمال فى قوله (النبيين) ثم تفصيل ينحصر فيه الطبقة العليا والنخبة الفضلى من الرسل. وهم: محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. قال الزمخشرى: "واذكر حين (أخـذنا من النبيين) جميعاً (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خـصوصا (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القـيامة عند مواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفَّوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم قالوا بلى. (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهـم الأنبـياء بأنهم صدقوا عهدهم ... ثم قال : "فإن قلت: لم قدّمَ رسول صلي الله علـيه وسلم على نوح فَمَنْ بعده ؟ قلت: هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم

مشاهيرهم وذراريهم. فلما كان محمد صلي الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قُدِّم عليهم لبيان أنه أفضلهم .... ثم ذكر أن الله قَدَّم (نوحا) فى آية الشورى حيث قال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ .... الآية ﴾ ١٣.

لأن مَوْرِد هذه الآية على طريقةٍ خلاف طريقةِ تلك. وذلك أن الله تعالى إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذى بُعث عليه نوح فى العهد القديم وبُعث عليه محمد خاتم الأنبياء فى العهد الجديد وبُعِث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير .... ".

ومنهم من هذه النصوص أن التقديم فى الذكر دليل على الأفضليَّة ومقتضى الأخيريَّة. ولكن ابن المنير يرى غير ذلك لأنه قد يؤخر من هو أفضل وأخير. ولذا قال: "فيظهر والله أعلم فى سر تقديمه عليه السلام على نوح ومَنْ بعده فى الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمُنَزَّل عليه هذا المتلو. فكان تقديمه لذلك.

ثـمَ لمَّا قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم"(١).

وسواء قلنا بهذا أم بذلك فالفضل كل الفضل لمحمد صلي الله عليه وسلم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١٥ وهامشها. وفيه أن (دراريهم) بالدال المهملة جمع درّى وهو الكوكب العظيم . كما فى قوله تعالى: : ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ ٣٥ النور.

٣- أذن:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ ٣ التوبة.

وهـــذا النـــسق يـــشبه نـــسق الآيـــة الأولـــى من السورة ذاتها. وفيها يقول الزمخـــشرى: "بـــراءة : خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة. و (من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك: برئت من الدَّيْن . والمعنى : هذه براءة واصـــلة من الله ورسوله (إلى الذين عاهدتم) كما تقول: كتاب من فلان إلى فلان. ويجوز أن يكون (براءة) مبتدأ لتخصيصها بصفتها. والخبر (إلى الذين عاهدتم) كما تقول: رجل من بنى تميم فى الدار".

ثم قال فى (وأذان ...) ارتفاعه كارتفاع (براءة) على الوجهين.... والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى : الإيمان والإعطاء"[١].

وقـــول الزمخشرى (من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قـــولك: (بـــرئت مـــن الدَّيْن). يعنى به أن (من) فى هذا الأسلوب مرتبطة بالفعل (بـــرئت) وأمـــا فى الآيتين فهو مرتبط بمحذوف أى براءة واصلة من الله. وأذان واصل من الله....

وربما يتوهم أحد أن معنى الابتداء ليس موجودا فى (برئت من الدين) وذلك ضَعْفُ فهم وقلة إدراك إذ معنى الابتداء لا يفارق (من) الحرفية وكيف يفارقها وهو نفسها وأصل حياتها ؟!

وأمـــا علـــى الوجه الثانى من وجهى الرفع فـــ (براءة) و (أذان) موصوفان بـــ (من الله ورسوله) فـــ (من) متعلقة بهما ومعناها الابتداء.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٩، ١٩١.

ولا يرد عليه تَوَهَمّ ولا ظنّ كما فى الوجه الأول. ولذا فإنى أرجح هذا الوجه لأن مالا يحتاج إلى حذف وتقدير أولى مما يحتاج إليهما إذ الحذف (حيف) والتقدير (تكدير) كما قررنا وعرفنا مما سبق.

٤- أنــس:

فــى قــوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ ٦ النساء.

قال ابن جرير: "فإن وجدتم وعرفتم. روى عن ابن عباس قال: عرفتم منهم"(١).

وقال الزمخشرى: "الإيناس الاستيضاح فاستعير للتبيين"(٢).

وقــال الألوسى: "وأصل معنى : الاستئناس كما قال الشهاب: النظر من بُعْد مــع وضع اليد على العين إلى قادم ونحوه مما يؤنس به، ثم عَمَّ فى كلامهم .. ثم استعير للتبيين أى عِلْم الشئ بَيِّنا.

وزعــم بعضهم أن أصله الإبصــار مطلقا وأنه أُخِذَ من إنسان العين وهو: حدقــتها التــى يبــصر بهــا. وهــو هــنا محتمل لأن يراد منه المعنى المجازى والمعنى الحقيقى"(٣).

ويمكننا تلخيص ذلك كله بأنه: علم الشئ الذى يؤنس به. ويقابله: الاستيحاش وهــو علم الشئ الذى يجلب الوحشة إلى النفس ومنه الوحوش. ولكل منهما وسيلة الــرؤية بالعــين ثــم العلــم بالعقــل ثــم يكون إما الائتناس أى الاطمئنان بالقلب أو الوحشة به.

---

(١) جامع البيان ٤/ ١٥٦.

(٢) الكشاف ١/ ٣٦٤.

(٣) روح المعانى ٢/ ٢٣.

وما دام الإيناس من إنسان العين فهو من الحقيقة لا من المجاز.

وواضح أن (من) للابتداء. والضمير لـ (السفهاء) ويكاد الذهن يدرك هنا الابتداء والانتهاء معاً – كما سبق فى : أخذ – لأن الإيناس ابتدأ بالسفهاء وانتهى إلى العقلاء الذين علموا رشدهم.

قال أبو السعود: "منهم رشْداً: أى اهتداء إلى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير. وتقديم الجار والمجرور –يعنى : منهم – على المفعول – يعنى: رشدا – للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤَخَّر؛ أو للاعتداد بمدنيَّته له"(١).

وكأنى بأبى السعود يقرر أن أصل النص: فإن آنستم رشدا منهم: ثم حصل التقديم والتأخير. وهذا افتراض لا أساس له لأن جمال النص ونسقه البديع هو ما ورد به وعليه فى التنزيل فلا داعى إلى التأويل

٥- بجس:

فى قوله تعالى: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾ ١٦٠ الأعراف.

ومن قبل هذه الجملة قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ..... ﴾

يقول الزمخشرى: "فانفجرت. والمعنى واحد. وهو الانفتاح بسعة وكثرة"(٢).

ويقول الراغب: "يقال: بجس الماء وانبجس انفجر. لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شئ ضيق؛ والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شئ واسع. ولذلك قال الله: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ﴾ .

---

(١) إرشاد العقل السليم بهامش الرازى ٣/ ٢٠١.

(٢) الكشاف ٢/ ١٣٢.

وقـــال فـــي موضع آخر: ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ﴾ ٦٠ البقرة فاستعمل، حيث ضاق المخرج اللفظان. وقال: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ ٣٣ الكهف ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ١٢ القمر. ولم يقل بجسنا"(١).

وممـــا يـــتمم ذلك أن القرآن قد جاء بـــ (فجَّر) المضعفة الجيم فى الكثرة إذ النهـــر والعيون مما يكثر فيها الماء ويغزر. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ٩١ الإسراء. ثم جاء بـــ (فجَر) المخففة الجيم لما هو أقل حيث قال: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ ٩٠ الإسراء. وكم لله فى كلماته أسرار وأسرار. ولا يخفى أن (مِنْ) تدل على أن الحجر ابتداء الانبجاس.

وبـــذلك يثبت الفرق الدقيق بين (انبجس) و (انفجر) كما حققه الراغب وليسا متطابقى المعنى كما صرح الزمخشرى.

٦- بـــــدا: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ١١٨ آل عمران.

ويقـــول فيها ابن جرير: "بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذ وهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم يعنى بألسنتهم"(٢).

---

(١) الغريب فى مفردات القرآن ص ٣٦.

(٢) جامع البيان ٤/ ٣٨.

وعلى هذا تكون (من) بمعنى الباء. و (أفواه) بمعنى: الألسن. وكلاهما مجاز. وكأن أصل النص: بدت البغضاء بألسنتهم. وشتان بين هذا وبين نص الآية وفضلا عن ذلك فقد عهدنا كثيرا هذا الأسلوب فى القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ١٦٧ آل عمران. وقوله ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ١٥ النور.

يقول الزمخشرى: "تَلَقّونه: يأخذه بعضكم من بعض. يقال: تلقى القول وتلقنه: ومنه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ ٣٧ البقرة. ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ فإن قلت: القول لا يكون إلا بالفم فما معنى ذلك ؟ قلت: معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ١٦٧ آل عمران.

أى يحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة .... وصَفَهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مَسَّ العذاب العظيم بها (أحدها): تَلَقِّى الإفك بألسنتهم، وذلك أن الرجل كان يَلْقَى الرجل فيقول له: ما وراءك ؟ فيحدثه حديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه. و (الثانى) التكلم بما لا علم به. و(الثالث) استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم"(١).

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧٢: ١٧٣.

ويـؤخذ مـن هذا أن الفم هو أداة القول بما اشتمل عليه من أدوات لابد منها وهـى: اللسان والأسنان والشفتان. ومما يثبت أن دور الأسنان أقل شأنا من النطق قـوله تعالـى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ ٨ ، ٩ البلد. فدورها تزيين النطق وتحسينه لا أصله وتكوينه.

وبهذا يثبت أن قوله (بدت البغضاء من أفواههم) معناه: ظهور ما كان مضمرا فـى القلب من الكره والبغض من الأفواه مرسوما بالحروف والكلمات التى تشرح ذلك وتوضحه.

فـلا مجـاز فى الجملة. ومِنْ ثَمَّ قال أبو البقاء: "من أفواههم: مفعول (بدت) و (مِنْ) لابتداء الغاية. ويجوز أن يكون حالا أى ظهرت خارجة من أفواههم"[(١)].

ولا داعـى لهذا التقدير ففيه تكدير لصفاء النص وإطفاء لرونقه وبهائه. لأن (من) يرتبط معناها بـ (بدت) فهى تثبت أن ابتداء ظهور البغضاء هو الأفواه. وأما انتهاؤه فهم المستمعون لذلك.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ٤٧ الزمر.

أى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسابهم[(٢)].

ولـو تأملـنا فى هذا النص لأدركنا أن (من سخط) فاعل للفعل (بدا) وعليه تكـون (من) اسما بمعنى (بعض) أى بعض سخط الله. و (ما لم يكونوا يحتسبون)

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٣.

(ما) عطف بيان لـــ (من). وقد سبق نظائر لهذه الآية. وبيان أن تقدير (سخط) بعيد عن التكدير لأن العقل يدركه من المقام فهو من قبيل الإيجاز.

هـــذا: ويجـــوز أن تكـــون (من) حرف ابتداء و (ما) هى الفاعل وجملة (لم يكونـــوا يحتسبون) صلة الموصول (ما). وهذه الجملة تثبت أن ما ظهر لهم من الله لا يسر بل يسوء ويضر ألا وهو سخط الله وعذابه. فابتداء بُدوّ وظهور هذا العذاب هو الله عز وجل. وانتهاؤه المتحدث عنهم.

فهذان الوجهان لا بأس بهما فى هذه الآية فبأيهما قلت: صدقت.

٧- بـــــرأ: عشرون مرة فىسبع عشرة آية هى:

قـــوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ....﴾ وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾ ١٦٦، ١٦٧ البقـــرة. وقـــوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ١٩، ٧٨ الأنعـــام وقـــوله: ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ .... ﴾ ٤٨ الأنفـــــال. وقـــــوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ﴾ ١، ٣، ١١٤ الـــتوبة. وقـــوله: ﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٤١ يونس. وقوله: ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠

بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ٣٥, ٥٤ هود. وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ ٢٦ النور. وقوله: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٢١٦ الشعراء. وقوله: ﴿ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ ٦٩ الأحزاب. وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ٢٦ الزخرف. وقوله: ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ ١٦ الحشر. وقوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤ الممتحنة.

ففى هذه الآيات وردت صيغ من مادة (ب ر أ) على النحو التالى:

فِعل: برَّأ – نتبرأ.

اسم مفعول: مبَّرأون.

مصدر: براءة – براء.

صفة: برئ وجمعها : برآء.

وقد نقل ابن منظور عن ابن الأعرابي قوله: "برئ : إذا تخلص، وبَرئَ إذا تنزه، وبرئ: إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ .... ﴾ أى إعذار وإنذار، والبرئ : المتفصى من القبائح. والمتنحى عن الباطل والكذب البعيد من التهم النَّقِيَ القلب من الشرك، والبرئ: الصحيح الجسم والعقل"[1].

---

(١) اللسان ١/ ٣٣: ٣٤.

فالمـــادة فـــى جميع تصاريفها تدل على تخلص شئ من شئ وتنزه شئ عن شئ. وذلك يلزم منه ابتداء الحدث من شئ وانتهاؤه إلى أخر. فقوله تعالى: ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ ﴾ فيه معنى مفارقتهم إلى غيرهم ... وهكذا. وقد سبق بيان المعنى فى قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ عند قوله: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ ...... ﴾ وفـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بالـــرفع معناه ورسوله برئ منهم كذلك. ففى الآية إيجاز بعدم ذكر الخبر لإدراك العقل مما سبق .... وهكذا نرى معنى تلك الآيات واضحاً.

وبملاحظة (من) فى (ورسوله برئ منهم) يصير عدد (من) إحدى وعشرين مرة تقديراً.

٨- بعـــث:

فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ ٥٢ يس.

قال ابن منظور : "البعث فى كلام العرب على وجهين:

أحـــدهما: الإرســـال كقـــوله تعالـــى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ ١٠٣ الأعراف، ٧٥ يونس.

معـــناه أرسلنا. والبعث: إشارة بارك أو قاعد تقول: بعثت البعير فانبعث أى أثرته فثار.

والبعث: أيضاً (لعل هذا هو الوجه الثانى) الإحياء من الله للموتى ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ ٥٦ البقرة. أى أحييناكم"[1].

وهذا المعنى هو المراد فى آية يس. ولا يخفى على ذى عقل أن الإحياء فيه معنى الحركة بعد الجمود واليقظة بعد الخمود. وابتداء ذلك كله هو موضع الرقود. وبالتأمل يدرك القارئ أن هذا هو معنى: الإرسال إذ فيه معنى التحرك والانتقال إن بالجسم وما يحمله من أعضاء وإن بالعقل وما يستلزمه من تحرك إلى صالح ومفارقة طالح. فالكلمة تثير العقل وتحركه إلى غير ما ينطوى عليه من فكر.

٩- بعـــد: فى آيتين من سورة هود وهى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ٨٣ وقوله: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ ٨٩.

قال ابن منظور : "البعث فى كلام العرب على وجهين: وهاتان الآيتان مرتبطان بعذاب قوم لوط وإهلاكهم وتدمير أبنيتهم.

فالآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ ٨٢ ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ٨٣.

(١) اللسان ٢/ ١١٧.

فجَعْــل (عالــيها سافلها) دليل علي التنكيس الذى يترتب عليه التدمير وذلك نظيــر قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ . فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ ٥٣: ٥٤ النجم ولــم يُكْتفَ بذلك بل أردفه بإمطار الحجارة من سجيل أى حجارة من طين عليها. لــيكون العذاب عنفًا وأقوى. ثم قال (وما هى أى قرى قوم لوط من الظالمين من غيــرهم ببعــيد. وفى هذا وعيد لأهل مكة فعن رسول الله صلى الله عيه وسلم: أنه ســأل جبــريل علــيه السلام فقال: يعنى: ظالمى أمتك، ما من ظالم منهم إلا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة.

وهــذه القرى قريبة من ظالمى مكة يمرون عليها فى مسايرهم وما هى بشئ بعــيد. أو ما هى بمكان بعيد لأنها – وإن كانت فى السماء أى الحجارة وهى مكان بعــيد – إلا أنهــا إذا هــوت مــنها فهى أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه"(١).

هذا ما ذكره الزمخشرى فى الآية الأولى. ومما يؤخذ عليه تصدير خبر (إن) من (لأنها) بقوله (إلا أنها إذا هوت ....) وهذا خطأ نحوى كما نبهنا إليه وكنا نظن أنه وليد عصرنا هذا ولكننا وجدناه غائر الجذر فى تاريخ اللغة فكم قرأناه للأنبارى فــى (الإنــصاف) وللرضى فى شرحى (الكافية) و (الشافية) لابن الحاجب. واليوم نــرى الزمخشرى وهو من هو يزل قلمه – ولا أقول: فهمه – فيقع فيه ولعل السر فى ذلك شهرة هذا الخطأ من عصر قديم متمكن من الأفهام ثم جرى على الأقلام.

أمــا الآية الثانية (وما قوم لوط منكم ببعيد) فهى من خطاب النبى شعيب إلى قــومه. حــيث يقــول: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٥.

أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ ٨٩ هود.

قال الزمخشرى: "أى لا يكسبنكم شقاقى إصابة العذاب. فـ (جَرَمَ) متعد لاثنين يقال: جرمته ذنبا وأجرمته ذنبا مثل كسبته مالا وأكسبته مالا. ومن ثم قرأ بن كثير بضم الياء أى (يُجْرِمنكم) إلا أن من المشهور فتح الياء. (مثل ما أصاب قوم نوح .....) (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى: أنهم أهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أولا يبعدون منكم فى الكفر والمساوئ وما يستحق به الهلاك ....."[1].

أما إعراب الآيتين فهو (ما: نافية و (هى) فى الأولى و (قوم لوط) فى الثانية مبتدأ. و (ببعيد) فى الآيتين خبر. والباء هنا ليست بزائدة كما هو المشهور بل هى بمعنى (مثل) فإن كانت (ما) عاملة عمل (ليس) فالباء فى محل نصب خبرها. وإن كانت مهملة. فالباء فى محل رفع خبر المبتدأ. وإذا نفى مثل البعيد كان نفى البعيد أقوى وآكر. ولا يخفى أن العقل يدرك تقدير موصوف أى: بعذاب بعيد.

ويبقى (من الظالمين) و (منكم) وهما مرتبطان بـ (بعيد) فى الآيتين و (من) ابتدائية فابتداء مثل البعد هم (الظالمين) فى الأولى. والمخاطبون فى (منكم) وذكْرها أولا و(ببعيد) آخرا لا يترتب عليه محظور من دعوى التقديم والتأخير لأن العقل يدرك المعنى واضحاً صريحاً فلا غموض فيه ولا غبار عليه. إذ البعد فى الآيتين هو مناط الجار والمجرور من قبله. إذ ليس قبله ما يصلح متعلّقاً له . فهو نظير ذكر الفاعل قبل فعله فى نحو: محمد قام كما قرره سيبويه ووافق عليه الكوفيون.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٩: ٣٣٠.

١٠- بـــــلا:

فى قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ ١٧ الأنفال.

أى ليعطيهم عطاء جميلا(١).

فالله مبتدأ العطاء. والمؤمنون منتهاه. والله مُنَزَّه عن الزمان والمكان.

١١- بـــــان: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ وقـــــوله : ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ ١٨٧، ٢٥٦ البقرة.

والمقــصود فــى الأولى (من) الأولى. يقول أبو حيان: "من: الأولى لابتداء الغايــة. قــيل: وهــى وما بعدها فى موضع نصب لأن المعنى: حتى يباين الخيط الأبيضُ الخيطَ الأسودَ".

والـــراجح أنـــه لا محل لـــ (من) من الإعراب إذ هى مرتبطة بالفعل (تبين) والتبـــين لا يخلو من معنى المباينة أى المباعدة فابتداء مباينة الخيط الأبيض – أى الـــنور – هـــو الخيط الأسود – أى الظلام – وهذا المعنى موجود فى قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ ٣٧ يسن. فالنهار ينبلج من الليل. والليل يسلَّخ منه النهار. وسبحان الله العزيز القوى القهار.

ومـــن هـــذا يثبت أن التبّين فيه معنى الابتداء وإنه يتباعد شيئا فشيئا ومن ثم يصلح لارتباط (من) به. ولكن الألوسى يرى ما يفيد غير ذلك حيث يقول: "ومن :

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٢.

الأولــى قــيل لابتداء الغاية. وفيه أن الفعل المتعدى بها يكون ممتدا أو أصلا للشئ الممتد؛ وعلامتها أن يحسن فى مقابلتها (إلى) أو ما يفيد مفادها. وما هنا ليس كذلك. فالظاهر: أنها متعلقة بـ (تبين) بتضمين معنى: التمييز؛ والمعنى: حتى يتضح لكم الفجر متميزا عن غبش الليل"(١).

وربمــا يُفْهم هذا من قول الزمخشرى فى الآية الثانية: "قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة"(٢).

ودعوى التضمين فى اللغة عموما وفى القرآن خصوصا غير مستساغة ولا لائقــة. وممــا يــؤيد الاستغناء عنها هنا قول الإمام الرازى: "وعندى أن الإيضاح والتعريف إنما سمى بيانا لأن يوقع الفصل والبينونة بين المقصود وغيره. ومعنى: (تبــين الرشد من الغىّ) تميز الحق من الباطل. ومعنى (تبين) انفصل وامتاز فكل المــراد أنــه حصلت البينونة بين الرشد والغى بسبب قوة الدلائل، وتأكيد البراهين وعلى هذا كان اللفظ مجرى على ظاهره"(٣).

وفى هذا من الكمال والجلال والجمال ما لا يخفى.

وأمــا (من) الثانية فى الآية الأولى (من الفجر) فهى اسم بمعنى (بعض) أى حالة كونه بعض الفجر. فليست فى حاجة إلى متعلَّق كما يرى أبو حيان حيث سوَّى بينها وبين (مِنْ) الابتدائية فى الاحتياج إليه(٤) .

وإمــا (من) الابتدائية فهى مرتبطة بما يدل على الحدث الممتد الذى يكون له ابتداء وانتهاء كما وضحنا غير مرة.

---

(١) روح المعانى ١/ ٣٧٥: ٣٧٦.

(٢) الكشاف ١/ ٢٣١.

(٣) من مفاتيح الغيب ٢/ ٣٣٠.

(٤) انظر البحر ٢/ ٥٢.

١٢- تـــاب:

فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ ١٧ النساء.

والذى يتبادر إلى الذهن أن المعنى يتوبون عقب عمل السوء فلا تَمَلُّونَ مهلة زمنية فكأن التقدير: ثم يتوبون من زمن قريب. أى يبتدئون توبتهم بُعَيد زمان عملهم الـسوء. وهذا ما حمل الزمخشرى على أن يجعل (من) للتبعيض أى يتوبون بعض زمـــان قريب؛ كأنه سمَّى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمان قريبا؛ ففـــى أى جـــزء تـــاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب؛ وإلا فهو تائب من بعيد"[١].

فالزمخـــشرى يقـــدر مـــضافا إليه حيث قال (بعض زمان قريب) و (قريب) وصـــف له. ثم يقرر أن الزمان القريب يشمل الزمان الذى يعيشه عامل السوء منذ عملـــه حتى حضرة الموت؛ وذلك غير مراد وإلا لما كان هناك فرق بين هذه الآية والتـــى تلـــيها وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔنَ ...﴾ ١٨ النساء.

فالراجح أن يكون التقدير: أن تكون التوبة عقب عمل السوء بلا تراخ ولعلك تلمح تناقضا فى تعبير الزمخشرى حيث جعل الزمان منذ عمل السوء حتى حضرة المـــوت زمانا قريبا. ثم يقول (وإلا فهو تائب من بعيد) فيكف تكون حضرة الموت زمانا قريبا للتوبة وفى الوقت ذاته تكون زمانا بعيدا ؟!

---

(١) الكشاف ١/ ٣٧٨.

ولــذا كــان الــرازى أدق تعبيــرا وأقرب إصابة للمعنى المراد حيث قال: "مــن لابــتداء الغايــة أى يجعل مبتدأ توبته زمانا قريبا من المعصية لئلا يقع فى زمرة المصِرّين.

فأمــا من تاب بعد المعصية بزمان بعيد وقبل الموت بزمان قريب فإنه يكون خارجاً من المخصوصين بكرامة حتم قبول التوبة على الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾.

ومن لم تقع توبته على هذا الوجه يكفيه أن يكون من جملة الموعودين بكلمة (عسى) فى قوله: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ١٠٢ التوبة ولا شكَّ أن بين الدرجتين من التفاوت مالا يخفى.

وقيل معناه: التبعيض ... الخ"[1].

وممــا ينبغى ملاحظته أنه لابد من لحظ معنى (زمان) على الوجهين معاً أى سواء أكانت (مِنْ) حرف ابتداء أم كانت اسما بمعنى (بعض). وعلى الأول لا محل لها من الإعراب. وعلى الثانى تكون فى محل نصب لأنها ظرف زمان. وإذا صح أن تكون ظرف زمان شأنها شأن (كل) فى قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ٢٥ إبراهيم.

دَلَّ ذلــك علــى ضعف القول بأنها لا تكون لابتداء الزمان. كما سبق تحقيق ذلــك. ومــن العجب العجاب أن نرى الألوسى فى مقامنا هذا يقول: "إن (من) إذا

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣/ ١٧٦ ، وانظر البحر المحيط ٣/ ١٩٨.

كانـــت ابتدائـــية لا تدخل على الزمان لأن ذلك مختص بـــ (مذ ومنذ) وبأن الإتيان بـــ (ثُمَّ) – يعنى فى قوله : ثم يتوبون من قريب – إيذان بأن يسعه عفوه"[١].

والحق أن (مِنْ) تكون لابتداء الزمان كما تكون لابتداء المكان. وهى فى هذه الآية صالحة لذلك كما هى صالحة لتكون اسما. بمعنى (بعض) منصوبة على الظرفية.

١٣- جـــــاء : فى ست آيات هى :

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ... الآيـــة ﴾ ٤٣ النـــساء ومثلها الآية رقم ٦ من المائدة وقوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ..... الآيـة ﴾ ١٠٠ يوســـف وقـــوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ٢٣ النمل. وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ... الآيـــة ﴾ ٢٠ القـــصص. وقـــوله: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ... الآية ﴾ ٢٠ يسن.

فـــ (من الغائط) فى آيتى النساء والمائدة و (من البدو) فى آية يوسف و (من سبأ) فى آية النمل و (من أقصى) فى آيتى القصص ويسن فى كل هذه الآيات (مِنْ) فـــيها لابـــتداء المجئ. وهى توحى بالانتهاء أى جاء من الغائط إلى مكان الإقامة والاستراحة. وجاء بكم من البدو إلى مصر. وجئتَ سليمانَ من سبأ بنبأ ... فسليمان هـــو انـــتهاء مجـــئ النبأ. وموسى عليه السلام هو انتهاء مجئ (رجل من أقصى المدينة) وهو مؤمن آل فرعون. والقوم فى قوله (يا قوم اتبعوا المرسلين) آية يسن هم انتهاء مجئ (رجل يسعى) وهو حبيب بن إسرائيل النجار.

---

(١) روح المعانى ٢/ ٥ ببعض تصرف.

ويلــزمنا هــنا أن نوضح الفرق بين آيتى القصص وَيس حيث وقع (رجل) مباشــر للفعل (جاء) فى الأولى. على حين وقع (من أقصى) فى الثانية مباشرا لهذا الفعــل. ففــيها فصل بين الفعل وفاعله. فما سر ذلك ؟ أجاب أبو عبد الله الخطيب الإسكافى قائلاً: "إن الفاعل فى الموضعين لمّا كان نكرة والمعنى: جاء جاءٍ. وقد دل الفعل على (جاءٍ) ولا يكون الجائى من أقصى المدينة فى الأعم الأغلب إلا رجلا؛ وكــان الذى يقاد المخاطب أن يعرف أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس فى القــرية وحــيث لا يقــرب من مجارى القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجــزة فقدم ما تبكيت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر فقال: "وجاء من أقصى المديــنة رجل) ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم ولا ينصح لهم أقربوهم مع أنــه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم.

أما الآية الأولى من سورة القصص فإن المراد: جاء من لا يعرفه موسى من مكــان لــم يكن مجاورا لمكانه فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به. فاستوى حكم الفاعــل والمكــان الــذى جاء فيه فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل. إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم يكون من أقصى المدينة كما كان ذلك فى الآية المتقدمة"[1].

وخلاصة ذلك كله أن الكلمة فى القرآن توضع فى المكان الذى تتمكن فيه من أداء دورهــا المطلــوب وتحقــيق هدفها المنشود. وعلى الدارس أن يحرص أشد الحــرص على إستنباط المعنى من نسق النص دون تدخل فيه بما يزعم أنه يصلحه فإن فعل ذلك أفسده لأنه تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) درة التنزيل ص ٣٠٧.

١٤- أحـــس :

فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٥٢ آل عمران.

فسر الإمام الطبرى الإحساس بالوجود كما فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ ٩٨ مـريم. وأما الحَسّ بغير ألف فهو الإفناء والقتل ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ ١٥٢ آل عمران[1].

وقـال الزمخـشرى: "فلمـا علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس" ثم قال فى : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ تقتلونهم قتلا ذريعا"[2].

وقال الرازى: "الإحساس : وجدان الشئ بالحاسة وههنا وجهان:

أحدهما: أن يجرى اللفظ على ظاهرة وهو: أنهم تكلموا بالكفر فأحس ذلك بأذنه.

الثانى: أن نحمله على التأويل وهو: أن المراد : عرف منهم إصرارهم على الكفر وعزمهم على قتله، ولما كان ذلك العلم علما لا شبهة فيه مثل: العلم الحاصل من الحواس لا جرم عَبَّر عن ذلك العلم بالإحساس"[3].

هـذا معنى (أحس) وأما (منهم) فواضح أنه مرتبط به أى أن ابتداء إحساس عيـسى كفـرهم هم أى الكفرة. و (الكفر) مفعول به. وبذلك تكون مفردات الجملة ثابتة منسقة إذ كل منها فى مكانة وقائم بمكانته. وهذا ما قرره أبو السعود على وجه

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٧٨.

(٢) الكشاف ١/ ٢٨٠، ٣٢٨.

(٣) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٧٦: ٤٧٧.

اليقين حيث قال: "وكلمة (مِنْ) متعلقة بـــ (أحس) والضمير المجرور لبنى إسرائيل أى: ابتداء الإحساس من جهتهم"(١).

هـــذا هو المنهج المستقيم الذى ينبع من الفكر الثاقب القويم. وياليت علماءنا حرصـــوا علـــيه واستيقنته أنفسهم !! لو فعلوا لأراحوا واستراحوا ولحفظوا للقرآن بهجته ورقته وسلاسته وعذوبته ولكنهم أبو إلا التدخل فى نسقه بما يجلب عليه القلق والاضطراب فمنهم من صَوَّر أن يكون (منهم) حالا مقدما على (الكفر) أى: أحس بالكفر حالة كونه صادرا منهم(٢).

بل استظهره بعضـهم(٣).

ولـــست أدرى وجها لذلك اللهم إلا إذا كانت دعوى التقديم والتأخير لابد منها فـــى فهم أسلوب القرآن الحكيم. ولكنى مع ذلك أقرر أن العلماء خانهم ذكاؤهم هنا لأنهم قرروا أن نعت النكرة إذا ذكر قبلها أُعْرِب حالا. وكلمة (الكفر) فى هذه الآية معـــرفة فلا يجوز أن نجعل (منهم) حالا مقدما عليها. إذ لو ذكرت بعدها لوجب إعـــرابها حالا. فلو جاز دعوى التقديم والتأخير فى الشعر لما طوَّعت نفس أحد له بتجويزه فى النثر ولاسيما القرآن الحكيم.

١٥- حـــــق :

فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٣ السجدة.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢/ ٤١٢: ٤١٣.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٧، وحاشية الجمل ١/ ٣٣٢، وروح المعانى ١/ ٥٩٢.

(٣) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٦٣١.

أى ثبت القول منى لا من سواى فـ (من) مرتبطة بـ (حق) أى أن ثبوت القول ابتداؤه هو الله عز وجل.

١٦- خـــرج: سبعا وثمانين مرة فى ثمانين آية من السور الآتية:

البقــرة: ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ٣٦ ﴿ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ ٧٤ ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ ٨٤ ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ ﴾ ٨٥ والمراد (من ديارهم). ﴿ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٦٧ ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ٢١٧ ﴿ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ ٢٤٣ ﴿ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾ ٢٤٦ ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .... يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ ٢٥٧ ﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٢٦٧. والمراد هنا (من الأرض).

آل عمــران: قوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ ٢٧ ﴿ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ ﴾ ١٩٥.

النســاء: ﴿ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم ﴾ ٦٦ ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ ٧٥ ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ ١٠٠ .

المائدة: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ١٦ ﴿ لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ ٣٧ .

الأنعام: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ ٩٥ ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ ٩٩ ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ ١٢٢ .

الأعراف: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ ١٨ ﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ ٢٥ ﴿ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ٢٧ ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ ٨٢ ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ﴾ ٨٨ ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ١١٠ ﴿ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾ ١٢٣ .

الأنفال : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾ ٥ ﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ ٤٧.

يونس : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ ٣١.

يوسف : ﴿ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ ٧٦ ﴿ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ ١٠٠ .

إبـــــراهيم : ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ١ ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ٥ ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾ ١٣ .

الحجر : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ ٣٤ ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ٤٨ .

الـــنحل : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ ٦٩ ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ ٧٨ .

الإسراء : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ ٧٦.

الكهف : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ٥.

مريـــم : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ ١١.

طـــه : ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٥٥ ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ﴾ ٥٧ ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ ٦٣ ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ ١١٧.

الحـــج : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ٢٢ ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ٤٠ والمراد فى الآية الأولى (منها) لـــ (من غم).

المؤمنون : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ ٢٠ ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ ١٠٧.

النـــور : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ ٤٣.

الـــشعراء : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾ ٣٥ ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٥٧.

النمــل : ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً ﴾ ٣٧ ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ ٥٦ ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٨٢.

القصص : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ٢١.

الـــروم : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ ١٩ ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ ٤٨.

السـجدة : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ٢٠.

الأحزاب: ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ٤٣.

ســـبأ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ ٢.

يســـن : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾ ٣٣.

صـــ : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ ٧٧.

فصلت : ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ ٤٧.

الجاثية : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ..... ﴾ ٣٥.

القمــر : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ ٧.

الرحمن : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ٢٢.

الحديد : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ ٤ ﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ٩.

الحشــر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ ٢ ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ٨.

الممتحنة : ﴿ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ ٨ ﴿ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ ٩.

المنافقون : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ ٣٣.

الطــلاق : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ١ ﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ١١.

المعارج : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ ٤٣.

النازعات: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ ٣١.

فـــ (مــن) فى هذه الآيات كلها لابتداء الغاية كما ذكره الجمل عن السمين وهذا فى الآية الأولى من البقرة وهى فى حق آدم وزوجه حيث يقول الله : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا .... رَغَدًا فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أى من الجنة.

وكذلك ذكر الجمل هذا المعنى فى آخر آية من البقرة وهى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾

"فقد ذكرت (من) فيها ثلاث مرات (من طيبات) (ومما أخرجنا) وهى فى هاتين اسم بمعنـــى (بعض) فى محل نصب مفعولا به. وأما الثالثة فهى (أخرجنا من الأرض) ففي حاشية الجمل: "من: متعلق بـــ (أخرجنا) لابتداء الغاية[1].

... وهكـــذا نجـــد معنـــى الابـــتداء واضحا فى هذه الآيات غير أن منها ما يستوقف الفكر لاحتياجه إلى تأمل . ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾ ٢٤٦ البقـــرة. فالإخـــراج مـــن الديار واضح فيه معنى الابتداء. ولكنه ليس كذلك بالنسبة للأنباء. ولذا قال أبو البقاء: "إن (أبناءنا) معطوف على (ديارنا) وفيه حذف مضاف تقديره : ومن بين أبنائنا"[2].

وقـــيل : ضُمِّن الفعل (اخرجنا) معنى: أبعدنا ليصح قوله: وأبنائنا[3] ودعوى التضمين باطلة لأنها فرض شئ على اللفظ القرآنى لا يحتاج النص إليه. وأما تقدير مـــضاف فهو اللائق بجلال القرآن وكماله إذ يدركه العقل من السياق فالإخراج من الـــديار واضح إذ هى مكان يشتمل على بنى البشر. وأما الإخراج من الأبناء فليس كذلك ومن ثَم أدرك العقل معنى البينية إذ يقال : أخرج الأستاذ التلميذ من بين زملائه.

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٥٢ ، ١٦٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٨.

(٣) حاشية الجمل ١/ ٢٣٩.

٢- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .... الآية﴾ ٢٥٧ البقرة, ١٦ المائدة ومثلهما ١٢٢ الأنعام، ١ ، ٥ إبراهيم، ٤٣ الأحزاب، ٩ الحديد ، ١١ الطلاق.

وحسبنا فى هذا المقام ما ذكره الزمخشرى فى الأولى: "الله ولى الذين آمنوا : أى أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان. (والذين كفروا): أى صمموا على الكفر أمْرهم على عكس ذلك.

أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشُبه فى الدين – إن وقعت لهم – بما يهديهم ويوفقهم له من حلها. حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشُبه"(١).

وخلاصة ذلك النص أن المعنى إما أن يكون على تقدير إرادة الإيمان أو وقوعه وحصوله فعلا. فعلى الأول يكون المراد: إخراجهم من الكفر إلى الإيمان. وعلى الثانى يكون المراد: إخراجهم من الشُبَهِ التى قد تعرض لهم إلى رحاب اليقين.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ ٢٧ آل عمران, ٩٥ الأنعام، ٣١ يونس، ١٩ الروم، ٤٣ الأحزاب، فهذه خمس آيات تشتمل على هذا المعنى. وإن اختلف النص فى بعضها كما فى آية الأنعام (ومخرج الميت من الحى) باسم الفاعل لا بالفعل .. وفيه يقول ابن جرير:

---

(١) الكشاف ١/ ٢٣٢.

"وأولــى التأويلات عندى بالصواب: تأويل من قال: يخرج الإنسان الحىّ والأنعام والـبهائم من النطف الميتة وذلك إخراج الحىّ من الميت. ويخرج النطفة الميتة من الإنـسان الحىّ. والأنعام والبهائم الأحياء. وذلك إخراج الميت من الحىّ. وذلك أن كـل حىّ فارقه شئ من جسده فذلك الذى فارقه منه ميت؛ فالنطفة : ميتة لمفارقتها جـسد من خرجت منه؛ ثم ينشئ الله منها إنسانا حياً، وبهائم وأنعاما أحياء. وكذلك حكم كل شئ حىّ زايله شئ منه فالذى زايله منه ميت"(١).

والـذى يستنبطه العقل من هذا النص: أن النطفة الميتة أصل الإنسان الحىّ، وأن الإنـسان الحـىّ أصـل النطفة الميتة. وهذا على قراءة (الميِّت) بتشديد الياء. وعلـيه يمكـن للعقل أن ينكره إذ كيف يكون الميِّت أصل الحىّ وكيف يكون الحىّ أصل الميت صحيح أن قدرة الله لا يعجزها شئ فهو الذى قرر وحكم ولا يمكن ردّ تقريـره أو نقص حكمه لأنه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ ٢ الملك، ولكن ليس معنى ذلك أن العقل لا يكون له دور فى إدراك معنى النص.

ومن ثم رأينا الطبرى يذكر قراءة بتخفيف (ميْت) أى بتسكين الياء ثم يبين أن (المـيِّت) مـثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات. وأما (الميْت) مخففا فهو: الذى قد مات"(٢).

وممـا يثبت ذلك قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ﴾ ٢٨ البقـرة. فكلمة (أموات) جمع (ميْت) مخفف الياء. مثل (بَيْت)

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٣٧.

(٢) جامع البيان ٣/ ١٣٧، ١٣٨.

وأبـيات. و (قـيْل) وأقـيال. وهو ملك من مُلُوكِ حِمْيرَ. فإن قلت: كيف قيل لهم: أموات فى حال كونهم جمادا – يعنى قبل أن يخلقوا من النطف فى الأرحام – وإنما يقال: ميْت فيما يصح فيه الحياة من البِنَى – جمع بِنْيَة – ؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحـياة كقوله: ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ ١١ ق وقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ ٣٣ يس ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ ١٢ النحل"[1].

وعلـيه فلابد من فرق بين (ميِّت) و (ميْت) إذ **الأول**: ما فيه حياة ستفارقه. **والثانى**: ما فارقته الحياة فعلا. فبينهما عموم وخصوص مطلق. وهذا ما روى عن الخليل فى تفسير الكلمتين. ففى سورة الزمر عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ٣٠ ، قال النسفى: "أى ستموت (وإنهم ميتون) أى ستموتون. وبالتخفيف مَنْ حلَّ به الموت. قال الخليل: أنشد أبو عمرو:

وتـسألنى تفـسير مـيْت ومـيِّت ... فـدونك قـد فسَّرت إن كنت تعقل
فمـن كـان ذا روح فـذلك ميِّت ... وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل[2]

ومثله قوله الآخر:

لـيس مـن مـات فاستراح بميْت ... إنمـا المـيْت مـيِّت الأحـياء
إنمـا المـيْت مـن يعـيش كئيبا ... كاسـفا بالـه قلـيل الـرجاء

---

(١) الكشاف ١/ ٩١: ٩٢.

(٢) مدارك التنزيل ٤/ ٥٤، وانظر القاموس المحيط مادة: مات.

وهذا ما تشهد به النصوص القرآنية قبل ما سبق. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ ٢٢ الأنعام ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ ١١٥ النحل ﴿ لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ...... ﴾ ١٤٥ الأنعام.

ومن مثقّل الياء قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ ١٧ إبراهيم.

ومن الآيات التى نحن بصددها (يخرج الحىَّ من الميِّت ويخرج الميِّت من الحى) أن يخرج النطفة وفيها حياة من الإنسان الحىّ الذى سيموت. كما يخرج الميِّت وهو النطفة التى ستموت من الحىّ أى الذى لم يمت بعد "فأولى القراءتين بالصواب قراءة من شدد الياء من: الميت"(١).

ويقول ابن الجزرى: "واختلف القراء فى هذه الآيات بين التخفيف والتشديد؛ ولكنهم أتفقوا على تشديد ما لم يمت نحو ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ ١٧ إبراهيم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ٣٠ الزمر لأن لم يتحقق فيه صفة الموت بعد بخلاف غيره"(٢).

وبهذا كلّه يتحقق أن أصل الحياة حياة وإن اختلف نوعها. فالنطفة فيها حياة عند خروجها من الحيوان الحىّ. وتتمثل حياتها فى قدرة الحيوان المنوي على

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٣٩.

(٢) النشر ٢/ ٢٢٤: ٢٢٥.

تخصيب البويضة فى الأنثى وربما كانت تلك الحياة غير معلومة فى زمان سحيق للـــذين لا يملكـــون كتابا فيه أصول الكون ووصف لمظاهر المجتمع البشرى مثل القـــرآن الكـــريم ؟ ولذا كانوا يرتابون فى حياة النطفة التى تصب من الذكور فى أرحام الإناث.

يقول (هتل) أستاذ التشريع فى مدرسة (فونتجن) الجامعة: "ولا يزال البعض يعتقدون أن الخلايا الحية تتولد من غير خلايا حية سابقة لها أى أن الحىّ يتولد من غيـــر الحىّ. ولا يمكن أن يقام دليل على فساد ذلك المعتقد. ولكن لم يقم دليل حتى الآن على صحته فالدليل العقلى مؤيد له؛ ولكن الشواهد العملية تخالفه"(١).

ففى هذا النص نجد فجوة بين البحث العلمى بواسطة العقل وبين الواقع الذى يمـــلأ القلب إيمانا والشعور إيقانا. فعلى حين نجد العقل معترفا بأن الحياة تنبع من غير الحياة لا نلبث أن نرى واقع الأثر يحيل ذلك.

ومـــن ثم رأينا (مارتن برى) يقول: "إن الجنين كله مؤلف من خلايا مملوءة بأصـــول خلايا أخرى؛ والخلايا الجديدة تتولد من حويصلة البيضة أو نواتها؛ فإن المادة التى فيها تدخل بناء الخليتين الأوليين وفى كل منهما نواة، ثم تنقسم كل خلية إلى اثنتين وهَلُمَّ جرا. فثبت حينئذ أن الخلايا الجديدة تتكون داخل الخلايا القديمة"(٢).

وربمـــا يفهـــم من النصين السابقين أن الحقائق الكونية منها ما لا يدخل فى نطاق البحث العقلى أو الدرس البشرى ومنها ما يضمه هذا النطاق مع ملاحظة أن الله الذى يعلم سر كائناته هو الذى هدى العقل البشرى إلى إدراك بعض هذا السر. ففـــى مقامـــنا هذا – وهو إخراج الحىّ من الميت وإخراج الميت من الحىّ – نقرأ نصوصا قرآنية تثبت بما لا ريب فيه وجود حياة فى النطفة الذكرية وبها تتخصب

---

(١) العلم والعمران ص ٦١.

(٢) العلم والعمران ص٦٢.

البويضة الأنثوية. وقد يؤيد هذا التقسيم العقل البشرى نفسه لأنه وقف إزاء كائنات مكتوف القدرة مشلول الحركة ولذا كان (هربرت سبنر ١٨٢٠: ١٩٠٣) على حق عندما "قسم الحقائق الكونية إلى قسمين بالنسبة إلى المعرفة الإنسانية.

أحـــدهما: حقائـــق الأشياء فى ذواتها وفى أصولها الأولى؛ وهو القِسْم الذى يُدْرَك ولا يتقبل الإدراك بالأساليب العلمية.

والآخـــر: حقائـــق الأشـــياء فى ظواهرها المحدودة وهى التى يستطيع عقل الإنسان أن يدركها بالاستقراء والاستدراك"(١).

ومـــن الثانـــى: حياة الحيوان المنوى فقد استطاع العقل البشرى بتوفيق الله وهدايته أن يدرك ما فيه من حياة لابد منها للتخصيب وتخليق الجنين فى الرحم.

وبهـــذا يمكنـــنا أن نرد قول ابن جرير : "إن الله جل ثناؤه يخرج الحىّ من النطفة التى قد فارقت الرجل فصارت ميتة؛ وسيخرجه منها بعد أن تفارقه وهى فى صُلب الرجل.

ويخـــرج الميت من الحىّ أى النطفة التى تصير بخروجها من الرجل الحىّ ميتا وهى قبل خروجها منه حية"(٢).

ووجـــه ردِّ هذا القول ما ينطوى عليه من الاعتراف بحلقة تنعدم فيها الحياة؛ ولو صح هذا لما كان مخلوق على ظهر البسيطة؛ ألم يعترف ابن جرير بأن النطفة تموت بعد أن تفارق صلب الرجل ؟!

---

(١) الإنسان فى القرآن الكريم ص ٨٧.

(٢) جامع البيان ٣/ ١٣٩.

ثم أليس فى ذلك إنكار لما فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ . فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ . فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ ٢٠: ٢٣ المرسلات.

ألــيس جعل هذا الماء المهين فى ذلك القرار المكين إلى القدر المعلوم يثبت نمـــوه؛ والنمو دليل الحياة ومظهرها الفريد. والذى يتأمل قول الله (فى قرار مكين) يدرك – لا محالة – مدى المحافظة والعناية الربانية لهذا الماء حتى يظل حيا ناميا إلــى أن ييــسر الله لـــه ســبيل الخروج من الرَّجُل كما فى قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ . ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ ١٧: ٢٠ عبس.

وخلاصـــة ذلك كله أن هناك – لا محالة – فرقا بين (ميِّت) و (ميْت) بتشديد الياء وتخفيفها فالأول ما فيه حياة ستفارقه . والثانى ما ليس فيه حياة.

وأن المـــراد بإخراج الحىّ اى الولد من الميْت أى الحيوان المنوى وبإخراج المــيِّت. اى الــذى ســيموت وهـــو الحيوان المنوى من الميْت وهو الذكر مفارقة أحدهما للآخر.

ولكن ابن عطية يرى أن المراد التنقل من حال إلى حال فهو يقول: "أن نطفة الإخــراج فــى تنقل النطفة حتى تكون رجلا. إنما هو عبارة عن تغيير الحال كما تقول فى صبى جيد البنية يخرج من هذا رجل قوى.

وقــد يحــتمل قوله (ومخرج الميت من الحىّ) أن الحيوان كله ميته ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد"(١).

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٣٢٥، وانظر البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٤٤٩ .

ومعنى التجريد قد سلف توضيحه والردّ عليه لأنه يترتب عليه زيادة (من). وقد حققنا أن لغة القرآن لا تنطوى على أدنى صوت لا معنى له.

فكيف نحكم على كلمة بأسرها بأنها زائدة. مع أن معناها وهو الابتداء ثابت مـتحقق فمبدأ إخراج الحىّ هو الميت. كما أن مبدأ إخراج الميت هو الحىّ. وبذلك نصون النص القرآنى من العبث ونحفظ عليه جلاله وكماله وجماله.

٤- قوله تعالى: **﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخـرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا. ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجناتٍ من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ﴾** الأنعام الآية ٩٩.

وفى هذه الآية ذكرت (من) ست مرات:

(مـن السماء) وهى اسم بمعنى (بعض) والمراد بـ (السماء) : السحاب أى أنزل بعض السحاب حالة كونه: ماءً.

(ومن النخل من طلعها قنوان دانية) و (من) هنا اسم بمعنى (بعض) أيضاً.

وعلـيه فالأولـى (مبتدأ) فى محل رفع والثانية بدل منها أى وبعض النخل بعض طلعها قنوان أى صنوان.

هذا ما قررناه ودرسناه فيما سبق. ولكن النحاة - غالبا - يجعلون (من النخل من طلعها) خبر مقدم و (قنوان) مبتدأ مؤخر.

(وجـنات مـن أعـناب) يرى الزمخشرى أن (جنات) بالرفع وفيها وجهان أحدهما: أن يراد (وثَمَّ جناتٌ من أعناب) أى مع النخل) . والثانى: أن يعطف على (قنوان) .."

فعلـى الأول تكون (جنات) مرفوعة بالظرف (ثَمَّ) و (من أعناب) نعت فى محل رفع إذ (من) اسم بمعنى: بعض.

ثــم قال : وقرئ (وجناتٍ) بالنصب عطفا على (نبات كل شئ) أى وأخرجنا من جنات من أعناب. وكذلك قوله: (والزيتون والرمان) والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله (والمقيمين الصلاة) لفضل هذين الصنفين"[١].

وأمــا (من) فى (فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) فالواضح أنها حــرف ابتداء لا اسم بمعنى (بعض) والضمير فى (منه) الأولى مرجعه (نبات كل شئ) فالخَضِر يبتدئ خروجه من (نبات) وفى (منه) الثانية مرجعه (خضرا) فالحب المتراكب يبتدئ خروجه من: الخضر.

والمــراد بــــ (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف الناس. يعنى: أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتتة كما قــال (يسقى بماء واحد....) ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ ٤ الــرعد. (فأخرجنا منه) أى من النبات (خضرا) شيئا غضا أخضر يقال (أخضر وخضر) كأعور وعور. وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (يخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل.

فمعنــى الابتداء واضح فى (من) مرتين. كما أن معنى البعضية واضح فى أربــع مرات. فعلى الأول تكون (من) حرف ابتداء وعلى الثانى تكون (من) اسما بمعنى (بعض).

فالمراد هنا (من) الثانية والثالثة.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠: ٤١.

٥- قــوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

٤٨ الحجر.

و (منها) هنا مرتبط بـــ (مخرجين) والضمير عائد على الجنة.

وقــد علمـــنا أن هـــذا الأسلوب أقوى وأبلغ من قولنا (وما هم مخرجين أو مخـــرجون مـــنها) إذ ذِكْر (منها) أوَّلا وذكر (بمخرجين) آخِراً لَفْت للأذهان وتنبيه للعقـــول إلـــى أنهـــم فـــى الجـــنة أى قد تمكنوا منها وصاروا من أهلها. ثم جاء (بمخرجين) ليثبت لهم الدوام المؤبد. بل زيد على ذلك ذكر الباء التى بمعنى (مثل) أى وليسوا مشبهين المخرجين فكيف يكونون مخرجين ؟!

فنفى ابتداء الخروج الجنة يثبت – لا محالة – عدم الخروج منها.

وممـــا يلفت الذهن أن هذه الآية فى حق أهل الجنة وهناك آيتان فى حق أهل النار وهما: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٦٧ البقرة وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ ٣٧ المائدة وقوله: ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ ٢٢ الأنعـــام. فهـــنا عَبَّر بـــ (خارجين) وهو اسم فاعل من الثلاثى الذى يدل على الاختيار فى الخروج. وذكره قبل (منها) وفى هذا إشارة إلى أن أصحاب النار قد يخرجهم الله منها إلى الجنة.

وأمـــا آيـــة الحجر (وما هم منها بمخرجين) فهى بصيغة (مُخْرَج) الذى يدل علـــى الاضـــطرار وبذلك يثبت أن أهل الجنة لا يضطرهم أحد إلى الخروج منها. وشتان بين ذلك وهذا. وسبحان من يعلم أسرار كلماته.

٦- قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ ٦٩ النحل.

قال الشريف الرضي: "هذه استعارة والمراد بذلك: العسل والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل؛ وإنما تنقله بأفواهها من مَسَاقطه ومواقعه من أوراق الشجر وأضغاث النبات لأنه يسقط كسقوط الندى فى أماكن مخصوصة. وعلى أوصاف معلومة. والنحل مهملة تَتَبَّع تلك المساقط وَتعَهَّد تلك المواقع فتنقل العسل بأفواهها إلى كوراتها المواضع المعَدَّة لها. قال سبحانه: "يخرج من بطونها" والمراد من جهة بطونها؛ وجهة بطونها أفواهها. وهذا من غوامض هذا البيان وشرائف هذا الكلام"(١).

ومقتضى هذا المعنى أن تكون (من) ابتدائية. قال أبو حيان: "وذكر الله تعالى المقر الذى يخرج منه الشراب وهو بطونها وهو مبتدأ الغاية الأولى.

والجمهور على أنه يخرج من أفواهها وهو مبدأ الغاية الأخيرة(٢).

فأبو حيان يذكر فى الآية غايتين الأولى: البطون. والثانية: الأفواه و (من) صالحة لابتداء كل منهما.

٧- قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ١٨ الأعراف.

ومثلها قوله : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ ٣٤ الحجر، ٧٧ ص وهى فى حق إبليس عليه اللعنة.

والمراد هنا التنبيه على مرجع الضمير فى (منها) يقول الزمخشرى : "منها: من الجنة؛ وقيل: من (السموات، وقيل من الخالقة التى أنت فيها؛ لأنه يفتخر بخلقه

---

(١) تلخيص البيان ص ١٩٣.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٥١٣.

فغيـر الله خلقـته فاسـودّ بعد ما كان أبيض؛ وقبح بعد ما كان حسنا، وأظلم بعد ما كان نورانيا"(١).

والأقـرب إلـى المـراد هو الأول لأن هذه الآيات واردة فى سياق أمر الله للملائكـة بالسجود لآدم. والمعروف أن ذلك كان وهم فى الجنة التى قال الله فيها:

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ..... الآيات ﴾ ٣٥: ٣٨ البقرة

أما ما ذكره الزمخشرى بعد ذلك فهو محتمل وقد يكون مراد وغير مراد.

٨- قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ ٢٢ الرحمن.

قـال الزمخشرى: "إنما قال (يخرج منهما) وهما يخرجان من الملح لأنها لما التقـيا وصـار كالشئ الواحد جاز أن يقال: يخرجان منهما كما يقال: يخرجان من البحـر، ولا يخـرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد وإنما خرجت من محلّة من محالّة، بل من دار واحدة من دوره.

وقيل: "لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب".

قـال ابـن المنيـر: "الثانى مردود بالمشاهدة، والصواب هو الأول ومثله :

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ٣١ الزخـرف.

وإنما أريد إحدى القريتين. هذا هو الصحيح الظاهر. وكما تقول: فلان من أهل ديار مصر وإنما بلده محلة واحدة منها"(٢).

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥٤: ٣٥٥ وهامشها.

وما دام هذا المعنى مطروقا بهذا الأسلوب فلا بأس من إرادته به؛ ولعل السر فيه هو: أن القرآن إنما نزل بأسلوب يحرك الفكر وينبه العقل بحيث يكون القارئ واعياً ممعنا مستوعبا لما يجرى من حوله من مشاهد ولما يسمعه من تراكيب لغوية قد يبدو أنها مخالفة للظاهر ولكن العقل المستنير والقلب البصير يقف على لبه وكنهه وبهذا يتوفر للنص القرآني جلاله وكماله وللعقل القارئ حذقه وعمقه.

ومن هنا ينبغي ألا يقرأ القرآن إلا ذو دراية ورواية فهو يدرى ما تحمله الرواية على وجهه الأكمل ومعناه الأفضل.

تلكم هى الآيات التى أحببت أن ألفت إليها ذهن القارئ حتى يكون على بيِّنةٍ من أمرها وما قيل فيها. وبذلك يقف على معنى (من) وهو الابتداء للحدث التى دخلت عليه كما فى قوله: ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ ٨٤ البقرة.

أو دخلت على ضميره كما فى قوله: ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ٢١٧ البقرة أى من المسجد الحرام..... إلى غير ذلك.

١٧- خــرَّ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ .... ﴾ ٣١ الحج.

أى سقط من السماء فتخطفه الطير فتصير قِطَعاً فى حواصلها. أو تهوى به الريح فى مكان سحيق أى شديد البعد. وفى ذلك من التدمير البالغ ما فيه[1].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٢.

١٨- خطـــف:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ ﴾ ٧٥ القصص.

قال بعض العرب للرسول عليه السلام: نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن أتبعـناك وخالفـنا العـرب بذلك – ونحن أَكَلَةُ رأس أى قليلون – أن يتخطفونا من أرضنا.

فـألقمهم الله الحجر بأن مكن لهم فى الحرام الذى آمنه بحرية البيت. فكانوا آمنـين فـى حـرمهم لا يخافـون وبحرية البيت هم قارون بواد غير ذى زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب.

فـإذا خـولهم الله من الأرض والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام. فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام ...[1].

وتأمـل – هـداك الله – قوله تعالى: ﴿ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ ﴾ تدرك مدى الذعـر والاسـتكانة والذلـة التى تستحوذ عليهم وتفيض على ألسنتهم نطقا وعلى وجـوههم ضعفا وخزيا لأن التخطِف لا يكون إلا لشئ مستباح كلحوم الوحوش فى الفلا تتخطفها الطير.

وزد على ذلك أنهم مطموع فيهم بحيث يُنْزَعون من أرضهم نزعا. ولكن الله منَّ عليهم بقوة الإسلام إضافة إلى حمايتهم بحرمة الحرم. وسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٣٣.

١٩- دبــــر:

فى قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ٥ السجدة.

ذكــر الزمشخرى: أن (الأمر): المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبِّرا (من السماء إلى الأرض) ثم لا يُعملَ به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه إلا فى مدة متطاولة.

أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة (١).

وكأنه يعنى بــ (السماء والأرض) الكون كله من بدء الخلق إلى نهايته وهنا قــد ذكــر مبدأ التدبير وهو (السماء) ومنتهاه وهو (الأرض) وفى ذلك دلالة على إحاطة تدبير الله بكل شئ.

٢٠- دخــــل: فى ثلاث آيات أربع مرات وهى:

قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ ٦٧ يوسف.

وقــوله ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ ٢٣ ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ ٢٤ الرعد.

وقوله: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا ﴾ ١٤ الأحزاب.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٤٠١.

وآية يوسف من خطاب يعقوب إلى بنيه فهو ينهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوى بهاء وشارة – أى لباس وهيئة – حسنة .. فخاف أن يدخلوا كوكبة واحدة ... فيصيبهم ما يسوءهم (١).

وفى آية الرعد يقول الألوسى: "من كل باب : من أبواب المنازل ... وقيل : من أبواب الفتوح والتحف.قيل: فعلى هذا: المراد بالباب: النوع و (من) للتعليل. والمعنى: يدخلون لإتحافهم بأنواع التحف.

وتُعقّب بأن فى كون (الباب) بمعنى النوع كالبابة نظراً. فإن ظاهر كلام الأساس وغيره يقتضى أن يكون مجازا أو كناية عما ذكر لأن الدار التى لها أبواب إذا أتاهم الجم الغفير يدخلونها من باب فأريد به دخول الأرزاق الكثيرة عليهم؛ وأنها تأتيهم من كل جهة.

وتعدد الجهات يشعر بتعدد المأتيات فإن لكل جهة تحفة" (٢).

وفى الوجه الأول تأول لا داعى إليه كما أشار الألوسى. وخاصة أن (من) التعليلية لا مكان لها هنا إذ المراد أن أبواب الجنة التى يدخلها هؤلاء ذات أبواب كثيرة وتلك كناية عن سعتها. كما أن المراد أن الملائكة إنما يدخلون عليهم بأنواع الرزق التى لا تخطر لهم على بال. وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ٢٥ البقرة.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٣٨٠.

(٢) روح المعانى ٤/ ١٧٩.

فـ (من) حرف ابتداء أى ابتداء الدخول هى الأبواب.

أمـا آية الأحزاب فيقول فيها الزمخشرى : "ولو دُخلت عليهم: المدينة. وقيل بيوتهم . من قولك : دخلت على فلان داره. (من أقطارها) من جوانبها.

يـريد : لـو دُخِلَـتْ هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت – انصبت – على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا الفتنة أى الرِّدة . لأتوها أى لفعلوها ....(١).

فـ (من) حرف ابتداء أى أن جوانب المدينة ابتداء دخول الأعداء عليهم.

٢١- دعـا:

فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ٢٥ الروم.

قـال الزمخـشرى: "قولك: دعوته من مكان كذا: كما يجوز أن يكون مكانك يجـوز أن يكـون مكان صاحبك. تقول: دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علىّ؛ ودعوته من أسفل الوادى فطلع إلىّ.

فإن قلت: بم تعلق (من الأرض) أبا لفعل أم بالمصدر ؟ قلت: هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل"(٢).

ومقتـضى هذا أن (مِنْ) متعلقة بالفعل (دعاكم). ولكن أبا البقاء يرى أنها إما صـفة لـ (دعوة) وإما متعلق بمحذوف تقديره ضربتهم من الأرض. ودل على

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٨.

(٢) الكشاف ٣/٣٧٤: ٣٧٥.

المحـــذوف قوله: ﴿ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴾ ولا يجوز أن يتعلق (من) بـــ (تخرجون) هذه. لأن ما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبلها"[١].

وأرى ألا حاجـــة بالنص إلى هذه التمحلات والتأولات إذ معنى الآية واضح بـــيِّن وخلاصته أن الله إذ دعا الأموات من الأرض أى القبور خرجوا أحياء. وفى ذلك من السرعة الخاطفة ما لا يخفى إلا على كل حس غليظ وفهم ثقيل.

وبذلك يتضح أن (من) حرف ابتداء فالأرض ابتداء دعوتهم للبعث. ولكن ابن عطية يقول: "و (من) عندى هنا لانتهاء الغاية كما يقول: دَعَوتك من الجبل إذا كان المدعو فى الجبل والوقف فى هذه الآية عند نافع ويعقوب الحضرمى على (دعوة) ، والمعنى بعد إذا أنتم تخرجون من الأرض؛ وهذا على أن (من) لابتداء الغاية.

والوقـــف عند أبى حاتم على قوله: (من الأرض) وهذا على أن (من) لانتهاء الغايـــة. قال مكي: والأحسن عند أهل النظر : أن الوقف فى آخر الآية لأن مذهب الخليل وسيبويه فى (إذا) الثانية أنها جواب الأولى. كأنه قال: ثم إذا دعاكم خرجتم، وهذا أسَدُّ الأقوال"[٢] .

وأرى أنـــه لا داعـــى لتمزيق النص وتفريق كلماته وبعثرة مفرداته كما هو ظاهر رَأْى نافع ومن معه ورأى أبى حاتم.

وعلـــيه يكـــون الوقف عند آخر الآية على ما يراه الخليل وسيبويه فـــ (مِنْ) لابتداء الغاية ومن ثَمَّ قال أبو حيان: "وكون (من) لانتهاء الغاية. قول مردود عند أصحابنا"[٣].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٧٩ وانظر المعنى بحاشية الشمنى ٢/ ٢٠٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٦٨.

ويبدو أن المعنى هنا هو الذى يأبى أن تكون لانتهاء الغاية. لأن الموتى فى القبور فهم فى باطن الأرض كما فى قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٥٥ طه.

فالمعنى: دعاكم من الأرض أى طلب مفارقتكم لباطن الأرض كما تقول: دعوته من البيت أى طلبت مفارقته للبيت وفى هذا معنى الخروج ومن ثم رتب على هذه المفارقة الخروج ترتيبا مفاجئا بقوله: ﴿ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ فـ (إذا) هذه للمفاجأة على حين (إذا) فى (إذا دعاكم) شرطية. على أننى – مع هذا – لا أحتم كون (من) ابتدائية بل ربما تكون لانتهاء الغاية لأن الأرض – أى القبور – منتهى الدعوة كما هى ابتداؤها.

٢٢- دفـع:

فى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ . مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ ٢، ٣ المعارج.

والآية الأولى: سأل سائل بعذاب واقع "فـ (من الله) مسبوق بـ (واقع) و(دافع) وهذا ما جعل الزمخشرى يقول : "من: متصل بـ (واقع) أى واقع من عنده؛ أو بـ (دافع) بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته"(١).

والذى يطمئن به القلب أن (من) يرتبط معناها بـ (دافع) فلا يكون فاصل بينهما لأنها تفيد ابتداء الحدث فارتباطها بما تباشره أوثق وأدق. لأن العذاب إذا وقع لا يسأل عن مصدره وإنما يجأر من وقع عليه العذاب بالدعاء إلى الله ليدفعه فإذا لم يدفعه الله استحال أن يدفعه سواه.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٨٧، وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٤٢.

وبهذا يتضح معنى الآية بدون حاجة إلى تأويل (دافع) بـ (مانع) أو (واقى) كما يرى الشيخ المغربى وذلك التأويل بمعنى: التضمين(١).

فقد عرفنا أن التضمين تحميل اللفظ معنى لا يحتاج المقام إليه إذ ما الفرق بين الدفع والمنع والوقاية ؟ إن هذه الكلمات لا تتفق اتفاقا كاملا فى معناها. ومع هذا يكون بينها خيط دقيق رقيق عميق يربط بعضها ببعض. وبالتأمل يدرك القارئ أن المقام يحتاج إلى ما ورد فيه غيره يتجرد منها سواه. وفى ذلك غنى للأسلوب وعدم حاجته إلى تأويل ففى التأويل تعطيل.

٢٣- رأى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ ٦ القصص.

فـ (منهم) مرتبط معناه بالفعل (نُرِى) على ما هو نسق النص القرآني وصياغته. وعلى الرغم من أن هذا هو الأصل وهو اللائق بجلال الأسلوب نرى من يجعله مرتبطا بـ (يحذرون) فى آخر الآية. وفى هذا دعوى التقديم والتأخير بدون فائدة وهى خلاف الأصل. مع أن هنا مانعا نحويا ذكره أبو البقاء قائلا: "ولا يتعلق (منهم) بـ (يحذرون) لأن الصلة لا تتقدم على الموصول"(٢).

ويعنى بذلك (ما كانوا يحذرون) لأن (ما) موصول صلة ما بعده. ولا يجوز أن تتقدم الصلة أو بعضها على الموصول.

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ٤٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٢.

٢٤- رجـــا:

في قوله تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ ١٠٤ النساء.

وصـــدر هــذه الآية ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ ......﴾.

أي لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال لأن ما تكايدون من الألم ليس مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم. وهم يصبرون عليه ويتشجعون. فكيف بكم لا تـــصبرون مـــثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم (ترجون من الله ما لا يرجون) من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة(١).

فـــ (من) ابتدائية تجعل الله عز وجل مبدأ رجاء المؤمنين ومصدر صبرهم وتحملهم المشاق إذ الله هو الذي يجزي الصادقين بصدقهم.

٢٥- رزق: ست مرات في خمس آيات هي:

قــوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾ ٢٥ البقرة.

وقـــــوله: ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ ٨٨ هود

وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا ﴾ ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ ﴾ ٧٣، ٧٥ النحل.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٣٥.

وقـــوله: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٣ فاطـــر.

١- قال الزمخشرى فى الآية الأولى: "فإن قلت: ما موقع (من ثمرة) ؟ قلت: هـــو كقولك: كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع (من ثمرة) موقع قولك (من الرمان) كأن قيل: كلما رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمّانها أو عِنَبِها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك.

فـــ (مـــن) الأولـــى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة.

وتحريـــره: أن (رُزِقُـــوا) جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة. وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذّة على هذا التفسير. وإنما المراد النوع من أنواع الثمار.

ووجـــه آخـــر وهو: أن يكون (من ثمرة) بيانا على منهاج قولك: رأيت منك أســـدا نـــريد: أنـــت أســـد؛ وعلـــى هـــذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة"[١].

وبهـــذا يتضح أن (منها من ثمرة) لابتداء الغاية فالجنات ابتداء غاية الأولى. والثمـــرة ابتداء غاية الثانية. و (رزقا) مفعول ثان لـــ (رُزِقوا) ومفعول الأول هو علامة الإضمار الواو الواقعة موقع نائب الفاعل. واصل التعبير: رزقهم الله رزقا.

هذا هو الوجه الأول مما ذكره الزمخشرى. وأما الوجه الثانى فخلاصته. أن (منها) لابتداء الغاية و (من ثمرة) لما يسمى تجريدا كما فى (رأيت منك أسدا) وقد

---

(١) الكشاف ١/ ٨١.

عبـــر عنه الزمخشرى بقوله (بيانا) ثم فسره بقوله: (نريد أنت أسد) وبهذا يتبين أن (من) زائدة كما حققنا ذلك وأشرنا إليه غير مرة.

وعلـــى هذا يخلص وجه المعنى لــ (من) فى موضعيها للابتداء. وأما كون الثانـــية بيانية فمردود. وهذا ما ذكره أبو حيان فقد جعل (من) الثانية ابتدائية وهما معـــاً مـــتعلقان بـــ (رزقوا) على وجه بدل الاشتمال. ثم ردّ كون الثانية بيانية لأن القائلين بأن (من) تكون لمعنى البيان قد روها بمضمر وجعلوه مصدراً لموصول صفة إن كـــان فـــيه معرفة نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ ٣٠ الحـــج، أى الرجس الذى هو الأوثان. وإن كان قبلها نكرة فهو يعود على تلك النكرة نحو: من يضرب من رجل أى: هو رجل.

و (من) فى الآية ليس قبلها ما يصلح أن يكون بيانا له لا نكرة ولا معرفة إلا إن كـــان يـــتمحل لذلك بأنها بيان لما بعدها وأن التقدير كلما رزقوا منها رزقا من ثمـــرة. فـــتكون (من) مبينة لــ (رزقا) أى رزقا هو تمرة. فيكون فى الكلام تقديم وتأخير . وهذا ينبغى أن ينزه كتاب الله عنه مثله"[1].

أرأيـــت كيف يترتب على جعل (من) بيانية ما لا يجوز أن يكون فى القرآن وهو: دعوى زيادتها أو دعوى التقديم والتأخير؟! وكلتاهما باطلة.

هـــذا: وهـــناك من يرى أن (من) الثانية بمعنى (بعض) أى كلما رزقوا من الجنات رزقا من بعض ثمارها. هكذا قدره الأستاذ رشيد رضا[2].

---

(١) البحـــر المحـــيط ١/ ١١٤، وانظر فى الآية : من مفاتيح الغيب للرازى وحاشية زاده على البيضاوى وروح المعانى للألوسي وكليات أبى البقاء.

(٢) تفسير المنار ١/ ٢٣٢.

ولا يخفـــى ما فى هذا التقدير من الجمع بين (من) و (بعض) والصواب أن (من) إذا كانت بمعنى (بعض) خلفتها فى موضعها كما تقول: أكلت من الطعام أى بعـــضه. ولعـــل ذلـــك سبب قول الألوسى: "ولم يلتفت المحققون إلى جعل الثانية تبعيـــضية فـــى موقـــع المفعـــول و (رزقا) مصدر مؤكد . أو فى موقع الحال من (رزقـــا). لبعده مع أن الأصل: التبيين والابتداء فلا يعدل عنهما إلا لداع. على أن مدلـــول البعـــضية أن يكـــون ما قبلها أو ما بعدها جزء لمجرورها لا جزئيا فتأتى الركاكة هنا"(١).

ولعلـــك أيها القارئ تذكر أن معنى: التبيين مردود لما قررناه وكررناه. ولذا يخلو وجه المعنى للابتداء لـــ (من) الثانية كما هو لـــ (من) الأولى.

وبعـــد: فتبقى هنا كلمة لابد منها ألا وهى: لِمَ جاء النسق القرآنى بذكر (من) مـــرتين ؟ وهلاً قيل: (كلما رزقوا من ثمرها) أى الجنات. أى بعض ثمرها وبذلك يـــبدو علـــيها الـــسهولة والتيسير وقرب المعنى من التفكير لأن (من) التى بمعنى (بعض) تكون فى محل نصب مفعولا ثانياً لـــ (رزقوا).

أجاب الألولسى عن ذلك قائلا: "وجمع سبحانه بين (منها) و (من ثمرة) ولـــم يقـــل (من ثمرها) بدل ذلك) لأن تعلق (منها) يفيد أن سكانها لا تحتاج لغيرها لأن فيها كل ما تشتهى الأنفس. وتعلق (من ثمرة) يفيد أن المراد بيان المأكول على وجه يشمل جميع الثمرات دون بقية اللذات المعلومة بين السابق واللاحق"(٢).

تعقيب: تلكم هى خلاصة ما ذكره علماؤنا فى هذه الآية وبالتأمل فيه تدرك أن المراد بـــ (جنات تجرى من تحتها الأنهار) إنما هو الأشجار المتنوعة الثمار. وأن الضمير فى (كلما رزقوا منها) عائد عليها والمراد ثمرها. فـــ (من) بمعنى (بعض)

---

(١) روح المعانى ١/ ١٧١.

(٢) روح المعانى ١/ ١٧١.

أى رزقـوا بعـض ثمـرها. وهذا ما وضحه قوله (من ثمرة). وعليه ينتهى معنى النص إلى: كلما رزقهم الله بعض ثمارها.

ولكـن صـياغته وردت بأسلوب يحمل الذهن على التأمل والتدرج فى الفهم حتـى يـصير المعنى أقرب إلى ذهنه كما يصير الثمر أقرب إلى بطنه فيجمع بين لذتين لذة الأفهام مع لذة الطعام. وهل بعد ذلك تكون زينة الكلام ؟!

٢- قـوله تعالى: ﴿ قَالَ - أى شعيب - يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا ﴾ ٨٨ هود.

يقـول الزمخشرى : "ورزقنى منه: أى من لدنه (رزقا حسنا) وهو ما رزقه من النبوة والحكمة. وقيل (رزقا حسنا) حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف"(١).

فـ (مـن) ابتدائية أى أن الله عز وجل مبتدأ الرزق. والله منزه عن الأين والكيف.

٣- قـوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ ٧٣ النحل.

ذكـر الزمخـشرى أن الرزق يكون بمعنى المصدر؛ وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به (شيئا) كقوله: ﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ .... يَتِيمٗا ﴾ ١٤، ١٥ البلد. على: لا يملك أن يرزق شيئا. وإن أردت المرزوق كان (شيئا) بدلالته بمعنى (قلـيلا) ويجـوز أن يكون تأكيدا لـ (لا يملك) أى لا يملك شيئا من الملك. و (من

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٨.

السماوات والأرض) صلة لـ (الرزق) إن كان مصدرا بمعنى: لا يرزق من السماوات مطرا. ولا من الأرض نباتا. أو صفة إن كان اسما لما يرزق ..."[١].

وسواء أكان (رزقا) مصدرا أو بمعنى الرزق فـ (من) ابتدائية أى ابتداء الرزق السماوات إن كان مطرا والأرض إن كان نباتا. وكذا إن كان اسما للمرزوق.

٤- ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ ٧٥ النحل. أى من لدنا فـ (من) حرف ابتداء.

٥- ويبقى قوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٣ فاطر.

والمراد هنا (من السماء) وهى ابتدائية. أما (من خالق) فقد سبق الحديث عنها فى فصل (من) التى يقال إنها زائدة وليست كذلك.

وهذا المعنى يقتضى أن يكون المراد بـ (السماء) السقف المرفوع لا السحاب وأرى أنه يحتمل أن يكون المراد: السحاب الذى يحمل المطر فيصبه على الأرض فيحيي مواتها. لينعم أهل الأرض برزق الله عز وجل وعلى ذلك تكون (من) اسما بمعنى بعض لأن الذى يبصره الخلق أن السحاب لا يستفرغ ماءه كله بل مهما نزل فلابد من بقية لا يعلم سرها إلا الله عز وجل.

٢٦- أرسل : فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٧٥ الأعراف. وقوله : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ ٤٠ الكهف.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٤.

وصـــدر الآية الأولى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ ...... ﴾

والـــسؤال عـــن أن صـــالحا مرسل من ربه وكأنهم بذلك يشكّون فى رسالته ويترتب على هذا عدم إلزامهم بالإيمان به. ومن ثم أجاب المؤمنون به قائلين: "إنّـــا بما أرسل به مؤمنون" مما يقتضى أنه – لا محالة – مرسل من ربه. ولعل هذا هو الـــسر فـــى قول الزمخشرى : "أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه: شئ قالوه على ســـبيل الطنز – أى الاستهزاء – والسخرية.. فإن قلت : كيف صح قولهم (إنا بما أرسل به مؤمنون) جوابا عنه ؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمر معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به مما لا كـــلام فـــيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته؛ وإنما الكلام فى وجوب الأيمان به فنخبـــركم أنّـــا به مؤمنون؛ ولذلك كان جواب الكفرة ﴿ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ ٧٦ الأعراف، فوضعوا (آمنتم به) موضع (أرسل به) ردًا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما"(١).

فالإرسال من جهة الله لدلالة (من) على الابتداء.

وأمـــا آية الكهف: "ويرسل عليها حسبانا من السماء" فنجد الظرف (على) مع الفعل (يرسل) فكأن الحسبان مرسل من علوٍّ شاهق فيكون شديد الانصباب ومن ثم كـــان قـــوله (مـــن السماء) ابتداء إرساله ولا يخفى ما فى ذلك من علو لا تدركه

---

(١) الكشاف ٢/ ٩٧.

الأبصار بل لا تحيط به العقول ثم كانت عاقبة هذا الإرسال في قوله: ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ ٤٠ ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ ٤١ الكهف.

و(الحسبان) مصدر كـ (الغفران) و (البطلان) بمعنى (الحساب) أى مقدارا قَدَّره وحَسَبَه وهو: الحكم بتخريبها. وقال الزجاج: عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك. وقيل: حسبانا: مرامى الواحدة : حسبانه وهى الصواعق. (صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملامستها (زلقا وغورا) كلاهما وصف بالمصدر(١).

وقد عرفنا أن (السماء) فى قوله تعالى (أنزل من السماء ماء) معناها السحاب فالماء بعضه. أما فى (حسبانا من السماء) فليس المراد : السحاب بل المراد من جهة السماء التى هى بناء.

٢٧- رضى : فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ ٢٣٣ البقرة. وقوله : ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ ٢٩ النساء.

فالتراضى صيغة تدل على اشتراك الطرفين فى الرضا بما بينهما مثل: التصالح وكذا (التشاور) فالمتراضيان والمتشاوران. كل منهما مبدأ الرضا والمشورة. وكأنى بهما يلتقيان – بعد الرضا والمشورة – على ما يريدان تنفيذه.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٥٦٥.

٢٨- أراد : فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ ٥٧ الذاريات، وقوله : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ ٩ النساء.

والمــراد (مــن) بعد الفعل. أما (من رزق) فى الأولى فــ (من) اسم بمعنى (بعض) أى: ما أريد منكم بعض رزق فضلا عن أن أريد كله.

٢٩- زحــزح :

فــى قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ ٩٦ البقــرة. هناك آية أخرى وهى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ١٨٥ آل عمران.

ولاشك أن بين التعبيرين فرقا دقيقا يستوجب التأمل وإمعان الفكر حتى يطمئن إلــى ذلــك الفرق. فالكلمتان (مِنْ وعَنْ) يشتركان فى معنى انفصال شيئين غير أن (مِــنْ) تفــيد مجرد الانفصال. وأما (عَنْ) فتفيد: الانفصال مع مجاوزة أحد الشيئين للآخر. ومن ثم كان التعبير فى آية آل عمران (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة) وفيه المباعدة والتنائى عن الأولى والمضاربة حتى دخول الثانية.

أما (من العذاب) فالمراد أن طول العمر لا يفصل بين العاصى المتكبر وبين العذاب بأى مقدار بل هو مباشر العذاب لا محالة.

ولـــذا قـــال القاضــــى : "والمراد أنه – أى طول العمر – لا يؤثر فى إزالة العــذاب أقل تأثير؛ ولو قال: وما هو بمبعده وبمنجيه لم يدل على قلة التأثير كدلالة هذا القول"(١).

أمـــا آية آل عمران فهى فى شأن الناجين والنجاة لا تتحقق إلا بالبعد السحيق حتى يأمن الناجى. ومن ثم جاء التعبير بـــ (عن) وسبحان من يعلم أسرار كلماته.

أبعـــد ذلك كله يستسيغ أحد لنفسه أن يسوّى بين (من) و (عن) فى الدلالة ؟! إن هذا الشئ عجيب مريب ولكن قد وقع فيه السمين حيث نقل عنه الجمل: أن (مِنْ) بمعنــــى (عَــنْ) (٢) ولو كان الأمر كذلك لاقتضى أن يكون النفى منصبا على البعد النائى من العذاب وذلك يترتب عليه أن يكون قريبا منه لأن نفى الأعلى لا يستلزم نفى الأدنى. أما نفى الأدنى فيترتب عليه نفى الأعلى. ومما يزيد ذلك قوة أن الآية اشــتملت على أداة الباء فى(بمزحزحه) وهو للتشبيه أى: ما طول العمر يشبه شيئا يزحزح صاحبه من العذاب فكيف يكون مزحزحه منه ؟!

٣٠- ســـــبق: فى خمس آيات هى :

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ١٩ يـــونس، ١١٠ هـــود ، ٤٥ فصلت. وفى طه: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ١٢٩. وفى الشورى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ١٤.

---

(١) انظر: من مفاتيح الغيب ١/ ٤٣٦.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٩٨.

فهــذه الآيــة انفردت بــ (إلى أجل مسمى) وبذلك تكون مشتملة على أداتى الابتداء والانتهاء وهما (مِنْ) و (إلى) أما سواها فليس فيها الانتهاء.

وبداهــة يمكننا أن نقول إن معنى (إلى أجل مسمى) يلحظ فى غيرها فالقرآن يكمل بعضه بعضا وكم وجدنا فيه أنه يذكر شيئا فى مقام واحد اعتمادا على إدراك معناه في غيره مما يشبهه نسقا ومفردات.

فمثلا نجد قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ ١٧٢ الأعــراف. فيذكــر الجواب (بلى) على حين لم يذكره فى غير هذا المقام ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ وقوله: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ٣٦، ٦٠ الزمــر. وقــوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ٤٠ القــيامة. وقــوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ٨ التين.

إلـــى غير ذلك من آيات فيها هذا الأسلوب وهى ثلاث عشرة آية. ولم يذكر الجــواب إلا فى آية واحدة وهي آية الأعراف. أليست هذه دليلا على فهم الجواب لسائر الآيات ؟ بلى أى هى دليل على ذلك.

وعلـــى هـــذا يكون ذكر (إلى أجل مسمى) فى سورة الشورى دليلا على فهم معـــناه فى غيرها. وهذا ضرب من الارتباط الوثيق والمعنى العميق فى النصوص القرآنية. وهو يستوجب من القارئ أن يكون واسع الإدراك دقيق الإحصاء لمثل هذه النصوص حتى يُلِمَّ بالمعنى المراد فى جميعها.

ومع هذا وجدنا من علمائنا من يفتح الله عليه ويزده بصيرة عند تلاوة كلامه فيميــز بين ما ذكرت فيه جملة وما لم تذكر فيه. وبنى ذلك على اختلاف المقام فى كل آية مع أختها.

وهنا وجدنا الخطيب الإسكافى يعقد مقارنة بين آيتى فصلت والشورى. حيث ورد (إلـــى أجل مسمى) فى الثانية دون الأولى. فيقول: "إن خبر الله تعالى عما أتاه لموســـى عليه السلام من التوراة – وذلك فى آية فصلت: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٤٥ – يدل على أن أولئك القوم اختلفوا فيه كاختلاف مِنْ فى عصر النبى عليه السلام فى القرآن الذى أنزل عليه. ثم قال: (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا أن الله تعالى قال: إنى أوفىِّ كلاً من المطيع والعاصى حقه من الثواب والعقاب فى الآخرة لأنزل بكل ما يجب له وعليه عند فعله فى الدنيا. فأخبر أن سبيلهم فى الإمهال سبيلهم لما سبق من حكم الله تعالى. وقوله فى تأخير المستحق من الثواب والعقاب إلى الآخرة.

أما اختصاص ما فى سورة الشورى بذكر النهاية فى قوله (إلى أجل مسمى) فـــلأن قبله (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فأخبر بمبتدأ كفرهم وهـــو: إنكارهم بعد مجئ العلم أى القرآن والآيات التى أوقعت العلم بصحة ما جاء به النبى عليه السلام. فلما قال (إلا من بعد) و (من) لابتداء الغاية وكان ذلك ابتداء كفـــرهم ذكـــرت النهاية التى أمهلوا إليها ليكون ابتداء عقابهم فيكون الحدّ المذكور مع الحد" (١).

وبـــذلك نـــدرك أن ذكر (إلى أجل مسمى) فى آية الشورى إنما هو لمناسبة مذكـــورة فـــى الآية نفسها. وهذا منهج لا بأس به ولا غبار عليه بل إنى أقول: إنه

---

(١) درة التنزيل ص ٣٢٨.

المـــنهج الـــسائد الراشـــد فى فهم نص القرآن ومع هذا لا أمنع ما سلف ذكره لأن القرآن كُلّه يكمل بعضه بعضا.

٣١- ســـخر : عشر مرات فى ست آيات هى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ٢١٢ البقرة، وقوله: ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١٠ الأنعام. وقوله: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ٧٩ التوبة. وقوله: ﴿ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ٣٨ هـــود. وقـــوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ١٣ الجاثـــية. وقوله: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ .... وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ ١١ الحجرات

وصدر الآية الأولى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ ...﴾

قـــال الزمخـــشرى: "المزيِّن هو الشيطان زيَّن لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوســـه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها. ويجوز أن يكون الله قد زيَّنها لهم ... حتـــى استحسنوها وأحبوها .. ويدل عليه قراءة من قرأ (زيَّن للذين كفروا الحياة) على البناء للفاعل. (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا خطر لهم من الدنيا كابن مسعود وعمَّار وصهيب وغيرهم. .. (والذين اتقوا فـــوقهم يـــوم القيامة) لأنهم فى عليين من السماء، وهم فى سجين من الأرض. أو حالهم عالية لحالهم لأنهم فى كرامة وهم فى هوان. أو هم عالون عليهم متطاولون

يـضحكون مــنهم كمــا يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ ٣٤ المطففين.

فالمراد بـــ (الذين اتقوا) هم (الذين آمنوا) وكان الأصل أن يقال: (وهم فوقهم يــوم القــيامة) فوضع الظاهر (الذين اتقوا) موضع المضمر (وهم) بصفة أخرى. ومثله فى كتاب الله كثير قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ ٤٥ الـــشورى. وكان الأصل (ألا إنهم) فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى؛ وضمنه ذكر صفة الظلم بتلوّ صفة الخسران"(١).

وفى آية البقرة جَمَعَ بين صفتى الإيمان والتقوى. وكأن فى ذلك إشارة إلى أن هذه الصفة هى التى أقتضت الفوقية لأنها أخص من صفة الإيمان إذ تدل على تمكن طاعة الله من نفوس المؤمنين وشدة حرصهم على عدم معصيته.

فالذين آمنوا هم مبدأ سخرية الكافرين قال البيضاوى: "و (من) للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية منهم"(٢).

وإذا كــان معنـــى (من) ابتداء الغاية فلا حاجة إلى دعوى كونها للتعدية كما ذكــر الألوسى. لأن هذا المعنى لا يصلح معنى للكلمة. ولا يخفى أن الحرف نوع مــن أنــواعها. وإنما يليق بحرف يزاد على الكلمة فيكسبها نصب المفعول كما فى (خــرج محمــد) ثــم (أخرج محمد عليا) ومما يثبت ذلك أن الألوسى أردف قوله

---

(١) الكشاف ١/ ١٩٣ وهامشها.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/ ٢٩٨ وانظر إرشاد العقل السليم ٢/ ١١٣.

(للتعدية) قائلاً: "وتفيد معنى الابتداء كأنهم – أى الذين آمنوا – جعلوا لِفَقْرِهم ورَثاثَةِ حالهم منشأ للسخرية".

وعلـــى الرغم من ذلك نراه مصراً على أن يكون الحرف للتعدية فقد أردف قوله هذا قائلاً: "وقد يعدى السخر بالباء إلا أنه لغة رديئة"[1].

والحق أن لكل فعل ما يليق به من الأدوات فما تصلح لفعل لا تصلح لآخر. فـــإذا كـــان (سَـــخِر) تـــردف (من) فإن (استهزأ) تردفه الباء كما فى آية الأنعام: ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ وكمـــا فى قوله ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ فى آية التوبة وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ ١٥ البقرة .. وهكـــذا نجـــد لكـــل فعل ما يليق به من أدوات ... فـــ (من) مع الفعل (سخر) للابـــتداء . وذلـــك فـــى جميع الآيات إلا آية الجاثية وهى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ .

ففـــى هـــذه الآية جاء الفعل مُضَعَّف العين أى الخاء مما أثر فى معناه وفى قـــوته. أمـــا معناه فهو أن الله جعل لكم ما فى السماوات وما فى الأرض ذُلُلاً جمع ذلـــول. أى مهـــيأ للانتفاع به غير مستعصى على الخلائق بل طَوْعَ قدرتهم ورَهْنَ إشـــارتهم. ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ ١٥ الملك.

فالتسخير غير السخرية. وكم للغة العربية من دقائق لا يشركها فيها غيرها.

---

(١) روح المعانى ١/ ٤٠٢.

وأمـــا قـــوله فقد صلح الفعل لنصب المفعول وهو (ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً) ومن ثم لزمنا أن نقف وقفة تأمل فى (منه) ففيها يقول الزمخشرى: "مـــنه : واقعـــة موقع الحال؛ والمعنى أن سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عـــنده ... ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره : هى جميعاً منه، وأن يكون (وسخر لكم) تأكيدا لقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ...﴾ ١٢ من قبل تلك الآية ثم ابتدئ قوله ﴿ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ وأن يكون (ما فى الأرض) مبتدأ و (منه) خبره. وقرأ ابن عباس: مَنَّةٌ"[1].

ففـــى هـــذا النص خمسة أوجه جعلها الزمخشرى محتملة فيه دون إشارة من قريب أو من بعيد إلى أليقها بجلال القرآن ومكانة نصه وجماله. وكأنه بذلك: يجعل القارئ فى حل من اختيار أيها شاء. والحق أنها ليست على هذا المستوى.

(أ) **الوجه الأول:** أن (منه) حال والتقدير : كائنة منه. وعلى هذا تكون (من) غير مرتبطة بالفعل (سخر) بل بالمقدر وهو (كائنة) وقد علمنا أن اللغة العربية لا يقدر فيها فعل الكينونة بل هى فى أعلى درجات الاستغناء عنه.

فالـــذى يليق بـــ (من) هنا أنها مرتبطة بـــ (سخّر) لتفيد أن مبدأ التسخير هو الله عز وجل هذا هو الوجه اللائق بالآية.

(ب) **الـــوجه الثانى:** أن (منه) خبر مبتدأ محذوف أيضا أى: هى جميعاً منه ولست أدرى أى فائـــدة جديـــدة فى هذا الوجه. هل هناك من يسمح لنفسه أن يجعل المراد بـــ (ما فى السماوات) و (ما فى الأرض) و (جميعا) غير أنها منه ؟

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٧.

(جـــ) **الوجه الثالث:** أن (سخّر لكم) فى هذه الآية تأكيد لقوله (سخر لكم) فى الآية من قبلها أى (سخر لكم البحر وسخر لكم) ثم يكون (ما فى السماوات ... الخ) جملة ابتدائية مؤلفة من مبتدأ وخبر ..

ولـــو تأمـــل الزمخـــشرى نفسه فى هذا – وهو من هو ذوقا رفيعا فى البيان والبلاغة – لرجع عنه ومحاه من كتابه.

(د) **الـــوجه الـــرابع:** أن يكـــون الوقف على (وسخر لكم ما فى السماوات) فهو معطوف على (سخر لكم البحر). ثم يبتدئ (وما فى الأرض جميعاً منه) فهذه جملـــة مـــن مبتدأ أو خبر. ولست أدرى : هل يليق هذا التمزيع والتوزيع فى كلام الله البديع ؟!

(هـــ) **الوجه الخامس:** وفيه خروج (من) عن حروف الإضافة إلى مصدر للفعل (مـــنّ). وعلى هذا الوجه تكون (مِنّة) مفعولا لأجله أى أن الله سخر لكم تلك الكائنات مِنّة منه وعطاءً لا مقابل له. والله أعلم.

٣٢- ســـرى : فى قوله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ١ الاسراء.

قـــال الزمخـــشرى : "سبحان : عَلَم للتسبيح كعثمان للرجل؛ وانتصابه بفعل مـــضمر متروك إظهاره تقديره: أسبح الله سبحان ؛ ثم نزل (سبحان) منزلة الفعل فسدّ مسدَّه، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح ... و (أسرى) وسَرَى لغتان. و(لـــيلا) نصب على الظرف؛ فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر اللـــيل ؟ قلت: أراد بقوله (ليلا) بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء. وأنه أُسْرِىَ به فى

بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة. وذلك: أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية. ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيقة: من الليل: أى: بعض الليل كقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً ﴾ ٧٩ الإسراء .يعنى بالقيام فى بعض الليل"[١].

وفـــى الآيـــة ذكر ابتداء الإسراء وهو المسجد الحرام. وانتهائه وهو المسجد الأقـــصى. ومـــن المقرر أن (من) حرف ابتداء. وأما (إلى) فالمشهور أنها حرف انتهاء. والحق أنها اسم كما حققنا ذلك.

٣٣- ســـلخ : فى آيتين هما:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ ١٧٥ الأعراف.

وقوله: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ ٣٧ يس.

ففى الأولى نَقَل الجَملُ عن السمينَ قَوْلَه: "الانسلاخ: التعرى من الشئ، ومنه: انـــسلاخ جلـــد الحـــية، وليس فى الآية قلب إذ لا ضرورة تدعو إليه؛ وإن زعمه بعضهم وأن أصله فانسلخت منه"[٢].

فالـــذى أوتـــى الآيات تعرَّى وتجرَّد منها أى من الحرص عليها والتحلى بما تتضمنه من فضائل وتشريعات. فالآيات ابتداء انسلاخه. وليس هو ابتداء انسلاخها.

وممـــا يؤيد عدم زعم القلب فى الآية قول الألوســـى: "واســـتأنس بعضهـــم بهـــذه الآية بأن العلم لا ينزع من الرجال حيث قال سبحانه (فانسلخ منها) ولم يقل عز شأنه : فانسخلت منه"[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٤.

(٢) حاشية الجمل ٢/ ٢٥١.

(٣) روح المعانى ٣/ ١٦١.

وأما قوله (نسلخ منه النهار) فيقول فيه البيضاوى: "نُزِيلُه ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد. وعلق الشهاب قائلا: "يشير إلى أن النهار طارئ على الليل كما أن المسلوخ منه قبل المسلوخ الذى هو كالغطاء الطارئ على المُغَطَّى؛ لأن الليل سابق عرفا وشرعا؛ وهذا هو تفسير الفراء. و (من) فيه ابتدائية أو تبعيضيه وقيل: سببية"[١].

والراجح – إن لم يكن الصواب – معنى الابتداء أى أن الليل ابتداء النهار إذ النهار أى الضوء ثابع من الليل أى الظلمة.

وأما معنى البعضية فغير لائق إذ ما معنى: الليل نسلخ بعضه النهار ؟! ومن باب أولى يكون معنى السببية. فكيف يكون الليل سبب النهار؟! وقد نقل الجمل عن القرطبى أن (منه) بمعنى: عنه[٢].

وما دام المعنى حاصلا بـ (من) التى تفيد أن ابتداء النهار هو الليل فلا داعى لجعلها بمعنى (عن) لأن (عن) اسم يفيد المجاوزة. وشتان بين مجاوزة النهار الليل وابتداء النهار من الليل. ففى الأول معنى: الانفصال وانقطاع النهار عن الليل. وهذا غير مراد بل المراد أن النهار يبتدئ من الليل كما أنه ينتهى به فهما متصلان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وصدق الله إذ يقول: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ ٥ الزمر.

يقول الزمخشرى: "والتكوير: اللَّفُّ واللَّيُّ. يقال: كَارَ العمامة على رأسه وكوَّرها. وفيه أوجه: منها أن الليل والنهار خِلْفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا؛ وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يُلف اللباس على اللابس ... ومنها: أن كل

---

(١) انظر البيضاوى وحاشية الشهاب عليه ٧/ ٣٤١.

(٢) حاشية الجمل ٣/ ٥١٣.

واحد منهما يُغَيِّب الآخر إذا طرأ عليه؛ فشبه فى تغييبه إياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيَّبه عن مطامح الأبصار. ومنها: أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض"(١).

٣٤- سلم : فى آيتين هما:

قوله: ﴿ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾ ٤٨ هود. وقوله: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ ٩١ الواقعة.

فالله عز وجل هو ابتداء السلام لنوح عليه السلام وحسبه ذلك. و(أصحاب اليمين) هم ابتداء السلام لكل فرد من أفراد أصحاب اليمين. قال الشهاب: "و (من) للابتداء كما يقال: سلام من فلان على فلان. أى يقال لك سلام لك. وقال الجلال: "من جهة أنه منهم أشار به إلى أن (من) تعليله أى من أجل أنه منهم"(٢).

والمقام مقام ابتداء السلام لا تعليله؛ فلا داعى للتأويل.

٣٥- سمع : مرتين فى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ ١٨٦ آل عمران.

والذى كانوا يسمعون من أهل الكتاب: المطاعن فى الدين الحنيف وصدّ من أراد الإيمان وتخطئة من آمن. وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول

(١) الكشاف ٤/ ٨٦.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ٢٨٣.

الله صلي الله عليه وسلم – وتحريض المشركين وبنْ فنحـــاص ومن بنى قريظــة والنضير. هذا ما ذكره الزمخشرى[1].

وظاهرة أنه لم يذكر ما كانوا يسمعون من المشركين. ولعل السر فى ذلك أن هؤلاء لم يخرجوا عما كان يؤذى المسلمين من أهل الكتاب ولذا رمز إلى هذا وذاك بقوله (أذى كثيرا) سواء أكان من أهل الكتاب أم كان من المشركين. فهؤلاء أولئك مبدأ الذى يسمعه المؤمنون.

٣٦- طهـــر :

قـوله تعالـــى: ﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ..... ﴾ ٥٥ آل عمران. أى من جوارهم وخبث صحبتهم.

٣٧- طـــاف :

قـوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ ٢٠١ الأعراف.

وبعـد هـذا قوله: : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ٢٠٢ الأعراف.

ذكـر الزمخـشرى أنه قرئ (طيف) و (طائف). وأن (طيف) مخفف (لياء ومعناه (لِمّة) من الشيطان فهو مصدر من قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفا .. أو

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٣٤٦.

هو تخفيف (طيِّف) فيعل من : طاف يطيف كـ (لَينّ) من لان يلين. و أو من طاف يطوف كهين.

وقرئ (طائف) وهو يحتمل الأمرين (أي طاف يطيف أو بطوف) وهذه الآية تقريـر وتأكـيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان. يعنى: قوله تعالى: : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ ٢٠٠ الأعراف.

وأن المتقـين هـذه عـادتهم: إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ... وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقـين فإن الشياطين يمدونهم فى الغَىّ ... فإن قلت: لم جمع الضمير فى (إخـوانهم) والـشيطان مفـرد ؟ قلـت: المراد به الجنس كقولـه: ﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ ٢٥٧ البقرة"[1].

فابتداء مس الطائف المتقين هو الشيطان.

٣٨- ظـــل :

فى قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ ٤٣ الواقعة.

وقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ . فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ٤١: ٤٤ الواقعة.

والـسموم : الـنار التـى تنفذ حرارتها فى المسام. والحميم. الماء المتناهى الحرارة. وظل من يحموم. أى من دخان أسود يهيم (لا بارد ولا كريم) .. أى ظل

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٩: ١٥٠.

حار ضار .. على عكس الظل البارد النافع وهو المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ ٣٠ الـواقعة. وفى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ .... الآية ﴾ ٤٥ الفـرقان. فمنشأ الظل فى آية الواقعة هو الدخان الأسود البهيم. وعليه فـ (من) حرف ابتداء.

٣٩- ظـلم :

فـى قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ ﴾ ١٦٠ النساء.

أى أن سـبب تحـريم الطيـبات عليهم ظلم أى ظلم ناشئ منهم. فـ (من) ابتدائية.

٤٠- عصم: أربع مرات فى ثلاث آيات هى :

فـى قـوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٦٧ المائدة. وقوله: ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ هود. وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ .... ﴾ ١٧ الأحزاب.

والفعـل مـن مادة (ع ص م) معناه: الحفظ والكلاءة فمبدأ حفظ الله لرسوله ومصطفاه صلي الله عليه وسلم هم الناس أى الذين يتربصون به الدوائر. أى أن الله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك فى مراقبتهم. وليس المراد: العصمة من

أى أذى. لأنـــه عليه السلام قد تعرض لشديد الأذى مما يجعل العصمة هنا بمعنى: أنه يحفظه من القتل(١).

وأما فى آيتى هود والأحزاب ففى الأولى ظن ابن نوح أن الجبل يعصمه من الغـــرق فى الماء. فرُدَّ عليه بأنه (لا عاصم اليوم من أمر الله) وفى الثانية يبين الله أن الذين يحملهم الجبن على الفرار من القتل فلا يقاتلون بَعْد أن عاهدوا الله أنهم لا يولون الأدبار : أنهم لا ينفعهم الفرار. ومن ثَمَّ أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةً ﴾.

٤١- عـــفـــا:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ عُفِىَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَىۡءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ .... الآيـــة﴾ ١٧٨ البقرة.

والمراد بالأخ: ولى دم المقتول؛ وقيل له (أخوه) لأنه لابسه من قِبَل أنه ولى الدم ومطالبه به ... أو ذكَره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام(٢). وقيل : المراد به المقتول.

فعلـــى الأول تكون (من) لابتداء الغاية. وعلى الثانى تكون للسببية أى بسببه وإنمـــا جعـــل أخا تعطيفا عليه وتنفيرا من قتله لأن الخلق كلهم مشتركون فى أنهم عبيد الله فهم كالإخوة فى ذلك. ولأنهم أولاد أب واحد وأم واحدة.

وأمـــا (شئ) فهو كناية عن المصدر وهو العفو. والتقدير – والله أعلم – فأى شخص من القاتل عفى له عفوا من جهة أخيه.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٥١٤.

(٢) الكشاف ١/ ١٦٦: ١٦٧.

هـذا مـا ذكـره ابـن هشام ثم عقب عليه قائلا: وكون (من) لابتداء الغاية أحسن لوجهين:

أحدهما: كونها لابتداء الغاية أشهر من كونها للسببية.

الثانـي: أن الضمير فـي قوله (وأداء إليه) راجع إلى مذكور فى هذا الوجه دون الأول"(١).

وعلى الرغم من هذا نرى ابن المنير يقول: "وتحتمل الآية وجها آخر وهو: عـود الضميرين فى (له وأخيه) إلى الولى. وقالوا على هذا الوجه يكون العفو: إعطـاء البدل كأنه قال: فمن أُعطِىَ شيئا من أخيه أى بدلا من أخيه؛ ويكون (من) مـثلها فـي قـوله تعالـى: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ٦٠ الزخرف(٢).

وقـد حققنا أن هذا المعنى غير لائق بـ (من) بل المراد هنا أن تكون اسما بمعنى (بعض) أى لجعلنا بعضكم ملائكة. وبذلك يخلص معنى (من) للابتداء.

٤٢- عـلـم:

فـي قـوله تعالـى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ ﴾ ١٠٢ البقرة.

يرى ابن جرير أن (من) بمعنى المكان والبدل أى: فيتعلمون مكان ما علماه – يعني : الملكين – ما يفرقون به بين المرء وزوجه"(٣).

---

(١) شرح شذور الذهب ١٨٩: ١٩٠.

(٢) الانتصاف هامش الكشاف ١/ ١٦٦: ١٦٧.

(٣) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ١٩٧.

ولعـل القارئ قد علم ما في هذا المعنى من ضعف. ولذا نرى ما نقله الجمل عن السمين وهو: "منهما: يتعلق بـ (يتعلمون) و (من) لابتداء الغاية"[١].

وهذا هو الصواب.

٤٣- عـاذ: إحدى عشرة مرة في الآيات الآتية:

قـوله تعالـى: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ٣٦ آل عمـران. وقوله: ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ٩٨ النحل. وقـولـه: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ ﴾ ١٨ مـريم. وقوله: ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ ٩٧ المؤمـنون. وقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ٢٧ غافر. وقوله: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ. مِن شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ. وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾. ١ - ٥ الفلق. وقوله:

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ. مَلِكِ ٱلنَّاسِ. إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ. مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ. ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ. مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ١، ٤، ٦ الناس.

و (مـن) فـي الآيات العشر الأولى ذات معنى واحد وهو الابتداء. وأما في الآيـة الأخيـرة فقـد أجاز فيها بعض العلماء وجهين: الابتداء والتبعيض ومعنى: الاسـتعاذة: الهروب من شئ تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به

---

(١) حاشية الجمل ١/ ١٠٦.

ملجأ ووَزَراً. وقيل معناه: الستر فالعائذ يستتر من عدوه بمن استعاذ به. وقيل معناه: لزوم المجاورة فإن العرب تقول للحم إذ الصق بالعظم فلم يتخلص: (عوذ) لأنه اعتصم به واستمسك.

هذه خلاصة ما ذكره ابن تيمية[١].

وعلق عليه الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى قائلا: "وبعد: فمعنى الاستعاذة القائم بقلب المؤمن وراء هذه العبارات وإنما هي تمثيل وإشارات وتفهيم. وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدى الرب والافتقار إليه. والتذليل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة"[٢].

وأما معنى (من) فقد سبق عن الرضى أنها للابتداء. وأن الباء للانتهاء ويقول أبو البقاء فى كلياته: "العوذ الالتجاء ففى (أعوذ بالله) أى ألتجئ إلى رحمته وعصمته. والإلصاق أيضاً وعلى هذا فمعناه: ألصق نَفْس بفضل الله ورحمته. و(من) بعده. إما للابتداء كما فى قوله تعالى: ﴿ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ ١٩٩ البقرة.

وإما للانتقال كما فى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ ٣٧ المائدة.

وإما للتعدية. فإن وقوع هذا الفعل على الاسم المذكور بعده مختص بهذه الكلمة لغة.

وتحقيق المعنى الأول والثانى: أن العوذ يبدأ من الانفصال من الشيطان ويتم بالاتصال بالله وهو انتقال من غير الله إلى الله"[٣].

---

(١) انظر تفسير المعوذتين ص ٩، ١٠.

(٢) ابن تيمية ص ٢٦٥: ٢٦٦.

(٣) كليات أبى البقاء ٢٦١: ٢٦٢.

وبالـــتأمل فـــى هـــذه المعانى الثلاثة التى ذكرها أبو البقاء لـــ (من) وهى: الابـــتداء والانتقال والتعدية يدرك المرء أن الابتداء يشمل معناه ما بعده إذا الابتداء معـــناه: ابـــتداء الانتقال من مكان إلى غيره. وأما التعدية فقد عرفنا أنها اصطلاح نحـــوى ســـائد يـــراد به أن الفعل قد جاوز معناه إلى غيره. فمثلا إذا قلت: خرج محمد. دل ذلك على مجازوة محمد المنزل مثلا. ولكنه لا يدل عليه نصاً وصراحة فـــإذا ما قيل: خرج محمد من المنزل تعين مبدأ الخروج وهو الحدث. وبهذا يكون معنى الابتداء هو المطلوب بهذا الأسلوب.

والوَسْـــواس: اســـم بمعنى الوسوسة كالزِّلْزَال. وأما المصدر نحو: وِسْواس بكسر الواو. والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لأنها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه.

أو أريد : ذو الوسواس"[١].

وإلـــى الأخيـــر ذهـــب ابـــن تيمـــية حـــيث قـــال: من شر ذى الوسواس فحذف المضاف[٢].

هـــذا هو معنى (من) فى الآيات العشر. وأما الآية الحادية عشرة (من الجنة) و(الـــناس). فقد ذكر العلماء أن (من) فيها للتبيين. والمبين إما (الذى يوسوس) وإما (الناس) أى أن الذى يوسوس فى صدور هو الجِنَّة أو هو (الناس).

١- فعلـــى: الأول يكون المعنى: أن الشيطان ضربان جنى وإنسى كما قال تعالى: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ ١١٢ الأنعام. وعن ابن ذر رضى الله عنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شيطان الإنس[٣].

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٦٥٨.

(٢) انظر رسائل ابن تيمية ٢/ ١٨٥. الرسالة العاشرة.

(٣) انظر الكشاف ٤/ ٦٥٨ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٦٦.

وعلى أنه بيان لـ (الناس) فالمراد بـ (الناس) الجنة كما أن (نفر) و (رجال) يطلقان على الإنس كما هو واضح مشهور. ويطلقان على الجن كما فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ١، ٦ الجن[١].

قال الزمخشرى: "وما أحقّه؛ لأن الجن سمّوا جنّا لاجتنانهم؛ والناس ناسا لظهورهم من الإيناس وهو: الإبصار كما سموا: بشرا ولو كان يقع (الناس) على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن. وبعده من التصنع"[٢].

فالزمخشرى فى هذا النص ينكر أن يكون (الناس) بمعنى (الجنة) وقد حكى ابن تيمية عن الفراء أنه قال: سمى الجن ناسا كما سماهم رجالا وسماهم نفرا. ثم ردّه بقوله: "هذا ضعيف فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والإنس .. ثم إنه قد قال (من الجنة والناس) فكيف يكون لفظ (الناس) عاما لـ (الجنة والناس) ؟! وكيف يكون قسيم الشئ قسما منه ؟! وإذا سماهم الله رجالا لم يكن فى هذا دليل على أنهم يسمون ناسا .. وإن قدر أنه يقال: جاء ناس من الجن فذل مع التقييد كما يقال: (إنسان من طين) و (ماء دافق) ولا يلزم من هذا أن يدخلوا فى لفظ : الناس"[٣].

وبهذا يتضح أن إطلاق (الناس) على الجن غير سديد على عكس إطلاق (رجال) و (نفر) وكم فى كلمات اللغة من أسرار تدق على الإفهام.

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ٣/ ٣٠٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٥٨.

(٣) رسائل ابن تيمية ٢/ ١٨٥ الرسالة العاشرة.

ولعل هذا التخرج هو الذى حمل بعض العلماء على أن يجعل (الناس) فى هذه الآية وصفا لأنه اسم فاعل حذفت ياؤه وأصله (الناس) كما فى قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ٤١ ق. وقوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ ٦ القمر. فأصل المناد والداع : المنادى والداعى. فالمراد بـ (الناس) الذى لم يتذكر ما ينبغى تذكره. يقول الزمخشرى : "وقيل: من الجنة والناس. من النسيان كما قرئ فى قوله تعالى: ﴿ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ ١٩٩ البقرة، فتقدير الآية (الذى يوسوس فى صدور الناس. من الجنة والناس. لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل"[١].

والذى نراه أن (من) فى (من الجنة والناس) ليست بيانية لما ذكرناه مكررا من أن هذا المعنى يقتضى زيادة (من). ودعوى الزيادة باطلة. لأنها يترتب عليها أن الوسوسة تشمل جميع الجنة والناس.

فعلى الوجه الأول يكون المعنى: الذى يوسوس وهو: الجنة والناس؛ وعلى الثانى يكون المعنى: فى صدور الناس وهم الجنّة والناس. وعلى الثالث يكون المعنى: الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنّة والناس.

فجميع الناس على الأول والثالث موسوسا وناسيا. والواقع غير ذلك.

وقد رد الزمخشرى وابن تيمية الوجه الثانى.

وبهذا يثبت أن معنى التبيين فى (من الجنة والناس) مردود.

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٥٨.

٢- وقيل إنها للابتداء فهى إما متعلقة بـ (بوسوس) ومعناه :ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس(١).

وقيل (بدل) من (من شر الوسواس) بتكرار (من) أى من شر الجِنَّة(٢).

فكأن أصل النص: من شر الوسواس الخبة والناس. وفى هذا من الضعف ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة إذا كيف يكون (الجنَّة والناس) كلهم جميعا موسوسين. فمن يكون المُوَسْوَس إليه ؟

كما أن معنى الابتداء هنا غامض غير واضح. ففى النفس منه شئ أى شئ!!

٣- وهناك من يرى أن (من) بمعنى كبعض يقول أبو حيان "من الجنة و(الناس: (من) فيه للتبعيض أى كائنا من الجنة والناس؛ فهو فى موضع الحال أى ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس"(٣). واختاره السفاقسى(٤).

وهذا ما أختاره غير أنى لا أذهب إلى تقدير (كائنا) كما فعل أبو حيان إذ المعنى فى أشد الاستغناء عنه فتقديره: حالة كونه بعض الجنة والناس.

هذا: وهناك معنى رابع نقله ابن تيمية عن الزجاج وهو: أن تقدير الآية: من شر الوسواس الذى هو الجنة. ومن شر الناس.

ولا يخفى ما فى هذا من تمزيق للنص وتفريق لكلماته. ولذا لم يجد ابن تيمية بدا من ردِّه فقال: "وفيه ضعف – وإن كان أرجح من قول الفراء – لأن شر الجن أعظم من شر الإنس؛ فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس. ولا يستعيذ إلا من

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٦٥٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٦٦.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥٣٢.

(٤) انظر حاشية الجمل ٤/ ٦١٢.

بعض الجن. وأيضاً: فالوسواس الخناس إن لم يكن إلا من الجنة فلا حاجة إلى قوله (مـــن الجنة والناس) وأيضا: فإنه إذا تقدم المعطوف اسما كان عطفه على القريب أولى كما أن عود الضمير إلى الأقرب أولى"(١).

هكذا ورد النص فى رسائل ابن تيمية. وبالتأمل فيه يدرك العقل عدم الاتفاق بين قول الزجاج (الوسواس الذى هو الجنّة ومن شر الناس) وما ذكره ابن تيمية. إذ الأول معناه: الموسوس الجنة كلهم والشر فى الناس كلهم والقصور فى هذا المعنى أن العمـــوم غيـــر مراد فى النوعين. وأما ما ذكره ابن تيمية فيفهم منه أن المعنى يقتـــضى الاســـتعاذة مـــن جميع الناس على حين أنها من بعض الجن. وهنا تفرقة واضحة بين ما يقع من كل منهما.

ولـــذا فإنـــى أرى أن الآيـــة ليست فى حاجة إلى هذا التأويل على ضوء ما اختـــرناه مـــن أن (من الجنة والناس) يثبت بعضهم. والتأويل حالة كون الموسوس بعـــض الجنة والناس. وهذا على أن (الوسواس) بمعنى (الموسوس) فهو وصف لا مصدر. فإن كان مصدرا كانت (من) ابتدائية أى أن ابتداء الوسوسة هم الجنة والناس.

وعلـــيه تكون (أل) للنوع لا الجنس. وليس معنى هذا أننى أكون متناقضا مع نفـــسى حـــيث اختـــرت – فيما سلف – أن (من) بعضية. فالاختيار لا يمنع جواز غير المختار.

٤٤– غـــــدا:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ ١٢١ آل عمران.

---

(١) رسائل ابن تيمية ٢/ ١٨٦ الرسالة العاشرة.

قـــال أبو البقاء: "من: لابتداء الغاية والتقدير : من بين أهلك وموضعه نصب تقديره: فارقت أهلك"[١].

ويرى بعضهم أن (من) بمعنى (مع) وردّه أبو حيان بأنه فى غاية البعد. وهو تخريج يقوله وينقله على سبيل التجويز من لا بصر له بلسان العرب[٢].

وهـــو محق فى ذلك إذ يقتضى أن يكون المعنى: غدوت مع أهلك. أى أهل بيتك وهن أزواجك وهذا غير مراد.

هـــذه واحدة وأخرى فى نص أبى البقاء وهى قوله (وموضعه نصب تقديره فارقت أهلك) ففى هذا النص يجعل أبا البقاء (من أهلك) منصوبا وقد عرفنا ما فى ذلـــك مـــن جـــرأة على النص بسبب ما عليه النحاة من أن محل الجار والمجرور النصب؛ وفى هذا افتئات على حقه وتفتيت لنسجه.

٤٥- غفـــل: فى ثلاث آيـــات هى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ ٧٩ الأنبـياء. وقوله: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ ١٥ القـــصص. وقـــولـــه: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ ٢٢ ق.

يقـــول ابـــن هشام فى الأولى: "من: مرادفة لـــ (عن) نحو قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٢ الزمر. وقيل: هى فيهما للابتداء"[٣].

---

(١) إملاء ما مَنْ به الرحمن ١/ ٨٣.

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٦ وانظر ٣/ ٤٥.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

وبأدنى التفاته ذهنية يدرك المرء أن الثانى هو الصواب لما عرفنا وألفنا من أن لكــل كلمة فى مقامها ومكانها عزة ومنعة تأبى استبدال غيرها بها. على أننا لو سلمنا بمعنى (عن) فى الأولى والثالثة فهل يجوز فى الثانية أن يكون المعنى: على حين غفلة عن أهلها ؟! كلاً.

إذ نــص الآيــة يثبت صفة الغفلة للأهل وهو المراد الذى لا يقتضى المقام سواه. فلو قيل (عن أهلها) لاقتضى ذلك أن تكون الغفلة وصفا لموسى عليه السلام. أرأيت كيف تكون قدسية الكلمة فى القرآن الحكيم المبين ؟!

٤٦- غمــر:

فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ ٦٣ المؤمنون.

ومن قبل هذه الآية ست آيات فى صفات الذين يخشون ربهم ويؤمنون بآياته. ولا يــشركون به. وقلوبهم وجلة من رجوعهم إلى ربهم. ويسارعون فى الخيرات. ولا يكلفهم الله فوق طاقتهم وهم لا يظلمون. الآيات ٥٧: ٦٢.

فالضمير فى (بل قلوبهم) عائد على من ذُكِرُوا فى آيات من قبل تلكم الآيات: "كل حزب بما لديهم فرحون. فذرهم فى غمرتهم حتى (حين) ... الخ.

واسم الإشارة (هذا) يشار به إلى صفات المؤمنين.

يقول الزمخشرى: "أى بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) اى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين"(١).

فابتداء غمرتهم هى تلك الصفات.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٥٢.

٤٧- غـنـــى: تسع مرات فى سبع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ ١٣٠ النساء،

قــوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ٢٨ ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ٧٤ التوبة ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ ٦٧، ٦٨ يوسف ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ٣٢ ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ٣٣ النور.

مما ينبغى ملاحظته أن الفعل فى هذه الآيات رباعى البنية (أغنى) و (يُغنى). والآيـــة الأولى فى حق الزوجين اللذين وصلا إلى حالة من الشقاق والخلاف بحيث لا يستطيعان استمرار الحياة الزوجية وصار علاجهما أن يتفرقا بالطلاق الذى يمكِّنُ كُــلاً مــنهما أن يعــيش فى رغد من العيش وسعته. وبذلك يبدل الله ضيقهما سعة وكربهما فرجا فالإغناء له ابتداء وهو هنا سعة الله فى العطاء.

والآيـــة الثانية فى سياق الكلام على حكم نهى المشركين عن مقاربة المسجد الحرام. لأنهم نجَس. وكأن دخولهم المسجد الحرام يعود على أهل مكة بالغنى. فقال الله لهم: (وإن خِفتُم عيلة) أى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قــولهم عليكم من الأرفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضل) من عطائه، أو

مـن تفـضله بـوجه آخـر، فأرسـل الـسماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر مِيزهم(١).

ففضل الله ابتداء إغناء الله لهم. وقد نقل البيضاوى عبارة الزمخشرى وعلق علـيه الـشهاب قائلا: "يعنى: الفضل بمعنى العطاء أو التفضل فعلى الأول: (من) ابتدائـية أو تبعيضية، وعلى الثانى سببية ولذا عبر عنها بالباء – يعنى: أن تعبير البيضاوى: بفضله"(٢).

وقـد عـرفنا أن (مـن) التعليلية أو السببية لا تخلو من معنى الابتداء. فهى حرف. وقد أجاز الشهاب أن تكون (بعضية). وأغلب الظن – بل أقوى اليقين – أنه يجـرى فى غبار آراء العلماء الشهيرة والوفيرة فى أن (من) البعضية حرف. وقد حققنا غير ذلك فهى اسم يرادف كلمة (بعض).

وهـنا لابد من وقفة مع هذه الآيات لأن الفعل (أغنى) أو يغنى) قد وقع بعده – علـى هـذا – اسـمان. ففى الأولى (كُلاًّ من سعته) وفى الثانية (يغنيكم الله من فـضله) فوردت (من فضله) أربع مرات. وأما فى السادسة فجاء قوله: (وما أُغْنِى عنكم من الله من شئ).

فهـل يجـوز أن يكون الفعل (أغنى) بمعنى (أعطى) وبذلك يتهيأ له نصب المفعولين و (من سعته) و (من فضله) مفعول ثان أى بعض سعته وبعض فضله ؟

أقـول: قـد يجوز ذلك لو ثبت أن (أغنى) تنصب مفعولين. وربما يقف فى سبيل ذلك آيتا سورة يوسف (وما أغنى عنكم من الله شئ) (ما كان يغنى عنهم من

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٠٥، المِيز جمع: ميزة وهى: الطعام يمتاره الإنسان .. أو جلب الطعام .. ففى الـتهذيب : جلب الطعام للبيع وهم يمتارون لأنفسهم ويميرُون غيرهم ميرا. وقد مار عياله وأهله يميرهم ميراً وامتار لهم ... لسان العرب.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٣١٦.

الله مـــن شـــئ إلا حاجـــة ...). فليس فيهما ما يصلح لذلك أما (إلا حاجة) فليست مفعولا. بل قال الزمخشرى: "(ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين (ما كـــان يغني عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط. حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك؛ وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فـــى رحله وتضاعفت المصيبة على أبيهم (إلا حاجة) استثناء فتقطع على معنى: ولكن حاجة"(١).

وبذلك يتأكد عدم وجود ما يصلح مفعولا لـــ (أغنى) و (يغنى).

والـــذى يطمئن به القلب أن (أغنى) و (يغنى) فى غير آيتى يوسف يمكن أن ينـــصبا مفعولين. أما فى آيتى يوسف فهما بمعنى (أدفعُ) و (يَدْفَعُ) وفيهما مضاف يدركه العقل إذا التقدير : وما أغنى عنكم – أى ما أدفع – بعض قدر الله و (من شئ) بيان أو يدل أى لو كان ذلك أقل مقدار يتصوره البشر. فتكون (من) بعضية لا ابتدائية.

وهـــذا لا يقدح فى ذكر هذه الآيات هنا. لأن (من) فيها تصلح لمعنى الابتداء فتكون حرفا.

٤٨- فـــتـــح:

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٩٦ الأعراف.

قال الزمخشرى: "لأتيناهم بالخير من كل وجه، وقيل: أراد المطر والنبات"(٢).

فابتداء فتح البركات. السماء والأرض.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٠.

(٢) الكشاف ٢/ ١٠٥.

وقـد يقـال: إن المراد بالبركات: المطر والنبات والشجر. فيكون (السماء) بمعنى السحاب لأنه حامل المطر كما فى قوله: ﴿ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ﴾ ٢ الذاريات.

وعلى هذا تكون (من) اسما بمعنى بعض. أى لرزقناكم المطر الذى هو بعض ماء السحاب. والشجر الذى ينبت فى الأرض بعد سقى المطر لها وإحيائها به.

وإعـراب (مِنْ) على هذا أنها نعت لــ (بركات) أى أن هذه البركات بعض السحاب والأرض.

٤٩ - فــتــر:

فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ١٩ المائدة.

قال الألوسى: " و (من) ابتدائية أى فترة كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم"(١).

والمقـام مـستغن أجمل الاستغناء عن (كائنة) التى قدرها الألوسى. فالمعنى واضح تام بدون.

٥٠ - فــجــر: فى آيتين هما:

فى قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ ٦٠ : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ٧٤ البقرة.

---

(١) روح المعانى ٢/ ٢٨١.

يقـول أبو حيان: "منه: متعلق بـ (انفجرت) و (من) هنا لابتداء الغاية، والضمير عائـد على الحجر المضروب؛ فأنفجار الماء كان من الحجر لا من المكان كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ٧٤ البقرة.

ولـو كـان هـذا التـركيب في غير كلام الله لأمكن أن يعود الضمير على الـضرب. وهـو المـصدر المفهـوم من الكلام قبله. وأن تكون (من) للسبب أى فانفجرت بسبب الضرب. ولكن لا يجوز أن يرتكب مثل هذا فى كلام الله"[1].

وهذا صريح فى أن المعنى المراد بـ (من) هو الابتداء فقط.

٥١- فـر: فى خمس آيات هى:

قـوله تعالـى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ٢١ الـشعراء. ﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ ١٦ الأحـزاب ﴿ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ﴾ ٨ الجمعـة ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ ٥١ المدثر ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ... ﴾ ٣٤ عبس.

فـ (من) هنا للابتداء بدون احتمال غيره.

٥٢- فـز: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٧٦ ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٠٣ الإسراء.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٢٨.

والاســتفزاز: الإزعاج الذى يحمل المستفَزّ على مفارقة الأرض التى استفز مــنها. فمعنى الابتداء واضح. والخطاب فى الأولى للرسول محمد صلي الله عليه وسلم والآية الثانية فى شأن فرعون مع بنى إسرائيل.

٥٣- فضــل: فى آية واحدة وهى:

قوله تعالى: ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٨ الحشر.

فالله هو ابتداء الفضل الذى يبتغونه أى يطلبون الحصول عليه.

٥٤- فــوز: ومنه (مفازه):

فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ١٨٨ آل عمران.

قــال أبو البقاء: "من العذاب: متعلق بمحذوف لأنه صفة للمفازة لأن المفازة مكــان، والمكان لا يعمل. ويجوز أن تكون المفازة مصدراً فتتعلق به (من) ويكون التقدير: فلا تحسبنهم فائزين فالمصدر فى موضع اسم الفاعل"[١].

ونقــل الرازى عن الفراء قوله: "أى ببعد من العذاب لأن الفوز معناه التباعد من المكروه"[٢].

وأقــول: إن معنــى الآيــة واضح كل الوضوح بدون ذاك المتعلَّق المزعوم تقديره لأن (مفازة) هى التى يرتبط بها ابتداء الفوز المنفى من العذاب.

٥٥- فــاض:

فــى قــوله تعالــى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ١٩٨ البقرة.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩١.

(٢) من مفاتيح الغيب ٣/ ١٢٠.

والإفاضة : الدفع بكثرة؛ فهو: من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة. ويرى الزمخشرى أن (أفاض) فعل ناصب للمفعول الذى يلحظه العقل أى: افضتم أنفسكم. فترك المفعول كما ترك فى : دفعوا من موضع كذا وصبوا[1].

وعلى هذا تكون الهمزة للتعدية إذ يقال: فاض الماء إذا سال واندفع بغزارة ثم يقال: أفضت الماء إذا دفعته بغزارة. وقيل: إن (أفاض) لازم فلا مفعول له[2].

وسواء أكان لازما أم متعديا فـ (من) حرف ابتداء[3].

٥٦- فصل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٣٧ يونس.

وصدر هذه الآية: "وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب ...... الخ".

ومعنى (وما كان هذا القرآن أن يفترى): وما صح وما استقام وكان محالا: أن يكون مثله فى عُلُوِّ أمره وإعجازه مفترى. أو افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيَّار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ٣١ فاطر وقرئ: (ولكن تصديقُ الذى بين يديه وتفصيل الكتاب بالرفع على: ولكن

---

(١) انظر الكشاف ١/ ١٨٥.

(٢) انظر حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٥٠٨.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/ ٩٥.

هــو تــصديق وتفصيل. أى: تبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله (كتاب الله عليكم).

وقوله: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فى حيز الاستدراك أى: ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين.

ويجوز أن يراد : ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فــى ذلــك. فيكون (من رب العالمين) متعلقا بــ (تصديق وتفصيل)، أو يكون (لا ريب فيه) اعتراضا كما تقول: زيد – لا شك فيه – كريم(١).

والذى يمكن استنباطه من كلام الزمخشرى هو:

(أ) أن (مــن رب العالمين) مرتبط معناه بــ (لا ريب) أى أن هذا الكتاب الخاتم للرسالات لا ريب فى إنزاله من رب العالمين. فانتفاء ابتداء الريب جهة رب العالمــين بــدون تحديد. وإذا انتفى ابتداء الريب انتفى الريب من باب أولى. وهذا ما نرجحه ونصححه لما فيه من المحافظة على نسق النص وأخذ بعض كلماته بِحُجَزِ بعض دون فصل أو تفريق.

وقول الزمخشرى (منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين) ليس بلائق إذ ما فائدة (كائنا) هنا ؟

(ب) أن (من رب العالمين) مرتبط بــ (تصديق وتفصيل) أى تصديق الذى بين يديه وتفصيله من رب العالمين.

وفــى هذا ادعاء الفصل بين مفردات الآية. بما ينال من جمال نسقها ودقته. فــلا داعــى إلــيه. إذ ليس كل ما يحتمل عقلا يجوز تطبيقه على آى الذكر

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٢٧٢.

الحكـيم. وخاصة أن فى ارتباط (من رب العالمين) بـ (لا ريب فيه) يؤدى المعنى كـاملا لا نقـص فـيه فهـو علـى نـسقه الذى أوحِىَ إلى خاتم الرسل والأنبياء.

(جـ) أنه مرتبط بـ (تفصيل) وجملة - لا ريب فيه - اعتراضية على حد تعبير الزمخـشرى. ووقوع الإعتراض فى النص القرآنى وارد ثابت صحيح. ومنه قـوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ ٧٥ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ٧٦ ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ ٧٧ الواقعة.

فـ (لو تعلمون) اعتراض بين الوصف (عظيم) والموصوف (قسم). وجملة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض بين (القسم وجوابه).

فـلا بـأس هـنا فى الاعتراض بـ (لا ريب فيه) بين (تفصيل) و (من رب العالمـين) إذ لا يترتب عليه تقديم ولا تأخير بل هو متمم للمعنى المراد. فلا اعتراض عليه ومع هذا أرى أن ارتباط (من) بـ (لا ريب) أولى وأرجح.

٥٧- قـرب: فى آيتين هما:

فـى قـوله تعالـى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٦ الأعراف. وقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ ٣١ الرعد.

ويـرى بعض العلماء أن (من) هنا لانتهاء الغاية لأن قولك: قربت منه مساو لقولك: قربت إليه قاله ابن مالك (١).

(١) التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١٠.

وقد سبق عن ابن عطية هذا المعنى لـــ (من) فى قوله تعالى : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ وردّه أبو حيان لأنه غير معقول.

وبالـــتأمل يدرك العقل أن (قَرُب منه) غير (قَرُب إليه) ففى (من) دلالة على الملاصقة والمباشرة على عكس (إلى) فإن فيها مفارقةً مَا وبهذا يمكننا أن نستحضر هـــنا مـــا قررناه في مستهل هذه الدراسة من أن (إلى) اسم لا حرف على حين أن (من) الابتدائية حرف لا اسم.

٥٨- قـــضـــى:

فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ٣٧ الأحزاب.

يقـــول الزمخشرى: "إذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل: قضى منه وطـــره، والمعنى: فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلّقها وانقضت عدتها (زوجناكها)"[(١)] .

ولا يخفـــى أن الـــضمير فى (منها) عائد على (زينب بنت جحش رضى الله عنها) فهى ابتداء نهاية حاجة زيد إليها ورغبته عنها.

---

(١) الكـــشاف ٣/ ٤٢٩ ومعنـــى: الوطر كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهى وطره. قال ابن مـــنظور ولم أسمع لهما فعلاً أكثر من قولهم: قضيت من أمر كذا وَطَرِى أى حاجتى وجمع الوطر: أوطار قال الله تعالى: (فلما قضى زيد منها وطرا) اللسان مادة : وطر. وقوله: (فيها همة) معناه: نية وإرادة وعزم، اللسان مادة هم.

٥٩- قطـــع: فى أربع آيات هى:

فى قوله تعالى: ﴿ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ ﴾ ٣٣ المائدة، ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ ١٢٤ الأعراف، ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ ..... الآية ﴾ ٧١ طه، ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ ...... ﴾ ٤٩ الشعراء.

فالآيـــة الأولى فى المحاربة أى الذين ينقضون عهد الإسلام والمسلمين ففيهم أنواع من العقاب منها: تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف أى اليد اليمنى مع الرجل اليسرى. وأمـــا الآيـــات الثلاث بعدها فهى من تهديد فرعون للسحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام.

يقـــول ابـــن جريـــر الطبـــرى فى الأولى: "يعنى جل ثناؤه أن تقطع أيديهم مخالفـــا فـــى قطعها قطع أرجلهم، وذلك أن يقطع أيمن أيديهم فأشْمل أرجلهم؛ فذلك الخـــلاف بيـــنهما فى القطع. ولو كان مكان (مِنْ) فى هذا الموضع (على) أو الباء فقـــيل: أو تقطـــع أيديهم وأرجلهم علي خلاف أو بخلاف لأديا عما أدت عنه (مِنْ) من المعنى"(١).

وقال الزمخشرى: فى آية طه: " و(من) لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ مـــن مخالفة العضو للعضو لا من وفاقه إياه، ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أى لأقصفها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف"(٢).

وقـــيل: المعنـــى: من أجل الخلاف الذى ظهر منكم فتكون (من) تعليلية قال الشهاب: وهو بعيد(٣).

---

(١) جامع البيان ٦/ ١٢٥: ١٢٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٩: ٦٠ وانظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٣١٥.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٢٠٥.

فهـذه ثلاثة نصوص أولها للطبرى ومقتضاه أنه يجوز وقوع (عَلَى) أو الباء موقـع (مِـنْ). ولست أدرى لماذا ؟ إن (من) تقوم بالمعنى المراد وهو أن التقطيع ناشـئ من الخلاف بين الأيدى والأرجل. فلو قيل (على الخلاف) أو (بالخلاف) لما كان المعنى المراد واضحاً جليا كما فى قوله تعالى (من خلاف).

وثانيها: للزمخشرى وهو: أن (من) ابتدائية وهذا هو المعنى النابع من النص المطابـق للمـراد. غيـر أنه التمس محلا لــ (من خلاف) فى الإعراب ألا وهو النـصب أى مختلفات. وليس فى هذا فائدة تراد أو تُبْتَغَى فحسب كلمات النص أن تكـون واقعة موقعها قائمة بالمطلوب منها واضحة الدلالة على ما ذكرت له. وذلك متحقق بقوله تعالى (من خلاف).

وثالثها: أن (من) تعليلية وردّه الشهاب مع أننا قد نبهنا فيما سبق أن التعليلية لا تخلو من معنى الابتداء.

٦٠- قنـط: فى آيتين هما:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ٥٦ الحجر. ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ٥٣ الزمر.

وآيــة الحجــر من آيات فى شأن بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام بغلام عليم وهو (إسحاق) فقال: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ ٥٤ ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ ٥٥ وتأمــل – هــداك الله – الفــرق الدقيق بين (يقنت) و (يقنط) حيث إن الأولى بالتاء المهموسة الخفيفة فيدل الفعل التى دخلت فى صيغته على نهاية الخضوع لله. على حين تكون

الثانية بحرف الإطباق وهو (ط) دالة على عدم الرضا بما قسم الله. فيقال: قنت لله أي خضع وذل وفي خضوعه رفعة وفي ذله عزة. ويقال: قنط من رحمة الله أي انسل منها ونفر ومِنْ ثَمَّ وصف الله مثل هذا بأنه (ضال). فـ (من) حرف ابتداء تدل على أن رحمة الله ابتداء القنوط واليأس للضال. ومن ثَمَّ نهى الله عن ذلك في الآية الثانية فقال: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا تنفروا منها ولا تبتعدوا عنها.

٦١- قال:

في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ٥٨ يس .

ومن قبل هذه الآية قوله: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ ٥٧. فقوله (سلام) بدل من (ما يدعون). والمشهور في إعراب مثل الأسلوب أن (لهم) متعلق بمحذوف خبر مقدم. و (فاكهة) و (ما يدعون) مبتدأ مؤخر. وقد حققنا أن لا داعي إلى هذا إذ الظرف يرفع ما بعده فاعلا: وبذلك يصان النص من الفصل بين البدل (سلام) والمبدل منه (ما يدعون).

ومعنى (يدَّعون) إما يفتعلون من الدعاء أي يدعون به وإما يتداعونه. وإما (يتمنونه) من قولهم: ادَّعِ عليَّ ما شئت أي تمنه عليّ، وفلان في خير ما ادَّعى أيِ في خير ما تمنىّ. قال الزجاج: وهو من الدعاء أي: أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. و (سلام) بدل منه كأنه قال لهم: سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى: أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متَمَّناهم؛ ولهم ذلك لا يُمْنَعُونه[1].

---

(١) انظر الكشاف ٤ / ١٧.

فـ (من) حرف ابتداء إذ القول – وهو السلام – مبتدأ من جهة الله.

٦٢- كـــلأ:

فـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ٤٢ الأنبياء .

أى من يمنعكم من بأسه وعذابه(١).

فالآية تهديد لمن يستهزئون بالرسل. ولعلك تلحظ أنها – مثل ما قبلها – على تقديـــر مـــضاف وهذا المضاف هو ابتداء السلام فى السابقة والمنع من عذاب الله فى هذه .

٦٣- قـــام:

فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ ٣٩ النمل. وهذه الآية فى حق عرش ملكة سبأ فهى جواب لسؤال فـــى الآيـــة من قبلها وهى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ ٣٨ .

والعفـــريت مـــن الـــرجال: الخبيث المنكر الذى يعقر أقرانه. ومن الشياطين الخبيث المارد. وقالوا: كان اسمه ذكوان(٢).

(١) انظر الكشاف ٣/ ٩٤.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٢٨٩.

والمقـام: المكـان الذى يقام منه أى قبل أن تفارقه. فـ (من) حرف لابتداء مفارقه مكانِ القيام.

٦٤- كـنَّ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ ٥ فصلت.

فـ (من) لابتداء الغاية[1].

٦٥- لجـأ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ ١١٨ التوبة.

فالله عز وجل ابتداء الملجأ وانتهاؤه بدون كيف.

٦٦- لقـى: فى آيتين هما:

فـى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ ٣٧ البقرة ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ١٣ الفرقان.

وفـى الآيـة الأولى قراءة بنصب (آدم) ورفع (كلمات) وأخرى يرفع (آدم) ونصب (كلمات) [2].

فمعنـى التلقـى علـى القـراءة الأولى: أن الكلمات استقبلت آدم بأن بلغته واتـصلت بـه؛ وعلـى الثانـية اسـتقبال الكلمـات بالأخـذ والقبول والعمل بها حين عملها[3].

---

(١) انظر روح المعانى ٧: ٤٧٢.

(٢) انظر سراج المبتدى ص ١٦٩ وغيث النفع ص ٤٤ والنشر ٢/ ٢١١.

(٣) الكشاف ١/ ٩٦.

قال الألوسى: "وفى التعبير بالتلقى إيماء إلى أن آدم عليه السلام كان فى ذلك الوقت فى مكان البعد"(١).

وذكر الواحدى أن معنى الآية على القراءتين واحد لأن من الأفعال ما يكون إسناده إلى الفاعل كإسناده إلى المفعول وذلك نحو: أصبت ونلت ولقيت تقول: نالنى خيـر ونلت خيرا، وأصابنى خير وأصبت خيرا، ولقينى زيد ولقيت زيدا. وإذا كان معانـى هـذه الأفعال على ما ذكرنا كان نصب (آدم) ورفع (الكلمات) كرفع (آدم) ونصب الكلمات من حيث المعنى"(٢).

فـ (من) ابتدائية على القراءتين.

وأمـا الآية الثانية فقال فيها الجمل. "منها: حال من (مكانا) أى وإذا ألقوا فى مكان حال كونه منها"(٣).

ولا يخفـى على القارئ أن هذا على أن أصل النسق: وإذا ألقوا مكانا ضيقا مـنها. فتكون (منها) نعتا لـ (مكانا) فلما قدم على (مكانا) صار حالا. وعلى هذا تكون (من) بمعنى (بعض) فهى اسم أى حالة كونه بعضها.

ولـو كـان الأمر كذلك لجاز لنا – بل لتحتم علينا – أن نجعل (منها) ظرف مكان أى بعضها ثم نعرب (مكانا ضيقا) بدلا منها. فهى اسم أيضا غير أنها ظرف كما سبق فى آيات (من) الاسمية المعربة ظرفا.

وهـذا لا يمـنع أن تكون (من) حرف ابتداء أى حينما يبتدئ إلقاؤهم مقرنين دعوا هناك بثورا. بل لعل ذلك أرجح وأوقع.

---

(١) روح المعانى ١/ ١٩٨.

(٢) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٢٦٩.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٢٤٨.

٦٧- مثـــل: في آيتين هما:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ٣٤ النور. وقوله ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ٢٨ الروم.

ففي الأولى. ابتداء إزال المثل هم الذين سبقوا المخاطبين من الأجيال السالفة.

وفي الثانية: "من: للابتداء كأنه قال: أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم ومن أنفسكم ولم يبعد"(١).

٦٨- مريـــة: في خمس آيات هي:

في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ١٧، ١٠٩ هود.

وقوله ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ ٥٥ الحج ﴿ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ ٢٣ السجدة ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ ٥٤ فصلت.

قال الشهاب في الثانية: "من: إما بمعنى (في) أو ابتدائية . و (ما) مصدرية أو موصولة، وعلى الثاني بقدر مضاف أي حال هؤلاء لأنه لا معنى لِلْمِرْية في أنفسهم"(٢).

أي من عبادة هؤلاء أو من الذين يعبده هؤلاء.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٦.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٥/ ١٤٠.

وقال أبو السعود فى الثالثة: "ولا يجدى همل (من) على السببية دون الابتداء؛ لما أن مِرْيَتَهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأ من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن"(١).

وكأنه يعنى أن (من) للاستمرار، والاستمرار فى الظاهر يخالف الابتداء.

والحق أن الاستمرار مستفاد من قوله: (ولا يزال) فهذا العقل هو الذى يثبت استمرار مِرْيَتَهم. والاستمرار لابد له من ابتداء فـ (من) هى التى تؤديه. فمعنى الاستمرار لا يتعارض مع معنى الابتداء.

٦٩- عَذَب:

فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ ٤٥ مريم.

وهذه الآية رابع آية من نداء إبراهيم عليه السلام لوالده بقوله: يا أبت. فذكر فى الأولى: علة خطئه فى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئا. وفى الثانية دعاه إلى الحق مترفقا به متلطفا حيث لم يسمْ أباه بالجهل المفرط؛ ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال له: إن معى طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك. وفى الثالثة: ثبطه ونهاه عما كان عليه من عبادة الشيطان الذى عصى ربه وفى الرابعة وهى التى نحن بصدد الكلام عليها ذكر تخويفه سوء العاقبة وما يجئ عليه عصيانه من مس عذاب الرحمن له. وفى تلك الآية تلطف بالغ فى قوله (أخاف) وتحذير رقيق فى (أن يمسك عذاب) ثم بلغ منتهى ذلك كله فى قوله (عذاب من الرحمن) فجعل الرحمن مبدأ هذا العذاب. وفى ذلك ما لا يخفى من الرقة والحنو من إبراهيم

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٨: ١٩.

على والده لأن (الرحمن) إذا كان مصدر العذاب كان ذلك ألطف وأخف مما لو كان القهار هو مصدر ذلك العذاب[1].

٧٠- ملـــك:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ ٤ الممتحنة.

وهذه الآية أيضاً من كلام إبراهيم الخليل إلى أبيه. فالعلاقة بينها وبين سابقتها وثيقة عميقة على الرغم من بعد المسافة بينها من حيث ورود كل منهما فالأولى فى ســورة مريم وهى رقم ١٩ فى عدد سور القرآن على حين أن الثانية رقم ٦٠ فى ذلك العدد. وإذا كانت مريم بدئت بقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ ..... الآيات ﴾ ٤١: ٤٤. فإن آية الممتحنة بدئت بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ ..... إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾.

يقــول الزمخشرى: "فإن قلت: ممَّ استثنى قوله (إلا قول إبراهيم) ؟ قلت: من قــوله (أسوة حسنة) لأنه أراد بالأسوة الحسنة: قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به ويــتخذوه ســنة يستنون بها، فإن قلت: فإن كان قوله (لأستغفرن لك) مستثنى من القــول الذى هو أسوة حسنة فما بال قوله ﴿ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٤: ١٥.

وهو غير حقيق بالاستثناء، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾ ١٧ المائدة ؟

قلت: أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له. وما بعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال: أنا استغفر لك وما فى طاقتى إلا الاستغفار"(١).

فـ (من الله) : من: فيه حرف ابتداء لنفى ملك إبراهيم من الله. أما (من شئ) فـ (من) فيه اسم بمعنى (بعض) أى لا أملك بعض شئ من الله ينفعك.

٧١- منـــع: فى ثلاث آيات هى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ١٤١ النساء ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ ٦٣ يوسف ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٢ الحشر.

وصدر الآية الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

قـــال الزمخشرى: "يتربصون بكم أن ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظَفَر أو إخفــاق – أى غــزو بــدون غنيمة – (ألم نكن معكم) مظاهرين. فأسهموا لنا فى الغنيمة. (ألم نستحوذ عليكم) أى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم قابضينا عليكم

---

(١) الكــشاف ٤/ ٤١٠. ويلاحظ أن قوله (يأنسوا به ويتخذوه ...) ورد فيه (يتخذونه) مرفوعا. والحق أنه منصوب.

(ونمــنعكم مــن المؤمنــين) بــأن تبطناهم عنكم، وخبلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم، وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا بما أصبتم ....

فإن قلت: لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا ؟ قلت : تعظيماً لــشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين : لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبــواب الــسماء حتــى ينزل على أوليائه. وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دَنِيّ ولمظة من الدنيا يصيبونها"[1].

فالــذين يتربصون بالمؤمنين. إن كان للمؤمنين فتح ونصر زعم أولئك أنهم كانــوا معهم ومعيتهم لهم هى التى جلبت النصر للمؤمنين. وإن كان للكفارين شئ مــن النــصر قــال أولئك لهم: نحن الذين سيطرنا على المؤمنين فمنعناهم عنكم. فالمؤمنون هم ابتداء منعهم من الهزيمة.

وأما آية يوسف ففى حق يوسف وإخوته. فقد قال لهم يوسف لما عرفهم دون أن يعرفوه وجهزهم بجهازهم: (ائتونى بأخ لكم من أبيكم) وهو شقيقه بنيامين فإن لم تأتونــى فلا كيل لكم عندى ولا تقربونى ... فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِع مــنا الكــيل فأرســل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون. فأُخْوَةُ يوسف ابتداء منعه الكيل عنهم.

وأمــا آية الممتحنة ففى حق الكافرين من أهل الكتاب الذين أخرجهم الله من ديارهم لأول الحشر. ومعنى (أول الحشر) أن هذا أول حشر بنى النضير إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام.

---

(١) الكــشاف ١/ ٤٤٨. واللمظــة: المــرةً من اللمظ يقال: لمظ يلمُظ لمظا إذا تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه. هامش الصفحة السابقة.

أو أن هذا أول حشرهم. وآخر حشرهم أجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام. وقيل: آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام.

وعلى كل فالمؤمنون لم يظنوا أن هؤلاء يخرجون من ديارهم إلى غيرها بل هم أنفسهم قد ظنوا أنهم تمنعهم حصونهم من الله. وما ذلك كله إلا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم. فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أى لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غِرَّة على يد أخيه فذلك مما أضعف قوتهم وفلَّ شوكتهم ..، "(١).

فبحسب ظنهم يكونون فى منعة من أمر الله ونصره للمؤمنين عليهم.

٧٢- مــاز: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ ١٧٩ آل عمران وقوله ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ ٣٧ الأنفال.

يقول ابن هشام: "الثانى عشر – أى من معانى (من) – الفصل وهى الداخلة على ثانى المتضادين نحو قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ ٢٢٠ البقرة وقوله : ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ قاله ابن مالك. وفيه نظر لأن الفصل مستفاد من العامل – يعنى: يعلم ويميز – فإن (ماز وميَّز) بمعنى: فَصَلَ والعلم صفة توجب التمييز.

والظاهر أن (من) فى الآيتين للابتداء. أو بمعنى : عن"(٢).

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣٩٨.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

وأرى أنـــه لا داعى لنقل الكلمة عن معناها التى وضعت له إلى معنى كلمة غيرها وخاصة أن الكلمتين مختلفتان فى الحقيقة والنوع إذ (من) حرف ابتداء (عن) اسم من قبيل الظرف. وعلى هذا يخلو المقام لمعنى الابتداء فى الآيتين.

٧٣- نبــت:

فى قوله تعالى: ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتا** ﴾ ١٧ نوح.

جعل الزمخشرى الآية من قبيل الاستعارة حيث قال: استعير الإنبات للإنشاء كما يقال: زرعك الله للحيز. وكانت هذه الاستعارة أدل دليل على الحدوث، لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ... والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا؛ أو نصب بـــ (أنبتكم) لتضمنه معنى : نبتم"[(١)].

ففى هذا النص عدة تأويلات وهى:

(أ) جعــل الكلمـــة استعارة. إذ المقصود بها الإنشاء. وشتان بين الإنبات والإنشاء. على ما ذكره الزمخشرى. والحق أننا إذا أحْسَنَّا التأمل والتعمق أدركنا أن النبات من الإنشاء أليس إنشاء شئ حىّ من الأرض ؟!

(ب) قــوله: (أنبــتكم فنبــتم نــباتا) وفى ذلك ادعاء أن (نباتا) ليس مصدرا لـــــ (أنبت) لأنه ناقص فى حروفه عنه فهو اسم مصدر كما يراه بعض النحاة بعد ســيبويه ومنهم الزمخشرى. والحق أنه مصدر إذ جِذْر الكلمتين واحد وهو (ن ب ت) والعبرة بذلك. وعليه يكون (نباتا) مصدرا لـــ (أنبت). وفى ذلك ذوق رفيع ودقة فى التعبير لا يصل إليها (فنبتم نباتا) لأنه لو جئ بمصدر (أنبت) لقال: (والله أنبتكم من الأرض إنباتا) وفى هذا من الثقل بدون ضرورة ما لا يخفى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩٥.

(جـ) قوله: (أو نصب بـ (أنبتكم) لتضمنه معنى: نبتم) وهذه دعوى لا سند لها ولا مدد تعتمد عليه. إذ كيف تضمن الكلمة معناها التى وضعت له وحملته بحروفها ونطقها ؟!

وبذلك يثبت أن الآية فى أشد الاستغناء عن التأويل والتعديل. فالأرض هى ابتداء نشأة البشر.

يقول الشيخ المغربى: "والأصل فى معنى: الإنبات: إخراج الله النبات من الأرض. أما بنو آدم فيخرجهم خالقهم من بطون أمهاتهم – يقول الله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ ٧٨ النحل – ثم ينشئهم بما يغذيهم من اللحوم والنباتات إنشاء يبلغون به أشدهم، لكن لما كان إخراجهم وإنشاؤهم بشرا سويا إنما يتم بتناول آبائهم وأماتهم ثم تناولهم هم بعد الولادة عناصر الغذاء الحيوانية والنباتية المستمدة من الأرض كانوا من هذه الجهة مشابهين للنباتات التى تنمو بامتصاص غذائها من الأرض مباشرة .... ومن ثَمَّ قال بعض الحكماء: إن الإنسان شجر اقتلع بجذره من الأرض فمشى وَدَلَف. وإن الشجر إنسان غاص بقدمه فى الأرض فثبت مكانَه ووقف"(١).

وعلى كل فمعنى (من) أن ابتداء النبات والإنسان هو الأرض.

٧٤- نبذ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ ١٦ مريم.

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ٦٠.

يقـول الزمخشرى: "الانتباذ: الاعتزال والانفراد. خلَـتْ للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس[1].

ولـيس معنى ذلك مساواة المعنى بين (نبذ) و (اعتزل) إذ مما لا شك فيه أن النبذ أشد من الطرح والرمى لما فيه من معنى: الضيق والعنف. فكأن السيدة مريم العذراء كانت فى ضيق فتركت مكان أهلها نافرة منهم نفور المبغض المُجْتَوِى للمكان.

ولـيس فـى نص الزمخشرى ما يشير - ولو من طَرْفٍ خَفِىٍّ - إلى دعوى التضمين فى (انتبذ) وهذا هو المنهج السديد والقول الرشيد. وهناك من يأبى إلا تلك الدعـوى الـباطلة زاعما أن (انتبذ) مضمن معنى (أتى) وأن (من) متعلق به على حقيقته. و (مكانا) منتصب به على التضمين أى أتت مكانا[2].

ولا يخفـى ما فى هذا من تفريق وتمزيق وتحميل النص بما لا يليق فبأدنى الـتفاته ذهنـية يـدرك القـارئ أن (انتبذ) قد تعلق به (من) الابتدائية وهو بمعناه الحقيقى. وانتصب به - فى الوقت نفسه - (مكانا) لأنه بمعنى: أتى.

ومن ثم أرى أنه لا داعى لهذا الافتراض الذى يترتب عليه الافتراء.

٧٥- نجـــا: وقد وردت ثلاثين مرة فى ست وعشرين آية. والفعل فيها إما بصيغة (نجَّى) أو بصيغة (أنجى). وتلك الآيات هى:

قـــوله تعالــــى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ٤٩ البقرة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٧.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة ١/ ١٨٢.

وقوله : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٣ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ٦٤ الأنعام.

وقوله : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾ ٨٩ ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ١٤١ الأعراف.

وقوله : ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٢٢ ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٨٦ يونس.

وقـــوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ٥٨ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ﴾ ٦٦ هود.

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ٦ إبراهيم.

وقـــوله : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ ٤٠ ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ ٨٠ طه.

وقـــوله : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ﴾ ٧٤ ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ٧٦ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ ٨٨ الأنبياء.

وقـــوله : ﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ٢٨ المؤمنون.

وقـــوله : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٦٩ الشعراء. وهى فى حق لوط عليه السلام.

وقـــوله : ﴿ قال – أى موسى – رب نجنى من القوم الظالمين ﴾ ٢١ ﴿ نجوت من القوم الظالمين ﴾ ٢٥ والخطاب لموسى عليه السلام.

وقوله : ﴿ فَأَنجَىٰهُ – إبراهيم عليه السلام – ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ٢٤ العنكبوت.

وقوله : ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ – اى نوحا عليه السلام – وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ٧٦ ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا – أى موسى وهارون – وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ١١٥ الصافات.

وقـــوله : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ ٣٠ ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ ٣١ الدخان.

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ١٠ المجادلة.

وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ١٠ الصف.

وقـــوله : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١١ التحريم.

قال القفال: "أصل الإنجاء والتنجية التخليص وأن يبان الشئ من الشئ حتى لا يتصلا؛ وهما لغتان: نجّى وأنجى. ونجا بنفسه؛ وقالوا للمكان العالى: نجوة لأن من صـــار إلـــيه نجـــا أى تخلـــص، ولأن الموضع المرتفع بائن عما انحط عنه فكأنه متخلص منه"(١).

ومن ثَمَّ صح استعمال (نجاه) بمعنى: ألقاه على نجوة: قال أبو العباس المبرد: "فـــي قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ٩٢ يونس – الخطاب لفرعون عليه اللعنة – ليس معنى: ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك: بدرعك. يدل على ذلك: لتكون لمن خلفك آية"(٢).

---

(١) من مفاتيح الغيب ١/ ٣٥٧ وانظر غرائب القرآن ١/ ٢٧٥.

(٢) الكامل ٢/ ٣٢٨.

و (مـن) بعـد هـذه المـادة ابتدائية. أى أن الحدث الذى تدل عليه ابتداؤه المخفـوض بها. مثل (آل فرعون) و (ظلمات البر والبحر) و (هذه) .... إلى غير ذلك من الآيات.

يقـول السـمين فى آيتى الأنعام: ﴿ لَئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ : "من: هذه تـتعلق بالفعل قبله و (من) لابتداء الغاية. و(هذه) إشارة إلى الظلمات لأنها تجرى مجـرى المؤنثة الواحدة. وكذلك فى (منها) يعود على (الظلمات) – يعنى فى قوله (قـل الله ينجيكم منها) وقوله (من كل كرب) عطف على الضمير المجرور بإعادة حرف الجر وهو واجب عند البصريين"(١).

وبهـذه العبارة الأخيرة إشارة إلى مذهب الكوفيين وهو جواز العطف بدون إعـادة الحرف كما فى قوله تعالى: ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ٢١٧ البقـرة. وقوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ ١ النساء. ... وغيرهما. وقد قال الزمخشرى فى الأولى: "والمسجد الحرام: عطف على: سبيل الله – وصـد عـن سـبيل الله – .. والمسجد الحرام. ولا يجوز أن يعطف على الهاء فى : به"(٢).

وقـال فـى الثانية: "والأرحام: بالحركات الثلاث – يعنى النصب والخفض والرفع. والذى يغنينا هنا (الخفض) وفيها يقول: "والخفض على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والخافض والمخفوض كـشئ واحد فكانا فى قولك: مررت به وزيد. وهذا غلامه وزيد. شديدى الاتصال؛

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٤٩.

(٢) الكشاف ١/ ١٩٦.

فلمـــا اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامـــل كقـــولك: مـــررت به وبزيد، وهذا غلامه وغلام زيد. ألا ترى إلى صحة قولك: رأيتك وزيدا. ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال !! لأنه لم يتكرر.

وقد تُمُحِّلَ لصحة هذه القراءة على تقدير تكرير الخافض ونظيرها:

فاليوم قربت تهجونا وتشـــتمنا   فما بك والأيـــام من عجـــب[1]

ويقول أبو منصور الأزهرى فى هذه الآية: "وأما خفض الأرحام على قراءة همـــزة فهـــى ضعيفة عند جميع النحويين غير جائزة إلا فى اضطرار الشعر لأن العـــرب لا تعطف على المكْنيّ إلا بإعادة الخافض ثم قال: وقد أنشد الفراء بيتا فى جوازه وهو لمسكين الدرامى.

تُعَلَّق فى مثل السوارى سيوفنا   وما بينها والكعب غوط نفانف

والكـــلام وجهه: وما بينها وبين الكعب. فاضطره الشعر إلى جوازه"[2] فهى قـــراءة حمـــزة ولا شـــك أنهـــا ســـبعية فكيف يسوغ لأحد العلماء أن يطعن فيها مع تواترها.

وفـــى هذه القراءة خلاف طويل الذيل وأرى أنه يدل على أن النحاة يشغلون بـــالهم وعقـــولهم فيما لا رجع له ولا فائدة منه اللهم إلا على ما توهموه وتأولوه. واللغـــة العربية مصدرها الأقوى والأوحد هو السماع إما من العرب وإما من وحى الله عز وجل إلى رسوله ومصطفاه محمد عليه صلاته وسلامه.

أقـــول: لم لا يكون مذهب الكوفيين – هنا – أقوى حجة وأقوم قبلا لأن سنده قراءة قرآنية.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٥٦.

(٢) معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى ١/ ٢٩٠: ٢٩١.

وأمـــا ما ذكره الزمخشرى من شدة الاتصال بين الخافض والمخفوض حتى كأنهمـــا كلمـــة واحدة. ففيه من التمحل العنيف والتأويل المتعسف مالا يخفى إذ ما الفرق بين مررت بمحمد، ومررت به؟ أليس الضمير كلمة مثل (محمد) ؟ ثم أليس فـــى (مـــررت بمحمد) شدة اتصال كما هى فى (مررت به) ؟ ثم أليست الباء كلمة مـــستقلة الذات والمعنى مثل غيرها من الكلمات ؟! لكل هذا لا أرى وجها لتضعيف قراءة سبعية لهوىً نحوى قائم على غير العدل والإنصاف.

وإنـــى لأرغـــب أن يعفـــو عنى القارئ لهذه الاستطرادة الخفيفة لأن الداعى إليها أقوى.

ولنذهب إلى آيات (من) مع الفعل (نجى وأنجى) فنقول: قوله تعالى: ﴿ نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ ففيه عطف (ومن خزى ..) على (نجينا صالحا) أى: ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال فى حق هود عليه السلام: : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ٥٨ هود.

وكانت التنجية من خزى يومئذ أى: من ذله ومهانته وفضيحته[١] .

وفى هذا النص ما يثبت دقة الفهم وعمق الفكر عند النحاة ومنهم الزمخشرى صـــاحب ذلـــك النص. لأنه قاس نصا قرآنيا على نص آخر فى السورة نفسها وقد ورد فـــيها الفعل (ونجيناهم من عذاب غليظ) ففيه دلالة لمن يتنبه إليه على أن آية صـــالح مثل آية هود. فحذف من الثانية ما ذكر فى الأولى لأن القرآن يكمل بعضه بعضا لا يقابل بعضه بعضا.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٣١٩.

وبــذلك يثبت إيهام من يُوهِمُ نفسه أو تُوهِمُه هى حتى يزعم زيادة الواو فى (ومــن خزى) فيتعلق (من) بـــ (نجينا. وهم هنا الكوفيون أما البصريون فلا تجوز زيادة الواو عندهم[1].

ألست معى – أيها القارئ – فى أننا مكلفون بإعادة النظر فى الخلاف النحوى حتـــى ننقيه – أى النحو – مما علِقَ به من أخلاط وأغلاط فيكون نحوا صافيا قوياً سنده النص اليقين لا الحدس والتخمين .. ؟!

ويبقى مما ينبغى النص على ما فيه قوله تعالى فى سورة الدخان (نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين. من فرعون ...) وفيه يقول الزمخشرى: "من فرعون: بدل من (من العذاب) فكأنه – أى فرعون – فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم – أى بنى إسرائيل – ويجوز أن يكون المعنى: من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون حتى يكون (المهين) هو فرعون.

وفـــى قـــراءة ابـــن عـــباس: مَنْ فرعون؟ لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعـــة قـــال: مَنْ فرعون ؟ على معنى: هل تعرفون من هو فرعون فى عتوه وشيطُنته ؟ ثم عرف حاله فى ذلك بقوله: "إنه كان عاليا من المسرفين"[2].

ومما يثبت ذلك آية التحريم التى وردت على لسان آسية بنت مزاحم زوجته وهى: "ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين".

ولا يفوتنا هنا أن نتذكر قوله تعالى فى آية المجادلة: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/ ٢٤٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٤١٩.

فقـــد يظـن قارئ أن هذه الآية ليس لها هنا مكان أو مكانة إذ الفرق بين (نجًى) و (أنجى) وبين (نجوى) لا يخفى على ذى عقل وعينين. فالنجوى أن يتناجى اثنان أى ينتحيا جانبا ليتجاذبا أطراف حديث معين لا يحبان أن يعلمه غيرهما. وقد يبدو أن هذا المعنى غير موجود فى النجاة.

والحق غير ذلك لما بينهما من علاقة وثيقة وصلة عميقة فكل منهما فيه نَأىٌ وبُعْـد. ولعـل فـى قـول الرسول صلي الله عليه وسلم: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثـنان دون صـاحبهما فـإن ذلـك يَحْزُنه" وروى : دون الثالث "والأولى لمسلم. والثانية للبخارى"(١).

فمـن البدهى أن الاثنين إذا أراد التناجى تركا الثالث وبعدا عنه وبهذا يلتقى معنى (النجوى) بمعنى (النجاة) إذ كل منهما فيه تناءٍ ومباعدة.

فـ (من) حرف ابتداء وابتداء النجوى – المذمومة – الشيطان.

يقـول الزمخـشرى: "إنما النجوى: إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله تعالى: ﴿ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ والمعنى: أن الشيطان زَيَّنَها لهم؛ فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم. (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئا إلا بإذن الله) ... فإنهم كانوا يوهمون المؤمنين فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غُلِبُوا وأن أقـاربهم قُـتِلُوا فقال: لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموُهَم إلا بإذن الله أى بمشيئته. وهو: أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة"(٢).

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣٩٢ وهامشها.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٩٢.

وبذلك يستقيم ذكر هذه الآية في سياق الكلام على الآيات المشتملة على مادة (ن ج و). فالـنجوة من الأرض ما ارتفع عن سائرها وفي ذلك بُعد ومجاوزة. كما يبعد الناجي من الشر عنه ويجاوزه.

٧٦- نـــزع: في آيتين هما:

قـوله تعالـى: ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ ٢٦ آل عمران : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ ٩ هود.

ونـزع الـشئ سـلبه عـنوة وقهرا. وقد ذكرت كلمة (الملك) ثلاث مرات. ومعناها في المرة الأولى (مالك الملك) تعم أجناس الملك وأنواعه فالله يتصرف في جميعها تصرف المُلاّك فيما يملكون. والثانية والثالثة (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملـك ممـن تشاء) والمراد : نصيب من الملك. فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل[1].

٧٧- نـــزغ: في آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ ٢٠٠ الأعراف و ٣٦ فصلت.

قال الألوسي: النزغ النخس وهو المسّ بطرف قضيب أو إصبع بعنف مؤلم. اسـتعير هـنا للوسوسة الباعثة على الشر؛ وجعل نازغا للمبالغة على طريقة: جد جُده. فـ (من) على هذا ابتدائية.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٦٨.

ويجـوز أن يراد: نازغ على أن المصدر بمعنى اسم الفاعل وصفا للشيطان فـ (من) بيانية والخافض والمخفوض فى موضع الحال. أو هى ابتدائية أيضاً لكن على سبيل التجريد"(١).

وقد عرفنا أن معنى البيانية غير مستساغ لـ (من) لأنه يقتضى زيادتها وكذا التجـريدية. ولذا أرى أن الآية ليست فى حاجة إلى هذين المعنيين اللذين لا ينبعان من الكلمة. بل يفرضان عليها. والمعنى: هو نبع من الكلمة لا غريب عنها.

وعليه يخلو وجه المعنى للابتداء دون غيره.

٧٨- نـــزل: وردت أربعا وثلاثين مرة فى اثنتين وثلاثين آية هى:

قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ والمـراد فـيها (من ربكم) : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ ١٠٥، ٢٨٥ البقـرة. وقـوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ١٥٣ النساء. ويحتمل فيها أن يكـون (مـن السماء) نعتا لـ (كتابا) على تقدير مضاف لا يأباه الذوق أى من كـتب الـسماء. وعليه تكون (من) اسما بمعنى: بعض. كما يحتمل أن يكون (من السماء) متعلقاً بالفعل (تُنزّل) فتكون (من) حرف ابتداء(٢).

(١) روح المعانى ٧/ ٤٩٢.

(٢) انظر الكشـاف وغرائـب القـرآن والـرازى والبحر المحيط وإمـلاء ما من به الرحمن. وروح المعانى.

ويلاحـظ فـي الآيات الثلاث أن (من) الابتدائية قوبلت بـ (على) في اثنتين وقـوبلت بـ (إلى) في واحدة. وشتان بين (على) و (إلى) إذا الأولى تدل على علو الجهة التي نزل منها المنزّل. بخلاف الثانية فهي تدل على انتهاء جهته.

وقـوله: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ .... ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَمَآ﴾ ﴿ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ١١٢، ١١٤ المائـدة.

ولعلك أيها

القارئ تـدرك مـا ذكر فيه (على) وما ذكر فيه (إلى). ومما ينبغي التنبه إليه أننا نلحظ في الآيات السابقة ذكر (إلى) و (على) من قبل (منْ). ولعل في ذلك إشارة أن المنزل قد وصل المنزل عليه أو إليه لا محالة. ويقول أبو السعود في الآية الأولى: "مـن ربك: متعلق بـ (أُنزِل) كما أن (إليك) كذلك. وتأخيره عنه مع أن حق المبدأ أن يـتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى، لأن مدار الزيـادة هـو التنزيل إليه عليه السلام كما في قوله: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٦٠ النمل"(١).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٣١.

ويقــول الألوسى فى قوله تعالى: ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ "من السماء: يجوز أن يتعلق بالفعل قبله – يعني: ينزل – وأن يتعلق بمحذوف وقع صفة لــ (مائدة) أى مائدة كائنة من السماء؛ والمراد بها إما المحل المعهود وهو المتبادر، وإما جهة العلو"[1].

وتقديــره (كائــنة) غير دقيق لأن ذلك لا ينطوى على معنى يراد ويقصد. فالدقــيق تقدير مضاف أى من موائد السماء. فتكون (من) بعضية فهى اسم واقعة صــفة لــ (مائدة) ولهذا التقدير مكانته العليا فى اللغة وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ١١٤ الأنعــام. أى مــصاحبا الحق. ومما ينبغى ملاحظته عدم ذكر (إلى) فى هذا النص من الآية؛ والسر فى ذلك أنهــا ذكرت فى صدرها وهو: "أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفــصلا" فإذا كان الله هو الذى أنزل إلى غير الرسول محمد صلي الله عليه وسلم (الكتاب) فيكف لا يكون منزلا إليه: وقوله : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٣ الأعراف.

وفيها يذكر العلماء أن (من ربكم) يجوز أن يتعلق بــ (أنزل) ويكون لابتداء الغايــة مجازا. وأن يتعلق بمحذوف ويكون حالا إما من الموصول – أى (ما) فى (ما أنزل) – وإما من عائده – المضمر فى (أُنزِل) – القائم مقام الفاعل[2].

وقــد علمــنا – غير مرة – أن (من) إذا كانت حالا فهى اسم بمعنى (بعض) وأمــا إذا كانــت ابتدائــية فهى حرف. وأرى أن ظاهر النص ونسقه يقتضى هذا

---

(١) روح المعانى ٢/ ٤٠٧: ٤٠٨.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٠ وإرشاد العقل السليم ٤/ ٤٨٧.

المعنـــى لأن لكل انتهاء ابتداء فما دام (إليكم) مذكورا ينبغى أن تكون (من) حـ
ابتداء. وفى هذا ثبوت لا يقبل ريبا لأنه مُنْزَل (من ربكم).

وأما كون (من) لابتداء الغاية مجازا فأمره هين لأن لله صفاته التى لا يشا
غيره فيها فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ
١، ١٩ الـرعد. ومما يلفت الذهن أن فى الآية الأولى (الذى) وفى الثانية (ما) ا
بمعـــناها فهـــى اسم موصول أيضا. وربما يفهم فاهم أن (ما) حرف كَفٍّ (أن)
العمل. وهذا بعيد هنا.

وقــوله: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ ١٠٢ النحل.

والقـــارئ هنا لا يغيب عنه الفرق بين (أنزل) و (نزّل) إذ الأول يقتضى
القـــرآن كلـــه أُنْزِل مرة واحدة. وهذا ما قرره العلماء وهم يقصدون أنه أنزل إ
سماء الدنيا. وأما التنزيل فالذى قام به جبريل عليه السلام ومن ثَم قيل: نُزِّلَ القر
مـــنجما أمـــا من سماء الدنيا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. على حسب احتيـ
المجتمع إلى ما يصلح شأنه.

وهذا لا ينافى كونه (من ربك) فهو القائل: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ
تَنزِيلٗا ﴾ ٢٣ الإنسان. وقوله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ
مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ ٩٥ الإسراء.

فى آية النمل السالفة الذكر أن جبريل عليه السلام هو الذى نزّل القرآن وهنا يقــرر الحــق عز وعلا أنه لو كان فى الأرض ملائكة لنزّل عليهم ملَكاً. وهذه فى ســياق قــوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ ٩٤ الإسراء.

وقوله: ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ ٤ طه.

وقبل هذه الآية قوله: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ ٢ طه. وهذا هو الذى قضى بعدم ذكر (عليك) فى الآية رقم ٤. وتأمل هنا كيف عبر بـــ (أنزلنا) أولا ثــم عبــر بـــ (تنزيلا) آخرا. ففى الأول يعنى القرآن كله. وفى الثانى يعنى: كيفــية تنزيله. و (تنزيلا) منصوب لأنه مفعول مطلق على غير فعله. إذا كان من (أنزلنا) أو مصدر لـــ (نزلناه).

وقـــــوله: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ ٤ الشعراء.

يقــول الزمخــشرى: "آية: أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه. (فظلت) معطــوف على الجزاء الذى هو (ننزل) لأنه لو قيل: أنزلنا لكان صحيحا. ونظيره ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ ١٠ المنافقون. كأنه قيل: أصدّق وأكن. ثم وضح أن التعبير بـــ (أعناقهم) لبيان موضع الخضوع .. أو كمَّا وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل (خاضعين) كقوله تعالى: ﴿ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ ٤ يوسف. وقيل (أعناق الناس) رؤساؤهم ومقدَّموهم شُبِّهوا بالأعناق كما قيل لهم الرءوس والنواحى والصدور.

وقيل: جماعات الناس يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم.

وقرئ: فظلت أعناقهم لها خاضعة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال: ستكون عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة؟ ويلحقهم هوان بعد عزة"(١).

وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٢ السجدة.

وهنا نذكر الآيات التى اتفقت مع هذه الآية وهى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ١ الزمر. ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ ٢ غافر ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ٢ فصلت. ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ٤٢ فصلت. ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ٢ الجاثية. ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ٢ الأحقاف. ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٨٠ الواقعة. ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٤٣ الحاقة.

فهــذه تسع آيات وردت فى القرآن الكريم والكتاب الحكيم وبدئت بــ (تنزيل) فاقتضى هذا جمعها فى قرن واحد إذ الكلام على إحداها يشملها جميعا.

ففى آية السجدة ذكر أبو البقاء عدة أوجه أجدرها بالقبول أن (من) متعلقة بــ (تنزيل) إذ ليس فيه تقدير شئ، ولا تقديم شئ على شئ.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٥.

كما هو موجود فى غيره حيث يقول: "ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (فيه) والعامل فيه الظرف لأن (ريب) هنا مبنى.

ويجوز أن يكون (تنزيل) مبتدأ و (لا ريب فيه) الخبر و (من رب) حال. ولا يجوز على هذا أن تتعلق (من) بـ (تنزيل) لأن المصدر قد أخبر عنه.

ويجوز أن يكون الخبر (من رب) و (لا ريب فيه) حال من (الكتاب) وأن يكون خبرا بعد خبر(١).

ويبدو أن أبا البقاء ينهج منهج الزمخشرى فى الترديد بين أقوال لا يليق بعضها بجلال وقدسية كلام الله. لأننى وجدت الزمخشرى يقول فى آية الزمر: "تنزيل: قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أُخْبِرَ عنه بالظرف. أو خبر مبتدأ محذوف؛ والجارّ صلة التنزيل كما تقول: نزل من عند الله؛ أو غير صلة كقولك: هذا الكتاب من فلان إلى فلان؛ فهو على هذا خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا تنزيل الكتاب، هذا من الله.

أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة.

وقرئ بالنصب على إضمار فعل نحو: اقرأ والزم.

والظاهر أن المراد بالكتاب على الأول: القرآن . وعلى الثاني: السورة(٢).

وإنى لأترك للقارئ أن يحكم على ما فى بعض الآراء من تكلف وتعسف وحسبى أن أقرر ما أراه صالحاً مناسباً لجلال النص وهو: أن (تنزيل) مبتدأ وقد ورد مضافا إما إلى (الكتاب) وذلك فى آيات: السجدة والزمر وغافر والجاثية والأحقاف. وإما منقطع عن الإضافة كما فى آيات فصلت مرتين. والواقعة والحاقة.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٨٥.

ففـــى الـــنوع الأول نجد: (تنزيل الكتاب - لا ريب فيه - من رب العالمين) السجدة فـ (تنـــزيل) مبتدأ و (الكتاب) مضاف إليه. و (من رب العالمين) هو الخبر وجملة لا ريب فيه حال من الكتاب .. أى من المضاف إليه. وفى آية الزمر الخبر (من الله العزيز العليم) وكذا فى آية غافر وآية الجاثية وآية الأحقاف.

وأمـــا فى النوع الثانى وهو (تنزيل من الرحمن الرحيم) و (تنزيل من حكيم حمـــيد) (تنـــزيل مـــن رب العالمين) مرتين. فواضح أن (تنزيل) مبتدأ والخافض والمخفوض بعده خبر. و (من) فى الجمع حرف ابتداء تُعَيِّنُ جهة التنزيل.

هذا وقد سبق الكلام على قوله (تنزيلا ممن خلق الأرض ....) طه.

وأما باقى الآيات فهى:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ ٢٦ الأحزاب.

و(الـــصياصى) الحصون. مفردها: صيصية وهى: ما تُحُصِّن به. يقال لقرن الـــثَّور والظبى: صيصية . ولشوكة الديك وهى مِخْلَبُهُ التى فى ساقه. لأنه يتحصن بها .... [1]

والمـــراد هنا (من صياصيهم) فـــ (من) حرف ابتداء متعلق بـــ (أنزل) وأما (من أهل الكتاب) فحال من (الذين ظاهروهم) و (من) اسم بمعنى (بعض) أى حالة كونهم بعض أهل الكتاب.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٤٢١.

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ ٢ ، ٦ سبأ.

وفعـل الآية الأولى من الثلاثى (نزل) وقبلها آية الحديد: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ...... ﴾ ٤ الحديد.

و (مـن) فيهما يجوز أن تكون اسما بمعنى (بعض) إذا قصد بالنازل المطر وبالسماء: السحاب. أى وما ينزل حالة كونه بعض السحاب.

ويجـوز أن تكون حرف ابتداء إذا قصد بـ (السماء) البناء وبالنازل كل ما نزل من السماء. وهذا هو الراجح بل الصادق الصحيح لأنه يتفق وسياق الآية.

أما الآية سبأ رقم ٦ فالفعل فيها (أُنْزِل) من الرباعى. و (من ربك) بيان لجهة المُنْزِل.

وقـوله تعالـى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ ٢٨ يسن.

وهـى فى شأن قوم حبيب بن إسرائيل النجار ومعناها نفى لإنزال الله عليهم بعـض جـند من السماء وأكد ذلك بقوله (وما كنا منزلين) أى وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جندا من السماء؛ وذلك لأن الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض .... (١)

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٩.

ولعلــك تنظــر (من) فى الآية ثلاث مرات. فالأولى حرف ابتداء تدل على التعقيب والثانية اسم بمعنى (بعض) أى بعض جند. والثالثة حرف ابتداء تدل على جهة الإنزال.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ ٥٥ الزمر.

وقــريباً مــنها فــى المعنى قوله تعالى: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ وقوله: ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾ ٣٢ فصلت.

يقــول أبو البقاء: "فى (نزلا) وجهان. أحدهما: أن يكون مصدرا فى موضع الحــال من الهاء المحذوفة .. يعنى من قوله تعالى: ﴿ **ولكم فيها ما تدعّون** ﴾ ٢١. أى ما تدعونه. أو من (ما) أى لكم الذى تدعونه معّدا وما أشبهه. و (من) نعت له.

والثانــى: هــو جمــع (نازل) مثل: صابر وصُبُر. فيكون حالا من الواو فى (تدعــون) أو مــن الكاف والميم فى (الكم) فعلى هذا تتعلق (من) بــ (تدَّعُون) أى تطلبونه من غفور. أو بالظرف أى استقر ذلك من غفور فيكون حالا من: ما"(١).

وعلق عليه السمين قائلا: "وقول أبى البقاء: فيكون حالا من (ما) ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار"(٢).

هذا: وقد سبق الكلام على قوله تعالى: ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ ١٩٨ آل عمران.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٦.

(٢) انظر حاشية الجمل ٤/ ٤٢.

وفيها يقول الزمخشرى: "النزُل والنُّزل ما يقام للنازل ... وانتصابه إما على الحال. من (جنات) فى (لهم جنات) لتخصصها بالوصف والعامل اللام. – يعنى فى (لهم جنات).

ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل : رزقا أو عطاء"(١).

وفى آية فصلت يقول: "والنزل رزق النزيل وهو الضيف. وانتصابه على الحال"(٢).

وقوله فى النص الأول (والعامل اللام) يثبت أن للحرف عملا غير خفض ما بعده. وهنا نجد اللام عاملة الرفع فى (جنات) والخفض فى الضمير ثم النصب فى (نزلا). وتلك قيمة رفيعة يستحقها الحرف الذى هضمه النحاة حقه ونقصوا قدره وأضاعوا هيبته.

وإما إعراب (نزلا) فى سورة فصلت: فهو أنه حال من الواو فى (تَّدعون) (ومن غفور) مرتبط به يثبت ابتداء نزول ما يكرِّم الله به عباده المتقين.

٧٩- نسل: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ ٩٦ الأنبياء. وقوله: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ ٥١ يس.

والضمير فى الآية الأولى عائد على (يأجوج ومأجوج) وهما قبيلتان من جنس الإنس. يقال: الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وفيه حذف

---

(١) الكشاف ١/ ٣٥٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٦.

المضاف أى حتى إذا فتح سدُها. وذلك فى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ٩٤ ، ٩٥ الكهف.

(وهم كل حدب ينسلون) أى الناس المسوقون إلى المحشر. وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد.

والحدَب: النشز وهو المكان المرتفع من الأرض. وقرأ ابن عباس رضى الله عنه (من كل جدث) وهو القبر. الثاء – أى جدث حجازية والفاء – جدف – تميمية. وقرئ (ينسُلون) بضم السين. ونسل وعسل: أسرع[1].

فـ (من كل حدب) (من الأجداث) مرتبط بـ (ينسلون) فى نهاية الآية. ولعل السر فى ذكرها قبل الفعل الاهتمام والعناية ببيان الأمكنة التى يخرج منها الناس أو يأجوج ومأجوج.

ومما ينبغى ملاحظته: ذكر (إلى ربهم) فى آية يس وعدم ذكره فى آية الأنبياء لتكمل إحداهما الأخرى.

٨٠- نظر:

فى قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ٤٥ الشورى.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٠٦، ٤/ ١٥.

يقول الزمخشرى: "أى يبتدئون نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفىّ كما تـرى المصبور – أى المحبوس – ينظر إلى السيف ... وقيل: ينظرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم. وذلك: نظر من طرف خفىٍّ وفيه تعسف"(١).

والواضـح أن (مـن) حـرف ابتداء ويرى يونس – وتبعه ابن مالك – أنها بمعنـى الـباء. وردّه أبـو حيان وابن هشام. فالأول ردّ كلام ابن مالك. قال ناظر الجـيش: "واستشهد ابن مالك على أن (من) بمعنى الباء بقوله تعالى: (ينظرون من طرف خفى) ثم قال: قال الشيخ أبو حيان: وهو قول كوفى. ويحتمل أن تكون (من) فى الآية الشريفة لابتداء الغاية أى: ابتداء نظرهم هو من طرف خفِىّ"(٢).

وقال ابن هشام: "السابع – من معانى: من – مرادفة الباء نحو: ينظرون من طرف خفى قاله يونس. والظاهر أنها للابتداء.

قال الشمنى: "إن أريد كون الطرف آلة فـ (من) بمعنى الباء كما قاله يونس. وإن أريـد أن الطـرف وقع ابتداء النظر منه فـ (من) لابتداء الغاية؛ فهما معنيان متغايران موكولان إلى إرادة المستعمل"(٣).

والـذى أراه: أنـه ما دام الحرف المذكور صالحا للمعنى المراد بالنص فلا داعـى لتأوله بمعنى حرف آخر. ففى ذلك افتئات على كلمات القرآن التى وضعت باختيار نصها ومكانها ومقامها بحيث لا يمكن تعديله ولا تأويله. فهو معجز.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨١.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

(٣) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ٨٩.

٨١- نــفــــذ:

فى قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ ﴾ ٣٣ الرحمن.

فقوله (يا معشر الجن والإنس : بيان لقوله: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ ٣١ الــرحمن. والمراد بنفاذهم من تلك الأقطار: هروبهم من قضاء الله وخروجهم من ملكوته ومن سمائه وأرضه. وفى نهاية الآية: (لا تنفذون إلا بسلطان) أى بقوة وقهر وغلبة وأنّى لكم ذلك !!

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٢٢ العنكبوت[١].

٨٢- نــفــى:

فى قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٣٣ المائدة.

تلك هو العقوبة الرابعة من عقوبات الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً. وهى: (أن يُقتّلوا) من غير صلب إن أفْرَدُوا القتل، (أو يُصلّبوا) مع القــتل إن جمعوا بين القتل والأخذ. قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: يصلب حيا ويطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) إن أخذوا المال. (أو ينفوا مــن الأرض) إذا لــم بزيدوا على الإخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعى أن الإمام مخير بن هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣٥٧.

والنفــى. الحــبس عند أبى حنيفة، وعند الشافعى: النفى من بلد إلى بلد ... وقيل: ينفى من بلده[(١)].

٨٣- نــقــذ: فى آيتين هما:

قــوله تعالــى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ١٠٣ آل عمران.

وقوله: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ ٧٣ الحج.

ومــرجع الضمير فى (منها) من الآية الأولى هو: الحفرة أو النار أو الشفا، وأُنِّث لإضافته إلى (الحفرة) وهو منها كما قال:

(كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ من الدم) [(٢)]

واقتــصر أبــو البقاء على الأول والثانى وعليهما لا يكون فى الآية اكتساب صفة التأنيث من المضاف[(٣)].

وحكى أبو حيان عن الطبرى أنه عائد على (شفا) ثم ذكر أن ابن عطية رَدّهَ "لأنــه لا يحتاج فى الآية إلى هذه الصناعة إلا لو لم يجد مُعَاداً للضمير إلا (الشفا). وهنا معنا لفظ مؤنث يعود الضمير عليه. ويعضده المعنى المتكلّم فيه فلا يحتاج إلى تلك الصناعة انتهى.

ثم قال: "وأقول: لا يحسن عوده إلا على (الشفا) لأن كينونتهم على الشفا هو أحد جزأى الإسناد فالضمير لا يعود إلا عليه.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٤٨٧: ٤٨٨.

(٢) انظر الكشاف ١/ ٣٠٣.

(٣) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٢.

وأمـــا ذكر الحفرة فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها. وأيضاً فالإنقاذ من الـشفا أبلـــغ مـــن الإنقاذ من الحفرة ومن النار، لأن الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفـــرة ومن النار، والإنقاذ فيهما لا يستلزم الإنقاذ من (الشفا) فعوده على (الشفا) هو الظاهر من حيث اللفظ ومن حيث المعنى"(١).

وهـــذا ما يراه ابن هشام حيث قال: "فأنقذكم منها: أى من الشفا, ويحتمل أن الضمير لـــ (النار) وفيه بعد لأنهم ما كانوا فى النار حتى ينقذوا منها"(٢).

ويـــرى ابن المنير عوده على (الحفرة) لأنها التى يُمْتَنّ بالإنقاذ منها حقيقة؛ وأمـــا الامتنان بالإنقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالبا من الهُوِىّ إلى الحفـــرة. فيكون الإنقاذ من "الشفا انقاذا من الحفرة التى يتوقع الهُوِىّ فيها. فإضافة المنّة إلى الإنقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع. مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إلـــيه قد عده أبو علىّ فى (التعاليق) من ضرورة الشعر خلاف رأيه فى (الإيضاح) نقله ابن يسعون.

ومـــا حمل الزمخشرى على إعادة الضمير إلى (الشفا) إلا أنه هو الذى كانوا عليه ولم يكونوا فى (الحفرة) حتى يُمْتَنّ عليهم بالإنقاذ منها. وقد بينا فى أدراج هذا الكـــلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالإنقاذ من الحفرة لأنهم كانوا صائرين إليها غالبا لولا الإنقاذ الربانى"(٣).

ونقـــل الألوسى كلامَىْ أبى حيان وابن المنير ثم عقب عليه بقوله: "إن عوده عـــلى (الـــشفا) هو الظاهر من حيث اللفظ بناء على أن الأصل عود الضمير على المضاف دون المضاف إليه إذا صلح لكل منهما ولو بتأول"(٤).

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٩ وانظر المحرر الوجيز.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١١٣.

(٣) الانتصاف بهامش الكشاف ١/ ٣٠٣.

(٤) روح المعانى ١/ ٦٤٢.

وبذلك يتلخص ما قيل في مرجع الضمير من (منها) فيما يأتى:

١- أنــه (شــفا) ولما كان مذكرا والضمير مؤنث لجأ النحويون إلى تأوله بمؤنث لأنه مضاف إلى (حفرة) والمضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه.

وهذا مردود من ابن عطية ولكن أبا حيان على عادته فى الرد على ابن عطية قــد ردّه وقــرر أن الضمير لا يعود إلا على (الشفا) لأنهم كانوا عليه فالإنقاذ منه. لا من غيره. لأن الإنقاذ منه إنقاذ من الحفرة ومن النار.

٢- يــرى بعضهم أنه عائد إلى(الحفرة) لأنها التى يكون الإنقاذ منها على الحقيقة فهو أبلغ وأوقع.

٣- ذكــر الزمخــشرى أنه عائد على (النار) فالإنقاذ منها لا من (الشفا) ولا من (حفرة).

وبالــتأمل نــدرك أن الضمير عائد على (شفا حفرة) و (من النار) وصف لــ (حفرة) إذ (من) اسم بمعنى (بعض) و (منها) حرف ابتداء والضمير عائد على (حفــرة) أى علــى المضاف إليه لا المضاف. وبذلك يستغنى النص عن التأويل إذ معناه واضح بدونه وأما آية الحج : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ فالضمير عائد على الذباب. ولعلك تلمح أيها القارئ فى قوله (لا يستنقذوه) سرا خفيا حيث لم يأت النص (لا ينقذوه منه) فشتان من (استنقذت كذا من كذا) أى حاولت ذلك فلم أفلح. وبين (أنقذت كذا من كذا) ففيه تمام الإنقاذ وعدم الضرر.

فــ (من) فى الآيتين حرف ابتداء.

٨٤- هبـــط: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ٣٨ البقرة، وقوله: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ ١٣ الأعراف، وقوله: ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ١٢٣ طه.

والآيـــة الأولـــى خطاب لآدم وحواء وإبليس. والثانية خطاب لإبليس وحده والثالـــثة خطاب لآدم وحواء فقط. والضمير فى الثلاثة عائد على الجنة التى كانوا فيها. و (من) حرف ابتداء فالجنة هى بدء الهبوط إلى غير تلك الجنة.

٨٥- وحـــى: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ١٠٦ الأنعـام، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ ٢٠٣ الأعراف، وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ٢ الأحزاب.

والآيـــات الـــثلاث فى حق الرسول الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم: وفى الأولـــى يقـــول أبو البقاء: "من ربك: يجوز أن يكون متعلقاً بـــ (أُوحِىَ) وأن تكون حالا من الضمير المفعول المرفوع فى (أُوحِىَ). وأن تكون حالا من (ما) ..."[1].

ولا شـــك فـــى أن أولاها هو أعلاها كعبا فى البلاغة والبيان بدليل ذكر أداة الانـــتهاء (إلـــى) وهذا دليل لا غبار عليه على أن (من) حرف ابتداء. فَرَبُّ محمد عليه السلام هو ابتداء الوحى. ومحمد هو انتهاؤه. وكأنى بذلك يثبت أنه لا واسطة بين الله ونبيه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٤.

ولـــذا نقـــل الجمـــل عن السمين قوله: "من: لابتداء الغاية مجازا مطلقا وهو متعلق بـــ (أوحى) .."[١].

ويعنـــى بقوله (مجازا) أن الله عز وجل لا يتحدد وجوده بمكان ولا زمان بل هو ملء كل منهما بقدرته وسلطانه وقهره.

٨٦- ورى:

فى قوله تعالى: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ ٥٩ النحل.

وهى بيان لما كان عليه بعض العرب من حال الخجل حينما تولد له بنت لا ابن. والمراد هنا (من) الأولى. قال الألوسى: "من: ابتدائية"[٢].

وأمـــا (من سوء) فـــ (من) تعليلية أى أن علة التوارى من القوم هو سوء ما بشر به من ولادة زوجة بنتا.

٨٧- وقـــد: فى آيتين هما:

قـــــوله تعالـــــــى: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ...... ﴾ ٣٥ النور، وقوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ٨٠ يس.

والآيـــة الأولـــى فـــى تمثيل نور الله فى السموات والأرض. وفيها يقول أبو السعود: "أى يبتدأ إيقاد المصباح من شجرة"[٣].

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٨٨.

(٢) روح المعانى ٤/ ٣٩٤.

(٣) إرشاد العقل السليم ٤/ ٦٠.

والآيــة الثانية في سياق امتنان الله على خلقه بنعمة النار التي تقوم بخدمتهم وتمكيــنهم مــن الحــصول على ما يبتغون مما تقوم به حياتهم وتبنى عليه عمارة بلــدانهم. وقد بين الله ذلك في سورة الواقعة موضحا أنهم لا يستطيعون إيجاد هذه الـــــشجرة : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ . ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ ٧١: ٧٢ الواقعة.

ولعــل قرئا يورد هنا سؤالا خلاصته. لم ذكر (منه) قبل (توقدون) ؟ وأقول: إن الــسر فــي ذلك – والله أعلم – أن النار الموقدة في الدنيا لا تكون إلا من هذه الشجرة. فذكر حرف الابتداء قبل إبتداء المتحدث عنه للحصر والقصر. وتلك بديعة من بدائع خلق الله ألا وهي: انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به. وهي الزناد والتي تورى بها الأعراض؛ وأكثرها من المرخ والعفار. وفي أمثالهم: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار. يقطع الرجل منهما غصنين مــثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء. فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتقدح النار بإذن الله ". [١]

٨٨- وقـــي: في ثلاث آيات هي:

قــوله تعالــى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ ٢٨ آل عمــران. وقوله: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ ١٠٩ الــتوبة وقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ ٣٧ الحج.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٢٤.

قال الزمخشرى فى الأولى: "إلا أن تخافوا من جهنم أمرا يجب اتقاؤه"[١].

وقال البيضاوى: "الفعل معدًى بـ (من) لأنه فى معنى: تحذروا وتخافوا وجعل الشهاب الكلام على التقديم والتأخير فقال: "ومن: لابتداء الغاية وأصل الكلام: بقاة كانت من جهتهم؛ فلما قدم انتصب على الحال"[٢].

وقد عرفنا أنه لا داعى لدعوى التقديم والتأخير هنا. ما دام المعنى مفهوما لما فيه من قبح لا يليق بجمال لغة القرآن.

وأما آية التوبة فـ (من الله) مرتبط بـ (تقوى) ومعناها الابتداء. وكذا فى آية الحج فخوفهم من جهة الله عز وجل.

٨٩- وهـب:

فى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ٧٤ الفرقان.

قال الزمخشرى: "يحتمل أن تكون (من) بيانية كأنه قيل: هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله (من أزواجنا وذرياتنا) ومعناه: أن يجعلهم لهم قرة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسدا أى: أنت أسد.

وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تَقَرُّ به عيوننا من طاعة وصلاح"[٣].

(١) الكشاف ١/ ٢٦٩.

(٢) انظر البيضاوى وحاشية الشهاب عليه ٣/ ١٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٩.

والمعنـــى الأول غير دقيق لما علمنا – غير مرة – أنه يقتضى زيادة (من). كما يترتب عليه دعوى التقديم والتأخير بلا داع إليه. على أن (من) فى (رأيت منك أسدا) يحسن جعلها سببية لا تجريدية.

والــراجح بل الصحيح أن (من) فى الآية ابتدائية وهو ما ذكره الزمخشرى آخر الثلاثة.

٩٠- يئــــس: ثمانى مرات فى ست آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ ٧٤ الفرقان. وقوله: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ٨٠، ٨٧ يوسف، وقوله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ ٢٣ العنكبوت، وقـــوله: ﴿ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ ١٣ الممتحنة، وقوله: ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ﴾ ٤ الطلاق.

فـ (من) مع مادة (ى ء س) لابتداء الغاية فقد نقل الجمل عن السمين قوله: فــى الأولــى: "و (مــن) متعلق بـــ (يئس) ومعناها ابتداء الغاية، وهو على حذف مـــضاف أى من إبطال أمر دينكم" ثم نقل قوله فى (من) الأولى من آية الممتحنة: "من لابتداء الغاية أى أنهم لا يوقنون بالآخرة البتّة"(١).

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٥٥٥، ٤/ ٣٣٤.

وقـــال الزمخشرى فى (من) الثانية وهى (من أصحاب القبور): وقيل (من) بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خبر الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم"[1].

ففـــى تعبيـــره بصيغة التضعيف (قيلَ) دليل على أن (من) هذه لابتداء الغاية وهـــو الراجح الواضح بل الصحيح الصادق لأن الكفار الأحياء قد يئسوا من الكفار الأموات أى أنهم ينكرون الآخرة وينكرون عودة أصحاب القبور والله أعلم.

وفقنا الله إلى طريق الحق والصراط المستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا: وقد وصل عدد مرات (مِنْ) فى هذا الفصل ٣٦٧ سبعا وستين وثلاثمائة مرة تقريباً. والله الموفق.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١٧.

الفصل الثالث

آيـــات (مِنْ) التى لابتداء التفضيل فى القرآن

تمهيــد:

إنمـــا عَنَـيْتُ بهذا الفصل دراسة آيات (من) الرادفة اسم التفضيل نحو قوله تعالـــى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ٦ الأحـــزاب، وقـــوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ ٨٦ النساء.

وأول مـــن أشـــار إلى معنى (من) هذه هو سيبوية كدأ به دائماً فقد ذكر فى سـياق حديـــثه عن معنى التبعيض قوله: وكذلك: هو أفضل من زيد. إنما أراد أن يفـضله عن بعض ولا يعم، وجعل (زيدا) الموضع الذى ارتفع منه أو سفل منه فى قولك: شرٌ من زيد"[١].

ففـــى هذا النص إشارة إلى معنيى (من) أعنى: البعضية والابتدائية. إذ قوله (أن يفضله على بعض ولا يعم) يوحى بالأول، وقد عرفنا – بعد أن حققنا – أن هذه مـــن قبيل الاسم فليست حرفا. ومن البدهى أن (بعض) لا تخلفها هنا إذ لا يقال فى (أفضل من زيد): أفضل بعض زيد. كما قيل فى قوله تعالى: ٩٢ آل عمران. وبهذا نستبعد أن (من) تفضيلية. فلا يبقى إلا معنى الابتداء وهذا ما أشار إليه سيبويه بقوله (وجعل زيدا الموضع الذى ارتفع منه – في: أفضل من زيد – أو سفل منه – فى: شر من زيد"

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٠٧.

ومـــن ثَـــمَّ تهيأ لنص سيبويه هنا ما تهيأ لسواه من نصوص وهو أنها كانت أصلا أصيلا ومصدرا جليلا للخلاف النحوى.

ولقـــد رأيـــت خلاف النحاة هنا قد تجاوز المعنيين الحقيقين لـــ (من) وهما (الابتداء والبعضية). فقد ذكر ابن مالك أنها تكون بمعنى المجاوزة وكأن القائل: زيد أفضل من عمرو قال: جاوز زيد عمرا فى الفضل[1].

وهذا ما حمل الرضى على القول به ولكنه يمنع أن تخلف (عن) (من) حيث يقـــول: "وأما (من) التفضيلية فهى – وإن كانت للمجاوزة – لكنه لا يستعمل (عن) مكانهـــا لأنها صارت علما فى التفضيل وكبعض حروف (أفعل) التفضيل فلا تغيير ولا تبديل"[2].

ومما ينبغى التنبيه إليه استعمال الرضى (لكنه) بعد الجملة الاعتراضية وهى – وإن كانـــت لمجـــرد المجاوزة – وهذا خطأ لأن ما بعد (لكن) خبر المبتدأ وهو (فهـــى) وخبر المبتدأ لا يتصدر بـــ (لكن) ولا بـــ (إلا) كما نبهنا غير مرة. ولكن هـــذا الخطأ قد ضرب بجذره فى عمق التاريخ اللغوى حتى انتشر الآن واستعصى نزع جذره وخلع سنخه[3]. والصواب: فهى – وإن كانت لمجرد المجاوزة – لا يستعمل (عن) مكانها. وبهذا يستقيم اللفظ وتكون دلالته على معناه سلسة سهلة مباشرة.

هذا ما ذهب إليه الرضى فى معنى (من) التفضيلية تبعا لابن مالك. مع أنهما لـــم يذكرا صحة خلافة (عن) عنها إذ لا يقال: زيد أفضل عن عمرو وهذا ما دعا ابن هشام إلى ردِّه بأنه: "لو كانت للمجاوزة لصح فى موضعها: عن"[4].

---

(١) انظر شرح التسهيل ٣/ ١٣٦ ثم منهج السالك للأشمونى ٣/ ٤٦.

(٢) شرح الكافية ٢/ ٣٢١.

(٣) سنخ الشئ أصله.

(٤) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

وعقب الشُمُنّى قائلا: "وفيه بحث لأن صحة وقوع المرادف موقع مرادفه إنما هــو إذا لــم يمنع من ذلك مانع؛ وههنا مانع وهو: الاستعمال بأن اسم التفضيل لا يصاحب من حروف الجر إلا: مِنْ "(١).

وهــذا مبنى على أن (عن) حرف جر. والتحقيق أنها اسم كما حققنا ذلك فى الــباب الأول وبهذا يتأكد عدم صحة وقوعها موقع (من) التفضيلية إذا أن الاسم لا يخلف إلا اسما.

هذا: وقد سبق أن ابن مالك هو الذى أشار إلى معنى المجاوزة لــ (من) هذه. وقــد أكــد ذلك بالحجة التى أسعفته والدليل الذى ورد على خاطره فقال: "ولو كان الابتداء مقصودا لجاز أن يقع بعدها (إلى) .." ثم قال: "ويبطل كونها للتبعيض أمران:

(أحــدهما) عــدم صلاحية (بعض) موضعها. و (الآخر) كون المجرور بها عاما نحو: الله أعظم من كل عظيم وأرحم من كل رحيم"(٢).

وربمــا يبدو للقارئ – لأول وهلة – أن ابن مالك قد جاز قصب السبق فى الرأى فلن يلحق به أحد ولا يشَقُّ له غبار ولكن ذلك غير دقيق لأن النحاة قد أوتوا مــن قــوة الملاحظــة مــا يجعلهم يرصدون كل حركة وكل سكنة فى النص فلا يستــسلمون لــه بادئ ذى بدء بل يناقشون ويدققون حتى يدركوا ما يقررون. وهنا رأيناهم يردون ما ذكره ابن مالك فقالوا: إنه ليس بلازم أن يكون لكل ابتداء انتهاء. فقد يترك الأخبار به لكونه لا يعلم. أو لكونه لا يقصد الإخبار به. ويكون ذلك أبلغ فى التفضيل إذ لا يقف السامع على محل الانتهاء"(٣).

---

(١) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ٨٩.

(٢) شرح التسهيل ٣/ ١٣٦ وانظر منهج السالك للأشمونى ٣/ ٤٦.

(٣) منهج السالك للأشمونى ٣/ ٤٦.

ففى هذا النص رد على رأى ابن مالك فى أن (من) التفضيلية ليست للابتداء.
وأما الرد على كونها ليست للتبعيض فهو: أن المراد بالتبعيض كون مجرورها بعضا لا التبعيض المتقدم فى حروف الجر"(١).

وبالتأمل فى هذين الردين ندرك أن الرد الأول فيه من الوجاهة والدقة ما يلائم المعنى المراد بالأسلوب إذ قولنا: الله أكرم من كل كريم يثبت معنى الابتداء ثم ينطلق إلى مالا نهاية وهذا ما يليق بجلال الله وكماله.

بذلك يكون معنى (مِنْ) هو ابتداء الغاية. ومِنْ ثَمَّ قال السيوطى: "والأصح أنها فى أفعل التفضيل ابتدائية وهو قول سيبويه ففي نحو: زيد أفضل من عمرو لابتداء الارتفاع. وشر منه لابتداء الانحطاط؛ إذ لا يقع بعدهما: إلى"(٢).

وقال الصبان: "إن (من) لا تحمل على غير الابتداء إلا إذا منع منه مانع؛ لأنه أشهر معانيها؛ وهنا لا مانع منه فلا حاجة إلى إخراجها عنه(٣).

وهذا ما نرتضيه ونسير عليه فى دراسة آيات القرآن إن شاء الله.

أما زَعْم مَنْ زَعمَ أنها للتبعيض. وأن المراد بالتبعيض كون مجرورها بعضا. فهذا بعيد عن معنى النص فى قولنا: زيد أفضل من عمرو. إذ ما معنى بعضية (عمرو) هنا. فلا مناص إذاً من كونها ابتدائية. وادعاء أنها للمجاوزة أو أنها بعضية باطل إذ مآل ما ادعى ذلك فيه إلى معنى: الابتداء.

---

(١) حاشية الصبان عليه ٣/ ٤٦.
(٢) الهمع ٢/ ٣٦.
(٣) حاشية الصبان ٣/ ٤٦.

آيـــات (من) التفضيلية

وردت (من) هذه فى القرآن تسعا وتسعين مرة. وقد رتبت آياتها على أصل (أفعل) اللغوى. كما هو معهود فى دراستنا هذه.

١- أحـــب: وذلك فى ثلاث آيات هى:

قـوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ ٢٥ الـتوبة. وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ ٨، وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ ٣٢ يوسف.

ففـــى هذه الآيات الثلاث نرى أن اسم التفضيل (أحب) قد ردفه (إلى) ثم أتى (مِـــنْ) بعدها. وربما يفهم فاهم أن (من) ابتدائية و (إلى) انتهائية. كما هما فى قوله تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ٢١ الشعراء وقوله: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٥٠ الـذاريات. ففـــى آية الشعراء. يفر موسى من فرعون وقومه إلى مأمنه وهو جانـــب الله عـــز وجـــل. وفى آية الداريات يأمر الله عباده أن يفروا من الشيطان وأعـــوانه إلى الله ورضوانه. فَذِكْر (مِنْ) فى الأولى اقتضى ذكر (إلى) وذكر (إلى) فـــى الثانية اقتضى ذكر (من) والذى يدرك ذلك كله إنما هو العقل فهو الذى يستدل بالمذكور على غيره مما يقتضيه المقام كما نبهنا إلى ذلك كثيرا.

والحق أن آيات (أحب إليه) و (أحب إلى أبينا) و (أحب إليَّ) ليست فيه (من الله) و (مــنا) و(مما يدعوننى إليه) للابتداء فلا تكون (إلى) للانتهاء. لأن النحاة قد استنبطوا من أساليب التفضيل قاعدة ووضعوها ليستضيئ بهديها الدارسون "وجملة القــول فى ذلك أن (أفعل) التفضيل إذا كان من متعدٍّ بنفسه دَالٌّ على حبٍّ أو بُغْض عُدّى باللام إلى ما هو مفعول فى المعنى؛ و بـــ (إلى) إلى ما هو فاعل فى المعنى. نحو: المؤمن أحب لله من نفسه وهو أحب إلى الله من غيره ..."[1].

ومقتــضى هــذا: أن المــؤمن يحب الله أكثر من حبه لنفسه. وأن الله يحب المؤمن أكثر من غيره أى الكافر.

وذلـــك مُــسَلَّم فى النص الأول غير مُسَلَّم فى النص الثانى لأن الله لا يحب الكافر أصلا فكيف يتحقق معنى التفضيل أى زيادة حب الله للمؤمن عن حبه للكافر. هكــذا أورد بعــضهم هــذا الاعتراض ولكن سرعان ما بادر غيره برده بأن اسم التفضيل المقترن بـــ (من) لا يتجرد عن معنى التفضيل وأن الله لو لم يحب الكافر لما خلقه فخلق الله له دليل على حبه له. فتأمل[2].

ومــن البدهى أن (كَرِهَ) يقابل (حَبَّ) وقد ورد الأول متعديا فى القرآن حيث يقــول الله: ﴿ عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ ٢٤٦ البقــرة فالفعل ثلاثى من (كَــرِه) مــثل (يَعلَم) من (عَلِمَ) فإذا ما أردنا الإتيان بأسلوب تفضيل منه كان ذلك جائــزاً مستــساغا فنقول: "الشيطان أكره للمؤمن من غيره وهو أكره إلى الله من سواه. أى أن المؤمن أشد كراهية للشيطان من غيره وإن الله أشد كرها للشيطان من سواه. فالفعل الثلاثى (كره) متعدٍّ بنفسه. فتنطبق عليه القاعدة.

---

(١) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونى ٣/ ٥٧.

(٢) انظر حاشية الصبان ٣/ ٥٧.

فإذا ما يَمَّمْنَا وجهنا شطر الفعل المقابل وهو الدال على الحب رأينا غير ذلك إذ الثلاثى منه لم يرد فى القرآن متعديا بدليل بقية آية البقرة السالفة الذكر وهى قوله تعالــى: ﴿ عــسى أن تُحبُّوا شيئا وهو شرٌ لكم ﴾ ٢٤٦ البقرة. فالفعل (تحبون) من (أحــب) الرباعى هو المتعدى. فكيف يأتى منه اسم التفضيل بدون واسطة كما هو معلوم مشهور لدى دارسى النحو ؟

هــذا ما اقتضى البحث فى معاجم اللغة. ولما بحثت وجدت ابن فارس يقول: "وأمــا اللــزوم فالحُــب والمحَبَّة. اشتقاقه من أحبه إذا لزمه. والمُحَّب: البعير الذى يَحْــسِرُ فيلــزم مكانه ... ويقال (المُحَبّ) بالفتح أيضاً. ويقال: أَحَبَّ البعير إذا قام. قالوا: الإحباب فى الإبل مثل الحِرَان فى الدَّواب قال:

ضرب بعير السوء إذا أحبا

أى: وقف[1].

وبالتأمل فى هذا النص يتبين لنا أن (الحب) يستعمل فيه الثلاثى إذ يقال: حَبَّه يَحُــبُّه. ولا أدل علــى ذلك من استعمال اسم التفضيل منه كما فى الآيات التى نحن بصدد دراستها. وأن هذا لا يمنع من استعمال أداة للتفضيل معه والقرآن خير شاهد لــذلك إذ يقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ ١٦٥ البقــرة. فنجد الفعل رباعــياً. والمــصدر ثلاثياً. ولو قيل (كإحباب الله) و (أشد إحبابا لله) لكان خلفا من القول كما يقول علماء اللغة وحاش لقرآن الله أن يكون فيه ذلك !!

وإذا دل هــذا على شئ فإنما يدل على أن لغة العرب تشتمل على العجب بل أعجــب مــن العجب إذ المادة الواحدة منها يأتى منها الفعل رباعياً متعديا. ثم يأتى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٦: ٢٧.

منها المصدر ثلاثياً متعدياً أيضاً. فإذا ما أريد صياغة اسم التفضيل لوحظ جانب المصدر الثلاثى. إذا يكان المصدر الرباعي يكون معدوما.

وهنا لابد من وقفة مع دارسى اللغة فقد رأينا منهم فى مقامنا هذا العجب العجاب يقول المجد: "الحُبّ الوداد كالحباب والحِبُّ بكسرها والمحَبَّة .. أحبه وهو محبوب على غير قياس ومُحَب : قليل. وحببته أحِبّه بالكسر شاذ حُبًّا. وأحببته واستحببته .. وحُبَّ بفلان أى ما أحبه .. وحَبَّ إلىّ هذا الشئ حبا .."(١).

والذى يلفت الذهن هنا قول المجد (أحبه وهو محبوب على غير قياس ومُحَبٌ: قليل) فهذا يوحى بأن القياس أحبه فهو مُحَبٌ ولكن الوارد (محبوب) ومقتضى ذلك أن الفعل ثلاثى. ولكن المجد يقول: (وحببته أَحِبُّه بالكسر شاذ) فاسم المفعول (محبوب) يكون شاذا. أليس كذلك ويترتب عليه أن يكون (أحب من الله) شاذا كذلك.

ولما ذهبت إلى (لسان العرب) وجدت ابن منظور ألطف تعبيرا "حيث يقول: "الحب نقيض البغض. والحب: الوداد والمحبة وكذلك الحب بالكسر ... وأحبه فهو مُحَبّ وهو محبوب. على غير قياس هذا الأكثر. وقد قيل: مُحَبٌّ على القياس ... وحكى الأزهرى عن الفراء قال: وحببته لغة ... وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب .. وحكى سيبوية: حببته وأحببته بمعنى ...."(٢).

ففى هذا النص نجد ابن منظور أخف وطأة على (حَبّ يَحِب حبا) من المجد وهذا ما نزكيه بل لا نرضى به بديلا لأن القرآن أهدى سبيلا وأقوم قيلا وأقوى دليلا من المعاجم فحيث ورد فيه (أحب) اسم تفضيل دل ذلك على أن (حَبَّه يحبه) ذو قدم راسخة وتاريخ عميق فى لغة العرب.

---

(١) القاموس ١/ ٥٠.

(٢) انظر اللسان ٧٤٢: ٧٤٣.

وبعد: فهذه رحلة عَرَّجت فيها على معاجم اللغة لأبين موقفها من الفعل (حب يحـــب) حتـــى يكـــون القارئ على بنية من أمر الآيات الثلاث التى هى موضوع درسنا هنا.

وقد قال الزمخشرى فى آية التوبة : "وهذه هى آية شديدة لا ترى أشد منها، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عَقْد الدين؛ واضطراب حبل اليقين"(١).

وإنما كانت كذلك لأنها قائمة على أمر لا ينبغى أن يوجد فى المؤمن ألا وهو أن يكون أصله وفرعه وجناحه وقرينته وعشيرته وماله وتجارته أجدر بحبه من الله حيث يكون أحرص عليهم من حرصه على دين الله. ومن ثم استحق تربص الله به. وحسبه هذا ؟!

أما آيتا يوسف. فالأولى منهما تشرح ما يدور فى خلد إخوته غير الأشقاء له فقد قرروا أنه وشقيقه بنيامين أحب إلى أبيهم منهم. أى أن أباهم يحبهما أكثر منهم. وفـــيها يقول أبو حيان: "أحب: أفعل تفضيل وهو مبنى من المفعول شذوذا – يعنى: محبوب – وقد عرفنا ما فيه – ولذلك عُدِّى بـــ (إلى) لأنه إذا كان ما تعلق به فاعلا مـــن حيث المعنى عدى إليه بـــ (إلى). وإذا كان مفعولا عُدِّى إليه بـــ (فى) تقول: زيد أحب إلى عمرو من خالد. فالضمير فى (أحب) مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحِب. وإذا قلت: زيد أحب من عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب و (من خالد) فى المثال الأول محبوب. وفى الثانى: فاعل. ولم يبن (أحب) لتعديه بـــ: من"(٢).

هكذا وردت (ولم يبن) والصواب (ولم يئن: أحب).

وأمـــا الآيـــة الثانية (رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه) فبادئ ذى بدو أقول: إن الفعل (يدعوننى) هنا هو (يدعو) أسند إلى نون الإناث.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٠١ : ٢٠٢.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٨٢. وانظر حاشية الجمل ٢/ ٥١٩: ٥٢٠.

فصار (يدعون) ووزنه (يفعلن) فلم تحذف واو الفعل (يدعو) فلو قيل الرجال يدعون) لكان وزن الفعل (يفعون) إذ قد حذفت لام الفعل وحل محلها واو الجمع.

والحديث فى الآية عن النسوة فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ... الآيــات ﴾ وقــد أورد الزمخشرى سؤالا هنا. نصه: "كيف كانت المشقة أحب من اللــذة؟! ثـم أجــاب قائلا: "كانت أحب إليه وآثر عنده نظرا فى حسن الصبر على احـتمالها لــوجه الله. وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل واحد منهما. لا نظرا إلى مشتهى النفس ومكروهها"(١).

ومعنــى هــذا أن الزمخــشرى لا ينكر على يوسف عليه السلام حب الملذة ولكــن بشرط أن تكون حلالا مما يجوز له فعله. أما المنكر الذى يدعوه إليه هؤلاء النــسوة فحاش لله أن يدنو منه فَضْلاً عن أن يباشره ويرى أبو حيان رأيا آخر يفهم منه أن يوسف عليه السلام لا يحب اللذة مطلقا. ونصه: "أحب: هنا ليست على بابها مــن التفضيل لأنه لم يحب ما يدعونه إليه قط. وإنما هذان شران فآثر أحد الشرين علــى الآخــر وإن كان فى إحدهما مشقة وفى الآخر لذة. لكن لما يترتب على تلك اللــذة مــن معــصية الله وسوء العاقبة لم يخطر له ببال. ولما فى الآخرين احتمال المشقة فى ذات الله والصبر على النوائب ... آثره"(٢).

وبالبداهة يدرك القارئ ما وقع فيه أبو حيان من تناقض حيث قرر فى صدر حديـثه خُلُـوَّ (أحب) من معنى التفضيل أى الزيادة. ثم عاد فى آخره فأذعن لهذا المعنــى وعبــر عنه تعبيرا واضحا. وما هذا إلا لأن الحق يأبى الإذعان ولا ينال منه البهتان.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٤.

(٢) البحر ٥/ ٣٠٦.

ومن ثَمَّ قرر السيوطى أنه: "لا يخلو أفعل التفضيل (المجرد) من أل والإضافة المقرون بـ (من). من مشاركة المفضل فى المعنى غالباً ولو تقديرا ... والمراد بقولنا (ولو تقديرا) مشاركته بوجه ما كقولهم فى المبغوضين: وهذا أحب لىّ من هذا. وفى الشّريرين: هذا خير من هذا. وفى الصعبين: هذا أهون من هذا. وفى القبيحين: هذا أحسن من هذا. وفى التنزيل: "رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه" وتأويل ذلك: هذا أقل بغضا وأقل شرا وأهون صعوبة وأقل قُبْحاً.

ومن غير الغالب قوله: العسل أحلى من الخل. والصيف أحر من الشتاء" (١)

وإذا ثبت هذا فلا داعى إلى وصف أسلوبٍ مَا بالشذوذ ولعل هذا ما جعل أستاذنا الدكتور أحمد كحيل يقول: "وأجاز بعض النحويين صوغه - أى اسم التفضيل - من المبنى للمفعول إن أمن اللبس نحو: هو أزهى من ديك. وأشهر من نار على علم. و "رَبِّ السِّجْنُ أحب إلىّ"(٢).

٢- أحسن: فى خمس آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ ١٣٨ البقرة، وقوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ ٨٦ النساء، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ١٢٥ النساء، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ٥٠ المائدة، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣٣ فصلت.

---

(١) الهمع ٢/ ١٠٤.

(٢) التبيان فى تصريف الأسماء ص٧٠.

ويلاحظ أن أربع آيات من هذه الخمس بصيغة الاستفهام (ومن أحسن) و أن آية واحدة ليس فيها استفهام وهى (فحيوا بأحسن منها).

وظاهر أن (من) فى الجميع ابتدائية. غير أن الاستفهام بمعنى النفى ومن ثم قال الزمخشرى فى آية المائدة (ومن احسن من الله حكما ...): أى لا أعْدَلَ من الله ولا أحْسَنَ حكما منه"(١).

وعلى الرغم من وضوح معنى اسم التفضيل (أحسن) رأينا أبا حيان يقول فى آية البقرة: "و (أحسن) هنا لا يراد بها حقيقة التفضيل؛ إذ صيغة غير الله منتف عنها الحسن" ثم استطرد قائلا: "أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن فى صبغة غير الله حُسْناً لا أن ذلك بالنسبة لحقيقة الشئ"(٢).

والحــق أنـــه لا داعى إلى الدعوى الأولى فقد تناول الزمخشرى معنى الآية بالتوضيح قائلا: "صبغة الله: مصدر مؤكد فتنصب على قوله (آمنا بالله) كما انتصب (وعــد الله) عما تقدمه . وهى (فِعْله) من (صَبَغ) كالجِلْسة من (جلس) وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ. والمعنى: تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية.

ويقولـــون: هو تطهير لهم؛ وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نـــصرانياً حقاً. فأُمِرَ المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا؛ وطهرنا تطهيرا لا مثل تطهيرنا.

أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩٩.

(٢) البحر المحيط ١/ ٤١٢.

وإنما جئ بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغـرس كمـا يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم "ومن أحسن من الله صبغة) يعنـى: أن يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر. فلا صبغة أحسن من صبغته"(١).

فالـتأمل فى هذا النص يدرك بسهولة أن هناك موازنة ومعايشة بين صبغة العـباد وصـبغة الله فى تطهير النفوس ولذا لابد من أن يكون (أحسن) اسم تفضيل يقتضى زيادة وعمق طهارة الإيمان بالله عن تلك الطهارة بالمياه.

٣- أحـق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ - أى طالوت - ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِ ﴾ ٢٤٧ البقـرة. وقـوله تعالـى: ﴿ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ ﴾ ١٠٧ المائدة.

ففى الآية الأولى ينكر هؤلاء أن يكون طالوت ملكا عليهم والحال أنهم أحق بالملك منه مع أنه يؤت سعة من المال لأنه كان رجلاً سقّاءً أو دَبّاغا فقيرا ولكن الله اصطفاه عليهم وزاده بسطة فى العلم والجسم"(٢).

وأمـا آيـة المائدة فيقول فيها الألوسى: "وسميت اليمين شهادة على ما قال الطبرسى لأن اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه أنه كذلك. أى: ليميننا على أنهما كاذبـان فـيما ادعيا الاستحقاق مع كونهما حقة صادقة فى نفسها أولى بالقبول من يميـنهما مـع كونه كاذبة فى نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا

---

(١) الكشاف ١/ ١٤٧.

(٢) انظر الكشاف ١/ ٢٢٢.

مُنَزَّه عن الريب. وصيغة التفضيل إنما هي لإمكان قبول عينهما في الجملة باعتبار صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما"(١).

٤- خيـــر: في خمس وعشرين آية: ستا وعشرين مرة وهي:

قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ ١٠٦
﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ .... وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ ٢٢١
﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ ٢٦٣ البقرة.

وقـــوله: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا .... ﴾ ١٥
﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ١٥٧ آل عمران.

وقـــوله: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ ١٢الأعراف. وقوله: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ ٧٠ الأنفال. وقوله : ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ٥٨ يونس. وقـــوله: ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ ٣٦ ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ ٤٠ ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ ٨١ الكهف.

---

(١) روح المعاني ٢/ ٤٠٢.

وقـــــوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ......﴾ ١٠ الفرقان. وقـــــوله: ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ ٣٦ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ٨٩ النمل. وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ٨٤ القصص. وقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ ٧٦ ص. وقوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ .... عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ ١١ الحجرات. وقوله: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ﴾ ١١الجمعة. وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ ٥ التحـريم. وقـوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴾ ٣٢ ن. وقـوله: ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ ٤٠: ٤١ المعـارج. وقـوله: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ٤ الـضحى. وقـوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ٣ القدر.

ففـــي قوله (ما ننسخ من آية ...) رجح أبو حيان أن (خير) أسم تفضيل إذا لمأتـــى بـــه إن كـــان أخف من المنسوخ أو المنسوء فخيرته بالنسبة لسقوط أعباء التكليف، وإن كان أثقل فخيرته بالنسبة لزيادة الثواب ...

ثم قال: "وذهب قوم إلى أن (خير) هنا ليس بأفعل تفضيل، وإنما هو خير من الخيور كـــ (خير) في قوله تعالى: ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ١٠٥ البقـــرة وهـــي من قبل قوله (ما تنسخ .... الآية) فهو عندهم مصدر و (من) لابـــتداء الغايـــة، ويـــصير المعنى: أن ما ننسخ من آية أو نؤخرها نأت بخير من الخيور من جهة المنسوخ أو المنسوء".

واســتدرك قائلاً: "لكن يبْعِدُ هذا المعنى قوله (أو مثلها) فإنه لا يصح عطفه علــى قــوله (بخير) على هذا المعنى إلا إن أطلق الخير على عدم التكليف فيكون المعنى: نأت بخير من الخيور وهو عدم التكليف، أو نأت بمثل المنسوخ أو المنسوء فكأنــه يقول: ما ننسخ من آية أو نؤخرها فإلى غير بدل أو إلى بدل مماثل. والذى إلــى غيــر بدل هو خير أتاكم من جهة الآية المنسوخة أو المنسوءة إذ هو راحتكم من التكاليف.

وأمــا عطف (مثلها) على الضمير المجرور فى (منها) فيضعف بعدم إعادة الجار"[1].

ويؤخذ من هذا النص:

(أ) أن النــسخ هو إزالة آية من آيات الله وهذا على أن الفعل (نَنْسخ) بفتح النون والــسين وقــرئ (نُنــسِخ) بضم النون وكسر السين من الرباعى ومصدره: الإنساخ ومعناه: الأمر بنسخ الآية.

(ب) وأمــا (ننسها) ففيه قراءتان (نُنْسِ) و (نُنَسِّ) وعلى قراءة (ننسُها) بالهمزة مع فــتح النون أو ضمها فمصدر الأول (نسئ) ومصدر الثانى (إنساء) والنسء: التأخير وإذهاب الآية إلى غير بدل . والإنساء إذهاب حفظها عن القلوب[2].

هــذا: والمــشهور أن المراد بـــ (آية) آيات القرآن الكريم. والحق أنه غير المــراد كما نبهنا ونوهنا بعد أن حَقّقْنا القول بأن المراد آيات الكون لا القرآن وكأن الله عز وجل يمن على البشر بعد نبوة محمد النبى الخاتم أن الكون كله بيد الله يفعل بــه مــا يريد ويصرّفه كيف يشاء. وأن هذا التغيير الذى يحدثه لا يخلو من منفعة

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٤٤.

(٢) انظر الكشاف ١/ ١٣١.

وخيـــر فمـــا من آية كونية يغيرها الله إلا وفى تغييرها نفع أكبر من نفعها أو على الأقل مثله.

ولمـــا كانت شهرة القول الأول طاغية عنيفة استبدت بعقول العلماء إلا القليل مـــنهم وسيطرت على أقلامهم بعد استبدادها بأفهامهم ولذا قال القرطبى: "وقيل ليس المـــراد بـــ (أخير) التفضيل لأن كلام الله لا يتفاضل؛ وإنما هو قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ٨٩ الـــنمل. أى فله منها خير. أى نفع وأجر لا: الخير الذى هو بمعنى: الأفضل"(١).

والذى يعنينا فى مقامنا هذا أن (مِنْ) حرف ابتداء سواء جعلنا (خير) تفضيلية أو غيـــر تفضيلية وسواء أكانت الآية قرآنية أو كونية. وإذا أردنا ترجيح قول على قول رجحنا أن (خير) تفضيلية وأن (آية) كونية.

وفـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ....﴾ يقول أبـــو حيان: "وقد استدل بقوله (خير) على جواز نكاح المشركة؛ لأن أفعل التفضيل يقتضى التشريك. ويكون النهى أولا على سبيل الكراهة. قالوا: والخيرية إنما تكون بـــين شيئين جائزين. ولا حجة فى ذلك: لأن التفضيل قد يقع على سبيل الاعتقاد لا على سبيل الوجود ومنه قوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ ٢٤ الفرقان. والعسل أحلى من الخل. وقال عمر فى رسالته لأبى موسى: "الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل".

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٥٨ ط الشعب.

ويحـتمل إبقـاء الخيـرية فى الاشتراك الوجودى. ولا يدل ذلك على جواز النكاح بأن نكاح المشركة يشتمل على منافع دنيوية؛ ونكاح الأمة المؤمنة على منافع أخـروية. فقد اشترك النفعان فى مطلق النفع إلا أن نفع الآخرة له المزية العظمى؛ فالحكم بهذا النفع الدنيوى لا يقتضى التسويغ كما أن الخمر والميسر فيهما منافع ولا يقتضى ذلك الإباحة.

وهذه التأويلات فى أفعل التفضيل هى على مذهب سيبويه والبصريين فى أن لفظـة (أفعل) التى للتفضيل لا تصح حيث لا اشتراك كقولك: الثلج أبرد من النار، والنور أضوأ من الظلمة.

وقـال الفـراء وجماعة من الكوفيين يصح حيث الاشتراك وحيث لا يكون اشـتراك"[١]. وهـذا المذهب هو الراجح بدليل اقتران (خير) بـ (من) التى تقتضى المشاركة مع الزيادة. وهذا هو معنى اسم التفضيل.

وما قيل فى (ولأمة مؤمنة .....) يقال فى (ولعبد مؤمن خير من مشرك).

وأمـا قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ .... الآية ﴾ فقد أشار أبو حيان إلى أن (خيـر) للتفـضيل حيث قال: "واشتراك القول المعروف والمغفرة مع الصدقة التى يتـبعها أذى فـى مطلـق الخيـرية وهو النفع وإن اختلفت جهة النفع؛ فنفع القول المعـروف والمغفرة باقٍ؛ ونفع الصدقة فانٍ ... ثم قال: "ويحتمل أن تكون الخيرية هنا من باب قولهم: شئ خير من لا شئ"[٢].

---

(١) البحـر المحـيط ٢/ ١٦٤: ١٦٥ وانظر تفسير الرازى وحاشية الجمل وتفسير القرطبى فى هذه الآية.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٠٨ وانظر الآية فى إرشاد العقل السليم.

ولست أدرى ما الذى يريده أبو حيان من الأسلوب الأخير ؟ هل يريد أن وجود شئ خير من عدمه. ثم يريد أن (خير) ليست للتفضيل لأن عدم الشئ لا مشاركة بينه وبين وجوده ؟ إن كان الأمر كذلك كان (خير) لا زيادة فيه. ولكن النفس لا تستريح إلى هذا الأسلوب لأن المعنى الذى يدل عليه من البدهيات العقلية التى لا يعبَّر عنها بأسلوب نحوى. فهو مثل: السماء فوقنا والكل أكبر من الجزء ... وغير ذلك.

وعليه فإن الآية لا تحمل على هذا الأسلوب إذ شتان بينهما نصا ودلالة !!

وفى آية آل عمران ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ...... ﴾ يقول أبو البقاء:

"من : فى موضع نصب بـ (خير) تقديره: بما يَفْضل ذلك؛ ولا يجوز أن يكون صفة لـ (خير) لأن ذلك يوجب أن تكون الجنة وما فيها مما رغبوا فيه صفة لها"(١).

ومقتضى هذا أن (خير) تفضيلية ليس غير. وهذا ما صرح به أبو حيان قائلاً: "خير: هنا أفعل تفضيل؛ ولا يجوز أن يراد به: خير من الخيور. ويكون (من ذلكم) صفة لما يلزم فى ذلك من أن يكون ما رغبوا فيه بعضا مما زهدوا فيه"(٢).

وفى عبارة أبى البقاء (بعضا لما زهدوا) تكرار لا داعى إليه فالصواب: بعض ما زهدوا فيه) إذ (من) الثانية بمعنى (بعض). ولغة العرب قائمة على الإيجاز أى وفرة المعنى وكثرته مع وجازة النص وقلته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ واضح إذ لا احتمال لغير التفضيل فى (خير).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٢.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٩٩.

وأمـــا قول إبليس فى سورة الأعراف ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ أى آدم. فيقول فيه الزمخشرى: "فإن قلت: كيف يكون قوله: أنا خير منه. جوابا لـــ (ما منعك) ؟ وإنما الجــواب أن يقول: منعنى كذا. قلت: قد استأنف قِصَّةً أخبر فيها عن نفسه بالفضل علـــى آدم وبعلة فضله عليه وهى: أن أصله من نار واصل آدم من طين. فعلم منه الجواب وزيادة عليه"(١).

فالتفضيل واضح صريح فى الآية.

وفى آية الأنفال ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ نجــد (خيـــرا) مذكـــورة مرتين والمراد بها فى الأولى ما يقابل الشر فالتفضيل غير مراد بها. وأما (يؤتيكم خيرا مما أخذ منكم) فهى للتفضيل لا محالة. فالخيـــر الثانى أزيد من الخير الأول. ولذا قال الزمخشرى: "من الغداء – أى الذى أخذ منكم – إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه، أو يثيبكم فى الآخرة"(٢).

ومـــثل هـــذه الآية قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ﴾ لأن الحسنة من الخير فكما يضاعف عند الله تضاعف هى كذلك. ولذا قال الزمخشرى: "يـــريد الأضعاف وأن العمل ينقضى والثواب يدوم؛ وشتان ما بين فعل العبد وفعل الفرد. وقيل: فله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة"(٣).

وعلى المعنى الثانى تكون (خير) لا تفضيل فيها إذ المراد وجود الخير بسبب الحـــسنة فـــــ (مـــن) سببية ومع هذا لا تخلو من معنى الابتداء وهذا ما ذهب إليه

(١) الكشاف ٢/ ١٧٠.

(٢) الكشاف ٢/ ١٨٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٠٥.

الجـلال المحلى حيث قال: "فله خير: ثواب (منها) أى بسببها؛ وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها".

قـال الجمـل: "قوله (بسببها) أى فـ (من) سببية. قوله (ليس للتفضيل) أى وليس (خير) أفعل تفضيل إذا لو كان كذلك لكان المعنى: فله أخير وأفضل منها أى فله عبارة أفضل منها أى الحسنة المذكورة. مع أنها هى أفضل الأعمال والأفعال"(١).

وجـوز أبو البقاء: التفضيل وعدمه ثم ذكر أن (من) على الأول فى موضع نصب؛ وعلى الثانى: فى موضع رفع صفة(٢).

ويعنـى بنـصب (مـن) أن تكـون حالا كما صرح بأنها على الرفع نعت. وبالتأمل فى الحالتين ندرك أنها بذاتها غير صالحة لذلك بل الذى يصلح له (متعلقها) الـذى دأب النحاة على تقديره. وإنما كان ذلك لازما لأن (من) على الحالين ليست بمعنى (بعض) فليست اسما ومن ثم احتاجت إلى متعلَّق مقدَّر.

وأرى أن الآيـة ليست فى حاجة إلى هذا (التكدير) وعليه فـ (من) ابتدائية مـرتبطة بـ (خير) الذى هو اسم تفضيل فهذا هو الواضح الصريح. إذ الاشتراك موجوج كما أن الزيادة حاصلة لا محالة فهى من فضل الله العظيم.

٥- أدنـــى: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ ٧ المجادلة

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ٢٠ المزمل.

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٣٣٢ الحلبى.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩١: ٩٢.

وصـــدر الأولى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ... فقوله (ولا أدنى من ذلك) يدل على الاثنين والأربعة. وقوله (ولا أكثر) دليل ما يلي هذا العدد ويقاربه[١].

وقـــال الزمخشرى فى الثانية: "أدنى من ثلثى الليل: أقل منهما. وإنما استعير الأدنـــى وهـــو الأقـــرب للأقل لأنه المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز. وإذا بعدت كثر ذلك"[٢].

وممـــا ينبغى ملاحظته أن قوله فى المجادلة ﴿ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ ﴾ فيه إيجـــاز بالحذف للعلم بالمحذوف أى ولا أكثر فيه. فدلالة أدنى على الزيادة فى القلة وأما دلالة أكثر فعلى الزيادة فى الكثرة. وبهذا يكون الله مع أى عدد من الأدنى إلى مـــا لا نهاية. ويدل على ذلك قوله فى سورة الحديد وهى من قبل المجادلة: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ ٤ الحديد. ففى هذه إجمال فصلته آية المجادلة.

٦- أربـــى:

قـــوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ ﴾ ٩٢ النحل. وفـــيها ينهى الله المؤمنين أن ينقُضُوا عهد البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكونوا كالمرأة التى أنجت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمـــع نِكْث وهو نقض أخلاق - جمع : خَلَق وهو البالى - الأكسية لتغزل ثانية.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣٩١.

(٢) الكشاف ٤/ ٥١٤.

وقـيل: هى ربطة بنت سعد بن يتم وكانت حرفاء اتخذت مِغْزلا قدر ذراع وصنارة مـثل إصـبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواربها من الغداة إلى الظهـر ثـم تأبـرهن فينقضن ما غزلن. و(تتخذون) جملة حالية و (أيمانكم دخلا) مفعـولا (تتخذون) يعني: تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أى مفسدة ودغلا أى فسادا. بسبب أن تكون أُمَّة يعني: جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين"[١].

فـ (أربى) اسم تفضيل كما هو واضح.

٧- أسـفل: فى آيتين هما:

قـوله تعالـى: ﴿ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ ٤٢ الأنفال. وقوله: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ ١٠ الأحزاب.

وصدر الآية الأولى: "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم .... الخ".

فـ (إذ) بـدل مـن (يوم الفرقان) فى الآية من قبلها. والعدْوة: شطر الوادى بالكـسر والضم والفتح. وقرئ بهن. وقرئ بالعِديَة على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكـسرة حاجـزا غيـر حـصين كما فى الصبية. و (الدنيا والقصوى) تأنيث الأدنى والأقصى. والقيا قلب الواو فى (القصوى) ياء كما فى العليا والدنيا. ولكنها جاءت على الأصـل كما فى (القَوَد) . وقد جاء (القصيا) إلا أن استعمال القصوى أكثر. كما كثر استعمال (استصوب) مع مجئ (استصاب) و (أغيلت) مع (أغالت) أى أرضعت وهى موطوءة. والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة. (والركب أسفل منكم)

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٩٢ والقاموس ١/ ١٧٦.

يعنـــي: الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل. و (أسفل) نصب على الظرف ومعناه: مكانا اسفل من مكانكم. وهو مرفوع المحل لأنه خبر للمبتدأ[١].

ولا شـــك أن (أسفل) تدل على انحدار أعمق من (سافل) فهى اسم تفضيل وفيه معنى الظرفية. وبه يتم معنى الجملة ومِنْ ثَمَّ كان فى محل رفع خبر للمبتدأ. و (منكم) مرتبط به يُثْبِت جهة السفلية وابتداءها.

وأما آية الأحزاب (جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم). فمعناها: (جاءوكم من فوقكم) أى من أعلى الوادى من قِبَلِ المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) أى من أســـفل الوادى من قِبَلِ المغرب وهم: قريش تحزبوا وقالوا: ستكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا..."[٢].

ومما يلفت الذهن أن (مِنْ) دخلت على (فوقكم) وعلى (أسفل) ثم ردفت (أسفل) فــصارت (ومـــن أسفل منكم). وهى فى الجميع حرف ابتداء ولكنها فى (من فوقكم) و(مـــن أســفل) لابتداء المجئ وفيها معنى المباشرة والتعقيب فكأنهم التحموا بهم من الجهتـــين المشرق والمغرب. وبذلك يكونون قد أطبقوا عليهم فلا قرار لهم. ولا مناص مـــن هزيمتهم ولكن الله مع عباده المؤمنين بالعناية والرعاية والنصر. ولا يكون هذا النـــصر إلا عـــند الاســـتيئاس منه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ١١٠ يوسف.

وأمـــا (مـــن) فى (أسفل منكم) فلابتداء جهة السفل. وهكذا لكل كلمة دلالة تليق بموضعها.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ١٧٤.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٤١٦.

٨- أشــــد: إحدى عشر مرة فى عشر آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ ١٩١ البقرة. وقوله: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا ﴾ ٦٩ التوبة. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ ٧٨ القصص. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً .... ﴾ ٩ الـــروم. وقــوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ ...... وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ ٤٤ فاطر. وقوله: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ ١٥ فصلت. وقوله: ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ ٨ الزخرف. وقــوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ .... ﴾ ١٣ محمد. وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا .... ﴾ ٣٦ ق. وقوله: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ١٣ الحشر.

ودلالتها على التفضيل واضحة لا غبار عليها. ففى آية البقرة أن الكافرين كانوا يــستعظمون القــتل فى المحرّم ويعيبون به المسلمين فقيل: الشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمون"[1].

---

(١) انظر الكشاف ١/ ١٧٨.

وهكـذا نجـد المعنى واضحاً حتى آية الحشر ففيها دلالة على أن اليهود كانوا يرهبون المسلمين أشد من رهبة الله عز وجل. ولذا قال الزمخشرى: "فإن قلت: كأنهم كانـوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد. قلت: معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم. وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله. ويجـوز أن يريد: أن اليهود يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولى يأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة فى صدورهم"(١).

٩- شـــر: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ..... ﴾ ٦٠ المائدة. و قـوله: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ٧٢ الحج.

وتمـام الأولـى: "وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل".

وذكر الزمخشرى أن (ذلك) إشارة إلى المنقوم المفهوم من قوله تعالى فى الآية من قبلها: "هل تنقمون منا إلا أن آمنا ...." ثم قال: ولابد من حذف مضاف قبله أو قبل (مِنْ) تقديره: بشر من أهل ذلك، أو مِنْ منْ لعنه الله"(٢).

فالتفـضيل بـين الـذوات لا الصفات بدليل قوله: (من لعنه) وقوله (أولئك شر مكانا) وعلى هذا يقدر فى قولهم: لا نعلم دينا شرا من دينكم. أى لا نعلم أهل دين شر من أهل دينكم(٣).

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٠٤.

(٢) الكشاف ١/ ٥٠٧.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ٦٠٨.

وأما آية الحج فذكر فيها الزمخشري أن المشار إليه بـ (ذلكم) هو غيظكم على التالين وبطركم عليهم، أو ما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تُلِيَ عليكم"[١].

ويعني بذلك صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

وفي (النار) عدة قراءات أولها: الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنَّ قائلا قال: ما هو الذي هو شر من ذلكم فقيل: هو النار. وبالنصب على الاختصاص أي: أخص النَّار. والخفض على البدل من (شر من ذلكم) أي من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم. أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم. و (وعدها الله) استئناف كلام.

ويحتمل أن تكون (النار) مبتدأ و(وعدها الله) خبرا. وأن يكون حالا عنها إذا نصبتها أو خفضتها بإضمار: قد[٢].

وتقدير (قد) مع الفعل الماضي الواقع حالا مذهب البصريين. وقد رددت عليه وذكرت أن عدم التقدير هو الصواب على المذهب الكوفي إذ الأصل في الكلمة أن تذكر إذا أريد نصبها ولفظها. وألا تذكر إذا لم يرد المتكلم ذلك. ولكل مقام مقال[٣].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٤.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤.

(٣) انظر: فصل المقال في دراسة أساليب الحال للكاتب.

١٠- أصــــدق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ ٨٧ وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ ١٢٢ النساء.

مــن البدهــى أن الصدق: مطابقة الخبر للواقع؛ وأنه لا تفاوت فى ذلك بين صــدق وصدق. وذلك مثل: القول والعلم. فلا يقال: هذا القول أقول. ولا هذا العلم أعلم. فكيف قيل هنا: (من أصدق) ؟! أجاب عن ذلك أبو بكر الرازى بقوله: "أصدق هنا صفة للتأمل لا صفة للقول. والقائلان يتفاوتان فى الصدق فى نفس الأمر. وإن تساويا فى قصة واحدة أَخْبَرَا بها. وكان كل واحد منهما صادقا فيها.

وحاصــله: أن هــذا استفهام معناه: النفى كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ١٣٥ آل عمران. معناه لا أحد يغفرها إلا الله. فمعناه هنا لا أحد أصدق فى حديثه من الله فيكون ترجيحا للمحدِّث على المحدَّث فى الصدق. لا تــرجيحا لأحد الصدقين على الآخر. ولا شك أنه لا أحد أصدق فى حديث من الله. لأن غيره يجوز عليه غير الصدق عقلا، ويقع منه أيضا ولو نادرا. والله تعالى منزه عن الأمرين جميعاً"(١).

ويقــول ابــن عطية: "ومن أصدق من الله حديثا": ظاهرة الاستفهام ومعناه تقريــر الخبــر، تقديره: لا أحد أصدق من الله تعالى لأن دخول الكذب فى حديث البــشر إنمــا عِلّته الخوف والرجاء أو سوء السجية، وهذه منفية فى حق الله تعالى وتقدّســتْ أسماؤه؛ والصدق فى حقيقته أن يكون ما يجرى على لسان المخبر موافقا لما فى قلبه، وللأمر المخبَر عنه فى وجوده و (حديثا) نصب على التمييز"(٢).

---

(١) أنموذج الرازى هامش إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٨٨.

وكلمـــة (حديث) معناها: كون الشئ لم يكن يقال حدث أمر بعد أن لم يكن .. والحديث من هذا لأنه كلام يحدث منه الشئ بعد الشئ(١).

فعلاقة الحديث باللسان وثيقة إذ اللسان هو الذى يصور الفكر الذى ينبثق من الشعور والإحساس الباطنى بحروف وكلمات وجمل.

والـــذى يلفت الذهن هنا أن الآية الأولى وردت (ومن أصدق من الله حديثا) والثانية وردت (ومن أصدق من الله قيلا). فما علاقة (القول) باللسان؟ يقول المجد: "القول الكلام؛ أو كل لفظ مَذَلَ به اللسان مصدر والقيل والقال اسمان له ......

والمِقْوَل كمِنْبرَ اللسان..... (٢)

والـــذى يقرأ الخصائص لابن جنى يجد فيه تفصيلا جميلا للفروق بين الكلام والقول. وأن الكلام خاص بالمفيد دون القول فيطلق على الاثنين معاً.

١١- **أصغـــــر: فى آيتين هما:**

قـــوله تعالــــى: ﴿ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ ٦١ يونس، ٣ سبأ.

وقـــرئ فـــيهما بالنصب على نفى الجنس وهى المشهورة الراجحة. وبالرفع على الابتداء. والخبر على الاثنين (فى كتاب مبين) (٣).

ومما يلتفت إليه الذهن حَذْفُ (منه) بعد (ولا أكبر). والمراد بـــ (ذلك): (مثقال ذرة) فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٦.

(٢) انظر القاموس ٤/ ٤٢.

(٣) انظر الكشاف ٢/ ٢٧٨، ٣/ ٤٤٩.

فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ ..... ﴾ فــى الآيــة الأولى: وفى قوله: ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ فى الآية الثانية.

وبإعادة النظر فى الآيتين يتضح أن التعبير فى الأولى (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة) فــ (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) فاعلا: أى بعض هذا المثقال ومقتضى هذا أن تكون قراءة الرفع فى (ولا أصغرُ ... ولا أكبرُ ...) وربما يفهم من هذا أن الجملة معطوفة على الأولى. ولكن ذلك غير مراد بل المراد الاستئناف أى أن مثقال الذرة لا يعزب عن الله. والأصغر منه والأكبر فى كتاب مبين أى يحيط به علم الله.

ولمــا لــم توجد (مِنْ) فى آية سبأ إذ نصها (وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فــى الــسماوات والأرض) جــاء قــوله (ولا أصــغر من ذلك ولا أكبر) بالرفع على الاستئناف.

١٢- أضــــــل: فى ثلاث آيات هى:

قــوله تعالــى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٥٠ القــصص وقــوله: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴾ ٥٢ فــصلت. وقــوله: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ ٥ الأحقاف.

وقد سبق أن الاستفهام فى مثل هذه الآيات يراد به النفى والإنكار. وعلى هذا يكون المعنى فى الآية الأولى: ليس هناك من هو أشد ضلالا من الذى يستعبده هواه فيكون فى حياته على غير هدى الله عز وجل.

ويكون المعنى فى الثانية: أخبرونى إن كان القرآن من عند الله، يعنى: أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس عن حُجَّةٍ قاطعة وإنما يحتمل أن يكون من عند الله وألا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا؛ فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبرونى: من أضل منكم وقد أبعدتم الشوط فى مشاقته ومناصبته فأهلكتم أنفسكم. وقوله (مِمَّنْ هو فى شقاق بعيد) موضوع موضع (منكم) بيانا لحالهم وصفتهم(١).

وذكر الزمخشرى فى الثالثة أن المعنى: "ومن أضل: استفهام فيه إنكار أن، يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عَبَدَةِ الأصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام؛ ويَدْعون مَنْ دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة ؛ وإذا قامت القيامة وحُشِرَ الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليس فى الدارين إلا على نَكَدٍ ومَضَرَّة"(٢).

فـ (أضل) فى الآيات الثلاث اسم تفضيل أى زيادة فى الضلال و (من) لابتداء هذه الزيادة ولا حد لكثرتها.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ١٦٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٤.

١٣- أظلـــــم: فى خمس عشرة آية هى:

قـوله تعالـى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ ١١٤ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ١٤٠ البقرة. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ٢١، ٩٣، ١٤٤ وقـولـــه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ ١٥٧ الأنعـام. وقولـه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ٣٧ الأعراف، ١٧ يونس، وقولـه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ .... ﴾ ١٨ هود. وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ..... ﴾ ١٥ الكهف، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ .... ﴾ ١٨ الكهف، ٦٨ العنكبوت. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ .... ﴾ ٢٢ السجدة. وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ٣٢ الزمر. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ ٧ الصف.

ولا يخفى على القارئ أن (مَنْ) فى مستهل تلكم الآيات للإنكار والنفى يقول أبـو البقاء فى الأولى: "مَنْ: استفهام فى معنى النفى: وهو رفع بالابتداء و (أظلم) خبره. والمعنى: لا أحد أظلم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه"[1].

وهنا وقفة تأمل من بعض العلماء حيث يقول: "ولما كان المعنى على ذلك – يعنـى: عموم النفى – وَرَد هنا سؤال وهو: أن هذه الصيغة قد تكررت فى القرآن

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٣.

وكل واحدة منها تقتضى أن المذكور فيها لا يكون أحد أظلم منه فكيف يوصف غيره بذلك ؟!

ثم ذكر لذلك جوابين:

الأول: أن يخص كل واحد بمعنى صلته كأنه قال: لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله "ولا أحد ممن المفترين أظلم ممن أفترى على الله الكذب. ولا أحد من الكذابين أظلم ممن كذب على الله ... وهكذا كُلّ ما جاء منه.

الثانى: أن هذا نفى للأظلمية، ونفى الأظلمية لا يستدعى نفى الظالمية. لأن نفى المقيد لا يدل على نفى المطلق؛ وإذا لم يدل على نفى الظالمية لا يكون تناقضا لأن فيها إثبات التسوية فى الأظلمية ... وصار المعنى: ولا أحد أظلم ممن منع، وممن افترى، وممن ذكر. ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الأظلمية؛ ولا يدل ذلك على أن أحد هؤلاء يزيد على الآخر فى الظلم.

كما أنك إذا قلت : لا أحد أفقه من زيد وبكر وخالد لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر بل نَفَيْتَ أن يكون واحدا أفقه منهم"(١).

وذكر مثل ذلك الألوسى ثم عقب عليه قائلا: "وإن جعلت ذلك الكلام مخرجا مخرج المبالغة فى التهديد والزجر مع قطع النظر عن نفى المساواة والزيادة فى نفس الأمر كما قيل به مُحكِّماً العرف أيضا زال الإشكال وارتفع القيل والقال فتدبر"(٢).

والذى أراه أن الحمل على المبالغة مع دلالة النص على الزيادة التى لا تلحقها زيادة صرْف للفظ عن معناه الذى يحمله فى حاشيته وإضافة شئ غريب عنه إليه وهذا مسلك عجيب غريب لا يليق تطبيقه على ألفاظ القرآن المجيد.

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/ ١١٥.

(٢) روح المعانى ١/ ٢٩٧، وانظر إرشاد العقل السليم ٥/ ٤١٣.

ولـذا رأيـنا من يستمسك بدلالة النص ومعناه الذى يفيض عنه ويحمله بين طياته: وهذا ما ذهب إليه المحققون أمثال العلامة الرضى فقد قرر ذلك قائلاً: "اعلم أن الأصل في (أفعل) التفضيل أن يذكر معه ما اقتضاه وضعه وهو (من) التفضيلية لأنـه بـصوغه على هذه الصيغة المفيدة لهذا المعنى تعدى إلى المفعول بـ (من) الابتدائـية. فـ (أفعل) التفضيل يتميز عما يشاركه في هذه الصيغة من الوصف كـ (أحمر) والاسم كـ (أفكل) في بدء النظر بـ (من) التفضيلية فصارت كأنها من تمام الكلمة"[١].

ونقـل الـصبان عن الدماميني: "أن المقترن بـ (مِنْ) لا يصح تجريده عن معنـى التفضيل أصلا لا قياسا ولا سماعا لأن (من) هذه هي الجارة للمفعول "ثم قال: "ولا يرد عليه قولهم في التهكم: أنت أعلم من الحمار ولا قولهم: العسل أحلى مـن الخـل لحصول المشاركة التقديرية ... أي أن للعسل حلاوة وأن تلك الحلاوة زائدة وأن زيادتها أكثر من زيادة حموضة الخل؛ وهذا التقدير مثل ما فعله الدمايني عـن الكشاف في (الصيف أحر من الشتاء؛ أي أن الصيف أبلغ في حره من الشتاء في برده"[٢].

وهذا هو المنهج السديد العميق في فهم نصوص اللغة بحيث يكون لكل نص حريته والمحافظة على ما يوحي إليه من معنى ويدل عليه دلالة قائمة على التمييز والتفرقة بين ما تبدو لأول وهلة أنها متحدة الدلالة أو مضطر به التأليف.

هـذا : وقد اقتضى المقام هنا أن نفرد قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ بكلمة ترفع ما قد يحوم حولها من شبهة إذ فيها (مَنْ)

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٢١٦: ٢١٧.

(٢) حاشية الصبان ٣ / ٥٠: ٥١.

مــرتين و (مِنْ) كذلك. فــ (مَنْ) الأولى (من أظلم) استفهامية إنكارية تقتضى النفى كما ذكرنا غير مرة. و (مَنْ) الثانية (مِنْ مَنْ) اسم موصول أى الذى كنتم شهادة.

وأمــا (مِنْ) الأولى (ممنً كتم شهادة) فهى لابتداء الغاية لأنها واقعة من بعد اسم التفضيل كما وضحنا ذلك وعرفناه.

وتبقــى (من) الثانية (كتم شهادة عنده من الله). وقال الزمخشرى فيها: "من: فــى (من الله) مثلها فى قولك: هذه شهادة منى لفلان إذا شهد له. ومثله قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ ١ التوبة[1].

ويظهــر من هذه الأمثلة أن (من) حرف ابتداء فالله هو مصدر الشهادة التى يكــتمونها. كما أنه مصدر البراءة. وكما أن الشهادة مصدرها المتكلم (منى). وهذا أمر واضح صريح لا يحتاج إلى شئ فى الدلالة على المراد.

ولكننــى بالــرجوع إلى آية (براءة من الله) وجدت الزمخشرى يزعم تقديرا لــشئ ليس النص فى حاجة إليه. حيث يقول: "براءة: خبر مبتدأ محذوف أى: هذه براءة. و (من) لابتداء الغاية. متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك: برئت من الــدَّين. والمعنى: هذه براءة واصلة من الله ورسوله. (إلى الذين عاهدتم) كما يقال (كتاب من فلان إلى فلان) [2].

وكنت أود ألا يقع العلامة الزمخشرى فى مثل هذا التقدير الذى يجر التكدير إلى النص فيطمس بهاءه. إذ من البدهى أن قولهم: (برئت من الله) غير (براءة من الله ورســوله إلى الذين عاهدتم) فلسنا فى حاجة إلى قول الزمخشرى (واصلة من الله .....) فالعقل يدرك ذلك وحده.

---

(١) الكشاف ١/ ١٤٨.

(٢) الكشاف ٢/ ١٨٩.

ويبقــى ســائر الكــلام على قوله (ومن أظلم .... الآية) فقد علمنا ما ذكره الزمخشرى فيها. وفصل غيره القول فقال الإمام الرازى: "ففيه ثلاثة أوجه:

أحــدها: أن فى الآية تقديما وتأخيرا. والتقدير: ومن أظلم عند الله ممن كتم شهادة عنده. كقولك: ومن أظلم من زيد من جملة الكاتمين للشهادة والمعنى: لو كان إبــراهيم وبــنوه هودا أو نصارى ثم إن الله كتم هذه الشهادة لم يكن أحد ممن يكتم الشهادة أظلم منه؛ لكن لما استحال ذلك مع عدله وتنزهه عن الكذب علمنا أنه: ليس الأمر كذلك فــ (من الله) تتعلق بالكاتم على هذا القول".

ثانيها: ومن أظلم منكم معاشر اليهود والنصارى إن كتمتم هذه الشهادة (من الله) فــ (من) متعلقة بالمكتوم منه؛ كأنه قال: ومن أظلم ممن عنده شهادة فلم يُقِمْها عند الله بل كتمها وأخفاها.

وثالثها: أن يكون (من) فى (من الله) صلة الشهادة والمعنى: ومن أظلم ممن كــتم شهادة جاءته من عند الله فجحدها وأخفاها كقول الرجل لغيره : عندى شهادة منك أى شهادة سمعتها منك وشهادة جاءتنى من جهتك ومن عندك"(١).

وبالتأمل فى هذه الأوجه يتضح أن الأول منها غير لائق بالمقام إذ نص الآية ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وهذا واضح معناه أى ليس هناك أظلم من الذى يكتم شهادة عنده وهذه الشهادة مصدرها الله عز وجل أى أن الله يستشهده على ما عهد إليه بحفظه ورعايته.

فما الداعى إلى ما قدره الرازى هنا ؟ لست أدرى !! وهذا فضلا عما فيه من خلاف الأصل.

---

(١) من مفاتيح الغيب ١/ ٥٢٣.

وأما الوجه الثانى والثالث فلا يعلّق بهما شائبة قدح بل كلاهما مقبول إذ ليس فيهما ما يعكر صفو النص من تقدير شئ أو دعوى التقديم والتأخير.

غير أن الثالث أوجهها وأقواها.

هــذا: وقد ذكر النيسابورى أن (من الله) على الأول من أوجه الرازى متعلق بـــ (أظلِم) وعلى الثانى متعلق بـــ (كتم) (١).

وأما (ممن كتم) فمتعلق بـــ (أظلم).

وقــد مــنع صــاحب إعــراب القرآن منع تعلق (من) بـــ (كتم) لأن الله لا يكتم شيئاً(٢).

وذكــر ابــن هشام أنها لو تعلقت بـــ (كتم) كانت بمعنى (عن) لأن (كتم) لا يتعدى بـــ : من"(٣).

وذكــر الشيخ بهاء الدين السبكى فى شرح التلخيص عن تعريته بـــ (من) : أنه لا أصل له فى الاستعمال"(٤).

وقــد نقل الجمل عن السمين أنه قدر مضافا لو تعلقت بـــ (كتم) أى من كتم من عباد الله شهادة عنده(٥).

ولــو كان كذلك كانت (من) اسما بمعنى (بعض) أى حالة كونه بعض عباد الله. فلا تحتاج إلى متعلّق.

على أننا قد حققنا فى الباب الأول استقلال الحرف فى الدلالة على معناه فهو فى أشد الاستغناء عن ذلك المتعلّق المزعوم تقديره.

---

(١) غرائب القرآن ١/ ٤٢٦.

(٢) القسم الثانى ٦٣٩.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨.

(٤) حاشية الأمير على المغنى ٢/ ١٨.

(٥) حاشية الجمل ١/ ١٣٥.

وعنـــى كلٌ فـــ (مِنْ) فى (مِمَّن كتم) مرتبطة بـــ (أظلم) فهى ابتدائية أى أن الظلم يبتدئ من الكاتم إلى ما لا نهاية.

١٤- أعـــــز: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ أَرَهْطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ٩٢ هود.

وآخر الآية من قبلها: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ٩١ هود. والرهط الرجال من الثلاثة إلى العشرة وقيل: إلى السبعة.

ومـــا أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا .. قال الزمخشرى: "ولو قيل: وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب.

فإن قلت : فالكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله: (أرهطى أعز عليكم من الله) ؟

قلت: تهاونهم به – وهو نبى الله – تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ٨٠ النساء"(١).

وفـــى اسم التفضيل (أعز عليكم من الله) إشارة إلى أنهم لا تزال منهم نزعة إلـــى عزة الله. وتلك فِطْرة فطر الله الناس عليها فلا تكاد تخلو نفوسهم من عزة الله ولا قلـــوبهم من حب الله. بدليل أنهم عند شدة الكرب لا يلجأون إلا إليه. يقول الله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣١.

إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ ٦٥: ٦٦ العنكبوت

وقوله: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ...... ﴾ ٣٢ لقمان.

١٥- أعظـــم:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ﴾ ١٠ الحديد.

ومـــن قـــبل ذلك قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ . أى: ومن أنفق من بعد الفتح. ولم يذكر هذا لأن العقل يدركه إذ الاستواء لا يكون إلا بين اثنين. والمذكور فى النص واحد. إذ (منكم) أى بعضكم وهو فاعل (يـــستوى) ويشمل من أنفق من قبل وقاتل ومن أنفق من بعد وقاتل. فـــ (من أنفق) يـــدل بعض من (منكم) أى بعضكم. والإشارة بـــ (أولئك) إلى الذين ذكروا أى من أنفـــق مـــن قـــبل الفتـــح. فأعظـــم اسم تفضيل يقتضى زيادة أجر هؤلاء على من جاء بعدهم.

١٦- أفصــــح:

فى قوله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ ٣٤ القصص.

وفى (أفصح دلالة على أن موسى كان فصيحا وأما هارون فهو أفصح. ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى . يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ ٢٧: ٢٨ طه.

١٧- أقـــــرب: فى خمس آيات هى:

قـــوله تعالـــــى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ ١٦٧ آل عمـــران. وقـــوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ ٢٤ الكهف. وقوله : ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ ١٣ الحج. وقـولـه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ١٦ ق. وقــولــه : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ ٨٥ الواقعة.

قال أبو حيان فى الأولى: "وأقرب: هنا أفعل تفضيل وهى من القرب المقابل للبعد. ويعَدَّى بـــ (إلى) وباللام وبــ (مِنْ). فيقال: زيد أقرب لكذا، وإلى كذا. ومن كــذا مــن عمــرو. فـــ (من) الأولى يعنى (من كذا) ليست التى يتعدى بها أفعل التفضيل مطلقا فى نحو: زيد أفضل من عمرو. وحَرْفَا الجار يتعلقان بأقرب. وهذا من خواص أفعل التفضيل أن يتعلق به حرفا جر من جنس واحد .... وحكى النقاش أن (أقرب) ليس هنا هو المقابل للأبعد وإنما هو من القَرَب بفتح القاف والراء وهو المطلــب. والقــارب طالب الماء. وليلة القَرَب ليلة الوداد. فاللفظة بمعنى الطلب. ويتعـين على هذا القول التعدية باللام؛ ولا يجوز أن تعدى بـــ (إلى) ولا بـــ (مِنْ) التى لا تصحب كل أفعل التفضيل. فصار نظير: أقْرَب لعمرو من بكر"(١).

والذى يتأمل هذا النص يدرك أن فيه غُلُوّاً وبُعْداً عن ذوق اللغة القرآنية لأن فــيه دعــوى كــون (مِنْ) بعد اسم التفضيل للتعدية. وما هى كذلك بل إن وظيفتها الدلالة على ابتداء الزيادة التى يدل عليها اسم التفضيل. هذه واحدة. وأخرى وهى:

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١١٠.

أنـــه لا داعـــى لحمـــل اللفظ (أقرب) هنا على معنى بعيد إذ عهدنا بالكلمة العربية وخاصة فى القرآن الكريم أن لفظها يشع منه معناها ويأخذ بالقلب والعقل كما يتمكن مـــنه اللـــسان بعد العين. فهو أشبه بالشمس لا تكاد تشرق حتى تملأ الكون ضياء وبهاء ونماء. فمَنْ مِنَ القَرَأة يرد على ذهنه عند تلاوة هذه الآية أن المراد (القَرَب) أى لطلب ؟

وأمـــا تعلق اللام و (من) بـــ (أقرب) فليس فيه غموض ولا إبهام. وفى ذلك يقول أبو البقاء: "إنما تعلقت اللام فى قوله (للكفر) – يعنى : هم للكفر – واللام فى (للإيمان) بـــ (أقرب) .. لأن (أفعل) يدل على معنيين: على أصل الفعل. وزيادته فيـــصل فى كل واحد منهما بمعنى غير الأخر. فتقديره: يزيد قربهم إلى الكفر على قربهم إلى الإيمان. واللام هنا على بابها. وقيل: هى بمعنى: إلى"[١].

وفى هذا النص – مع كونه أقل تشتيتا للذهن من نص أبى حيان – بعض قلق لأن فيه زعم كون اللام فى (هم للكفر) متعلق بـــ (أقرب) وعليه يكون نسق الآية: هـــم يومئذ أقرب منهم للكفر للإيمان. فهل هذا يليق بجلال النص القرآن ووضوح دلالته على معناه ؟!

إن معنى النص أىّ نص – رهن بنسق كلماته. وإدراك معنى الآية بدون تلك الدعاوى سهل ميسر إذ فيها ضرب من الإيجاز الذى تدركه العقول ويقف عليه ذوو الألـــباب. فالمعنـــى: "هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان. لأن تقليلهم سواد المسلمين بالأنخزال تقوية للمشركين"[٢].

هذا ما ذكره الزمخشرى وفيه دقة فهم وسهولة وصول إلى المراد بالنص مع الإشارة إلى فضل الإيجاز الذى هو حلية لا تساويها حلية للنص القرآنى.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٨. وانظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٩٥.

(٢) الكشاف ١/ ٣٣٧.

فلـــيس فـــيه ادعـــاء خروج اللفظ من معناه إلى غيره. ولا ادعاء تقديم شئ على شئ.

أمـــا سائر آيات (أقرب) فهى واضحة. فى دلالة (أقرب) على التفضيل وأن (من) ابتدائية.

١٨- أقـــــل:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ ٣٩: ٤٠ الكهف.

وزيادة القلة فى المال والولد واضحة فى هذه الآية فـــ (مِنْ) حرف ابتداء.

١٩- أكبـــــر: فى ست آيات هى:

قـــوله تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ ٢١٧ . وقوله: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ ٢١٩ البقرة. وقوله : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ... ﴾ ١٥٣ النساء. وقـوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ١٠ ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ ٥٧ غافـــــــر.

وقـولـه: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ ٤٨ الزخرف.

أما الآية الأولى: "والفتنة أكبر من القتل" فصدرها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾.

وفيها وصف القتال فى الشهر الحرام بأنه كبير. ثم وصف: الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام وإخراج أهله منه بأنه أكبر عند الله. ثم وصف الفتنة بأنهـا أكبـر من القتل... وهكذا نرى تدرج الوصف (كبير) ثم (أكبر عند الله) ثم (أكبر من القتل). ولابد من مراعاة هذا التدرج فى فهم تلك النصوص. والذى يعنينا هـنا (أكبر من القتل) وهو وصف للفتنة وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على قيمة الفتنة التى تعلو قيمة القتل. ولعل السر فى ذلك أن الإنسان المقاتل ربما لا يقتل إلا واحداً وقد يزيد قليلا.

ولكـن الفتـنة تمـزق أوصال المجتمع وتفرق أفراده وذلك داء خطير وشر مستطير. فـ (أكبر) اسم تفضيل و (من) حرف ابتداء.

وقـوله فى الخمر والميسر (وإثمهما أكبر من نفعهما) أى: "وعقاب الإثم فى تعاطـيهما (أكبـر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما. والتوصـل بهما إلى مصادفات الفتيان ومعاشراتهم والنَّيْل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم. وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام"[(١)].

فـ (أكبر) اسم تفضيل أى زيادة و (من) حرف ابتداء.

---

(١) الكشاف ١/ ١٩٩. والأبرام جمع (بَرَم) بالتحريك وهو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر.

وقــوله: فقد سألوا موسى أكبر من ذلك" أى من سؤالهم لك بأن تنزل عليهم كتاباً من السماء. ألا وهو: أن يريهم الله جهرة.

وقــوله: ﴿ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ .....﴾ الآية يقول فيها الزمخشرى: "والتقدير: لمقــت الله أنفــسكم أكبــر مــن مقتكم أنفسكم. فاستغنى بذكرها مرة. (إذ تدعون) منــصوب بالمقت الأول. والمعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمــارة بالسوء والكفر حين يدعوكم الأنبياء إلى الإيمان فتأبون أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار..."(١).

وقــوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ فــيه محاجــة للكافــرين الذين كانوا يقرون بأن الله هو خالقها وبأنها خلق عظيم. وخلق الــناس بالقــياس إلــيه قليل مهين. فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله.

هكذا قرر الزمخشرى، وعقب أحمد بن المنير قائلا: "الأولوية ثابتة بدرجتين (إحداهما) أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر. (الثانية) أن مجادلتهم كانت فــى الــبعث وهو الإعادة. ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة. فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعنى: السماوات والأرض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى: الناس أدخل تحتها. وإعادته أدخل من ابتدائه"(٢).

وتبقى آية الزخرف (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها). وفيها يقول الزمخــشرى: "فإن قلت: هو كلامٌ متناقض لأن معناه أَمَّا مِنْ آية من التسع إلا هى أكبر من كل واحدة منها. فتكون واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة ؟

(١) الكشاف ٤/ ١٢٠.

(٢) الكشاف ٤/ ١٣٥ وانظر هامش ١٣٦.

قلت: الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه. وكذلك العــادة فى الأشياء التى تتلاقى فى الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس فى تفضيلها. فيُفَضِّلُ بعضُهم هذا وبَعْضُهم ذاك. فعلى ذلك بنى الـناس كلامهــم فقالوا: رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض. وربما اختلف آراء الرجل الواحد فيها؛ فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك"(١).

وبهذا يثبت أن (أكبر) اسم تفضيل و (من) حرف ابتداء.

٢٠- أكبــــر: فى ست آيات هى:

قــوله تعالــى: ﴿ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ ﴾ ١٢ النــساء. وقــوله: ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا ﴾ ٣٤ الكهـف. وقــوله: ﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ... ﴾ ٩ الروم. وقــولـه: ﴿ كانوا أكثر منهم وأشــد قوة وآثار فى الأرض ..... ﴾ ٨٢ فصلت وقيل النص الأول قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ ﴾.

قال الزمخشرى: الكلالـــة: من لم يَخْــلُف ولدا ولا والدا. ومن ليس يَولَدٍ ولا وَالِدٍ من المخلفين. والقرابة من غير جهة الولد والوالد. ومنه قولهم: ما وُرِثَ المجد عن كلالة .... وهى فى الأصل مصدر بمعنى: الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء .. فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد..

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٢.

فلو كان الموّرث كلالة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس. والمراد هنا الأخ أو الأخـت لأمه. وقد قرأها أبَيّ وقرأها سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت مـن أم. واستدل لـذل كالمعنى بما ذكر فى آخر آية من السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال .. فهو يعنى الإخوة كالأم(١).

فكلمة (أكثر من ذلك) فيها معنى التفضيل والزيادة بأن كان الوارث أكثر من أخ ومن أخت أى اثنان أو اثنتان فأزيد.

وفى قوله تعالى: ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالاً ﴾ واضح معنى التفضيل فى (أكثر) وأمـا (مـن) فابتدائـية. وكذا فى قوله (وعمروها أكثر مما عمروها) وصدرها: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾

ويعنـى بالذين من قبلهم عادا وثمود وغيرهم من الأمم العاتية فهم كانوا أشد منهم قوة. وأثاروا أى حرثوا الأرض. كما فى قوله تعالى: ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ ٧١ البقرة. وسمى الثور ثورا لإثارته الأرض. وسميت البقرة بقرة لأنها تبقرها أى تـشقها. و (عمروها) يعنى: أولئك المدمَّرين. (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكـة. وأهل مكة. أهل واد غير ذى زرع. ما بهم إثارة الأرض أصلا. ولا عمارة لها رأسا. فما هو إلا تهكم بهم ... لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة أى الزراعة"(٢).

---

(١) الكشاف ١/ ٢٧٤: ٢٧٥.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٣٦٩.

وأما آية غافر ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾

وصدرها ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ..... ﴾ فالحديث عن أهل مكة أيضاً مثله فى الآية السابقة.

٢١- أهــــدى: فى خمس آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ ٥١ النـــساء. وقـــوله: ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ ﴾ ٥٧ الأنعام. وقوله : ﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ ﴾ ٤٩ القصص. وقـولـه: ﴿ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ ﴾ ٤٢ فاطر. وقوله: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡ ﴾ ٢٤ الزخرف.

فالواضح فى هذه الآيات أن (أهدى) اسم تفضيل يثبت زيادة الهدى فى فريق دون آخر. و (من) حرف ابتداء.

٢٢- أوفــــى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ١١١ التوبة.

يقول الزمخشرى: "ومن أوفى بعهده من الله: لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم. فكيف بالغنى الذى لا يجوز عليه القبيح قط.

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ"(١).

ولا يخفــى على القارئ أن صدر الآية: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ... الخ. أى ليس هناك من هو أوفى من الله. ومما ينبغى التنبيه إليه قول الزمخــشرى (لا يجــوز عليه قبيح قط) ففيه استعمال (قط) بعد نفى غير الماضى فكان عليه أن يقول: لم يجز عليه قبيح قط. وكم وقع هذا العالم الفذ فى مثل هذا كما نبهنا كثيراً.

٢٣- أولـــــى:

فــى قــوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ ٦ الأحزاب.

فــى هذه الآية (من أنفسهم) ثم (من المؤمنين ..) أما الأولى فواقعة بعد اسم التفــضيل (أولى) فــ (من) ابتدائية. يقول الزمخشرى: (النبى أولى بالمؤمنين) فى كــل شئ من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم). ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم ....".

وبهذا يثبت ابتدائية (من) بعد اسم التفضيل.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٦.

وأما الثانية فيقول فيها الزمخشرى: "من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بـــيانا لــــ (أولى الأرحام) أى الأقرباء ومن هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب.

ويجـــوز أن يكون لابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة"(١).

ومنع ابن العربى الأول فقال: "من المؤمنين والمهاجرين : يتعلق حرف الجر بــــ (أولَى) وما فيه من معنى الفعل. لا بقوله (وأولوا الأرحام) بإجماع؛ لأن ذلك كان يوجب تخصيصها ببعض المؤمنين. ولا خلاف فى عمومها"(٢).

ولـــو جاز هذا القول لكانت (من) اسماً بمعنى (بعض) كما أشار إلى ذلك ابن العربـــى بقـــوله (كان يوجب تخصيصها ببعض المؤمنين). ويبدو أن الأُولَى أولَى بالقبول وأجدر.

هـــذا وقـــد وصل عدد مرات هذا الفصل الخاص بـــ (مِنْ) التفضيلية ثلاث عشرة ومائة مرة ١١٣.

وبالله التوفيق

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٤.

(٢) أحكام القرآن ق ٣ ١٤٩٧.

الفصل الرابع

آيـــات (مِنْ) الابتدائية التى للتعليل فى القرآن

تمهيـــد:

مما يلفت الذهن ويثير الانتباه أننا فى الفصول الثلاثة السابقة لم نجد (من) إلا لابـــتداء الحدث مجردا عن أى شئ آخر. وسواء فى ذلك: الحدث مع الظرف ومع غيره كما فى الفصل الأول والثانى. والحدث فيهما لا يشير من بعيد ولا قريب إلى معنـــى التفضيل. وفى الفصل الثالث رأينا الحدث دالا على التفضيل. ومن فى هذه الثلاثة للابتداء.

وأما فى هذا الفصل فإننا نرى (من) فيها معناها وهو الابتداء غير أنها تجعل العقل يلحظ تبعا له معنى آخر ألا وهو التعليل لوقوع الحدث.

أحرف التعليل:

لقـــد هدانا اطلاعنا على ما تيسر لنا من الكتب إلى أن (من) لم تنفرد بالدلالة المـــشيرة إلى التعليل بل هناك أحرف أخرى ذكر العلماء أنها تشير إلى هذا المعنى إشارة موحية إلى العقل به حتى إنه ليدركه كما يدرك معنى الحرف الذى يشتهر به.

وتلكـــم الأحرف هى: اللام والباء وفى ومن والكاف وحتى وكى. فهى سبعة أحرف. وزاد بعضهم (على) فتكون ثمانية.

ولكـــى يكـــون بحثـــنا مفـــيدا مقـــنعا للقارئ رأينا أن نعرض هذه الأحرف بإيجاز فنقول:

يتضح من قراءاتنا وتتبعنا لهذه الأحرف:

أن اللام بمثابة أصل هذا المعنى. إذ لا يخفى على أحد أننا حينما يخبر واحد آخـر بوقـوع حدث لا يتبادر إلى ذهنه ولا ينطلق لسانه إلا بقوله: لأى شئ حدث هـذا؟ ومـن ثم كان علماؤنا الأجلاء على مستوى فكرى راق دقيق حينما وضعوا قاعـدة للاطلاع على العلم بدقة وعمق ألا وهى : (العلم فى ليه) أى فى: لأى شئ حدث ما حدث. فلم نرهم يعبرون بالباء أو فى أو من .... الخ.

ولـذا وجـدنا الأشـمونى يقرر: "أن الدال على التعليل هو اللام أو ما يقوم مقامهـا" ويُعَقِّـب عليه الصبان قائلاً: "ما يقوم مقامها هو: الباء وفى و (من) زاد الـشاطبى الكاف نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ١٩٨ البقرة. وفى شرح اللمحة لابن هشام: أن حروف السبب سبعة: هذه الخمسة و(حتى) نحو: (أسلِمْ حتى تدخل الجنة) وكى نحو: جئتك كى تكرمنى.

وأن الكاف وحتى وكى لا تدخل إلا على المفعول له لأنها لا تكون للتعليل إلا مع الفعل المقرون بالحرف المصدرى أ.هـ.

ثـم قـال: وينبغـى زيادة (على) نحو قوله تعالى: ﴿ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ٣٧ الحـج. وكـذا قـوله: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ١٨٥ البقرة.

وقوله: وفى بعض النسخ باللام "واقتصر عليها لأنها الأصل"[(١)].

هكـذا يرى الأشمونى والصبان أن الأحرف ثمانية. ولابد لنا من وقفة تأمل فـيما رأوه فلـربما ذكر الأواخر ما لم يذكره الأوائل. لأن العلم قسمة مشتركة بين الأجيال المتعاقبة فى الأزمنة المتتابعة.

---

(١) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونى وحاشية الصبان عليه ٢/ ١٢٥.

وهذا من سنة الله فى خلقه حيث جعل لكل علم أناسا لا يقتصر وجودهم على جـيل واحـد بل لابد لهذا العلم من ابتداء ثم نمو فى اطراد حتى ينتهى أجل الدنيا فالبذرة يضعها من أهَّله الله لذلك ثم يتعهدها منْ بعده حتى تقوم الساعة فما تزال فى نمـو وازديـاد واتساع واطراد ما دام إنسان على ظهر الأرض يفكر عاملا على تهذيب شئ فيه وإضافة آخر عليه.

وقفة مع هذه الأحرف:

أشرنا فيما سلف إلى أن اللام كأنها أصل فى التعليل وغيرها محمول. عليها. وهـذا التأصـيل والتفريع عمل نحوى بحت ليس نابعا من لغة العرب فقد سـئل الخليل بن أحمد عن العلل التى يعتل بها فى النحو فقيل له: عن العرب – أى أَعَنِ العرب – أَخَذْتَهَا أم اخْتَرَعْتَهَا من نفسك ؟

فقـال: إن العـرب نطقـت على سجيتها وطباعها وعَرَفَتْ مواضع كلامها؛ وقامت فى عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها.

واعتللْت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه؛ فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمـست، وإن يكـن هناك علة غير ما ذكرت فالذى ذكرته محتمل أن يكون علة له ... الخ(١).

ومـع هـذا فإنى لا أنكر ما قاله النحاة إنكارا تاما بل إنى أجعله من الأمور القابلـة للمناقـشة. والذى يحدونى إلى عدم الإنكار إنما هو كثرة استعمال اللام فى التعلـيل دون غيـرها من الكلمات التى ذكرت معها. ومما يثبت ذلك أن أحدا من الـنحاة لم يخطر على باله ولم يجر على لسانه أن اللام إذا دلت على التعليل كانت دلالـتها علـيه طارئة عليها غير نابعة منها. وعلى سبيل المثال نذكر قوله تعالى:

---

(١) انظر الاقتراح: ٢٧٣ فما بعدها.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ ٣٣ التوبة.

ففي هذه الآية يقوم الإجماع على أن معنى اللام التعليل وهذا على سبيل الأصالة فهي دلالة ذاتية – إن صح التعبير – أى أنها صادرة عنها لا مفروضة عليها.

ومن ثم رأينا الأشمونى فى النص الذى نقلناه عنه آنفا يقول: الدال على التعليل هو اللام أو ما يقوم مقامها. ففى هذا إشارة إلى أن النحاة قد حكموا هذا الحكم بناء على كثرة الاستعمال فى اللغة. فدلالتها بالأصالة لا بالوكالة.

ونزيد ذلك قوة ويقينا بأننا لو تأملنا فيما ذكره الصبان من أساليب عربية أو نصوص قرآنية لأدركنا أن دلالة الكلمات على التعليل فيها يعتريها القلق والاضطراب لأنها مفروضة عليها.

١- قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ .... ﴾ ١٣ المائدة.

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ .... الآية ﴾ ١٥٥

﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ ١٥٦ النساء.

والعلماء فى مثل هذه النصوص إنما يجعلون الباء سببية لا تعليلية وسيأتى الفرق بينهما عند بعض العلماء بأن ما كان موجبا يسمى علة. وما كان مجوزا يسمى سببا. فالعلة أقوى دلالة وأعلى شأنا فى اللام.

٢- وكذا قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ ٣٢ القـصص فالمـشهور عند النحاة أن (من) للتعليل. يقول الزمخشري: "ومعنى قوله (من الرهب) من أجل الرهب .. جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه – أي يده – إليه .."[1].

فالـباء و(مـن) فى هذه النصوص لكل منهما معنى غير هذا المعنى فالأولى معناها: الإلصاق. والثانية معناها: الابتداء.

وبالـتأمل فى تلك الآيات يمكننا أن نجعل كلا منهما دالة على معناها: فالباء تـدل علـى ملاصقة الصفات المذكورة لليهود الذين ارتكبوا نقض الميثاق والكفر فاستحقوا اللعنة. ومعنى الإلصاق ولا يفارقها[2].

و (من) تدل على أن ابتداء ضَمِّ موسى يَدَه إليه هو الرهب. وبتلك الملاصقة وهذا الابتداء يثبت المعنى المراد. وسيأتى تفضيل ذلك فى آيات (من).

٣- وكـذا فى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ ١٩٨ البقرة.

فالكاف هنا اسم بمعنى (مثل) تدل على التشبيه أى اجعلوا ذكركم لله عز وجل مثل هدايـته لكم. وفى هذا إثبات أنه يريد منهم ألا يفتُرُوا عن ذكره فكما لا ينقطع هداه لهم ينبغى ألا يغفلوا عن ذكره لحظة أو طرفة عين ولا أقل من ذلك.

٤- وأمـا قـولهم: أسلم حتى تدخل الجنة وقولهم: جئتك كى تكرمنى فدلالة (حتى) و (كى) على التعليل إنما هى دلالة التزامية إذ يلزم من الإسلام دخول الجنة كمـا يترتب على المجئ الإكرام. وقول النحاة: "إن الكاف وحتى وكى لا تدخل إلا على المفعول له لأنها لا تكون للتعليل إلا مع المقرون بالحرف المصدرى"[3].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢١.

(٢) انظر المغنى بحاشية الأمير ١/ ٩٥.

(٣) انظر حاشية الصبان ٢/ ١٢.

لا يلـــزم منه ما نكروه فمثلا قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ نـــرى الكـــاف فـــيه اســـما دالاً على المماثلة والمشابهة مع أنها داخلة على حرف مصدرى وهو (ما) وكذا (حتى) فى (أسلم حتى تدخل الجنة) أى تمسك بإسلامك ولا تحد عنه أو تزغ إلى أن تدخل الجنة.

وكـــذا قـــولهم: جئتك كى تكرمنى. أى ما جئتك لغرض آخر بل غاية مجيئ غليك هو أكرامك لى.

٥- ويبقـــى مـــن نـــصوص الـــنحاة نـــصهم فى (على) وهو وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ١٨٥ البقرة.

وبالتأمل فيه نجد لام التعليل فى الفعل (ولتكبروا) فيكف تكون (على) للتعليل؟

لقد وجدت الزمخشرى يقول: "وإنما عدَّى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد. كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم"(١).

وفى هذا النص مناقشة فيما يلى:

(أ) أن الزمخشرى جعل (على) حرف تعديةً أى حرف إضافة يتعدى به الفعل إلى غيـــره. والحق أنه ظرف بمعنى (فوق) غير أن له ميزة فيما يستعمل فيه ألا وهى أنه يدل على مباشرة الفعل لما بعده وملابسته له. فالتكبير على هداية الله إذ حيـــنما يشعر الإنسان بهداية ربه ؟ ينطلق لسانه من فوره بتكبيره وتحميده وتمجيده.

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٢.

(ب) أنه جعل (تكبروا) مضمنا معنى: تَحْمَدُوا. والحق أن النص فى غنى عن ذلك فشتان بين (كبَّرْتُ الله) و (حَمدْت الله). ولِمَ لا يكون هذا النص حجة لاستعمال (على) الظرفية مع (كبَّر) وسائر صيغها ؟

(جـــ) وهذه حجة لنا مقتبسة من نص الزمخشرى لأنه لم يجعل (على) للتعليل بل تركها لمعنى الاستعلاء الذى لا يزول عنها ولا يبرحها.

وبهذا لا تكون من أدوات التعليل لأنها ظرف.

التعليل والسبب:

مما سبق يتبين لنا أن معنى التعليل يكاد ينحصر فى اللام لأنها هى التى تدل عليه بالأصالة وغيرها يحمل عليها كما مرت الإشارة إليه.

ويتـــضح أن الـــباء يكثر فيها أنها سببية. وبناء على ذلك يكون الفرق بينهما حقـــيقة واقعة. وكنا نود أن يكون علماؤنا متفقين على هذه المسألة. ولكن ذلك بعيد المنال إذ أبى علماء النحو إلا الخلاف والاختلاف كما نعهده منهم غالبا.

١- من العلماء من فرق بينهما كابن مالك فقد قال: "باء السببية هى: الداخلة علـــى صـــالح للاســـتغناء بـــه عـــن فاعـــل مـــعـــدٍّ لها مجازا نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ ٢٢ البقرة، فلو قصد إسناد الإخراج إلى الماء وقيل: أنزل ماء أخرج من الثمرات رزقا لكم لصح وحسن لكنه مجاز والآخر حقيقة. ومنه : كتبت بالقلم؛ وقطعت بالسكن، فإنه يصح أن يقال: كتب القلم، وقطع بالـــسكين".وقال: "من معانى الباء التعليل. وشرح ذلك قائلا: وهى التى يحسن فى موضـــعها الـــلام غالـــبا نحو: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ ١٦٠ النساء. و ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ ٢٠ القصص.

قال: واحترزت بقولي (غالبا) من قول العرب: غضبت لفلان إذا غضبت من أجله وهو حيّ، وغضبتُ به إذا غضبت من أجله وهو ميّت"[١].

وبهــذه النــصوص يتأكد الفرق بين التعليل والسبب إذ أن كلا منهما قد ذكر علــى حدة. وهذا ما ذهب إليه ابن السبكي حيث يقول: "إن الفرق بينهما ثابت لغة ونحوا وشرعا. قال اللغويون: السبب كل شئ يتوصل به إلى غيره؛ ومن ثَمّ سموا الحبل سببا وذكروا أن العلة عرض, وكلمات يدور معناها على أن العلة أمر يكون عــنه أمــر آخــر وذكر النحاة أن اللام ،للتعليل ولم يقولوا للسببية؛ والتعليل وهذا تصريح بأنهما غيران.

وقال أهل الشرع: السبب مما يحصل الشئ عنده لا به؛ والعلة ما يحصل به. وأنشد ابن السمعاني على ذلك:

ألم تر أن الشئ للشئ علة ∴ تكون به كالنار تقدح بالزند

والمعلــول يتأثــر عن علته بلا واسطة بينهما ولا شرط يتوقف الحكم على وجــوده، والسبب إنما يقضى إلى الحكم بواسطة أو وسائط، ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط"[٢].

وفَرّق الشيخ يحيى بين العلة والسبب بأن العلة متأخرة فى الوجود متقدمة فى الذهن. وهى العلة الغائية. والغرض.

وأما السبب فهو متقدم ذهنا وخارجا. هذا ما ذكره الصبان ثم علق على تمثيل الأشــمونى للتعليل بقوله تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ قائلا: "لكن يمــنع مــن توجيه صنيع الشارح بهذا تمثيله للتعليل بسبب متقدم وهو (فبظلم ...) وكان الموافق له أن يمثله بنحو: حفرت البئر بالماء"[٣].

---

(١) انظر شرح التسهيل ٣/ ١٥٠ والهمع ٢/ ٢١ ومقدمة شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٤.

(٢) خزانة الأدب ١/ ٣٠٨: ٣٠٩ هارون.

(٣) حاشية الصبان ٢/ ٢٢٧.

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام قول ابن جنى: "باب ذكر الفرق بين العلة الموجبة وبين العلة المُجَوِّزة:

اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها كنصب الفضلة أو ما شابه فى اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ والخبر والفاعل. وجر المضاف إليه وغير ذلك. فعِلّل هذه الداعية إليها موجبة لها غير مقتصر بها على تجويزها. وعلى هذا مفاد العرب.

وضرب آخر يسمى علة وإنما هو فى الحقيقة سبب يُجَوِّز ولا يُوجب"(١).

وعقب السيوطى على هذا قائلاً : "فظهر بهذا الفرق بين العلة والسبب بأن ما كان موجبا يسمى علة، وما كان مجوزا يسمى سببا"(٢).

وبذلك كله يتأكد عند هؤلاء أن الفرق بين العلة والسبب قائم لا محالة موجود بلا ريب. وقد زاده ابن علاَّن يقينا على يقين بقوله: "ما كان موجبا للحكم يسمى علة؛ لأن ذلك شأنها أنه يجب وجود معلولها عند وجودها إن لم يوجد مانع؛ وما كان مجوزا يسمى سببا لأن السبب قد يتخلف عن المسبب لفقد سبب عند تعدد الأسباب أو لوجود مانع لأن السبب قد يعارضه ما يمنع الوجوب كوجود الراحلة من أسباب جواز الحج لا وجوبه"(٣).

٢- ومع وضوح ذلك كله نرى من العلماء من يمنع وجود هذا الفرق فيقول أبو حيان: "ولم يذكر أصحابنا –يعنى : الأندلسيين – هذا المعنى – أى التعليل – وكأن التعليل عندهم والسبب شئ واحد؛ ويدل لذلك: أن المعنى الذى سمى به باء السببية موجود فى باء التعليل لأنه يصلح أن ينسب الفعل لما دخلت عليه باء التعليل

---

(١) الخصائص ١/ ١٦٤.

(٢) الاقتراح ٢٤١.

(٣) هامش الخصائص ١/ ١٦٤ عن شرح الاقتراح ولابن علان.

كما يصح ذلك فى باء السبب فنقول: ظلم أنفسكم أتخاذكم العجل. وأما ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ ٢٠ القصص. فالباء فيه ظرفية أى يأتمرون فيك أى يتشاورون فى أمرك لأجل القتل. انتهى.

ذكر السيوطى هذا النص تعقيبا على كلام ابن مالك الذى سبق ذكره ثم قال: "وهو الحق"(١).

وهنا ينبغى أن نتنبه إلى قول أبى حيان (ولم يذكر أصحابنا) الذى يعنى به: الأندلسيين. لأن فيه تعميما فى غير موضعه إذ من البدهى أن ابن مالك أندلسى وهو الذى فصل القول فى الفرق بين العلة والسبب. فوجب التنبيه إلى ذلك.

ولعل ابن هشام يحطب هنا فى حبل أبى حيان وينأى بقلمه عن ابن مالك لأننا وجدناه لا يذكر فى معانى الباء: التعليل، وإنما اكتفى بذكر السببية(٢).

وجرى فى عبارة الصبان حيث قال: "وينبغى إسقاط معنى التعليل من معانى الباء كما فى المغنى وغيره لأن التعليلية والسببية شئ واحد. كما قاله أبو حيان والسيوطى وغيرهما. ويوافقه قوله فى الكلام على (فى) السببية: وتسمى التعليلية أيضاً"(٣).

وقرر أبو البقاء فى كلياته أن: "النحويين – كذا – لا يفرقون بين السبب والشرط وكذا بين السبب والعلة فإنهم ذكروا أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية؛ وقال أكثرهم: الباء للسببية ولم تقولوا: للتعليل"(٤).

---

(١) الهمع ٢/ ٢١ وانظر شرح الدمامينى على المغنى ١/ ٢١٦.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٩٧.

(٣) حاشية الصبان ٢/ ٢٢٧.

(٤) الكليات ص ٢٠٥.

ومقتضى ذلك: مساواة التعليل والسبب فى القيمة الدلالية فيكون معنى: التعليل فى اللام مساويا لمعنى السببية فى الباء هذا هو الظاهر البدهى من قول صاحب الكليات. ولكننا إذا عمقنا الفكر ودققنا النظر بدت لنا حقيقة لعلها تدحض هذه المساواة.

ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا العلماء يقسمون العلة إلى عدة أقسام تنطوى تحت نوعين رئيسين هما: علة تَطَّرِد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم؛ وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم فى موضوعاتهم. والنحاة للأولى أكثر استعمالا واشد تداولا وهي واسعة الشعب إلا أن مدار المشهورة منها على أربعة وعشرين نوعا. ... هذا ما نقله السيوطى عن أبى عبد الله الحسينى بن موسى الدينورى الجليس فى كتابه (ثمار الصناعة) وقد ذكرها مُفَصَّلة في كتابه (الاقتراح)(١).

ثم ذكر بعد ذلك قول ابن جنى فى الخصائص: أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها كنصب الفضلة .. أو ما شابهها ورفع العمدة وخفض المضاف إليه. وغير ذلك وعلى هذا مفاد العرب.

وَضَرْبٌ آخر يسمى علة وإنما هو فى الحقيقة سبب يجوِّزه ولا يوجبه... الخ(٢). ثم قال السيوطي: "فظهر بهذا الفرق بين العلة والسبب وأن ما كان موجبا يسمى علة؛ وما كان مجوزا يسمَّى سببا .... الخ(٣).

ولعلك تذكر – هنا – أن هذا النص هو الذى أتخذه من فرَّق بينهما سندا له وحجة.

---

(١) انظر من ص ٢٢٧ إلى ص ٢٢٩.

(٢) الخصائص ١/ ١٦٤: ١٦٥.

(٣) انظر الاقتراح ٢٣٩ فما بعدها.

وقد فرق آخرون بأن العلة تكون غائية والسبب لا يكون كذلك. فقد ذكر مؤلف كتاب (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة أن الحكماء قالت: إن العلل الغائية علل فاعلية في الواقع لأنها فاعلة في فاعلية الفاعل؛ فالنجار الفاعل للسرير لعلة غائية وهي الجلوس عليه والذي بعثه على العمل هو الغاية منه وهي الجلوس. فالجلوس علة فاعلة في فاعلية النجار. وإذا كانت هي الشئ جعلت النجار يفعل السرير فهي فاعلة في السرير بواسطة".

ثم ذكر قول الراغب في كتابه (الذريعة إلى محاسن الشريعة) قوله: "قال قوم من المحصلين: لا شئ من الأفعال فاعله واحد على الحقيقة إلا الله تعالى. لاستغناء فعله عن: الزمان والمكان والآلة والمادة وغيرهما؛ ولهذا لا يصح أن ينسب الإبداع إلى غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا"[١].

فإذا ما أردنا تطبيق ما في هذا النص من أن الله هو الفاعل حقيقة جاز لنا وصح أن نقرر معنى التعليل في الباء واللام ومن نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ١٦٠ النساء. وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ ٣٣ التوبة.

وقوله: ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾ ٢٥ نوح.

فالباء تدل على أن علة تحريم الله الطيبات التي أحلت لبني إسرائيل هي الظلم وصدهم عن سبيل الله كثيرا.

---

(١) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ص ٨١: ٨٣.

واللام تدل على أن علة إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق هى إظهار هذا الدين على الدين كله.

و (مــن) تــدل علــى أن علــة إغراق الله قوم نوح وإدخالهم النار دون أن ينصرهم أحد هو ما ارتكبوه من خطيئات.

ولعــل القــارئ فى غنى عن بيان الفرق بين (خطيئات) و(أخطاء) فالأولى تتضمن ترك الدين وعدم العمل بما يشرعه الله. ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِ .... ﴾ ٨١ البقرة.

أمــا الخطــأ فهو الوقوع فى شئ دون تعمد له وعلم به يخالف دين الله وإليه أشار قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ ٢٨٦ البقرة.

فالحروف الثلاثة تدل على العلة التى ترتب عليها وحصل ما حصل لمن حَرَّم الله عليهم ما فعلوه. وإظهار دين الله على الدين كله وإغراق قوم نوح عليه السلام.

وبدهــى: أن الله هــو المحرِّم ما حرمه على بنى إسرائيل فى الأولى. وهو المظهــر للإسلام على الدين كله. وهو المفرق لقوم نوح ومدخلهم النار. على وجه الحقيقة. ولكن فعله هذا ناتج عن عمل بشرى فى الآيتين الأولى والثالثة. وعن عمله هــو فــى الآية الثانية فهو الذى أرسل الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى وديــن الحق. وهو الذى أظهر دين الحق على سواه من الأديان الباطلة. وقيل: إن الــضمير فى (ليظهره) للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. أى ليظهر الله رسوله وينصره على أهل الأديان كلهم ..."[١].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٢٠٨.

ويمكننا – بعد ذلك التفصيل – أن نجعل العلة فيما درسنا من نصوص قرآنية وغير قرآنية. علة غائية إذ هى غاية لما ترتب عليها. وكأنها معنى نفسى كامن فى النفس يفكر فيه الإنسان قبل أن يُقْدم عليه ليبرزه من محيط النفس إلى دائرة الحس الظاهر الواضح. وقد سبق التمثيل بالنجار الذى عمل السرير. فهذا العمل مسبوق بفكر أو بعمل فكرى يدور فى نفس النجار أولا فإذا ما ثبت له أنه يؤدى الفائدة التى أدركها بفكره واقتنع بها داخل نفسه أخذ يبرز التفكير إلى حيز الحس الظاهرى.

فهل يا ترى ينطبق هذا على السبب ؟

والجواب عن ذلك عند الذين يفرقون بينه وبين العلة بالرفض والنفى وكأن السبب عندهم شئ حسى بارز للعين أو مسموع بالأذن أو مُدْرَك بالحس الظاهرى. دون أن يكون مترتبا على إحساس باطنى أو عمل ذهنى وفكرى.

تعقيب:

سبقت الإشارة إلى أن هناك من يرى فرقا بين العلة والسبب بأن العلة متأخرة فى الوجود متقدمة فى الذهن. وهى العلة الغائية. وأما السبب فهو متقدم ذهنا وخارجاً ..."

كما أن هناك من يفرق بينهما بأن العلة موجبة وأن السبب مجوز، على حد تعبير السيوطى تعقيبا على كلام ابن جنى.

والحق أننا فى غنى عن هذا الجدال العقيم العاقر إذ لا نتاج له ولا ثمرة يتذوقها الدارس منه. وذلك لما يلى:

(أ) من البدهى أن أى حدث يحدث فى الكون له طرفان أو جانبان أحدهما فكرى ذهنى والآخر يدوى ظاهرى فلا يمكن لأحدٍ ما أن يتخيل شيئا موجودا دون

سابق تفكير فيه بل لابد لهذا التفكير الباطنى من تنظيم وتنسيق عميق له دقيق بحيث يستوعب ما يريد المفكر والمنظم عمله أى إخراجه من حيز الباطن إلى ساحة الظاهر يدركه ببصره بعد أن تصوره ببصيرته. وإلا كان ضربا من الفوضى ونسيجا من الخيال أو الخبال. فلابد – إذاً – لكل حدث من محدث ولابد لمن يريد أن يحدث حدثا من تفكير عميق قبل أن يقدم على عمله. فالفكر أداة التنظيم واليد وغيرها من الأعضاء أدوات لجعل هذا التنظيم بارزا يدركه الناس وسواء سمينا العمل الذهنى والفكرى علة أم سبباً فلا علينا فى ذلك.

(ب) قول بعضهم: إن السبب متقدم ذهنا وخارجاً. غير صالح للمعنى المراد به؛ إذ من البدهى الفرق بين ما يدركه البصر وتحسه اليد وتسمعه الأذن ويتذوقه اللسان .. وما يدركه العقل ويجيش به الوجدان وتفعم به المشاعر.

فهذان طرفان لابد منهما لكل كائن حى متحرك أعنى: لكل حيوان. فللحيوانات أناث علمها الباطنى وعملها الظاهرى. فلا يجوز لنا أن نجرد أى حيوان من عمل باطنى – لا أجد حرجا فى أن أسميه – عملا عقليا. ولعل هذا يؤيده ما سطره الذين درسوا الغرائز أى الفطر فلكل حيوان غريزته وفطرته وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ – اى فرعون – فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ . قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ٤٩ : ٥٠ طه. فالخلق للحواس والأجساد. والهداية للعقل والفؤاد.

فقولهم: السبب متقدم ذهناً وخارجاً مقولة باطلة. إذ من البدهى أن هناك سببا ومسببا فهما متلازمان فلا سبب بلا مسبب ولا مسبب بلا سبب. وهذا يساوى قولنا: لا علة بلا معلول ولا معلول بلا علة.

(جـ) أما قولهم: الموجب علة. والمجوز سبب فهو يعوزه الحجة ويحتاج إلى دليل. لأن الشئ إما موجود وإما مفقود. ولا ثالث لهما. ولا يستطيع أحد أن يتخيل أو يتوهم أن الموجود منه واجب ومنه جائز لأنه ما دام قد وجد فلا محالة من كونه واجبا بل إن الجائز والواجب يتساويان – زيادة عما سبق – فى أنهما لا يمكن أن يستأثر أحدهما بوصف دون الآخر فهما بمنزلة سواء من حيث إنهما غير مُدْرَكَيْن بالحواس الظاهرة. وإنما إدراك العقل لأن أحدهما جائز أو واجب قائم على قوة عظمى ومُشَرِّع أعظم هو الذى يميز بين ما يلزم الإنسان عمله وما لا يلزم. فمثلا: الإنسان الواحد يصلى الظهر مثلا ومن ركعاته ما لابد من أدائه وهى المفروضة من قِبَل الله ومتمثلة فى أربع ركعات متصلة. ومنها ما للإنسان حرية فى فعله وتَركه وتسمى سنة الظهر. وهذه التفرقة كامنة فى الحس كمون العقيدة فى القلب والفكر فى العقل. أما لو صلى المرء الواجب والسنة فقد تساوى فى أنهما صارا واقعاً لا محالة .فمن يستطيع أن ينكر ركعتى السنة بعد أن قام بصلاتهما ؟ لا أحد.

فالواقع أن الفرق بين الواجب والجائز جد عسير فالشئ الواجب قد يعرض له ما يمنعه فيصير جائزا ما دام قد تخلف. وبهذا تساوى العلة السبب فى الجواز إذ لا يطرد أحدهما اطرادا كاملا. فما دام قد وُجِدا متساويين فى الوصف ومن ثم قال الإمام الغزّالى: "إن بعضهم يدعى أن فاعل الاحتراق هو النار فقط. وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار فلا يمكنه الكف عما هو طبعه ... ولكنّ هذا غير صحيح. إذ أن فاعل الاحتراق هو الله تعالى بواسطة الملائكة أو بغير واسطة.

وأما النار فهى جماد ولا فعل لها. وليس للفلاسفة من دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار. والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به".

"فالعقل ينتهى فى مسألة الأسباب إلى نتيجة واحدة أصح عنده بعد كل نتيجة. وهى: أن الأسباب ليست هى موجدات الحوادث. ولا هى مقدمة عليها بقوة تخصها دون سائر الموجودات. ولكنها مقارنات تصحبها ولا تغنى عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات"(١).

وبهذا كله يتضح بما لا خفاء يعتريه. ويثبت بما لا ريب فيه أن العلة والسبب كلمــتان يطلقــان على معنى ذهنى واحد ألا وهو: ما يكون بحسب الظاهر أصلا لحدوث شئ يترتب عليه ترتب النتيجة على المقدمة.

وليس معنى هذا أن معنى أحدهما مطابق لمعنى الآخر بحيث لا يكون بينهما فرق دقيق لا يخفى – مع دقته – على العقل أو يضل عنه الفكر.

إذ مــادة (س ب ب) غير مادة (ع ل ل) مع أنهما تجمعهما صفة واحدة من حــيث اللفظ ففى كل منهما يتكرر حرف هجائى وهما: الباء فى الأولى واللام فى الثانــية. وأصــل معنى المادة الأولى هو رباط شئ بشئ فما نزال نرى ونسمع أن الــسبب هــو: الحبل. وأصل معنى المادة الثانية هو الضَّعْف فما نزال نسمع كلمة (علة) أى مرض.

فإذا ما قلنا هذا الشئ سبب فى وجود ذاك الشئ تبادر إلى الذهن إرتباط الثانى بالأول الذى سبقه حين ارتبط به.

وإذا ما قلنا هذا الشئ علة لذاك الشئ أدرك العقل أن الثانى مسبوق بغيره.

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ١٩: ٢١.

آيات (من) الابتدائية التعليلية:

لا ينبغي أن يرد إلى ذهن القارئ أن هذين معنيان ينفصل أحدهما عن الآخر. حتـــى تكون (من) مزدوجة المعنى. لأن معنى الابتداء ذو ارتباط بمعنى التعليل إذا لـــولا ابتداء الحدث لما وجد الحدث ومن ثَمَّ آثرنا (مِنْ) التى تشير – مع الابتداء – إلى علة الابتداء أى الوجود لحدث ما.

ومنهجنا فى عرض تكلم الآيات هو منهجنا فى غيرها من دراستنا لـــ (من) ســـواء أكانـــت اسما أم كانت حرفا. فهو قائم على ترتيب الآيات على حسب المادة اللغوية التى يرتبط بها معنى (من).

١ – أتـــــى:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ١٢٥ آل عمران.

قال ابن جرير: "من فورهم : عن عكرمة (مِنْ وَجْهِهِم) وعن ابن عباس (من ســـفرهم) وعـــن غيـــره (من غضبهم) .. وأصل: الفور: ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخر. يقال منه: فارت القِدْر فهى تفور فورا وفورانا إذ ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل. ومضيت إلى فلان من فورى؛ يراد: من وجهى الذى ابتدأت فيه.

فالـــذى قـــال فى هذه الآية: (من وجههم) قصد إلى تأويله: ويأتيكم كرز بن جابر وأصحاب يوم بدر مِن ابتداء مخرجهم الذى خرجوا منه لنصـــرة أصحابهـــم من المشركين.

وأمـا الـذين قالوا: معنى ذلك (من غضبهم هذا) فإنما عنوا أنه تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش وأتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذى غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر"[١].

فابن جرير ذكر ثلاثة معان لـ (من فورهم).

أولهـا: (من وجههم) وجعل المراد بذلك يوم بدر وفسر الفور بالمخرج الذى خرج مـنه بعض المشركين ولعله يقصد (مكة) وأرادوا أن يلحقوا بأصحابهم أبى سفيان ومن معه لنصرتهم فـ (من) على هذا للابتداء غير المرتبط بالتعليل. بل فصارى أمرهم أنهم كانوا يسرعون حتى ينجدوا أصحابهم.

ثانـيها: (من سفرهم) وذلك المعنى لا يخرج عن دائرة المعنى الأول. والمراد به الـذين خرجوا من مكة مسرعين إلى موضع معركة بدر لنصرة ذويهم من أهل الكفر.

ثالثها: (من غضبهم) فـ (من) على هذا المعنى ابتداء تعليلية بخلافها على المعنيين السـابقين. ويمكن أن يراد به يوم بدر ويوم أحد. وإن كان ظاهر ما ذكره الطبرى أنه خاص بيوم أحد. ومن ثم قال زاده: ويمكن تطبيقه على يوم بدر وهو الراجح فى نزول الآية قال ابن العربى: قيل زلت يوم أحد؛ وقيل: يوم بدر. والصحيح: يوم بدر؛ وعليه يدل ظاهر الآية"[٢].

ومع أن زاده نقل هذا النص عن ابن العربى تراه لا يقيد المعنى بأحد اليومين فقـصارى أمـره أنه قال: "أى أن الإتيان مبتدأ من الحالة التى لا إبطاء فيها بسبب غضبهم لتعرض غيرهم لأذى المسلمين كما يزعمون"[٣].

---

(١) جامع البيان ٤/ ٤٩: ٥٠.

(٢) أحكام القرآن ١/ ٩٦.

(٣) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٦٦٩.

ويـرى الدكـتور الحسينى أبو فرحه أن هذا أوضح ما يكون يوم بدر حيث استفزهم الغـضب لتعـرض المسلمين لغيرهم. وعهدهم بالمسلمين يتلقون الأذى صابرين محتسبين"(١).

هــذا: وممـا يجدر بنا ذكره والتنبيه إليه ما درج عليه الكتاب وجرت به الأقلام فى عصرنا هذا من قولهم: جاء فورا.

وقـولهم: فيرحل العدو فورا ... إلى غير ذلك. فهل هذا الاستعمال عربى دقيق أو أنه من الشوائع الذاوائع التى يروجها الكتاب وتسيل بكثرة على الأقلام ؟

يقـول أستاذنا محمد على النجار: "والمعروف أن يقال: جاء من فوره. وفى الكتاب العزيز فى سورة آل عمران: "ويأتوكم من فورهم هذا" قال الزمخشرى: من قـولك: قفـل من غزوته ورجع من فوره إلى غزوة أخرى. وجاء فلان ورجع من فـوره .. وهـو مصدر فارت القدر إذا: غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التى لا ريث فيها ولا تعرج على شئ من صاحبها فقيل: خرج من فوره. كما تقول: من ساعته لم يلبث" وفى حديث محكم: نعطيكم خمسين من الإبل فى فورنا هذا".

وقد يبدو وتخريج هذا الاستعمال – جاء فورا – بأن يكون الكلام على تقدير محـذوف تقـول: احـضر فورا. أى حضور فور. وقد عرفت أن ما أثر من كلام العرب ومَنْ على سنتهم على غير هذا الوجه"(٢).

والذى أراه أن يستمسك أصحاب الأقلام وأرباب الصحف بما ورد فى القرآن الحكـيم الذى نزل بلسان عربى مبين. أما أن يستسهلوا ما شاع وذاع دون مراجعة فلا خلاف فى عدم سداده.

---

(١) غزوة أحد فى الكتاب والسنة ص.٦٧. رسالة دكتوراه منسوخة.

(٢) لغويات ١/ ٩٤.

٢- أذى: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ ﴾ ١٩٦ البقرة. وقوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ .... ﴾ ١٠٢ النساء.

يقول أبو حيان فى الأولى: "الباء فى (به) للإلصاق، ويجوز أن تكون ظرفية. و (من رأسه) يجوز أن يكون متعلقا بما يتعلق به (به) وأن يكون فى موضع الصفة لـــ (أذى) وعلى التقديرين يكون (من) لابتداء الغاية"(١).

وهذا النص يشتمل على مالا داعى إليه وهو:

(أ) أنـــه لا داعـــى إلى جعل الباء ظرفية ما دامت تفيد الإلصاق الذى هو أصل معناها . وهل إلصاق الأذى بالرأس شئ هينٌ ؟

(ب) أنـــه جـــوَّز فـــى (من رأسه) أن يتعلق بما يتعلق به (به). وهو لم يعين ذلك المتعلَّق. والذى يطمئن به القلب وتميل إليه النفس أنه مرتبط بــــ (كان).

غيـــر أنه يترتب على هذا أن يكون (من رأسه) مذكورا من قبل (أذى) أى أن نسق الآية يكون هكذا" أو به من رأسه أذى وذلك افتراض لا أساس له لما فيه من خلل واضح.

(ج) كما جوَّز أن يكون (من رأسه) فى موضع الصفة لـــ (أذى) ويترتب على ذلك جعـــل (مـــن رأسه) متعلقا بمقدر وهو (كائن) على المعهود من النحاة. وهذا تكدير للنص.

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٧٥.

وبهذا يتضح أن (من) حرف ابتداء مرتبط بـــ (أذى) وفيها معنى التعليل أى أن مرض الرأس هو علة الأذى.

هـــذا هو معنى الآية الذى يستنبطه العقل منها دون تعديل أو تأويل فلا داعى إذاً لما جاء عن بعضهم من أن (من) بمعنى (فى)[١].

وممـــا تجدر الإشارة إليه أن سبب نزول الآية هو تأذى كعب بن عجرة بِقَمْل رأسه كما ذكره السيوطى[٢].

هـــذا عـــن الآية الأولى. أما الثانية فيقول فيها أبو السعود: "المعنى: إذا ثقل عليهم – المقاتلين – استصحابها أى الأسلحة بسبب مطر أو مرض"[٣].

ولا يخفى أن (من) ابتدائية تعليلية.

٣- أمـــن: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ ٨٩ الـــنمل. وقـــوله: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ ٤ قريش.

قال الزمخشرى فى الأولى: و (أمن) يتعدى بالجار وبنفسه كقوله: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ ٩٩ الأعراف[٤].

وهذا مبنى على أن وظيفة الحرف فى اللغة نقل أثر الفعل إلى الاسم. والحق أنـــه لابد للحرف من معنى يذكر إذا احتاج النص إليه. وهو هنا الابتداء أى أن من

(١) انظر حاشية الجمل ١/ ١٨٦.

(٢) لباب النقول ٢٩: ٣٠.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٠٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٠٥.

جـــاء بالحسنة فله خير منها جزاء ومثوبة ويزاد له أن يكون آمنا وابتداء أمنه هو الفزع الذى يفزع به غيره. وهذا المعنى يتضمن علة أمنهم.

كمـــا أشار إلى ذلك أبو البقاء فى الثانية حيث يقول: "وآمنهم من خوف" أى من أجل خوف"(١).

وكـــون (مـــن فزع) مذكورا قبل (آمنون) لا غبار عليه لأن الذى يحتاج إلى طمأنـــة قلـــبه وسكينة نفسه أحوج إلى أن يخبر بأنه بعيد من الفزع منه إلى الأمن والأمان. فذكره إنما لمعنى يراد.

٤ – بيـــــض:

فـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ٨٤ يوسف.

يقول الزمخشرى: "إذا كان الاستعبار – أى إنزال العَبْرة من العين بغزارة – محقـــت العَبْرة – الدمعة – سواد العين وقَلَبَتْهُ إلى بياض كدر قيل: قد عمى بصره، وقـــيل: كـــان يـــدرك إدراكا ضعيفا. .. والحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البـــياض فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلـــى حـــين لقائه ثمانين عاما. ... ثم وضح أن يعقوب كان مع حزنه البالغ ودمعه المنهمـــر لا يخرج إلى ما لا يحسن فحزنه غير مذموم لأن الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٦٠.

(فهـــو كظـــيم) فهـــو مملوء من الغيظ أى الغضب الكامن علـــى أولاده ولا يظهـــر ما يسوءهم. (فعيل) بمعنى (مفعول) بدليل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ٤٨ القلم من كظم السّقاء إذا شدّه على ملئه والكظم بفتح الظـــاء مخرج النفس"[1].

فابتداء بياض عينه وعلته هو الحزن.

٥- ثـــقل: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ ٤٠ الطور. و ٤٦ القلم وصدر الآيتين: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا .... ﴾.

والمغـــرم: أن يلتـــزم الإنسان ما ليس عليه أى: لزمهم مغرم ثقيل فرحهم – أثقلكـــم – فـــز هّدهُم ذلك فى اتباعك أى: لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حَمّل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان[2].

فالمغـــرم ابتداء إثقالهم أى عدم إسراعهم إلى اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وعلته فى الوقت نفسه.

٦- جَـــعَل: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ١٩البقـــرة. وقـــوله: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٣ القصص.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٧: ٣٨٨.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٣٢٩ وهامشها ٤٧٧.

فـــ (من الصواعق) فى الأولى متعلق بـــ (يجعلون) أى من أجل الصواعق يجعلــون أصـــابعهم فـــى آذانهـــم. كقـــولك: ســـقاه من العيمة وهى شهوة اللبن أو شدة شهوته(١).

وقدر أبو البقاء مضافا أى من صوت الصواعق(٢).

وسواء لوحظ ما قدره أم لم يلحظ فـــ (مِنْ) ابتدائية تعليلية.

هـــذا: الـــصواعق جمع صاعقة وهى: قصفَةُ رعد تنقضُ معها شُقَّة من نار. قالـــوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه. وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود .. يقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته أى مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ١٤٣ الأعراف.

وقرأ الحسن: من الصواقع. وليس بقلب للصواعق لأن كِلاَ البناءين سواء فى التـــصرف. وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله؛ ألا تراك تقول: صقعه على رأسه ، وصقع الديك، وخطيب مصقع: فجهر بخطبته.

ونظيره: جبذه فى جذب. ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف(٣).

ولـــم يقـــف العلمـــاء عند هذا الحد فى آية البقرة بل قال ابن هشام: "وزعم عـــصرى – يعنى ابن عقيل(٤) – فى تفسير له على سورتى البقرة وآل عمران فى قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أن

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣٢٩ وهامشها ٤٧٧.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢١/١.

(٣) الكشاف ١/ ٦٤: ٦٥.

(٤) ولد سنة ٦٩٧ وقيل ابن هشام بإحدى عشرة منه أى سنة ٧٠٨ وتوفى سنة ٧٦٩ أى بعد ابن هشام بثمانى سنوات.

(مـــن) مـــتعلقة بـــ (حذر) أو (بالموت). وفيهما تقديم معمول المصدر. وفى الثانى أيضاً تقديم معمول المضاف إليه عليه مع المضاف.

وحاصـــله على ذلك: أنه لو علقه بـــ (يجعلون) وهو موضع المفعول له لزم تعدد المفعول له من غير عطف. إذ كان (حذر الموت) مفعولا له.

وقـد أجـيب عن ذلك بأن الأول تعليل للجعل مطلقا، والثانى تعليل له مقيدا بالأول. والمطلق والمقيد غيران، فالمعلل متعدد فى المعنى وإن اتحد فى اللفظ"[١].

ولم يرض الشهاب الخفاجي عن دعوى التقديم والتأخير لما قررناه وكررناه من أنه خلاف الأصل فلا يحمل عليه القرآن بدون داع قوى وحجة دامغة.

يقـول الشهاب: "إن تعلق (من) بـــ (يجعلون) هو الأولى وأما تعلقها بالموت فبعـيد. وإن (مِنْ) تساوى اللام فى الدخول على الباعث المتقدم والغرض المتأخر. فهـى تغنى غناء اللام فى المفعول له لأنها تعليلية. وقد قال الطيبى طيَّب الله ثراه بعد ما ذكـر أنها هنا للتعليل: "إنه كقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾ ٥٣ مريم.

أى مـن أجـل رحمتنا. والرحمة الإحسان وهى نتيجة الهبة منه غير مرتب عليها كالتأديب. ومثله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ ٤ قريش . قال أبو حيان: "مِنْ: هنا للتعليل أى لأجل الجوع؛ وما قيل من أن (الجوع) لا يجامع الإطعام فالظاهر أنها بدلية لا وجه له؛ فإنهم قالوا فى ضابط (البدلية)؛ إنها ما يحسن وضع لفظ (بدل) موضعها. ولا يخفى أنه لا يحسن أن يقال: الإطعام بدل الجوع"[٢].

ومثل ذلك ما ذكره الألوسى من أن (من) تعليلية كاللام[٣] .

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٢٧.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ١/ ٣٩٩: ٤٠٠ ملخصا.

(٣) روح المعانى ١/ ٢٤٧.

وبذلك يتضح أن جعل (من) بدلية غير مستحسن لأنه يترتب عليه إما ادعاء زيادتها وهذا باطل. وإما أن تكون اسما لأنها تخلف اسما كما أنها إذا خلفت (بعض) كانت اسما. وفي هذا تجريد النص عن معنى الابتداء مع التعليل. وفيهما إثبات دقة المعنى وجمال النسق. هذا عن آية البقرة.

أمـــا آية القصص : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ .... ﴾

فـــيقول فـــيها الزمخـــشري: "زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة. لتسكنوا في أحدهما وهو الليل. ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار. ولإرادة شكركم"[١].

فـــرحمة الله ابتداءُ جَعْل الله الليل والنهار وعلته. والمزاوجة بينهما معللة بما ذكره الزمخشري. أي أن خلق الليل والنهار من رحمة الله وملازمة أحدهما الآخر لمنفعة الكائنات بعامة والإنسان بخاصة.

وتلك رحمة لا يدرك مداها العقل البشري مهما أوتي من علم أوزود بفكر.

ولا وجـــه هـــنا لدعوى أن أصل النسق (وجعل لكم الليل والنهار من رحمته لتسكنوا ... الخ. ولا يدرك ذلك إلا ذو بصر وبصيرة.

٧- جـــــاء: في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٣٢ الأحقاف. وقوله: ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٢٨ الملـك. وقـوله: ﴿ لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ ٢٢ الجن.

والآية الأولى وردت على لسان نفر من الجن الذين حضروا القرآن وأنصتوا لـــه. ثـــم ذهـــبوا إلـــى قـــومهم يخبرونهم بذلك ويحثونهم على إتباعه والعمل به:

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٣٧.

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ولا يخفى على القارئ أن (من) فى (من ذنوبكم) اسم بمعنى (بعض) وقد ذكر الزمخشرى أن غفران الله كان لبعض الذنوب لأن من الذنوب مما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها. ونحوه قوله عز وجل: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾. ٣، ٤ نوح"[1].

والآية الثانية أولها: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

وهى ردّ على كفار مكة حينما كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمِرَ بأن يقول لهم ذلك. أى إن أهلكنا الله كما تتمنون فإما أن ننقلب إلى الجنة وهى رحمة الله وإن لم يهلكنا رحمنا بالنصرة عليكم فلا تجدون مجيرا لكم من عذاب الله. فالاستفهام بمعنى النفى و (من) ابتدائية تعليلية أى ابتداء الإجارة من العذاب وتعليل لها.

هذا ملخص ما ذكره الزمخشرى. ثم قال فى آية الجن: "المعنى: إن أراد الله به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد، أو يجد من دونه ملاذا يأوى إليه"[2].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٨.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٤٦٧، ٥٠٥.

فالمعنى على لحظ مضاف إى لن يجيرنى من عذاب الله أحد. فـ (من) ابتدائية تعليلية.

٨- حرج: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ ٦٥ النساء.

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ ٢ الأعراف.

ذكر الزمخشرى أن الحرج فى الأولى إما الضيق وإما الشك وفى الثانية: الشك(١).

وقال أبو البقاء فى الأولى: "مما قضيت: صفة لـ (حرجا) فيتعلق بمحذوف؛ ويجوز أن يتعلق بـ (حرجا) لأنك تقول: حَرَجت من هذا الأمر. و (ما) يجوز أن تكون بمعنى الذى. ونكرة موصوفة ومصدرية.

وقال فى الثانية: "منه: نعت لحرج . وهى لابتداء الغاية أى لا تحرج من أجله"(٢).

ويفهم من هذا أن (من) ابتدائية تعليلية. وصرح السمين بأنها سببية(٣).

٩- حسب:

فى قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ ٢٧٣ البقرة. وقد اختلف العلماء فيما علقت له (مِنْ) فيفهم من كلام الزمخشرى أنها

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٤٠٩، ٢/ ٦٧.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٤: ١٠٥، ١٥٠.

(٣) انظر حاشية الجمل ٢/ ١٤١.

تعليل لـــ (أغنـياء) حـيث يقول: "يحسبهم الجاهل" بحالهم "أغنياء من التعفف" مستغنين من أجل تعففهم"(١).

وهذا ليس ببعيد لأنه يمكن أن يكون غِنَى الفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله حتى عجزوا عن الضرب فى الأرض نابعا من تعففهم. ولكن قوله تعالى: (يحسبهم الجاهـل) ربمـا يحول من إرادة هذا المعنى إذ الآية فى نوع معين من البشر على حسب رؤية نوع آخر له. وهو (الجاهل). أما التعفف من حيث هو صفة مدح لا ذَمّ فلابــد مــنها لكل نوع من البشر فلا يتحدد معناها ولا يمكن تحديده بما ذكر وصفا لهذا النوع.

ومــن ثَـمَّ رأى غير الزمخشرى أن (من التعفف) ذات ارتباط وثيق بالفعل (يحسبهم الجاهل). فيقول أبو البقاء: "يجوز أن يتعلق (من) بـــ (يحسب) أى يحسبهم من أجل التعفف. ولا يجوز أن يتعلق بمعنى (أغنياء) لأن المعنى يصير على ضد المقـصود وذلك: أن معنى الآية: أن حالهم يخفى على الجاهل بهم فيظنهم أغنياء؛ ولـو علقـت (مـن) بـــ (إغنياء) صار المعنى: أن الجاهل يظن أنهم أغنياء ولكن بالتعفف؛ والغَنِىّ فقير من المال"(٢).

ويقول ابن هشام: "إن المتبادر تعلق (مِنْ) بـــ (أغنياء) لمجاورته له؛ ويفسده أنهــم متـــى ظنّهم ظان قد استغنوا من تعففهم على أنهم فقراء من المال، فلا يكون جاهلا بحالهم، وإنما هى متعلقة بـــ (يحسب) وهى للتعليل"(٣).

وذكــر أبــو حيان أن (من) سببية وتتعلق بـــ (يحسبهم). وأنه قيل: إن (مِنْ) لابتداء الغاية أى من تعففهم ابتدأت محسبته ... وكونها للسبب أظهر".

---

(١) الكشاف ١/ ٢٤٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١: ٦٥: ٦٦.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢: ١٢١.

وقـد يفهـم هذا أن أبا حيان يمنع دلالة (مِنْ) على العلة والسبب مع دلالتها علـى الابـتداء. وهذا غير دقيق. والذى يغنينا أن أبا حيان لا يرى إلا تعلق (من) بـ (يحسبهم).

ثـم نقل قول ابن عطية: إن (من) لبيان الجنس وَعَقَّب عليه قائلا: وليس ما قالـه من أن (من) هذه فى هذا المعنى لبيان الجنس المصطلح عليه فى بيان الجنس لأن لهـا اعتبارا عند من قال بهذا المعنى وهو: حمل ما بعدها على ما قبلها – أى جعله خبرا عنه – ولا يصح هنا فلو قلت: يحسبهم الجاهل أغنياء الذى هو التعفف لـم يصح هذا التقدير. وكأنه سمى الجهة التى هم أغنياء بها بيان الجنس أى: بنيت بـأى جنس وقع غناهم بالتعفف لا غنى بالمال. فتسمى (من) الداخلة على ما يبين جهة الغنى لبيان الجنس، وليس المصطلح عليه لما قدمنا. وهذا المعنى يؤول إلى أن (من) سببية لكنها تتعلق بأغنياء لا بـ : يحسبهم"[1].

وقـد رددنا على هذا المعنى فضلا عما قررناه بل كررناه من أن جعل (مِنْ) لبيان الجنس يؤول إلى دعوى زيادتها وهذا لا يليق.

وبالـرجوع إلـى تفسير ابن عطية وجدت فيه أن (مِنْ) فى قوله تعالى: (من التعفف) لابتداء الغاية أى من تعففهم ابتدأ محسبته.

وليـست لبـيان الجنس لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف، وإنما يحسبهم أغنياء غناء مال، ومحسبته من التعفف ناشئة. وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة وهو الذى عليه جمهور المفسرين"[2].

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٣٢٨: ٣٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٣٦٩ وانظر حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ٢٠٢.

فـــابن عطية لم يذكر أن (من) لبيان الجنس فى هذه الآية ويبدو أن أبا حيان نسب إليه هذا الرأى هنا لأنه كثيرا ما ذكره فى معانى (من).

١٠- حصـــــن:

فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ ٨٠ الأنبياء. واللبوس : اللباس قال بيهى الملقب بـــ (نعامة).

ألبس لكل حالة لبوسها ∴ (إما نعيمها وإما بؤسها)

والمراد: الدرع قال قتادة: كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء. وتخفيف الصاد وتشديدها. فالـــنون لله عـــز وجـــل والتاء للصنعة أو اللبوس على تأويل الدرع، والياء الداود أو للبوس"(١).

فالدرع ابتداء التحصين من الشدة وعلته.

١١- حفـــــظ: فى ثلاث آيات هى:

قـــوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ١١ الرعد. وقوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ ١٧ الحجر. وقوله: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ ٧ الصافات.

ذكر الزمخشرى فى الأولى أن (من أمر الله) إما من صلة (معقبات) وإما من صـــلة (يحفـــظ). وعلـــى الثانى: يكون فيه ثلاثة أوجه ونص كلامه: والمعقبات :

---

(١) الكشاف ٢/ ١٠٢.

جماعـات من الملائكة تعتقب فى حفظه وكلاءته والأصل: معتقبات فأدغمت التاء فـى القاف كقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ ٩٠ التوبة بمعنى: المعتذرون. ويجوز (مُعقِبات) بكسر العين ولم يقرأ به. أو هو مُفعِلات من: عقبه إذا جاء على عقبه كما يقـال: قفاه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه : "وليس (مـن أمر الله) صلة لـ (حفظ) كأنه قيل: له معقبات من أمر الله. أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل أن الله أمرهم بحفظه. والدليل عليه قراءة على رضى الله عـنه وابـن عباس وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة: (يحفظونه بأمر الله) وهذا هو الوجه الأول.

أو يحفظونه من بأس الله وقُوّته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يهمله رجاء أن يتوب وينيب كقوله تعالى: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ٤٢ الأنبياء؛ وهذا هو الوجه الثانى.

وقـيل: المعقـبات الحـرس والجلاوزه حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديـره مـن أمـر الله أى مـن قـضاياه ونوازله. أو على التهكم به، وهذا هو الوجه الثالث"(١).

أما تعلق (من أمر الله) بـ (معقبات) فترتب عليه دعوى التقـديم والتـأخير والتقدير. وعلى الرغم من أن أبا حيان حكاه عن الفراء ومجاهد والنخعـى وابـن جـريج وأنهم جعلوه فى موضع رفع لأنه صفة لمرفوع وهو (معقبات) أقول: على الرغم من ذلك عقب عليه قائلا: "ولا يحتاج فى هذا المعنى إلى تقدير وتقديم وتأخير بل وصفت (المعقبات) بثلاث صفات.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٣، والجلاوزة جمع جلواز وهو الشرطى.

أحدهـــا: من بين يديه ومن خلفه أي: كائنة من بين يديه ومن خلفه.

والثانية: يحفظونه أى حافظات له.

والثالثة: كونها من أمر الله.

وإن جعلـــنا (مـــن بين يديه ومن خلفه) متعلقا بــ (يحفظونه) فيكون إذ ذاك (معقبات) وصفت بصفتين:

(**أحـــدهما**) يحفظونه من بين يديه ومن خلفه و(الثانية) من أمر الله أى كائنة مـــن أمر الله ثم ذكر أنه على جعل (من أمر الله) صلة لــ (يحفظونه) فعلى الوجه الأول تكون (من) تعليلية"[١].

وقال أبو البقاء: "وقيل (من) بمعنى الباء أى بأمر الله؛ وقيل بمعنى: عن"[٢].

وبالـــتأمل فـــيما سبق من نصوص يدرك الباحث أن النص على ما ورد به تنـــزيلا مـــن الله ذى الجـــلال والإكرام. ليس فى حاجة إلى ذاك العنت والإرهاق والـــتمحل لكـــل مـــا يحـــتمل مـــن احتمالات ولو لم تكن ذات معنى لائق بجلال النص وقدسيته.

وحسبنا أن ننتبه إلى الصورة التى ورد بها النص وهى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ١٠ ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ١١ الرعد.

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٣٧٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٣.

فالآيـــتان يثبتان ما يكون عليه بنو آدم فى طريقة نطقهم وتقلبات أحوالهم من ستر وغيره. فسواء أكان نطقهم سرا وجهرا وسواء أكان تقلبهم فى الأرض ليلا أو نهارا فإن الحفظة يتعاقبون أى يعقب بعضهم بعضا على حفظهم وكلاءتهم ويفسره قوله عليه الصلاة والسلام: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ......"(١).

وفى هذا المعنى من الدقة والحكمة ما ليس فى غيره مما يرادفه لأن الملائكة فى حفظهم ومراقبة البشر يأتى بعضهم عقيب بعض كأنه ملاصق لعقبه فهم – أى البشر – ليسوا مهملين من كلاءة الله لهم طَرْفة عين أو أقل من ذلك.

ونسق الآية يثبت أن هؤلاء الملائكة من بين يدى الإنسان ومن خلفه فالظرف (من بين يديه ....) مرتبط بـــ (معقبات). ثم إن هؤلاء المعتقبين يحفظون الإنسان من أمر الله.

وبـــذلك يكـــون نسق الآيتين مفهوما معناه بما ورد عليه دون تقديم بعـــض كلماتـــه علـــى بعـــض أو تعـــديل فى نصه. وعليه لابد من وقفة مع ما سبق من نصـــوص العلماء.

(أ) قول الزمخشرى: "وليس (من أمر الله) صلة لـــ (حفظ) كأنه قيل: له معقبات من أمر الله" ففى هذه الفقرة يثبت أن (من أمر الله) صلة أى مرتبط فى معناه بمعنـــى (معقبات). ويترتب على ذلك الفصل بينهما بجملة (يحفظونه). وأرى ألا داعـــى إلـــى ذلك. وكأنى بالزمخشرى قد عاد فى كلامه حينما قال عقيب الـــنص الـــسابق : "أو يحفظونه من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة .. بعضهم (يحفظونه بأمر الله).

---

(١) انظـــر هدايـــة البارى إلى ترتيب صحيح البخارى ٢/ ٣٤٦ وصحيح مسلم بشرح النووى، المجلد الثانى ص ٢٧٨.

وهــذا الــنص هو الجدير بالقبول إذ به يُحفظ من دعوى الفصل بين الظرف ومتعلَّقة. وفضلا عن ذلك يثبت أن (مِنْ) للابتداء مع التعليل. فتكون الباء فى قــراءة (يحفظــونه بأمر الله) تعليلية فيلتقى الحرفان فى هذا المعنى غير أن (مِنْ) تفوق الباء بدلالتها على الابتداء مع التعليل.

(ب) ذكــر الزمخــشرى وجها ثانيا وخلاصته: أن هناك مضافا ملحوظا فعبارته: (أو يحفظــونه مــن بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يهمله رجاء أن يتوب. وهذا معنى واضح نابع من نسق النص فلا غضاضة من ملاحظة المضاف إذ ذلك ضرب من الإيجاز.

(جـ) أما قوله (وقيل: المعقبات الحرس والجلاوزة – الشرطة – حول السلطان ... الخ) فالنص ليس فى حاجة إليه لأنه عام فى أفراد البشر– من بعيد أو قريب – إلى نوع معين منهم.

(د) وأمــا نــص أبى حيان ففيه مأخذ تقدير (كائنة) مع (من بين يديه ومن خلفه) ومــع (مــن أمــر الله) والنص فى أشد الاستغناء عنه إذ كل من (معقبات) و(يحفظ) صالح لارتباط الظرف به دون تقدير أىّ شئ ففى هذه التقدير تكدير لصفاء النص. وشتان بينه وبين قول الزمخشرى (من باس الله) أى من بأس أمره كما فى قوله تعالى: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ٤٢ الأنبياء فقد ذكر الزمخشرى تقديره: من بأسه وعذابه[1].

(هـ) ذكر أبو البقاء أن (من) بمعنى الباء أو بمعنى: عن. وقد عرفنا أنه لا حاجة إلــى الأول. أمــا معنــى (عن) فلست أدرى وجها له لأننا قد حققنا فى هذه الدراسة أن (عَنْ) اسم ومعناها مجاوزة شئ لشئ فهل يجوز هذا المعنى هنا ؟ أرى أن الجواب بــ (لا) البتة.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٩٤.

(و) وهناك من ذكر معانى قريبة مما سلف ذكره. ومنها: يحفظونه من أمر الله أى من تلك الجهة وقع حفظهم له أى حفظهم إياه إنما هو من أمر الله كما يقال: هذا من أمر الله. عن سعيد بن جبير"[١].

ولا يخرج هذا عن معنى الابتداء لأن ابتداء حفظهم هو أمر الله لهم.

ومنها: أن المراد (من أمر الله): الجن والإنس. قال أبو البقاء فتكون (من) على بابها[٢] أى ابتدائية تعليلية.

ولا يخرج عن هذا ما قاله ابن الأنبارى ونصه: "يعنى: أن يراد بـ (أمر الله): نفس ما يحفظ منه كَمَرَدَة الإنس والجن فتكون (من) لابتداء الغاية"[٣].

هذا عن آية الرعد؛ أما آيتا الحجر والصفات (وحفظناها من كل شيطان رجيم) (وحفظاً من كل شيطان مارد).

يعنى الأولى وضوح فلا تحتاج إلى ببيان. وفى آية الصفات يقول الزمخشرى: "وحفظا: مما حمل على المعنى، لأن المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ ٥ الملك ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل: وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب. وقيل: وحفظناها حفظاً.

والمارد: الخارج من الطاعة المتملس منها. أى المنفلت يقال: انملس من الأمر إذا أفلت منه[٤].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٩٤.

(٢) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٧٠٠.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٣.

(٤) الكشاف ٤/ ٤٧ وهامشها.

فـــ (مـــن) فـــى الآيتين ابتدائية تعليلية أو المعنى أن: ابتداء الحفظ وعلته هو الشيطان.

١٢- حــــــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله ﴾ ٣٥ فاطر.

نقـــل الجمـــل عن السمين قوله: "من: يتعلق بـــ (أحلنا) وهى إما للعلة وإما لابتداء الغاية"(١).

ومقتضى هذا أن التعليل ينافى ابتداء الغاية. والحق غير ذلك كما حققنا وكما نص عليه كثير من العلماء.

١٣- حاجـــــة:

فـــى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ ٩ الحشر.

أى ولا يعلمـــون فى أنفسهم حاجة مما أوتوا أى طلب محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الفئ وغيره. والمحتاج إليه يسمى حاجة يقال: خذ منه حاجتك"(٢).

وقيل: التقدير: لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فَقْد ما أوتوا(٣).

ففـــيه تقديـــر مضاف فى (مس حاجة) وفى (فقدنا ما أوتوا) وكأنى بقائل هذا يعنى بالحاجة: الفقر أو الضيق. وعلى كل فـــ (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) حاشية الجمل ٣/ ٤٩٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٤٠٣.

(٣) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٥٨.

١٤- حَـادَ:

في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ١٩ ق.

قال الأزهري: "والرجل يحيد عن الشئ إذا صدَّ عنه خوفا أو أنفة"(١).

وصدر الآية : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ ...... ﴾ والكافر يحيد عن الموت فزعا وخوفا وعن الحق أنفة وكبرا. وأما المؤمن فيحيد عن الموت حرصا على استكثار العمل الصالح وطلب التوبة والمغفرة لما ارتكب من إساءات وسيئات.

و (منه) لا يمتنع أن يتعلق بـ (كان) من (كنت) إذ فيه معنى الحدث.

ولكنه ضعيف لأنه – مع دلالته على الحدث – لا يشتمل على معنى الحركة. ومن ثم أرى أن فيه معنى ابتداء الحيد وتعليله. وقد يعنى بذكر علة الشئ قبله. وخاصة إذا كان معناه واضحا. ومما يثبت وضوحه هنا علامة الإضمار في (منه) فهي تثبت أن المراد (سكرة الموت) بل (الموت).

١٥- يستحي: مرتين:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ ٣٥ الأحزاب.

قال الزمخشري: "لابد في قوله (فيستحي منكم) من تقدير المضاف أي من إخراجكم. بدليل قوله (والله لا يستحي من الحق) يعني: أن إخراجكم حق ما ينبغي

---

(١) انظر اللسان ٣/ ١٥٩.

أن يُستَحيا منه. ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الأفعال قيل (لا يستحيى من الحق) بمعنى: لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم"[١].

وإنما قدر الزمخشرى (من إخراجكم) لأن هذا النص من آية صدرها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ .... الخ﴾.

فالآية تنهى المؤمنين عن دخول بيوت النبى صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن يأذن لهم إلى طعام ينتظرون (إناه) أى وقته. وذلك أن الرسول عليه السلام أولَم على زينب بتمر وسويق وشاة. وأمر أنسا رضى الله عنه أن يدعو بالناس. فدخلوا أفواجا فوجا بعد فوج ليأكلوا إلى أن قال أنس: يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه. فقال: ارفعوا طعامكم وتفرق الناس. وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا. فقام رسول الله عليه السلام ليخرجوا. وطاف بحجرات أزواجه فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى؛ فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزل (ولا مستأنسين لحديث) نهيا لهم عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به. أو عن أن تأنسوا حديث أهل البيت. واستئناسه: تَسَمُّعه وتوجسه. و (مستأنسين) معطوف على (ناظرين إناه).

تلكم خلاصة القصة التى شَرَحَتْها هذه الآية على ما ذكره الزمخشرى[٢]. ثم إن قوله (فيستحيى من إخراجكم) يشير إلى أن (من) ابتدائية تعليلية فإخراجهم هو

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٣٨.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٤٣٨.

ابتداء استحيائه عليه السلام وعليه معا. وفى (والله لا يستحيى من الحق) إشارة إلى أن إخراج الرسول لهم حق. والحق لا يستحيى منه أحد. إذ أن الله ذاته لا يستحيى منه. ومعنى (مِنْ) واضح.

١٦- خبـــط:

فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ ٢٧٥ البقرة.

يرى الزمخشرى أن (من المس) متعلق إما بـ (يقومون) وإما بـ (كما يقوم) (١) وعلى هذا يكون نسق الآية: لا يقومون من المس إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان. أو: لا يقومون إلا كما يقوم من المس الذى تتخبطه الشيطان. وهذا واضح التهافت بيِّن الغموض فى الدلالة على المعنى؟

ومن ثم ضَعَّفه أبو حيان لوجهين:

أحـــدهما: أنه قد شرح المس بالجنون. وكان قد شرح أن قيامهم لا يكون إلا فـى الآخرة وهناك ليس بهم جنون ولا مس. ويبعد أن يكون عبر بالمس الذى هو الجـنون عـن أكـل الربا فى الدنيا فيكون المعنى: لا يقومون يوم القيامة أو من قـبـورهم مـن أجـل أكل الربا (كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) إذ لو أريد ذلك المعنـى لكان التصريح به أولى من الكناية عنه بلفظ (المس) إذ التصريح به أبلغ فى الزجر والردع.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٤٥.

الـــوجه الثانـــى: أن مـــا بعـــد (إلا) لا يتعلق بما قبلها إلا إن كان فى حيز الاســـتثناء. وهذا ليس فى حيزا الاستثناء. ولذلك متعوا أن يتعلق (بالبينات والزبر) بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾ ٤٣: ٤٤ النحل"[١].

ولهـــذا يـــرى أبـــو البقاء أن (من المس) متعلق بـــ (يتخبطه) أى من جهة الجنون[٢].

وعليه فـــ (من) ابتدائية تعليلية.

١٧- خـــرج:

فى قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ٢٢ الحج.

فـــ (منها) الأولى تدل على الابتداء بدون تعليل. وأما الثانية فتفيدهما معاً. ومـــع وضـــوح ذلك نرى أبا البقاء يتردد فيقول: "من غم: بدل – يعنى من (منها) بإعادة الخافض بدل الاشتمال. وقيل: الأولى – يعنى: منها – لابتداء الغاية. والثانية (من غم) بمعنى: من أجل"[٣].

وواضح أنه يجعل (من) التعليلية مجردة عن معنى الابتداء ؟ وهذا غير سديد إذ (مـــن) الحـــرفية لا يفارقها هذا المعنى. ثم قد تشير إلى التعليل. فتكون لابتداء الحدث مع تقليله.

هـــذا: ويـــرى ابن هشام أن (مِنْ) فى الآية إذا كانت تعليلية يجوز تعلقها بـــ (أرادوا) وبـــ (يخرجوا)[٤].

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٣٣٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٦.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٧٤.

(٤) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨.

ومقتضى ذلك أن تكون تعليلا للإرادة أو للخروج. ولكنى أرى أن الثانى هو المعقـول المقبول. ولهذا وجدت الشهاب الخفاجي يقتصر على معنى التعليل وتعلق (مـن) بـــ (يخـرجوا) ونصه: "من غم: (من) للتعليل متعلقة بــ (يخرجوا) أى يخـرجوا من أجل الغم. والإرادة هنا مجاز عن القرب. والراء: أنها – أى النار – تـرفعهم وترميهم إلى أعلاها فلا خروج لهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ ﴾ ٣٧ المائدة. ولهذا قال (أُعِيدُوا فيها) دون (إليها).

وبعضهم أبقى الإرادة على حقيقتها وأجاب عن قوله (وما هم بخارجين منها) بأنهم لا يستمرون على الخروج؛ وبأن العود قد يتعدى بــ (فى) للدلالة على التمكن والاستقرار. وذكر الإرادة للدلالة على رغبتهم فى الخروج أ.هــ"[١].

وهــذا هو الأجدر بالقبول إذا الأصل أن يكون اللفظ دالا على معناه بالحقيقة لا بالمجاز.

هــذا: وممــا ينبغــى الالتفات إليه والتنبيه عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ ٢٠ السجدة.

فلـم يذكــر هنا (من غم) كما ذكر فى آية الحج. وقد تنبه إلى ذلك الخطيب الإسكافى فقال: "إنه تعالى لما وصف من أحوال أهل النار فى سورة الحج فى الآية المتـضمنة هــذه اللفظة بقوله: : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ

---

(١) انظر حاشية الجمل ٣/ ١٦٠.

يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ . يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ . وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٍ ﴾ ١٩: ٢٠.

فأخبر أن النار تشتمل عليهم من جوانبهم كاشتمال الثياب ... فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم صاروا بإحاطة ذلك بهم وسدّ أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالكمامة التى تسد نفسه فلم يجد فرجة. والطبق المغموم: المستور. قال القطامى:

إذا رأس رأيت به طماحا ∴ سددت له الغمائم والصفاحا

وليس الغم ههنا الحزن وإن كان أصله من ذلك. لكنه تغطيتهم بالعذاب والأخذ بكظمهم فلما تقدم وصف ما أحاط بهم ذكر هذا الغم أى كلما أرادوا من الكرب الذى أخذ بكظمهم أن يخرجوا من النار التى جَلبَتْ علَيّهِم كل ذلك أقبلت الزبانية نحوهم بما يدق رءوسهم.

والآية التى فى سورة السجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب بهم من ذكر الثياب من النار وصب الحميم وإذابة الشحوم ما ذكر فى هذه الآية. قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ ﴾ فلما لم يتقدم ذكر ما يطيف بهم ويغمهم ويصير كمًّا يسد مخارج أنفاسهم لم يذكر أنهم يحاولون الخروج من أجل الغم الذى اقتضت الآية فى الحج ذكره ولم يقع مثله فى سورة السجدة من مقتض"(١).

والذى يتأمل هذا النص يدرك أن (من غم) فى آية الحج مرتبط بـ (أرادوا) لا بـ (يخرجوا) حيث قال الإسكافى: (أى كلما أرادوا من الكرب ... الخ). وقد

---

(١) درة التنزيل ٢٥٢: ٢٥٣.

عـرفنا ما فيه من ضعف هذا: وربما يقال فى مقام الآيتين معاً أن (من غم) ذكرت فـى الأولى ولم تذكر فى الثانية للعلم بها من الأولى. إذ القرآن يكمل بعضه بعضا كما قررنا وكررنا. ولكن ما ذكره الإسكافى أدق حيث يجعل لذكر ما زيد ذكره فى مقامه معنى يقتضيه المقام.

١٨- خشــــع:

فـى قـوله تعالــى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ ٤٥ الشورى.

قـال الألوســى: "مـن الذل: أى بسبب الذل لعظم ما لحقهم فـ (من) سببية متعلقة بـ (خاشعين).

وجُـوِّز أن يُعلَّـق الجـار بقـوله (ينظرون من طرف خفى) ويوقف على: خاشعين. والأول أظهر"(١).

ولا يخفـى علـى القـارئ أن تقدير النص على القول الثانى هو: (من الذل ينظرون من طرف خفى) وهذه دعوى باطلة لما فيها من تقديم وتأخير.

١٩- خفــض:

فــى قــوله تعالــى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ ٢٤ الإسراء.

ذكر السمين – كما نقله عنه الجمل – أن فى (من) ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها للتعليل فتعلق بـ (اخفض) أى اخفض من أجل الرحمة.

---

(١) روح المعانى ٧/ ٥٣٤.

الثاني: أنها ابتدائية قال ابن عطية أى هذا الخفض يكون ناشئا من الرحمة المستكنة فى النفس.

الثالث: أنها فى محل نصب على الحال من : جناح"[١].

وفى هذا النص دعويان لا تليقان.

إحداهمـا: دعوى أن (من) إما ابتدائية وإما للتعليل. وقد عرفنا أنها تفيدهما معاً.

والأخرى: دعوى أن (من) فى محل نصب على الحال من (جناح الذل) ولم يوضح نـوعها حينـئذ لأنها تكون اسما بمعنى (بعض) ومقتضى هذا أن يكون المعنى: واخفض لهما جناح الذل حالة كونه بعض الرحمة. فكيف يكون الجناح بعض الرحمة ؟!

وكان الزمخشرى أدق تعبيرا حينما قال: "إن هذا إشارة إلى أن (من) ابتدائية على سبيل التعليل"[٢].

وزاد أبو البقاء وأبو حيان على كونها ابتدائية تعليلية أنها حال من : جناح[٣].

ولم يوضحا معنى (من) على كونها حالاً. وذلك لأنهما – كغيرهما– يجعلانها متعلقة بـ (كائنا) التى يقدرونها غالبا. والحق أن النص ليس محتاجا إليه.

هـذا: ويرى ابن عطية أن (من) لبيان الجنس أي أن هذا الخفض يكون من الـرحمة المـستكنة فـى النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا. ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية[٤].

---

(١) حاشية الجمل ٣/ ٧٤٣ وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٥١٣ وانظر حاشية الشهاب الخفاجى ١/ ٢٤ .

(٣) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٨ والبحر ٦/ ٣٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٩ وانظر البحر ٦/ ٢٨.

قال في الكشف: "ولا تحتمل البيان حتى يقال: لو كان كذا لرجعت الاستعارة إلى التشبيه. إذ جناح الذل من الرحمة أبدا. بل خفض جناح الذل جائز أن يقال: إنه رحمة وهذا بين انتهى.

قال الشهاب: "يعني أنه لو كان بيانا لكان على سبيل التجريد وهو من أقسام التشبيه. وهم قد صرحوا بأنه استعارة"(١).

ولعل القارئ على ذُكْر مما كررناه من أن (من) لا تكون لمعنى البيان استعارة كان أو تشبيها لأن يترتب عليه أنها زائدة.

٢٠- خفي: ثلاث مرات في آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ١٠٨ النساء. وقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ ٥ هود.

فَسَّر الزمخشري (يستخفون من الناس) بـ (يستترون) و (لا يستخفون من الله) بـ (لا يستحيون)(٢) .

قال الألوسي: "وإنما فسر الاستخفاء منه بالاستحياء لأن الاستتار منه عز وجل محال فلا فائدة في نفيه ولا معنى للذم في عدمه؛ وذكر بعض المحققن أن التعبير بذلك من باب : المشاكلة"(٣).

وسواء أكان المعنى: الاستتار والاستحياء فمعنى (من) هو الإبتداء أي ابتداء التعليل.

---

(١) انظر البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ٤/ ١٢٧.

(٢) الكشاف ١/ ٤٣٧.

(٣) روح المعاني ٢/ ١٧٤.

أمـــا (ألا إنهـــم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) فالذى ينبغى أن يكون معنى (ليـــستخفوا مـــنه) هـــو (ليـــستتروا منه) ولكن الزمخشرى لم يذكر ذلك بل قال: "يَـــزْوَرُّون عن الحقّ وينحرفون عنه (ليستخفوا منه) يعني: ويريدون ليستخفوا من الله فلا يُطْلِع رسوله والمؤمنين على أوزارهم"[١].

ويـــريد بـــ (يَزْوَرُّون) معنى (يثنون صدورهم) وثَنْي الصدور ينطوى على معنـــى: طَيِّها حتى لا يتضح ما أضمروه فيها. وبذلك يتسنى لهم – حسب ظنهم – أنهم قد استخفوا على الله فلا يرى ما فيها وهيهات لأنه: ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٥ آل عمران. و ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ ١٩غافر. وبذلك يثبت أن (من) لابتداء وتعليل الحدث وهو الاستخفاء.

٢١- خـــاف: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ ١٢٨ النساء. وقوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ٥٨ الأنفـــال. وقـــوله: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ ٨٣ يونس. وقوله: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ ١٠ الإنسان.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٦.

فمعنـــى قــوله (خافــت من بعلها) توقعت من جهة زوجها وبسببه (نشوزا) مجافاة عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التى بين الرجل والمرأة. وأن يــؤذيها بسبٍ أو ضرب. وأن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها. فلا بأس بهما فى أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا ....."[1].

وكــذلك آيــة الأنفــال فالمعنى: إن خفت أى توقفت يا محمد من جهة قوم وبسببهم خيانة فانبذ عهدهم إليهم ...

وفـــى آيـــة يونس قوله (ذرية من قومه) و (من) اسم بمعنى بعض. ثم قوله (خوف من فرعون...) أى من الهته وبسببه وفى آية الإنسان أن الأبرار دائما على خوف من جهة ربهم وبسببه.

٢٢- خــــال:

فى قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ ٦٦ طه.

وهى فى شأن موسى مع شجرة فرعون لأنهم لما ألقوا حبالهم وعصيهم خُيِّل إلــيه من سحرهم وبسببه أنها أشياء حية تسعى. وذلك لما ذكره الزمخشرى من أنه يــروى: أنهــم – أى سحرة فرعون – لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك[2].

٢٣- درجــــــة: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ ١٣٢ الأنعام، ١٩ الأحقاف.

---

(١) انظــر الكشاف ١/ ٤٤٢: ٤٤٣. ومما ينبغى التنبيه إليه أن مادة (خاف) وتصاريفها الواردة فى سورة النساء بمعنى : علم.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٧.

يقول الزمخشرى : "ولكلٍ من الجنسين المذكورين منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا منهما"(١).

ويــبدو من هذا النص أن: الدرجات بعض جزاء أعمالهم. وعليه تكون (من) اسما بمعنى (بعض) فى محل رفع نعتا لـــ (درجات).

أو أنهـــا مـــن أجل عملهم. وعليه تكون (من) ابتدائية تعليلية وذكر البيضاوى نحوا من هذا حيث قال: "من أعمالهم، أو من جزائها، أو من أجلها".

قـــال الـــشهاب: "فــ (من) على الأول: ابتدائية، وعلى الثانى: بيانية بتقدير مضاف، وعلى الثالث: تعليلية"(٢).

وقد علمنا أن معنى البيان غير سديد لما فيه من الحكم على (من) بالزيادة.

كمـــا حققنا أنه لا فرق بين دلالة (من) على الابتداء مع التعليل لأن التعليلية ابتدائية على التحقيق الذى قدمناه.

وبالـــتأمل فـــى نص البيضاوى يتضح أن (من) فى (من أعمالهم) وفى (من جـــزائها) اســـمية بعـــضية وتعـــرب نعتا فى محل رفع. وفى (من أجلها) حرفية ابتدائية تعليلية.

هذا: ومما يثبت قيمة التعبير بـــ (من) فى الآيتين قول الدكتور أمين الخولى: "إن هاتـــين الآيتين تبيين لأصل أصيل من الأصول العامة لبناء المجتمع .. فانظر لقـــوله: "درجـــات مما عملوا" وإقامته التقدير على العمل، وتعبيره بأن المنزلة من العمل: (مما عملوا) فللفظ (من) فى هذا التعبير قوة واضحة لا تجدها فى مثل قولك

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣، ٤/ ٢٤١.

(٢) تفسير البيضاوى وحاشية الشهاب عليه ٤/ ١٢٧.

(درجـات بمـا عملـوا) أ, (فيما عملوا) أو (من جنس ما عملوا) وما إلى ذلك من عبارات؛ فالمنزلة من العمل هو: أصلها ومنشؤها وهى منه منتزعة"[١].

ألـيس فـى ذلك حجة واضحة وبرهان ساطع على أن الكلمة فى القرآن لا يجـوز الاجتـراء عليها أو التلاعب بها فيزعم زاعم أنها بمعنى غيرها فضلا عما يتوهمه من زيادتها ؟!!

٢٤- ركـض:

فـى قـوله تعالـى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴾ ١٢ الأنبياء.

قال الزمخشرى: "فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فـيها ركـضوا عن ديارهم . والركض : ضرب الدابة بالرِّجل. ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ ﴾ ٤٢ ص فـيجوز أن يـركبوا دوابهـم ويركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب.

ويجـوز أن يُـشبَّهوا فـى سرعة عَدْوِهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم: لا تركضوا"[٢].

فإذا عاد الضمير على القرية كانت (من) ابتدائية؛ ويمكن عوده على (البأس) وهو شدة العذاب فتكون (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) من هدى القرآن ص ٦٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٨٣.

٢٥- راب: فى آيتين هما:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ٢٣ البقرة. وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ .... الآية ﴾ ٥ الحج. والآية الأولى فى سياق قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ .... ﴾ والثانية فى سياق قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ ..... الخ ﴾.

ذكر أبو البقاء فى الأولى: "أن (مِنْ) يجوز تعلقها بمحذوف صفة لـ (ريب) ويجوز تعلقها بـ (ريب) أى ارتبتم من أجل ما نزلنا"(١).

ولا يخفى أن الثانى هو الأليق بالنص القرآنى إذ لا فائدة فى تعلقها بـ (كائن) التى عُهد تقديرها كثيرا عند النحاة. وقد أغفل أبو البقاء ذكر معنى (من) على الأول. وكأن تعلقها بـ (كائن) المقدرة قد وأد هذا المعنى. وهذا ما يمنع القول به.

وأما قوله على الثانى (أى ارتبتم من ما نزلنا) فهو اعتراف وتوضيح لمعنى (من) وإن كان ظاهره أنها تعليلية فقط أى أنها لا تدل على الابتداء. وهذا ما جعل الجمل يذكر أن معناها على الثانى: التعليل. وعلى الأول السببية أو ابتداء الغاية"(٢).

ولما كان الفرق بين (التعليل) و(السبب) غير واضح على ما حققنا ذلك. فالجمل يسير فى ركاب أبى البقاء على أنهما لا يجتمعان فى (من) أى الابتداء والتعليل. وهذا غير دقيق.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣.

(٢) حاشية الجمل ١/ ٣٢.

وضعف أبو السعود السببية قائلاً: "وجعلها للسببية يوهم كون المنزَّل محلا للريب وحاشاه"(١).

ولست أدرى ما المراد بهذا التعبير ؟ إن الثابت أن الكفار وغيرهم ممن لا يؤمنون برسالة محمد صلي الله عليه وسلم. لا يرتابون فى شخص محمد. وإنما الريب فيما نُزِّل عليه وهو (الكتاب) الذى قال الله فيه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ ٢ البقرة.

ومما يفهم من نص أبى السعود أنه يجرى فى غبار من يزعمون أن معنى: التعليل لا يجتمع مع معنى ابتداء الغاية. والحق أنها – أى: من – لابتداء هذا التعليل. فهى ابتدائية تعليلية.

وربما يطرأ على ذهن بعض القرأة أن (من) هنا بعضية. والحق أنها ليست كذلك ومن ثَّم منعه أبو حيان(٢). وما قيل فى آية البقرة ينطبق على آية الحج. غير أن الريب فى الأولى بشأن القرآن وفى الثانية فى شأن البعث.

٢٦- زال:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ٤٦ إبراهيم.

ذكر الزمخشرى: أن (إن) إما شرطية أى: وإن كان مكرهم مُسَوًّى لإزالة الجبال مُعَدًّا لذلك. وإما نافية والمعنى: لا محال أن تزول الجبال بمكرهم. والجبال: مَثَلٌ لشرائع الله وآياته. وتنصره قراءة ابن مسعود: وما كان مكرهم.

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/ ٢٠٠.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٠٣.

وقرئ: لتزول بفتح اللام وهى لام الابتداء لا لام التعليل على أن (إن) شرطية. والمعنى: وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال، وتنقلع من أماكنها.

وقرأ على وعمر رضى الله عنهما: وإن كاد مكرهم"[١].

وعلى جميع القراءات المذكورة يكون معنى (من) الابتداء للتعليل.

٢٧- سـئم:

في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ ٤٩ فصلت.

يقول الزمخشرى: "من دعاء الخير: من طلب السعة فى المال والنعمة وقرأ ابن مسعود: من دعاءٍ بالخير. (وإن مسه الشر) أى الضيقة والفقر (فيئوس قنوط) بولغ فيه من طريقين: من طريق بناء: فعول؛ ومن طريق التكرير؛ والقنوط : أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى ينقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ٨٧ يوسف"[٢].

و (رَوْح الله) بالفتح فَرَجُه وتنفيسه. وقرأ الحسن وقتادة (من رُوح الله) بالضم أى من رحمته التى يحيا بها العباد[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٠ بتصرف.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٣) انظر الكشاف ٢/ ٣٨٩.

ومما ينبغى ملاحظته أن (من دعاء الخير) من إضافة المصدر إلى المفعول. وأصله: من دعائه الخير. وأنه لابد من فرق بين اليأس والقنوط فاليأس شعور نفس بالضيق والحرج وقد لا يظهر أثره على الوجه. والقنوط : ظهور هذا الأثر عليه. وأما السأم فهو شدة الملل. و (من) فى الآية لابتداء التعليل أى أن الإنسان لا يتسرب إلى نفسه شئ من السأم لدعائه بالخير لنفسه.

٢٨- سبح:

فى قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾

١٣ الرعد.

يقول الزمخشرى: "ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أى يضجون بـ (سبحان الله والحمد لله) ... وعن ابن عباس رضى الله عنه أن اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن: الرعد فقال: هو ملك من الملائكة مُوكَّل بالسحاب معه مخاريق - جمع مخراق وهو منديل يُلَفُّ ليُضرب به - من نار يسوق بها السحاب. وعن الحسن: خلق من خلق الله ليس بملَك .... (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله.

وفى هذا ذكر الله علمه النافذ فى كل شئ واستواء الظاهر والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته"(١).

ويستنبط من هذا النص أن معنى (الرعد) إما الذى نسمعه فى حالات معينة عند وابل المطر وغزيره. وعلى هذا المعنى يكون هناك مضاف يدركه العقل ألا وهو (سامع الرعد). وإما أن يكون ملكاً من الملائكة. مُوَكَّلا بالسحاب يسوقه. وإما أن يكون خلقا من خلق الله ليس بملك. وعلى هذين يُسْنَدَ إليه التسبيح تحقيقا لقوله

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٣: ٤٠٤.

عز وجل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ ٤٤ الإسراء.

وهو إسناد على الحقيقة لا يتطرق إليه احتمال المجاز. ومن المعهود اقتران التسبيح بالتحميد أى يقال: سبحان الله والحمد لله.

وفى الباء من (بحمده) عدة احتمالات ذكرها ابن هشام حيث قال: "وقد اختلف فى الباء من قوله: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ ٩٨ الحجر. فقيل: للمصاحبة والحمد مضاف إلى المفعول أى فسبحه حامدا له أى نزهه عما لا يليق به وأثبت له ما يليق به.

وقيل للاستعانة. والحمد مضاف إلى الفاعل أى: سبحه بما حَمِدَ به نفسه إذ ليس كل تنزيه بمحمود .... واختلف فى (سبحانك اللهم وبحمدك. فقيل جملة واحدة على أن الواو زائدة. وقيل: جملتان على أنها عاطفة. ومتعلّق الباء محذوف أى وبحمدك سبحتك وقال الخطابى: المعنى وبمعونتك التى هى نعمة توجب علىَّ حمدك سبحتك لا بحولى وقوتى. يريد : أنه مما أقيم فيه المسبب مقام السبب. وقال ابن الشجرى: ﴿ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ ٥٢ الإسراء هو كقولك: أجبته بالتلبيه. فتجيبونه بالثناء إذا الحمد: الثناء. أو الباء للمصاحبة متعلقة بحال محذوفة أى معلنين بحمده. والوجهان فى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ ٩٨ الحجر.

وذكر الأمير أن السببية بمعنى التعليل. وأن باء المصاحبة يعبر عنها بالملابسة وباء الحال[1].

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٩٧. وهامشها.

فهــل هذه المعانى تحتمل فى (ويسبح الرعد بحمده) ؟ أرى أن اللائق بها أن تكون للمصاحبة أى يسبح الرعد مع حمده إذ فى ذلك الجمع بين شيئين من ذكر الله وهو التنزيه والحمد.

وكأنــى بآية الرعد التى هى مناط بحثنا جعلت تسبيح الرعد مصحوبا بحمد الله. وعلى حين جعلت تسبيح الملائكة من خيفته. وفى هذا إثبات الفرق بين الكائن الحى كالمَلَك وغيره كالرعد. إذ الخوف من صفات الأول لا الثانى.

فـ (من) ابتدائية تعليلية أى لابتداء التعليل.

٢٩- ســـوم:

فى قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ٢٩ الفتح.

قال ابن فارس: "السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشئ يقال: سمت الــشئ أســومه سوما. ومنه : السوم فى الشراء والبيع. ومن الباب سامت الراعية تــسوم وأسمتها أنا. قال الله تعالى: "فيه تسيمون" أى تُرعَوْن. ويقال: سَوَّمت فلانا مالـــى تــسويما إذا حَكَّمـــته فـــى مالك وسوَّمت غلامى: خلَّيته وما يريد. والخيل المــسَوَّمة: المرســلة وعليها ركبانها .. والسيما: مقصور من ذلك قال الله سبحانه ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ فإذا مدُّوه قالوا: السيماء"[١].

ويقول الزمخشرى : "علامتهم من التأثير الذى يُؤَثِّره السجود"[٢].

وفـــى لــسان العرب: "والأصل فى (سيما) وِسْمى فحولت من موضع الفاء فوضعت فى موضع العين كما قالوا: ما أطيبه وأيطبه فصار سِوْمى.

وجعلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها"[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١١٨: ١١٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٥.

(٣) لسان العرب ص ٢١٥٨.

٣٠- شـفق: فى ثمانى آيات هى:

قـوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ ٤٩ الكهـف. وقـوله: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ ٢٨ ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ ٤٩ الأنبياء. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ ٥٨ المؤمـنون. وقـوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ ٧٢ الأحزاب. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ ١٨ ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ ﴾ ٢٢ الشورى. وقـوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ ٢٧ المعارج.

ونصوص هذه الآيات باعتبار موضع وموقع (من) نوعان:

الأول: ذكرها بعد صيغة الإشفاق وذلك فى الآيات: ٤٩ الكهف، ٧٢ الأحزاب، ١٨ ، ٢٢ الشورى. فهذه أربع آيات.

والثانى: أربع آيات أيضاً وهو ما ذكرت (من) قبل صيغة الإشفاق وهى: ٢٨: ٤٩ الأنبياء، ٥٨ المؤمنون، ٢٧ المعارج.

وواضح أن (من) فى الجميع لابتداء التعليل. وعلى الرغم من ذلك نرى ابن عطية يزعم أنها لبيان جنس الإشفاق، والإشفاق إنما هو من عذاب الله[١].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٧ والبحر المحيط ٦/ ٤١٠.

ولا يخفى على القارئ أن هذا المعنى يترتب عليه زعم زيادة (من) وهذا الزعم – كما يقال ، مطية الكذب.

والذى نريده هنا هو التنبيه على أن ذكر (من) قيل (مشفقون) لا يترتب عليه ضعف فى المعنى بل الحقيقة أن المقام يقتضى ذكرها مقدما. ولعل السر فى ذلك أنها مقترنة فى الآيات الأربع بما يستدعى ذلك وهو: (من خشيته) و (من الساعة) و (من خشية ربهم) و (من عذاب ربهم). فهل هنا أقوى من ذلك داعيا إلى ذكر الظرف أولا !! كلاً والدليل على ذلك أننا قد ألفنا من النحاة ذكر جزء الجملة وهو (الخبر) قبل مبتدئه للعناية والاهتمام.

هذا: ومما ينبغى التنبيه إليه لتبيين حقيقة معناه قوله: ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ .

فالمشهور أن الإنسان حمل الأمانة بمعنى قبلها مع ثِقل حملها. وبهذا يكون قد أطاع الله ولم يعصه. وبذلك يستحق المدح والحمد ولكن الآية قد جاءت بعكس ذلك حيث وصفته بأنه ظلوم جهول. أليس كذلك !!

وقد لفت هذا ذهن الزمخشرى رحمه الله وأثابه ففتش عن معنى (حمل) فى : ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ وحقق أن معنى الحمل الخيانة حيث قال: "وأما حمل الأمانة فى قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد: أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عنه ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ... فإذا أداها خلت ذمته منها ولذا يقال: ابغض حق أخيك لأنه إذا أبغضه أخرجه وأداه. وإذا أحبه لم يخرجه.

وبذلك يكون معنى الآية أن السماوات والأرض والجبال أدت الأمانة وأبت أن تحملهـا فلـم تخنها أما الإنسان فقد خانها حيث إنه حملها ولم يؤدها. ومن ثم كان التعقيب "إنه كان ظلوما جهولا"(١).

٣١- شـك: فى اثنتى عشرة آية هى:

قـوله تعالـى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ ١٥٧ النساء. وقـــوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ ٩٤ ﴿ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ١٠٤ يـونس. وقوله: ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ ٦٢ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ١١٠ هـود. وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ ٩ إبـراهيم. وقوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ ٦٦ الـنمل. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ ٢١ سبأ. وقوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ﴾ ٨ ص. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ ٣٤ غافر. وقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٤٤٦.

٤٥ فصلت. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ١٤ الشورى.

والضمير فى آية النساء عائد على المسيح عيسى بن مريمز وفى الآية ١١٠ هود عائد على (الكتاب) فى صدرها ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ...﴾ وكذا فى آية فصلت. وفى آية الشورى. وفى آية النمل عائد على (الآخرة) فى قوله: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ .... ﴾ وكذا فى آية سبأ.

ومما يجدر ذكره أن (شك) وصف بـ (مريب) فى آيتى هود وآية إبراهيم وآية فصلت وآية الشورى. أى فى خمس آيات.

يقول الزمخشرى فى آية هود الأولى: "مريب: من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى: قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين. أو من : (أراب الرجل) إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى"[1].

ومقتضى هذا أن (أراب) يكون متعديا كما يكون لازما. فقولنا: أراب الرجُل الرجلَ معناه أوقعه فى الريبة. وقولنا: أراب الرجلُ بالرفع أى صار ذا ريبة بحيث تكون صفة لازمة له.

وربما يفهم من نص الزمخشرى أن (راب) الثلاثى لا يتعدى . والحق أنه يتعدى يقول ابن برى: "والصحيح فى هذا الفصل عند المحققين أن (رابنى) بمعنى: شككنى وأوجب عندى ريبة كما قال الراجز.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٨، ٤٢٢، وانظر تفسيره لقوله تعالى (لا ريب فيه) ٢ البقرة.

كما رابني من دلوى اضطرا بها

فأمـــا أراب فإنـــه قد يأتى متعديا وغير متعدٍّ. فمن عدَّاه جعله بمعنى: راب. وعليه قول أبى الطيب:

أيـــدرك مـــن أرابـــك من يُريـــب ∴ وهـــل ترقـــى إلى الفلّك الخطوب

وعليه قول الهُذَلى: كأنى أربته يريب

ويُرْوَى : كأنى قد ربيته بريب.

فيكون على هذا : رابنى وأرابنى بمعنى واحد.

وأمـــا (أراب) الذى لا يتعدى فمعناه: أتى بريبة؛ كما تقول: ألام إذا أتى بما يلام عليه؛ وعلى هذا يتوجه البيت المنسوب إلى المتلمّس أو لبشار بن برد:

أخـــوك الـــذى إن رِبْـــتَهَ قال إنما ∴ أريـــتُ وإن لاينـــته لان جانـــبه

وهـــذه الـــرواية الصحيحة أعنى: أريت بضم التاء. أى أخوك الذى إن ربته بريبة قال: أنا الذى أريت أى أنا صاحب الريبة حيث تُتَوهَّم فيه الريبة.

ومن رواه (قال إنما أربتَ) بفتح التاء فإنه زعم أن: ربته بمعنى: أوجبت له الريبة ولم تكن واجبة مقطوعا بها"[١].

وخلاصـــة هـــذا كله أنه لابد من فرق بينهما فـــ (راب) الثلاثى لا يكون إلا متعديا ومعناه في قولنا: رابنى الشئ شككنى فيه وأوجبه رأى الريب – علىّ.

وأمـــا (أراب) فـــيكون لازما فيقال: أراب الرجل أى صار ذا ريبة. وأرابه الرجل بمعنى: رابه الرجل أى شككه.

---

(١) التنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح ١/ ٨٨: ٨٩.

والذى يترتب على هذه الدراسة اللغوية للفعل أن الشك الذى وصف بالإرابة إمـا أن يكون ذا ريب أى أن هذه الصفة نابعة منه لازمة له، وإما أن يكون جاعلا الشك ذا ريب. وشتان بينهما إذ فى الأول من الثبوت والعمق ما ليس فى الثانى.

وسـواء أقلـنا بهذا أم بذاك فالذى يدركه العقل أن الريب أوسع مدى وأشمل معنىً من: الشك؛ وذلك ما يوحى به قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ ٢ البقرة فنفى الريب يستلزم – لا محالة – نفى الشك، والعكس غير صحيح، وبذلك يثـبت الفـرق بين الآيات الذى لم يوصف فيها (الشك) بأنه (مريب) والآيات التى وصف فيها به.

هذا: ولا يخفى على القارئ أن (من) فى تلك الآيات لابتداء الشك مع تعليله. وقد ذكرت بعده فى إحدى عشرة آية فهى مرتبطة به لا محالة. ولكن أبا البقاء يقول فـى آيـة النساء وهى أولى تلكم الآيات: "منه: فى موضع خفض صفة لـ (شك)، ويجـوز أن يتعلق بـ (شك). وإنما المعنى: لفى شك حادث منه أى من جهته. ولا يقال: شككت منه، فإن ادُّعِىَ أن (مِنْ) بمعنى (فى) فليس بمستقيم عندنا"[١].

هكـذا ورد النص. والذى يقتضيه السياق واللحاق أن قوله (ويجوز أن يتعلق بـ: (شك) صوابه (ولا يجوز) بدليل ما بعده. كما سيأتى عن الجمل.

وممـا ينبغى التنبه إليه أننا وجدنا أبا البقاء يقول فى آية سبأ وهى الآية التى ذكـرت فـيها (من) قبل (شك): "منها: إما على التبيين أى: يشك منها أى بسببها؛ ويجوز أن يكون حالا من (شك). وقيل (من) بمعنى: فى"[٢].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٠٢.

فمقتضى هذا أن تكون (من) متعلقة بـ (شك) وهى ابتدائية سببية أى: تعليلية بناء على ما حققناه من أنه لا فرق بينهما. على حين وجدناه يمنع ذلك فى آية النساء. والسديد الرشيد: أنها ليست فى حاجة إلى متعلَّق بالمعنى النحوى بل: لأنه لابد من ترابط وثيق بين مفردات النص حتى يتأتى إدراك المعنى المراد به منه.

ثم إن أبا البقاء فسر (التبيين) بـ (السبب) ولست أدرى ما وجه هذا ؟! وقوله (ويجوز أن تكون حالا من: شك) مبنى على قاعدة نحوية أقامها النحاة على أساس تخيلوه وافترضوه ثم فرضوه على نصوص اللغة؛ وخلاصتها أن (منها) فى (ممن هو منها فى شك) أصلها التأخير أى (ممن هو فى شك منها) فكانت صفة لـ (شك) ولما قدمت عليها صارت حالا.

وقد حققنا – كما يعلم القارئ – أن هذه دعوى لا أساس لها من الصحة إذ ليس لها دليل أو حجة. فالكلمة فى القرآن توضع بحكمة يَدِقّ فهمها فإذا ما اقتضى المقام ذكرها أولا وجب ذلك إذ أنه لا يضير النص فى قليل أو كثير بل الصواب: أن العقل يدرك المعنى المراد من نسق النص الذى أُوحِى به إلى الرسول عليه السلام بدون دعوى التقديم والتأخير.

ويبقى بعد ذلك قول أبى البقاء: (وقيل (مِنْ) بمعنى (فى) ولا حاجة إليه ومن ثَمَّ عبر عنه بصيغة الضعف (وقيل).

ومن تمام الحديث عن آية النساء قول الجمل: "منه: فى موضع خفض صفة لـ (شك) أى لفى شك حادث من جهة قتله – أى عيسى بن مريم – فتكون (من) لابتداء الغاية. ولا تتعلق بـ (شك) إذ لا يقال: شككت منه.."(١).

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٥٣٣.

فالجمل يقدر (متعلقاً) لـ (من) وهو (حادث) ثم يمنع تعلقها بـ (شك) بدليل أنه لا يقال: شككت منه: والحق أنه لا مانع من ذلك ما دامت (من) دالة على ابتداء غاية الشك وعلته.

٣٢- صحب:

في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ ٤٣ الأنبياء.

ومن قبيل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ ٤٢.

وفيها يوضح الله أنه لا أحد سواه يكلأ الناس أى يحفظهم من بأس الرحمن وعذابه. ولا يصلح لذلك من استهزأ برسل الله لإعراضه عن ذكره.

هذه خلاصة ما فسر به الزمخشرى الآية ثم قال: "ثم أضرب عن ذلك بما فى (أم) من معنى (بل) وقال (أم لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا .ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره"[١]؟!

ولا يخفى على القارئ أن ذكر (منا) قبل (يصحبون) إنما هو للعناية والاهتمام. وأن (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٤.

يقــول ابــن منظور : "يعنى: الآلهة لا تمنع أنفسها ولا هم منا يصحبون أى يُجَــارُون أى الكفار ألا ترى أن العرب تقول: أنا جار لك ومعناه: أجيرك وأمنعك فقال: يصحبون بالإجارة"(١).

وقال الجلال المحلى: "منا: من عذابنا (يصحبون) يجارون يقال: صحبك الله أى حفظك وأجارك"(٢).

وبهذا يتضح المراد بـــ (منا) أى من عذابنا فهذا العذاب يبتدئ نفيه بـــ (من) مع كونها علة له.

٣٣- صَــدَّ: فى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ٥٧ الزخرف.

قــال الزمخــشرى: "ولما ضَرَب عبد الله بن الزِّبَعْرَى عيسى بن مريم مثلا وذلــك حيــنما قــرأ الرســول عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ ٩٨ الأنبياء. امتعضوا – أى غــضبوا – من ذلك امتعاضا شديد فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: يا محمد أخاصة لنا ولآلهتــنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال: خصمتك وَرَبِّ الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مرين نبىّ وتُثنى عليه خيْرًا وعلى أمــه؛ وقد علمت أن النصارى يعبدونها. وعُزَير يُعْبد. والملائكة يُعْبَدُون فإن كان هــؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم. ففرحوا وضحكوا وسكت

---

(١) اللسان ١/ ٥٢٠.

(٢) هامش حاشية الجمل ٣/ ١٣٠.

النبـى علـيه الصلاة والسلام فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ١٠١ الأنبياء.

ونـزلت هـذه الآية – يعنى آية الزخرف؛ والمعنى: لما ضَرَبَ عبدُ الله بنُ الزبعـرى عيـسى بـن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النـصارى إياه (إذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدُّون) – بكسر الصاد – ترتفع لهم جلبه وضجيج – أى صياح – فرحا وجزلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيَّوا – أى عُيِيُوا – بحجة ثم فتحت عليهم.

وأمـا مـن قـرأ (يصُدُّون) بالضم فـ (من الصدود) أى من أجل هذا المثل يصدُّون عن الحق ويعرضون عنه. وقيل: من الصديد وهو : الجلبة"(١).

فالمراد بالقوم: قريش ومن كفر معهم. وعلى قراءة (يصِدُّون) يكون المعنى: أن ابتداء الجلبة وسببها ضرب المثل يعيش عليه السلام من حيث إن هناك من عبده وأمـه كما ورد فى سورة المائدة من أن الله سيقول له يوم القيامة: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ..... الآيات ﴾ ١١٦: ١١٩ المائدة.

وعلـى قراءة ضم الصاد من (يصُدُّون) يكون ابتداء الصدود عن سبيل الحق وسـببه هو ذاك المثل كما عبر الزمخشرى بقوله: (أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ....).

فـ (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٥.

٣٤- صـــدع:

فــى قــوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ٢١ الحشر.

وهذا تمثيل مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ .. الآية ﴾ ٧٢ الأحزاب.

وقد دل قوله: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ .

قال الزمخشرى: والغرض: توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تــلاوة القــرآن وتدبر قوارعه وزواجره. وقرئ (مصَّدِّعا) على الإدغام. إذ أصله (متصدعا) فأبدلت الصاد من التاء وأدغمت فى الصاد الثانية[1].

فـــ (من خشية الله) لابتداء الخشوع والتصدع وتعليله. وربما يسأل سائل : هل يجوز أن تكون (من) مرتبطة بـــ (خاشعا متصدعا) معاً ؟ وإذا أجيب بـــ (نعم) سأل ثانية قائلا: هل هذا مما وسمه النحاة بالتنازع بمعنى أن (خاشعاً) و (متصدعاً) تنازعا (من خشية الله) ؟ والجواب على وجه اليقين كما حققنا ذلك فى كتابنا (أسرار النحو جـــ ٣ ق١) أن هذا من باب الإيجاز الذى هو دليل الإعجاز وسبيله. فـــ (من خـــشية) مرتبط بـــ (متصدعا) وقد أغنى ذكرها هنا عن ذكرها مع (خاشعا). فكأن الأسلوب: لرأيته خاشعا من خشية متصدعا منها. وإنما آثرت ارتباطها بالثانى حتى لا يكــون هـــناك فاصـــل بينها وبين (خاشعا) فيجتمع فى الآية مع الإيجاز الجميل الفــصل بـــين الشئ والمرتبط به فيتسرب شئ من الكلف إلى الوجه الجميل الذى يحكى صورة القمر ليلة تمامه.

---

(١) الكشاف ٤/٤٠٦ بتصرف.

٣٥- صـــاب: ثلاث مرات في آيتين هما:

قـوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ٧٩ النساء. وقوله: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ ﴾ ٢٥ الفتح.

قـال الزمخـشري في الآية الأولى: "ما أصابك: يا إنسان خطابا عاما (من حـسنة) أي من نعمة وإحسان (فمن الله) تفضلا منه وإحسانا وإمتنانا وامتحانا (وما أصـابك من سيئة) أي من بلية ومصيبة (فمن عندك) لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك. ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ٣٠ الشورى"[١].

فـــ (من) للابتداء مع التعليل هذا واضح ومن ثم قال الشهاب: "فمن نفسك: أي فمن أجلها وبسبب اقترافها الذنوب، وهذا لا ينافي أن خلقها من الله"[٢].

وذكـــر الجمل في الآية الثانية أن (فتصيبكم) أي فيتسبب عن هذا الوطء أن يصيبكم منهم أي من جهتهم وبسببهم[٣].

ومعنى (من جهتهم) أن (من) ابتدائية و (بسببهم) أنها تعليلية.

وممـــا ينبغـــى ملاحظـــته أن الفعل قد ورد رباعيا. وهو: أصاب مرتين و (تصيب) مرة واحدة.

---

(١) الكشاف ١/ ٤١٧.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ١٥٨.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ١٦٨.

٣٦- ضـــحك: فى خمس آيات هى:

قـوله تعالـى: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ ١١٠ المؤمـــنون. وقوله: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ ١٩ النمل. وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ ٤٧ الزخـــرف. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴾ ٢٩. وقـــوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ ٣٤ المطففين.

وممـــا ينبغـــى ملاحظته والتنبه إليه أن (من) ذكرت قبل الفعل أربع مرات. وكأنها بذلك تدل على أن العلة قبل المعلول. ومع هذا لا ينتفى معنى الابتداء.

وذكرت بعدها مرة واحدة (فتبسم ضاحكا من قولها) وكأنى بذلك يشير إلى أن المقـــصود أولا ذكـــر ضحك نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام. ثم تأتى العلة وهى فعل النملة.

ويقول الخازن فى الآية الأخيرة: أى من أجلهم[١].

٣٧- ضـــم:

فى قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ ٣٢ القصص.

قـــال الزمخـــشرى: "من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك. جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحيه إليه"[٢].

---

(١) انظر حاشية الجمل ٤/ ٥٠٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٢١.

فالمعنـــى واضـــح لا غمـــوض فيه بل نزيد هنا أن الزمخشرى بذكره (سببا وعلة) قد أشار إشارة صريحة إلى أنه لا فرق بينهما كما حققنا ذلك.

وعلـــى الـــرغم من هذا الوضوح يأبى أبو البقاء إلا التعقيد حيث يقول: "من الـــرهب: (من) متعلقة بـــ (ولّى) من قوله (ولّى مديرا) فى الآية السابقة أى هرب مـــن الفزع؛ وقيل بـــ (مديرا) وقيل بمحذوف أى يكن من الرهب. وقيل يا ضم أى من أجل الرهب"(١).

وليتضح ما فى هذه الأقوال من تخاذل وتشتيت فذكر الآية وهى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ ٢١ ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ ..... الآية﴾ .

ولـــست أدرى مـــا الداعـــى إلـــى جعل (من الرهب) متعلقاً بـــ (وَلَّىٰ) أو بـــــ(مديرا) أو بمحذوف أى يكن من الرهب ؟ أرى أنه لا داعى إلى كل ذلك. بل الـــذى يتضح من سياق النص لأنه أول ما يتبادر إلى العقل هو ما ذكره أبو البقاء آخرا وهو (وقيل باضمم).

ففـــى هـــذا تناسق وجعل النص على ما ورد عليه من الترتيب. ومن ثم قال أبو بكر الرازى: وفى غير الأخير حمل للقرآن على التقديم والتأخير(٢).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٣.

(٢) الأنموذج ٢/ ٩٤.

٣٨- ضـــاق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ ١٢٧ النمل.

ومثلها الآية ٧٠ النمل ولكن بلفظ (ولا تكن).

قال أبو البقاء: "أى من أجل ما يمكرون"(١).

وكونها تعليلية لا يمنع أنها ابتدائية.

٣٩- طعـــم:

فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ .....﴾ ٤ قريش.

يقول سيبويه: "وأما (عن) فَلِمَا عُدَا الشئ، وذلك قولك: أطعم عن جوع، جعل الجـــوع منصرفا تاركا له قد جاوزه. وقال: قد سقاه عن العيمة، وكساه عن العرى جعلهمـــا قد تراخيا عنه ... وتقول: جلس عن يمينه فجعله متراخيا عن بدنه وجعله فـــى المكان الذى بحيال يمينه، وقد تقع (من) موقعها أيضا تقول: أطعمه من جوع. وكساه من عرى. وسقاه من المعيمة"(٢).

ففـــى هذا النص تثبت العلاقة القوية بين (من) و (عن) غير أن المقصود هنا (مـــن) الابتدائية أى التى هى: حرف إضافة وليست (من) البعضية التى هى: اسم بمعنى: بعض. ولا أدل على ذلك من أن (من) الابتدائية تدخل على (عن) إذ يقال: جلـــست مـــن عن يمين محمد. وبدخولها يحدث فرق فى المعنى بين هذا الأسلوب وقولـــنا: جلـــس محمد عن يمين خالد. إذ فى الأول يكون الجالس ملاصقا لمحمد. بخلاف الثانى فإن (محمد) لا يكون ملاصقا لـــ (خالد).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٦.

(٢) الكتاب ٢/ ٣٠٨.

فلـــولا العلاقـــة الوثيقة بين (من) و (عن) لما قبلت (عن) دخول (من) عليها وبذلك تكون اسما لا حرف إضافة.

هـــذه واحـــدة. وأخـــرى ألا وهى ما نص عليه سيبويه من أن (عن) معناها مجاوزة الشئ لغيره أى بعده عنه. وأما (من) فلا تدل على ذلك لأن معناها الابتداء فقولنا: أطعمه من جوع معناه: أن الجوع هو ابتداء الإطعام بل يزيد أنه علته.

والابـــتداء مباشر لما هو ابتداء له. أما قولنا: أطعمه عن جوع ففيه مجاوزة الجوع للإطعام. فكأن (من) للاستيعاب و (عن) ليست له. فضلا عن أن (من) فيها معنى التعليل. ولذلك قال أبو البقاء: "أى من أجل جوع"(١).

وكذا نص عليه أحد الجلالين وعلق عليه الجمل بقوله: "فـــ (من) تعليلية أى أنعـــم علـــيهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم" ولو وقف الجمل عند هذا لكان جميل الملحظ جليل الفهم ولكنه لم يفعل بل قال معقبا: "وقيل هى بدلية أ.هـــ شهاب. وقيل إن (من) بمعنى: بَعْد"(٢).

وكم نبهنا إلى أن (البدلية) لا تليق بـــ (من) لما نقلناه عن المحققين ولكن يبدو أن بعض العلماء لا يقف عند المعقول المفهوم من الكلمة ذاتها بل يحلو له أن يملأ الصفحات بذكر غيره.

وكـــذا يقـــال فـــى معنـــى (بَعْد) فهو غير صالح لأن يكون معنى لـــ (من) الابتدائـــية التعليلية. فما أبعد الفرق وأجمله بين (أطعمهم من جوع) فى الآية وقولنا (أطعمهم بعد جوع). ففى (بعد) من التراخى ما لا يخفى. والمقصود بالآية: أن الله يمن على (قريش) بأنه يطعمهم إذا بدأ الجوع يتسلل إلى بطونهم.

---

(١) حاشية الجمل ٤/ ٥٩١.

(٢) المرجع السابق.

٤٠- عجـــب: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٣ هـــود. وقـــوله: ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ ٥٩ النجم .

والخطـــاب فـــى الأولى لامرأة إبراهيم خليل الله عليه السلام. حينما بشرها الملائكـــة بإسحاق. فقد قالت: ﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ٧٢ هود. ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ ﴾ ٧٣ هود.

فأمر الله وإيذانه بأنها تلد وهى عجوز وزوجها شيخ هو ابتداء عجبها وعلته. وأمـــا الآيـــة الثانية فخطاب للكفار. وفى صياغتها ما ينبغى الإشارة إليه ألا وهو: تصديرها بهمزة الاستفهام وإتباعها بفاء العطف. وذكر (من) قبل فعل التعجب.

وقد ذكر العلماء فى مثل هذا التركيب (أفمن) الذى تدخل فيه همزة الاستفهام علـــى أحـــد حروف العطف كالفاء هنا والواو فى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ...... الآيـــــة ﴾ ١٨٥ الأعراف. و (ثم) فى قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ ٥١ يونس.

أقول: ذكر العلماء فى مثل هذه النصوص وجهين:

(أحـــدهما): أن الهمزة قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها فى التصدير. وهـــذا رأى جماعـــة مـــنهم الزمخشرى: وأن هناك جملة مقدرة بينها وبين حرف العطف وهى المعطوف عليه: أى: أجهلتم معنى ما سبق من آيات فمن هذا الحديث تعجبون. و : وأعَمِيَ هؤلاء ولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض.

و: أكفرتم ثم إذا وقع آمنتم به.

وأرى أن هـــذا المـــذهب قـــائم على إدراك العقل الذى يترتب عليه الإيجاز فى النص.

(الثانى) وهو لجمهور العلماء أن أصل الأسلوب (فَأَمِنْ هذا الحديث تعجبون، وأَلَــمْ ينظـــروا.، ثم أئذا وقع آمنتم به. ففى هذا جعل الهمزة فى مكانها من الجملة وهو صدرها. ولكنه غير لائق لغويا فذكرت الهمزة قبل حرف العطف.

ولعـــل القـــارئ يشاركنى رأيى هنا وهو: أن رأى الجمهور قائم على الظن والـــتخمن لا على الإيجاز الدقيق العميق. ولا يقدح فى ذلك أنه للجمهور فكم للقلة من وقائع وعجائب فاتت على الجمهور ولم ينتبهوا إليها[١].

هـــذا: وتبقى فى هذه الآية مسألة ذكر (من هذا الحديث) من قيل: (تعجبون) وقد نبهنا كثيرا إلى أن هذا من دواعى اقتضاء المقام لذكره أولا وذكر الفعل آخرا. لمـــا بيـــناه ووضـــحنا من أن ذلك جائز فى أحد ركنى الإسناد فكيف لا يجوز فى غيرهما ؟!

٤١- عـــض:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ ١١٩ آل عمران.

يقول أبو البقاء: "من الغيظ: متعلق بـــ (عَضوا) و (من) لابتداء الغاية أى من أجل الغيظ ويجوز أن يكون حالا أى مغتاظين"[٢].

---

(١) انظر فى هذه القضية المغنى بحاشية الأمير ١/ ١٤: ١٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١: ٨٣.

فهى ابتدائية تعليلية. ولكن السمين يفرق بينهما فقد نقل عنه الجمل قوله: من لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون بمعنى اللام فتفيد العلة"[١].

أقـول: لـو لم يذكر السمين (بمعنى اللام) وقال (ويجوز أن تكون للتعليل) لأصاب الغرض إذ كان تعبيره يجيز أن (من) جامعة بين المعنين. وهو ما حققناه.

٤٢- عمـــى:

فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ٦٦ النمل.

قال الشريف الرضى: "وإنما قال سبحانه: (منها) ولم يقل: (عنها) لأن المراد أنهم يشكون فيها ويمترون فى صحتها فهم فى عَمىً منها، ولا يصلح أن يكون فى هـذا الموضـع (عنها) لأنه: ليس المراد ذكر عماهم عن النظر إليها، وإنما القصد عماهم بالشك فيها. وهذا من لطائف المعانى"[٢].

ومقتـضى هـذا أن (مـن) ابتدائية تعليلية. وغنىّ عن البيان ذكرها من قبل (عمون) لاقتضاء المقام ذلك إذ فيه ذِكرَ العلة من قبل المعلول.

وفى هذا من التناسق ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة.

ولكنـى رأيت الألوسى يقول: "و (منها) متعلق بـ (عمون) قدم عليه رعاية للفواصل" ثم قال: "ولعل تعديته بـ (من) دون (عن) لجعل الآخرة – أى الأزمة فى قوله تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ٥٧: ٥٨ النجم – مبدأ عماهم ومنشأه. والكفر بالعاقبة والجزاء"[٣].

---

(١) انظر حاشية الجمل ١/ ٣٦٩.

(٢) تلخيص البيان ص ٢٦٢.

(٣) روح المعانى ٦/ ٣٠٦.

فقول الألوسى: (قدم عليه رعاية للفواصل) غير دقيق وحسبه أنه يجعل وحى الله مساويا أو شبيها بالشعر الذى يقال عنه: إنه وحى الشيطان. ألسنا نسمع كثيرا ان للشعر شيطانا. ولعل هذا يفهم من قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ . وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٢٢١: ٢٢٦ الشعراء.

وقد سبق مثل هذا عن الإمام محمد عبده عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٤٣ البقرة.

٤٣- غـــرق:

فى قوله تعالى: ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾ ٢٥ نوح.

يقول الزمخشرى: "تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أنه لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم. وأكد هذا المعنى بزيادة (ما).

وفى قراءة ابن مسعود: (من خطيئاتهم ما أغرقوا) بتأخيرا مصلة"[١].

ودعوى زيادة (ما) باطلة. لأن ذكرها جعل الآية من باب البيان بعد الإبهام وفى هذا سر بلاغى لا يخفى على مثل الزمخشرى: فالمعنى: من شئ هو خطيئاتهم أغرقوا ... " فـ (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩٦.

٤٤- غشـــى: فى ثلاث آيات هى:

قـوله تعالى: ﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ ١٠٧ يوسف.

وقـــوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ١٩ الأحزاب. وقوله: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ٢٠ محمد.

وقد يفهم من قول الزمخشرى (كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت) أن (من) بمعنى: عند.

ولكـن يمـنع مـنه أن (من) لابتداء العذاب وتعليله، وأما (عند) فلا تفيد إلا معنى: الحضور. وبهذا يتضح بما لا مجال للشك فيه أن (من) هى الجديرة بالمكان لمكانتها فى هذا المقام.

٤٥- فَـدَى: فى ثلاث آيات هى:

قـوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ ﴾ ٣٦ المائـدة. وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ

لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ﴾ ٤٧ الزمـــر. وقـــوله: ﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴾ ١١ المعارج.

ففـــى هذه الآيات الثلاث نرى الكفر والظلم والإجرام. كما نرى أن الكافر لا يتقـــبل الله منه أى افتداء ولو بلغ ما فى الأرض ومثله. ونرى الظالم يستحيل عليه أن يملـــك ما فى الأرض ومثله. وبذلك يثبت أن ما ذكر فى آية الكفر محال كذلك. غير أن الآية تبنى على هذا الافتراض – لو وقع وحدث – ما تقبله الله.

أمـــا آيـــة المجـــرم ففـــيها تمنـــيه: لـــو قـــبل الله منه فدية مُمَثَّلة فى بنيه ﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ – زوجـــه – وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴾ ١٢، ١٣ المعارج وتلـــك أمنية مخدوع ورب الكعبة إذ: ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾ ٣٧ عيسى.

فـــ (من) فى الآيات الثلاث لابتداء العذاب وعلة وقوعه على هؤلاء لا محالة.

٤٦- فـــزع:

فى قوله تعالى: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ ﴾ ٢٢ ص.

والـــواو فى (دخلوا) علامة إضمار لمن سبق ذكره فى قوله تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ ٢١ ص ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ.... ﴾ وهنا نرى (الخصم) كلمة تشير إلى المفرد على حين نرى (تسَوروا) تـــشير إلى الجمع. وما ذلك إلا لأن (الخصم) فى الأصل: مصدر فيقع على الواحد

والاثنــين والجمــع نحــو (ضيف) فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ٢٤ الذاريات.

ذكــر هــذا الزمخشرى معقبا عليه بقوله: "هذا جمع فما تصنع بقوله تعالى: "خصمان: تثنية فكيف استقام ذلك ؟! قلت: معنى (خصمان) فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ: (خصمان بغى بعضهم على بعض ونحو قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ ١٩ الحــج. فإن قلت: فما تصنع بقوله (إن هذا أخى) وهو دليل على اثنين ؟ قلت: .. لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين فى صــورة الخــصم صحت التسمية به ... ثم ذكر أن هذين الخصمين ذهبا إلى داود وهو فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان: ففزع منهم"[1].

فهؤلاء الخصمان ابتداء فزع داود وعلته. والدال على ذلك كلمة (من).

٤٧- فطـــــر:

فى قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ ٩٠: ٩١ مريم.

والــضمير فــى (مــنه) عائــد إلى ما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا . لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ ٨٨: ٨٩ مــريم. والإدّ والأد: العجب أو

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٣.

العظـيم المنكر. والإدّة الشدة. وأدّنى الأمر وآدنى: أثقلنى وعظم علىّ إدًّا. وتفطر الأرض تشققها من: فطّره إذا شققه وكرر الفعل فيه(١).

فالضمير فى (منه) عائد على ما ذكرناه و (من) لابتداء التفطر وتعليله.

٤٨- فاض: ثلاث مرات فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ ٨٣ المائدة. وقوله: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ ٩٢ التوبة.

ومحور الحديث هنا هو (من) فى (من الدمع) وهى مذكورة فى الآيتين.

و (ممـا عـرفو) الأولى. أما (من الحق) فهى اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أى مما عرفوه حالة كونه بعض الحق فكيف بهم لو عرفوه كله ؟!

يقول الزمخشرى: "معنى: تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفـيض أن يملتئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو: من إقامة المسَّبب مقام السبب.

أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من الدمع من أجل البكاء. من قولك: دمعت عينه دمعا.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٤.

فـإن قلـت: أى فـرق بين (مِنْ) و (مِنْ) فى قوله (مما عرفوا) (من الحق) بـــ قلـت: الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه.

والثانية: لتبيين الموصول الذى هو (ما عرفوا) وتحتمل معنى التبعيض على أنهـم عـرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة"[1]؟!

فالزمخـشرى يقرر أن (من) فى (من الدمع) ابتدائية تعليلية على أن المراد: أن العـين ذاتها من الدمع. أى من أجله. وكذا (من) فى (مما عرفوا) فهى ابتدائية تعليلـية. يقول أبو البقاء: "وأما (مما عرفوا) فـ (مِنْ) لابتداء الغاية ومعناها : من أجل الذى عرفوه"[2].

وعلـى هذا يكون فيض العين مُعَلَّلاً بشيئين هما سَيَلَان الدمع بغزارة بحيث جعـل أعيـنهم تفـيض بأنفـسها أى ذاتها. ومعرفة الحق. هذا ما يظهر من كلام الزمخـشرى. ولما كان ارتباط حرفى إضافة بعامل واحد بمعنى واحد ممتنعا عند النحاة وفى صناعتهم. لجأ الشهاب إلى المغايرة. فجعل الثانية بيانية أو بمعنى الباء. أو للتعليل على أن تكون الأولى ابتدائية"[3].

وقد علمنا أن البيانية غير متفق عليها لما يترتب على هذا المعنى من كونها زائـدة. كما قد حققنا أن الابتدائية فى الآية ليست مجردة من التعليل. فيئوول الأمر إلى أن (مِنْ) فى الموضعين تعليلية. وبذلك نعود إلى ما مر رفضه عند النحاة.

---

(١) الكشاف ١: ٥٢١: ٥٢٢ وانظر البحر ٤/ ٥: ٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٥.

(٣) انظر حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٣/ ٢٧٣: ٢٧٤.

لـذلك كلـه أرى أن هنا علتين لأمرين فقوله (تفيض من الدمع) علة لسيلان العـين ذاتها بسبب غزارته. والدمع نفسه علة معرفة الحق. فذات العين تخرج من الدمـع. فهـى ابتداؤه وعلته. ومعرفة الحق ابتداء وعلة للدمع نفسه. فمعرفة الحق سبب فى الدمع. والدمع سبب فى فيض العين.

وهـذا مـا يتحقق فى آية التوبة (تفيض من الدمع حزنا) ففيض العين معلل ومبتدأ بالدمع. والدمع نفسه معلل بالحزن.

هـذا: وما يثير العجب أننا وجدنا العلماء يفرقون بين (تفيض من الدمع) فى المائـدة وفى التوبة فالزمخشرى يقول فى الثانية: "تفيض من الدمع: كقولك: تفيض دمعـا. وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جُعِلَتْ كأنها كلها دمع فائض. و (من) للبـيان كقولك: أفديك من رجل. ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (ألا يجـدوا) لـئلا يجدوا. ومحله النصب على أنه مفعول له. وناصبه المفعول له الذى هو: حزنا"[١].

ورد أبو حيان كَوْنَ (من الدمع) تمييزا بأن التمييز الذى أصله فاعل لا يجوز جره بـ (من). وأيضا: لا يجيز تعريف التمييز إلا الكوفيون"[٢].

وإذا امتـنع كـونه تمييزا فلا مناص من كون (من) ابتدائية تعليلية وهذا ما ذكره الألوسى حيث قال: "مِنْ: للأَجلِ والسبب" ثم أردف قائلاً: "وقيل إنها للبيان"[٣].

وحسبك أنه ذكر هذا الأخير بصيغة الضعف والتضعيف (قيل). وما ذلك إلا لأن البيان معنى فيه نظر عند كثير من العلماء. فلا داعى لتخريج القرآن عليه.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٦ وينظر تفسير البيضاوى وتفسير أبو السعود وتفسير الجلالين.

(٢) البحر ٥/ ٨٦.

(٣) روح المعانى ٣/ ٣٥٥.

ومـــع هذا وجدنا الألوسي يرد على أبى حيان فى منعه أن يكون (من الدمع) تمييـــزا بأنـــه منقوض بنحو قوله (عز من قائل) وعلى أن التمييز لا يكون إلا عند الكوفيين بأن ذلك يكفى لأن يكون تمييزا"(١).

والحق مع أبى حيان لأن قولهم: عز من قائل، وأفديك من رجل ليست (من) فيهما داخلة على التمييز. لأن ذلك مبنى على أنها حرف ابتداء. والصواب أنها اسم بمعنى (بعض) أى: عز حالة كونه بعض قائلين .وأفديك حالة كونك بعض رجال. فـ (قائل) و (رجل) في الأسلوبين جنس.

ومـــن ثـــم قرر صاحب الكيات أن :"وفاضت عينه من الدمع بلا تحويل بل أبرز تعليلا".

ومـــن العجيب أن يركب الشيخ أحمد ابن المنير فى حاشيته على (الكشاف) الـــصعب والافتراض حيث يقول: "وهذه العبارة. يعنى (تفيض من الدمع) من أبلغ العبارات وأنهاها) وهذا رائع جدا ولكن ليته سكت عنده بل أخذ يضرب فى طريق الـــتمحل الافتراضى فقال: "وهى ثلاث مراتب: فالأولى: فاض دمع عينه. وهذا هو الأصل؛ والثانية: محولة من هذه وهى قول القائل: فاضت عينه دمعا. حولت الفعل إلى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز. والثانية: فيها هذا التحويل المذكور وهى الواردة فى الآية إلا أنها أبلغ من الثانـــية باطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التمييز وإرازه فى صورة التعليل والله أعلم"(٢).

ولست أدرى سرا لهذا العنت والإرهاق فى الافتراض الذى لا تجنى منه إلا المـــشقة والعناء. إن الآية (ترى أعينهم تفيض من الدمع) والأخرى (تولوا وأعينهم

---

(١) الكليات ص ٢٧٧.

(٢) الانتصاف بهامش الكشاف ١/ ٥٢١.

تفيض من الدمع) وفاعل (تفيض) بلا علامة إضمار لأن العقل يدركه كما فى قوله تعالـــــى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ ٢٢١ البقــرة. وهــذا النوع قد ذكره سيبويه فى قوله: "والإضمار الذى ليست علامته ظاهرة نحو: قد فعل ذلك"(١).

هذا هو الجديد فى فهم النص القرآنى فهو ذو بلاغة ودقة بما ورد عليه ولما ورد بــه. لا لأجــل افتــراض وتمحــل. وهذا ما نص عليه أبو البقاء فى كلياته كما مر آنفا.

٤٩- قتــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ١٥١ الأنعام.

فـ (من) ابتدائية تعليلية يقول الزمخشرى: "من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى : ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ ١٣١ الإسراء"(٢).

ولا يفوتنـــى فى هذا المقام أن أوضح الفرق بين آيتى الأنعام والإسراء حيث وردت الأولـــى (من إملاق نحن يزرقكم وإياهم) ووردت الثانية (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم).

فمقام الأولى غير مقام الثانية ومِنْ ثَمَّ لزم اختلافهما فى النسق حيث خوطب المنهــيون عــن القتل أولا (نحن نرزقكم) فى سورة الأنعام. ثم خوطبوا فى سورة

---

(١) الكتاب ٢/ ٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٦٢.

الإسراء ثانياً. وما ذلك إلا لأن المخاطبين أولا فقراء فهم يخشون على أولادهم أن يــرثوا عنهم الفقر والإملاق. فجاء النص مطمئنا لهم على أنفسهم ثم عطف عليهم أولادهــم. وأمــا في الثانية فالخطاب للأغنياء ومن ثم قيل (خشية إملاق) أى أنهم يخشون الفقر في المستقبل فيصيب أبناءهم فجاء التعبير (نحن نرزقهم وإياكم) ومآل النــصين أن الله هو الرازق للآباء والأبناء لا فرق بين كون الآباء أغنياء وفقراء. وبذلك يطمئن الجميع إلى رزق الله(١).

فانظــر هداك الله إلى أسرار كلمات الله حيث تفيد (من) وقوع الإملاق على حين تفيد (خشية) توقعه.

وفى ذلك يقول الخطيب الإسكافى: "إنما قدم الضمير المخاطبين على الغائبين" فــي ســورة الأنعــام لأ، قــبله (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) أى من أجل إملاق وانقطاع زاد ومال. وهذا نهى عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مــؤنة غيــرهم فكأنه قال: الذى يدعوكم إليه من حاكم فى أنفسكم ثم فى غيركم لا يوجب أن تشفقوا منه فإنى أرزقكم وإياهم.

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها (خشية إملاق) والإملاق غير واقع فكأنه قال: خوف فقر على الأولاد. وكان عقيب هذا إزالة الخوف عنهم ثم عن القاتلين: أى لا تقــتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر؛ فالله يرزقهم وإياكم. فقدم فى كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه. وأخّر ما اقتضى الوضع تأخيره"(٢).

وأرى أنــه اللائــق: فذكــر أولاً ما اقتضى المقام ذكره أولاً وذكر آخراً ما اقتضى ذكره آخراً.

---

(١) انظر الإتقان ٢/ ١١٦.

(٢) درة التنزيل ص ١١٦: ١١٧.

٥٠- قـــدر:

فى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ ١٨ إبراهيم.

وقد جاء فى سورة البقرة: ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ ٢٦٤

وســبق أن بيـــنا أن (مـــن) فى آية البقرة اسم بمعنى (بعض) وتعرب حالا أو نعتا.

وأمـــا آيـــة سورة إبراهيم فنسقها غير نسق آية سورة البقرة. وقد علمنا أن اخــتلاف النسق يترتب عليه اختلاف المعنى. وذلك خلاف المشهور عن النحاة فهم يجعلــون نسق الثانية مثل نسق الأولى. فيكون تقديرها " لا يقدرون على شئ مما كسبوا" وقد علمنا ما فى ذلك المنهج من جرأة على النص القرآنى. إذ من المعلوم أن القرآن معجز فى كل شئ مثل اختيار كلماته فلا يجوز استبدال غيرها بها. ومثل وضع الكلمة فى مكانها فلا يجوز نقلها عنه.

ولكـــن بعض النحاة لا يعبأون بذلك فكم رأيناهم يتجرءون على مكان الكلمة القرآنية ومكانتها فيعمدون إلى النص القرآنى ويمزقون نسقه إخضاعا له حتى يتسق مـــع ما فى أفهامهم وعقولهم من قواعد افترضوها ففرضوها على كلمات قرآن الله المعجز. وهذا إما رأيناه فى آية سورة إبراهيم فقد زعم بعض النحاة أن أصلها: لا يقدرون على شئ مما كسبوا. وبذلك تساوى آية سورة البقرة. ولما رأوا ذلك زعموا أن (مما كسبوا) كانت نعتا لـــ (شئ) فلما ذكرت قبله صارت حالا وبنوا ذلك على قاعـــدة توهمـــوها ثم استمسكوا بها كما فعل بنو إسرائيل مع عجل السامرى. تلكم القاعـــدة هـــى: أن الـــنعت إذا قدم على صاحبه صار حالا وإحقاقا للحق أقول: إن بعـــض الـــنحاة قـــد رفضوا هذا المنهج لما فيه من جرأة على نسق كلمات القرآن المعجـــز. فقـــد ذكر ابن يعيش: أن سيبويه وأبا بكر بن السراج وأتباعهما يمنعون

تقديم الحال على صاحبها المخفوض بالحرف نحو: مررت راكباً بزيد وحجتهم أن العامـــل – وإن كـــان الفعل – لكنه لما لم يصل إلى ذى الحال الذى هو : زيد إلا بواســـطة حـــرف الخفض لم يجز أن يعمل فى حاله قبل ذكر ذلك الحرف كذلك لا يجوز تقديم الحال عليه"(١).

ومممـــا يلـــزم التنبيه إليه حذف كلمة (لكنه) بعد الجملة الاعتراضية فى هذا النـــص لأن الخبر لا يتصدر بـــ (إلا) و (لكن) كما نبهنا إلى ذلك مرارا.

والـــذى يعنينى هنا أن ما ذكره سيبويه وأبو بكر من السراج دقيق كل الدقة عميق كل العمق. لأنه يثبت أن الكلمة فى اللغة بعامة وفى القرآن بخاصة وضعت بميـــزان حكـــيم دقيق لا يمكن استبدال موضع آخر موضعها. وإلا صارت أساليب اللغة الدقيق نهبا لافتراء المفترين وما ذلك بجائز.

وهنا أجدنى مضطرا إلى الاعتراف بأننى حينما كنت أكتب الرسالة وقعت فى حيرة من أمرى إزاء تلكم الآية فى سورة إبراهيم. وبعد أن نوقشت الرسالة ونالت مـــرتبة الـــشرف الأولى فتح الله عَلَىَّ وألهمنى أن أقف على فرق دقيق بين آيتى البقـــرة وإبـــراهيم. ففـــى الأولى:" لا يقدرون على شئ مما كسبوا" فـ (من) نعت لـــ (شئ) بمعنى بعض أى بعض ما كسبوه: وأما آية إبراهيم وهى: لا يقدرون مما كسبوا على شئ" فـــ (من) فيها للتعليل. فعجزهم علته كسبهم الخبيث أى أن سبب عجزهم عن أن يحصلوا على شئ هو كسبهم ذاك.

وبهذا يطمئن قلبى وترتاح نفسى لأننى قد حافظت على نسق الآية لأن مقامها يقتـــضى أن يكـــون كذلك. كما أن مقام آية البقرة يقتضى نسقها وبهذا يثبت بما لا مجـــال للـــشك فـــيه أن دارس كتاب الله الحكيم لابد أن يبذل أقصى جهده فى تأمل النسق القرآنى حتى يصل إلى ما يراد به فى كل أمكنته.

---

(١) انظر شرح المفصل ٥٩/٢.

وإنـــى لأحمد الله على هدايتى إلى هذا الفهم لآية سورة إبراهيم حتى يتضح الفرق بينهما . لأن سياق كل منهما يخالف سياق الأخرى ففى الأولى " فمثله كمثل صـــفوان علـــيه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا" وأمـــا سياق الثانية فهو: " مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ". والله أعلم.

٥١ - قســـــا:

فى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٢ الزمر.

قـــال الزمخشرى: " من أجل ذكره أى إذا ذكره أى إذا ذكر الله عندهم وآياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ ١٢٥ التوبة وقرئ (عن ذكر الله). فإن قلت ما الفرق بين (من) و (عن) فى هذا؟

قلت: إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى: ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكـــر وبـــسببه، وإذا قلت: عن ذكر الله فالمعنى: غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه. ونظيره: سقاه من العيمة أى من أجل عطشه. وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش"(١).

وبهذا يتضح أن (من) ابتدائية تعليلية. وأن ذكر الله ابتداء تلك القسوة وسببها.

وقدر أبو على مضافا فقال:" أى مِن تَرْك ذِكْر الله؛ ألا ترى أن القلوب تقسو مـــن ترك الذكر لا من الذكر كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٣ الزمر. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٨ الرعد.

---

(١) الكشاف ٤/٩٥.

ثم ذكر أن الآية يمكن أن تكون على ظاهرها"[١].

وســـواء قدرنا المضاف أم لم نقدره فـــ (من) ابتدائية تعليلية غير أن المعنى على التقدير يكون (ترك ذكر الله) هو ابتداء قسوة القلوب وسببها. والذى أراه أنه لا داعـــى لهذا التقدير لأن القسوة من ذكر الله أشد وأقوى وأدعى إلى المؤاخذة وشدة العذاب من القسوة من ترك ذكر الله.

كمـــا أرى أن القراءة بـــ (من) هى المعتمدة أولاً ويليها قراءة (عن ذكر الله) ومـــا دامت هذه القراءة ثابتة فى الآية فلا داعى لدعوى مرادفة (مِنْ) لـــ (عَنْ) فقد عـــرفنا الفـــرق بيـــنهما فى المعنى. ولكن ابن هشام يأبى إلا ادعاء المرادفة حيث يقول:" السادس:- أى من معانى (مِنْ) - مرادفة (عَنْ) نحو: (فويل للقاسية قولبهم مـــن ذكر الله). وقيل هى للابتداء لتفيد أن ما بعد ذلك من العذاب أشد وكأن القائل يعلـــق معناه ب (ويل) مثل:" ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ٢٧ ص~. ولا يصح كونه تعليقا صناعيا للفصل بالخبر... وقيل: للتعليل أى: من أجل ذكر الله - لأنه إذا ذكر قست قلوبهم"[٢].

ولعل ظاهر هذا النص يشير - ولو من بعيد- إلى أن مرادفة (من) لـــ(عن) فى الآية أقوى وأوثق. وهيهات هيهات أن يكون ذلك!! كما أنه يشير إلى الفرق بين كـــونها ابتدائية وكونها تعليلية. وعليه تكون التعليلية غير مفيدة معنى الابتداء. وقد عرفنا ضعف هذا. وعليه فـــ (مِنْ) ابتدائية تعليلية ولا داعى للتشتيت.

٥٢- قشعـــر:

فى قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ٢٣ الزمر.

---

(١) انظر إعراب القرآن ص٦٦.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١٦/٢.

يقول الزمخشرى:" اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا. وتركيبه من حروف القشع وهو: الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا عــن معنــى زائد. يقال: اقشعر جلده من الخوف. وقف شعره. وهو مثل فى شدة الخوف"[1].

فـ (من) ابتدائية تعليلية. أى أن الكتاب المتشابة المثانى بدء تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وعلته.

وعلى الرغم من وضوح هذا المعنى يقول الجلال:" ترتعد عند ذكر وعيده". قال الجمل:" أشار بهذا إلى أن (من) بمعنى: عند "أ.هـ رضى"[2].

ولست أدرى وجها لهذا إذا ما دام معنى الكلمة واضحا من لفظها فى مكانها فى أغنى ما تكون عن تأويلها وتبديلها.

٥٣- قـــال:

فى قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾ ١٥١، ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ١٥٢ الصافات.

فقــولهم ولــد الله بهتان عظيم بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ .ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ .لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ ١: ٣ الإخلاص.

---

(١) الكشاف ٩٦/٤.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٥٥١/٣.

قـــال الزمخشرى:" وقرئ: ولد الله أى الملائكة ولده. والولد (فعل) بمعنى: مفعــول يقــع علـــى الواحد والجمع والمذكر و المؤنث تقول: هذه ولدى. وهؤلاء ولدى.."[١].

وتتمه الآية: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ . أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ ١٥٣الصافات.

فهمـــزة (أصطفى) لفتح همزة القطع على الاستفهام الإنكارى بدليل قوله فى الآية ١٥٦ " أم لكم سلطان مبين".

قـــال أبـــو منـــصور الأزهرى:" وكان فى الأصل أاصطفى ثم تحذف ألف الوصـــل. وعلى هذا كلام العرب إذا اجتمعت هاتان الألفان أن يحذفوا ألف الوصل وَيدَعـوا ألف الاستفهام مفتوحة. أى مقطوعة على حالها مثل قوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ ٧٨ مريم[٢].

وقرئ عن نافع وقيل عن حمزة والأعمش" لكاذبون اصطفى" بهمزة الوصل قـــال الزمخـــشرى: "وهـــذه القراءة – وإن كان هذا محملها – فهى ضعيفة والذى أضـــعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله (وإنهم لكاذبون) (ما لكم كيف تحكمون) فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين"[٣].

وقال الأزهرى:" من قرأ (اصطفى) بإسقاط الألف وكسرها فى الابتداء فهى ألف وصل ومعناها: أن الله جل وعز حكى عن كفار قريش أنهم زعموا أن الملائكة

(١) الكشاف ٤٩/٣.

(٢) معانى القراءات ٣٢٣/٢: ٣٢٤ وهامشها.

(٣) الكشاف ٤٩/٣.

بـــنات الله وأنهم من إفكهم ليقولون اصطفى البنات على البنين وهم كاذبون. فهذا وجه هذه القراءة وليست بالجيدة"(١).

فــــ (مـــن) ابتدائية تعليلية. إذ ابتداء إفكهم وسببه قولهم ولد الله أو الملائكة ولد الله.

٥٤- كتــــــب:

فـــى قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ٣٢ المائدة.

قال ابن فارس: "قولهم: من أجل ذلك فعلت كذا محمول على: أَجَلْت الشئ أى جنيته، فمعناه: من أن أجل ذلك فعلت أى من أن جنى"(٢).

فابــتداء الفعـــل وعلته: الجناية وهذا ما صرح به الزمخشرى فى الآية حيث قـــال:" مـــن أجل ذلك أى بسبب ذلك وبعلته.. (وذلك) حيث قال:" من أجل ذلك أى بـــسبب ذلـــك وبعلته.. و(ذلك) إشارة إلى القتل المذكور أى من أن جنى ذلك القتل وجره (كتبنا) و (من) لابتداء الغاية أى ابتداء الكتب ونشأ من أجل ذلك"(٣).

وعلـــيه يكـــون (من أجل ذلك) مرتبطا معناه بـــ (كتبنا) كما هو واضح من نـــصى ابن فارس والزمخشرى. وقد وضحه أبو البقاء حيث منع تعلق (من) بقوله

---

(١) معانى القراءات ٢/٣٢٣، ٣٢٤ وهامشها.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١/٦٥، وانظر درة الغواص ص٤٩ وهَم ١٨١.

(٣) الكشاف ١/٤٨٦: ٤٨٧.

تعالـــى فـــى نهايـــة الآية السابقة (فأصبح من النادمين) ٣١ المائدة. لأنه لا يحسن الابتداء بـــ (كتبنا) هنا[١].

٥٥- كفل: فى آيتين هما:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ ﴾ ٨٥ النساء.

وقـــوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ ٢٨ الحديد.

قال أبو حيان فى الأولى:"الظاهر أن (من) للسبب أى : كفل من الشر بسببها والكِفْل النصيب"[٢].

وقـــال الزمخـــشرى فـــى الثانية:" كفلين: نصيبين لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله"[٣].

أى من أجل رحمته التى وسعت كل شئ.

٥٦- لبـــس:

فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ١٥ ق~.

يقـــول الزمخـــشرى:" بل هم فى لبس: أى فى خلط وشبهة؛ قد ألبس عليهم الـــشيطان وحـــدهم؛ ومنه قول على رضى الله عنه: يا حار- ترخيم" حارث - إنه لملـــبوس عليك. اعرف الحق تعرف أهله. ولبس الشيطان عليهم: تسويله إليهم أن

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١٢٠.

(٢) البحر ٣/٣٠٩.

(٣) الكشاف ٤/٣٨٤.

إحـياء الموتـى أمر خارج عن العادة. فتركوا لذلك القياس الصحيح: أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر.

فإن قلت: لم نكر الخلق الجديد؛ وَهلاَّ عرف كما عرف الخلق الأول؟

قلـت: قـصد فى تنكيره على خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حتى من سمع به أن يهتم ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس فى مثله"[١].

ويؤخذ من هذا أن الزمخشرى قد يكون مريدا تعظيم خلق الآخرة على خلق الدنـيا. مـع أن التأمل فى الخلقين يجعل القارئ متمكنا من أن الخلق الأول أعظم وأجـل لأن الإنـسان إذا فكـر فى طريقة خلقه هاله ما حدث حتى استوجب ذلك التعجيب والتعجب. اقرأ قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ . ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ ......﴾ ١٧: ٢٠ عبس.

ولعـل هـذا مـا حمـل الـشيخ أحمد الإسكندري على أن يعلق على نص الزمخـشرى قائلا:" هذا كلام كما نراه غير منتظم؛ والظاهر أنه لفساد فى النسخة والذى يتحرر فى الآية – وهو مقتضى تفسير الزمخشرى- أن فيها أسئلة ثلاثة: لم عَـرَّفَ الخلق الأول. وَنَكَّر اللبس والخلق الجديد. فاعلم أن التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف (الذكور) فى قوله تعالى: ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ٤٩ الـشورى. ولهـذا المقصد عرف (الخلق الأول). لأن الغـرض جعله دليلا على إمكان الخلق الثانى بطريق الأولى أى إذا لم يعى تعالى بالخلق الأول على عظمته.

---

(١) الكشاف ٤/٣٠٣.

فالخلــق الآخر أولى ألا يعبأ به. فهذا سر تعريف الخلق الأول. وأما التنكير فأمره منقسم فمرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الإبهام كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة.

ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه.

وعلــى الأول: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ ٥٨ يس~. ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ٩ المائدة. ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴾ ١٧ الطور، وهو أكثر من أن يُحصَى.

والثانى هو الأصل فى التنكير فلا يحتاج إلى تمثيله.. فتنكير (لبس) و (خلق) للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأول.

ويحتمل أن يرضى الإنسان بكونه ملتبسا عليه. ولعل إشارة الزمخشرى إلى هذا والله أعلم. فهذا- كما تراه- كلام مناسب لاستطراق أسئلة وأجوبة؛ فإن يكن هو ما أراده الزمخشرى فذاك. وإلاَّ فالْعَقّ العسل ولا تسل"[1].

ومما يؤيد ويؤكد أن تنكير (خلق جديد) للتهوين قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا . قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ ٩ مــريم وقوله: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ﴾ ٢١ مريم. ثم قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ ٢٧ الروم.

---

(١) هامش الكشاف ٣٠٣/٤: ٣٠٤.

وفى هذه الآية يقول الزمخشرى:" وهو أهون عليه: فيما يجب عليكم وينقاس علـــى أصـــولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شئ كانت أسهل عليه وأهـــون مـــن إنشائها. وتعتذرون للصانع إذا خطئ فى بعض ما ينشئه بقولكم: أو الغزو أخرق. وتسمون الماهر فى صناعته معاودا. أى عادوها كرة بعد أخرى حتى مـــرن علـــيها وهانت عليه. فإن قلت: لم ذَكَّر الضمير فى قوله (وهو أهون عليه) والمراد به الإعادة؟

قلت معناه: وأن يعيده أهون عليه. فإن قلت: لم أخرت الصلة فى قوله: (وهو أهـــون عليه) وقُدِّمتْ فى قوله (هو على هين)؟ قلت: هناك قصد الاختصاص وهو مَحَزُّه فقيل (هو على هين) وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد _أى يحيى_ بين هَمٍّ_ شـــيخ فـــان_ وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فإن قدمت الصلة تغير المعنى"[1].

ومعذرة عن هذا الطول فى ذكر النصوص لأن آية ق (بل هم فى لبس من خلق جديد) تحتاج إليه فى توضيح المعنى المراد. ولعل القارئ يدرك منه أن (من) ابتدائـــية تعليلية أى أن ابتداء اللبس وعلته هو إعادتهم فى الآخر للحساب ثوابا كان أو عقابا.

٥٧- لقـــى:

فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا -موسى وفتاه- قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ ٦٢ الكهف.

فمبدأ لقائهم النَّصَب وعلته هو السفر.

---

(١) الكشاف ٣/٣٧٥.

٥٨- مـــلأ:

فى قوله تعالى: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ١٨ الكهف.

فابـتداء ملـئة بالرعب وعلته. هم أهل الكهف الذين ذكرت قصتهم فى آيات مـتعددة من سورة الكهف أولها: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ ٩... إلى آخر آيات القصة.

٥٩- مـــاز:

فى قوله: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ ٨ الملك.

يقـال: فـلان يتميـز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة فى الأرض وشـقة فـى الـشماء إذا وصـفوه بالإفـراط فيه. ويجوز أن يراد: غيظ الزبانية[1]. ولا يخفى أن الآية فى وصف جهنم. كما لا يخفى أن ابتداء هذا التشقق والتمزق وعلته هو الغيظ. وأن (من) هى الدالة عليه.

٦٠- نـــزل:

فى قول تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ٤ القدر.

---

(١) انظر الكشاف ٤٦٢/٤.

قال الزمخشرى:" أى تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة على قابل. وقرئ: (من كل امرئ) أى من أجل كل إنسان"[١].

وواضح أن (من) ابتدائية تعليلية. وهى اللائقة بالمكان لمكانتها وعمق دلالتها.

فلا داعى لاستبدال الباء بها أى بإذن ربهم بكل أمر. فشتان بين هذا وما ورد فى التنزيل. ومع ذلك نرى من يزعمه كأبى حاتم وأبى بكر الرازى[٢].

٦١- نصيب: أربع مرات فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ ٢٠٢ البقرة. وقوله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾، ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ ٣٢، ٨٥ النساء.

وربما يبدو لأول وهلة أن (من) فى مواطنها الأربعة اسم بمعنى (بعض) فتكون نعتا أى أن هذا النصيب بعض ما كسبه الرجال أو ما اكتسبوه أو ما اكتسبه النساء. أو بعض ثواب الشفاعة الحسنة.

كما قد يظهر أنها ابتدائية تعليلية. وهذا ما وجدناه مسطورا فى مراجعنا التى تيسر لنا الاطلاع عليها. يقول الزمخشرى فى الأولى:" لهم نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة. وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة. أو من أجل ما كسبوا"[٣].

---

(١) الكشاف ٤/٦٢٢١.

(٢) انظر البحر المحيط ٨/٤٩٧ وأنموذج الرازى ٢/١٦٤.

(٣) الكشاف ١/١٨٨.

ففـــى هـــذا يـــصرح الزمخشرى بأنها تعليلية وقد علمنا أنها مع ذلك تكون ابتدائـــية. كمـــا قد أشار إلى أنها تحتمل أن تكون بعضية وذلك قوله: من جنس ما كـــسبوا. من الأعمال. غير أن قوله (وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة) يتضح منه أنها بيانية إذ تقديرها: نصيب هو ما كسبوا. وفى ذلك دعوى زيادتها كما قررنا وأما أبو حيان فقد اكتفى من نص الزمخشرى بما يشير إلى الوجهين الأوليين.

حـــيث يقـــول:" و (من) فى قوله (مما كسبوا) يحتمل أن تكون للتبعيض أى نصيب من جنس ما كسبوا، ويحتمل أن يكون للسبب"(١).

وعلـــى أنها بعضية تكون إما حالا فى محل نصب وإما نعتا فى محل رفع. ولعـــل الذى حمل أبا حيان على عدم ذكر قول الزمخشرى (ما كسبوا من الأعمال الحـــسنة وهـــو الثواب الذى هو المنافع (الحسنة) أن هذا النص يفهم منه أن (من) بيانـــية وأبو حيان لا يعترف بهذا المعنى لـــ (من) بناء على ما يراه أصحابه وهم الأندلسيون.

والذى يبدو لى أن معنى (من) هو الابتداء مع التعليل. فقد أغفل الرازى ذِكْر كونها بعضية حيث قال:" المراد أن لهم نصيبا من الدنيا و من الآخرة بسبب كسبهم وعملهم. فقوله (مِنْ) فى (مما كسبوا) لابتداء الغاية لا للتبعيض(٢).

وهـــذا المعنى ينطبق على الآيتين الأولى والثانية فهما اللتان ورد فيهما عند بعـــض العلمـــاء احتمال البعضية والسببية. ولكن الرازى منع الأول. وحذا حذوه البيضاوى وأبو حيان فى الآية الثالثة فقد قرر أن (من) فيها سببية(٣).

---

(١) البحر المحيط ١٠٦/٢، وانظر روح المعانى ٣٩٥/١.

(٢) من مفاتيح الغيب ١٩٠/٢.

(٣) انظر البيضاوى بحاشية الشهاب ١٣١/٣ والبحر ٣٠٩/٣.

ومما يجدر ذكره أن الألوسى قد صرح بأن (من) الابتدائية على تقدير الأجلية على وجه التعليل[1].

٦٢- هبط:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٤ البقرة.

أى أن بعض الحجارة يهبط من خشية الله أما قوم موسى فهم جفاة الطبع غلاظ المشاعر قساة القلوب. فـ (من) فى (منها) اسم بمعنى بعض ومحلها النصب لأنها اسم (إن) والخبر (لما يهبط). واللام هنا ليست هى المزحلقة كما هو مشهور معروف عند النحاة ودارسى النحو ومدرسيه. بل هى للتوكيد الخبر كما أن (إن) لتوكيد المبتدأ فالجملة مؤكدة الجزء ين أما (من خشية الله) ف (من) ابتدائية تعليلية.

تلكم هى خلاصة المعنى المراد من هذا النص القرآنى. ولكن علماءنا قد عودونا على الخلاف والاختلاف ومما يبت ذلك أن المتبادر على الذهن عود الضمير فى (منها) على الحجارة. فهى التى تهبط من خشية الله. كقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ٢١ الحشر.

ولكن العلماء لا يقنعهم ذلك فقد وجدنا ابن جنى يقول: " وإن منها لما يهبط من خشية الله" فأجود القولين فيه أن يكون معناه: وإن منها لما يهبط مَنْ نظر إليه لخشية الله؛ وذلك: أن الإنسان إذا فكر فى عظم هذه المخلوقات تضاءل وتخشع

---

(١) روح المعانى ١/ ٣٩٥.

وهبطت نفسه لعظم ما شاهد فنسب الفعل إلى تلك الحجارة لما كان السقوط والخشوع سببا فيها وحادثا لأجل النظر إليها"[١].

ويترتب على ذلك أن يكون الضمير فى (منها) ليس عائدا على الحجارة بل على شئ قد يكون غير مراد وكذا فاعل (يهبط) ليس هو الحجارة بل شئ يدركه أصحاب ذلك الرأى فى تلك الآية. وقد ورد مثل ما قاله ابن جنى فى إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج[٢].

واكتفى أبو البقاء بأن (من) بمعنى الباء أى يهبط بخشية الله[٣] وهذا واضح فى أن (من) تعليلية. ولكن لا داعى لدعوى نيابتها عن الباء إذ هى كفيلة بهذا المعنى مع كونها ابتدائية.

هذا مسلك بعض علمائنا وهو -كما نرى- مسلك وعر وصعب لما فيه من الغموض والبعد عما يتضمنه النص. وهناك من سلك سبيل السهولة والتيسير لوضوح المعنى. وحسبنا من هؤلاء الإمام الرازى حيث يقول:" الراجح عود الضمير على الحجارة. ولما كان المقصود الأصلى من إهباط الحجارة فى الزلازل الشديدة أن فضل خشية الله فى القلوب صارت تلك الخشية كالعلة المؤثرة فى حصول ذلك الهبوط. فكلمة (من) لابتداء الغاية فقوله (من خشية الله) أى بسبب أن تحصل خشية الله فى القلوب[٤] ومع أن هذا النص قرر المراد بـ (مِنْ) فى (خشية الله) نراه قد أبعد فى زعمه أن الخشية ليست للحجارة. ولست أدرى كيف لا يستدل الرازى ومن حطب فى حبله بمثل قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...الآية السالف ذكرها﴾ بل فى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن

---

(١) الخصائص ٢/٢١١.

(٢) انظر ص٤٢٧.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/٢٥.

(٤) من مفاتيح الغيب ١/ ٣٩٧.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ .. الآية﴾ ١٨ الحج.

وكـــنا نود أن نكتفى بهذا القدر فى بيان فاعل (يهبط) فى الآية غير أننا رأينا أن نذكر نصا للألوسى جمع فيه الاحتمالات ثم عقب عليها. حيث قال:" واختلف فى المـــراد مـــن (الخشية) فذهب قوم وهو المروى عن مجاهد وغيره أنها هنا حقيقة. وهـــى مـــضافة علـــى الاسم الكريم من إضافة المصدر إلى مفعوله أى من خشية الحجارة الله.

وقـــيل: هى حقيقة والإضافة هى الإضافة إلا أن الفاعل محذوف وهو العباد والمعنى: أن من الحجارة ما ينزل بعضه عن بعض عند الزلزال من خشية عباد الله إيـــاه.. علـــى آخـــر ما ذكره ابن جنى وذهب أبو علم إلى أن الخشية حقيقية وأن الضمير فى (منها) عائد على القلوب؛ والمعنى: أن من القلوب قلوبا تطمئن وتسكن وترجع إلى الله وهى قلوب المخلصين. فكنى عن ذلك بالهبوط.

وقـــيل: إنهـــا حقيقة إلا أن إضافتها من إضافة المصدر إلى الفاعل والمراد بالحجـــر: البرد. وبخشيته تعالى: أضافته عباده بإنزاله وهذا القول: أبرد من الثلج. وما قبله أكثف من الحجر. وما قبلهما بين بين"(١).

وبهـــذا التعبير الأخير يكون الألوسى قد رد الأوجه الثلاثة أى الثانى والثالث والرابع. ولم يبق إلا الأول وهو المروى عن مجاهد وغيره وخلاصته هى ما قدمناه فـــى معنـــى الآية من أن الفاعل هو الحجارة و (من) ابتدائية تعليلية. وأعنى: أن الحجارة هى فاعل (يهبط) وفاعل (خشية الله).

---

(١) روح المعانى ٢٤٥/١.

٦٣- وجس: فى آيتين هما:

قــوله تعالـــى: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ ٧٠ هــود، ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ٢٨ الذاريات.

وهاتان الآيتان فى حق سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. والواضـــح أن (مـــن) ابتدائية تعليلية فالملائكة هم ابتداء وعلة خوف إبراهيم عليه السلام.

والتعبيـــر بـــ (أوجس) هنا له وزنه فى المعنى المراد إذ مادة (وج س) تدل علـــى إحـــساس بشئ وتَسَمُّع له. تَوَجَّس الشئ أحس به فتَسَمَّع له. قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ ٦٧طه[1].

ولـــذا وجدت الزمخشرى يعبر عن معنى (أوجس) فى الآيتين بقوله: فأضمر ثـــم قـــال:" وإنما قالوا – أى الرسل– لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه"[2].

٦٤- وجـــــل:

فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ ٥٢ الحجر.

وهذه الآية أيضا فى حق إبراهيم عليه مع الرسل أى الملائكة ومعنى الوجل: الخوف أى إنا لأجلكم خائفون. فـــ (من) ابتدائية تعليلية.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٦/٨٧.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٣٢١، ٤/٣١٩.

٦٥- ورى:

فى قوله تعالى: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ ٥٩ النحل.

قـــال الزمخشرى:" يستخفى من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم"(١). والمراد التبشير بأن امرأته ولدت أنثى. وبعض العرب كان يبغض ذرية البنات.

٦٦- وضـــع:

فى قوله تعالى: ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ ٥٨ النور.

قـــال أبـــو البقاء:" يجوز أن تكون (من) لبيان الجنس أى حين ذلك من وقت الظهيـــرة، وأن تكـــون بمعنـــى: فى، وأن تكون بمعنى: من أجل حَرِّ الظهيرة(٢)، والراجح آخرها مع ملاحظة أن (من) ابتدائية تعليلية.

٦٧- وَلِىّ: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ ١١١ الإسراء. وقوله: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ - أصحاب الكهف- لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ ١٨ الكهف.

يقول الزمخشرى فى الأولى:" وَلِىّ: ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه. به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها بموالاته"(٣).

وقال أبو حيان:" وقيل: لم يكن له ولى من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس فـــيكون (مـــن الذل) صفة لـــ (ولى) انتهى أى : ولى من أهل الذل، فعلى هذا وما

(١) الكشاف ٤٧٥/٢.
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٨٣/٢.
(٣) الكشاف ٥٤٧/٢.

تقدم من قول الزمخشري يكون (من) فى معنى المفعول به، أو لسبب أو للتبعيض"(١).

وقوله (فى معنى المفعول به) غامض إذ كيف تكون مفعولا به بعد كلمة (ولى) ولو على تقدير مضاف أى (من أهل الذل)؟!

ويبقى معنى: السببية أو التعليل؛ ومعنى: التبعيض. أما المعنى الثانى فلا يليق بهذا المقام إذ لا معنى لقولنا: ولى بعض الذل. اللهم إلا على تقدير: بعض أهل الذل. وعليه تكون (من) نعتا فى محل رفع و لا أراه لأنه ينطوى على تقدير شئ لا يحتاج إليه المقام فهو من قبيل (التكدير).

وبهذا يتضح أن المقام مقام (من) الابتدائية التعليلية. ولذا فإنى مع الألوسى فى قوله:" ومن عجيب ما قيل أن (من الذل) فى موضع الصفة لـ (ولى) و (من) فيه للتبعيض. وأن الكلام على حذف مضاف أى: لم يكن له ولى من أهل الذل؛ والمراد بهم اليهود والنصارى ولعمرى إنه لا يلتفت إليه.... والرأى عندى أن (من) صلة لـ (ولى) وضمن معنى: المنع والنصرة"(٢).

ويبدو أن علماءنا أشد ما يكونون حرصا على تقدير شئ أو زعم شئ فى النص القرآنى. ولست أدرى سببا للتضمين هنا إذ: ما معنى الولاية إذا لم يكن النصرة؟! فلم هذا التكلف؟.

٦٨- ويل: تسع مرات فى ثمانى آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ٧٩ البقرة، وقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

---

(١) البحر المحيط ٩١/٦.

(٢) روح المعانى ٦١٣/٤.

٢ إبـــراهيم. وقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ٣٧ مريم. وقوله: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ١٨ الأنبياء. وقوله: ﴿ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا ﴾ ٥٢ يس~.

على قراءة (مِنْ بعثنا). وقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ٢٧ص~. وقوله:﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ٦٥ الزخرف. وقوله: ﴿فَوَيْل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ ٦٠ الذاريات.

ففـــي الآيـــة الأولى يقول أبو السعود:" و (من) فى قوله (مما كتبت) تعليلية متعلقة بـــ (ويل) أو بالاستقرار فى الخبر"[١].

ولا يخفـــى أنهـــا تفـــيد معنى: الابتداء مع التعليل. والراجح – إن لم يكن الـــصواب– أن (من) مرتبطة بـــ (ويل) لا باستقرار محذوف فى الخبر إذ لا معنى لقولنا: فويل مستقر لهم... إذ ما فائدة اللام حينئذ؟! إن المعنى يدركه العقل من نص الآيـــة مـــع المحافظـــة على نسقها وعدم زعم افتقارها إلى ما ليس له فائدة إلا إذا اعتبرنا (تكدير النص) أصلا يحتذى ويلتزم من النحاة. وما أبعده!!.

ومما يؤيد هذا قول الزمخشرى فى آية إبراهيم:" إن المعنى أنهم يولولون من عـــذاب شـــديد ويـــضجون منه ؛ ويقولون: يا ويلاه كقوله: "دَعَوْا هنالك ثبوار". ١٣ الفرقان[٢].

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/٣٧٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٨.

ومن العجيب أن يمنع أبو البقاء في هذه الآية تعلق وارتباط (من) بـ (ويل) للفصل بينهما بالخبر(١).

وبالتأمل ندرك أن هذا الفصل موجود ثماني مرات في الآيات السابقة وليس موجودا في آية واحدة وهو آية الأنبياء (ولكم الويل مما تصفون) والمنهج السائد أن هذه الآية وما يناظرها من آيات قرآنية في تقدم الظرف وذكره أولا. إنما هي على تقدير تعلق الظرف بمحذوف (مستقر) أو نحوه محذوفا على أنه خبر مقدم و(الويل) مبتدأ مؤخر. وقد حققت بطلان ذلك في كتاب جمعت فيه ما يزيد على ألف آية زعم فيها النحاة ما سلف ذكره والحق أن هذه الصياغة قائمة على أن الظرف فاعل لما بعده فالجملة ظرفية هي بريئة من دعوى باطلة هي: دعوى التقديم والتأخير(٢).

وعلى رأي أبي البقاء تكون جميع الآيات إلا آية الأنبياء محمولة على ما ذكره. فهل يجوز ارتباط (من) بالخبر الذي هو الظرف (لهم) أو (للكافرين) أو (للذين كفروا) أو (للذين ظلموا) ؟ وكيف يكون المعنى حينئذ؟!.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يبق من الآيات إلا آيتان هما: آية الأنبياء (ولكم الويل) وآية يس~ (يا ويلنا من بعثنا..) ومما يثير دهشتنا أن بعضهم استشهد لهذه القاعدة المختلة المعتلة بنص للزمخشري في آية إبراهيم وهو:" فإن قلت: ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بـ (ويل)؟ قلت: لأن المعنى: أنهم يولولون من عذاب شديد " ويضجون منه" وقد سلف ذكر بعض هذا النص. ولست أدري ما وجه تعلقهم بهذا النص فيما ذهبوا إليه ؟ إن ظاهره وجوهره يثبت ارتباط (من عذاب شديد) بـ (ويل) أليس نصه: (أنهم يولولون من عذاب) فهل الولولة إلا قولهم:

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٣٥.

(٢) انظر كتابنا: أساليب الجملة الظرفية في القرآن.

يـــا ويلنا؟؟ ولكن بعضهم يأبون إلا التمسك بهذا النص وعليه راح يفرق بين (ويل) فى آية إبراهيم و (ويل) فى غيرها.ففي الكشاف: أن الزمخشرى لما رأى أن الويل من الذنوب لا من العذاب كما يرشد إليه قوله:" فويل لهم مما كتبت أيديهم: وأمثاله. أشـــار هـــنا على أن الاتصال معنوى لا من ذلك الوجه فإنه هناك جعل الويل نفس العـــذاب وهنا جعله تلفظهم بكلمة التلهف من شدة العذاب وكلاهما صحيح. ولم يرد أن هـــنالك فصلا بالخبر لقرب ما مر فى قوله تعالى:" سلام عليكم بما صبرتم" ٢٤ الرعد. انتهى.

واعتـــرض علـــيه بأنه لا حاجة لما ذكر من التكلف لأن اتصاله به ظاهر لا يحتاج إلى صرفه للتلفظ بتلك الكلمة و (من) بيانية لا ابتدائية. حتى لا يحتاج إلى ما ذكر. ولا يخفى قوة ذلك وأنه لا يحتاج إلى التكلف. ولو جعلت (من) ابتدائية فتأمل.

وقـــد جوز بعضهم أن تكون (من عذاب شديد) فى موضع الحال عليهما فى الحواشى الشهابية و (من) بيانية.

وجوز بعضهم أن تكون (من) ابتدائية على معنى: أن الويل بمعنى عدم النجاة متصل بالعذاب الشديد وناشئ عنه"(١).

ومعـــذرة إلى القارئ إن كنت قد أطلت فى ذكر هذه النصوص، وما حملنى علـــى هـــذا إلا بيان ما كان علماؤنا يرتكبونه فى توضيح معانى بعض الآيات من شـــطط يبعد بهم عن المعنى المراد بعد أن صرفهم عن النص المذكور ولكن تأبى الحقيقة إلا أن يأتى فجرها كفلق الصبح كما يأبى الحق إلا أن يظهر قويا فتذعن له العقـــول وتطمـــئن به القلوب. أليس هذا ما انتهى إليه النص من أن (من) ابتدائية تعليلـــية. فلو كانت بيانية لترتب عليه دعوى الزيادة كما عرفنا وألفنا. ولو كان هذا هو المراد لكان النص وللكافرين عذاب شديد.

---

(١) روح المعانى ٤/٢٠٨.

هذا: ويقول أبو حيان فى آية مريم:" من مشهد: (مشهد) فعل من الشهود وهو الحضور؛ أو من الشهادة. ويكون مصدرا ومكانا وزمانا فـــ (من الشهود) يجوز أن يكون المعنى: من شهود هول الجزاء والحساب فى يوم القيامة. وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو: الموقف. وأن يكون من وقت الشهود. و (من الشهادة) يجـــوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبيـــاء وألســـنتهم وأيديهم أرجلهم بالكفر. وأن يكون من مكان الشهادة. وأن يكون من وقت الشهادة"(١).

وعلى جميع هذه الاحتمالات لا يكون معنى (من) إلا الابتداء مع التعليل وفـــى آية يس قراءتان. الأولى بفتح الميم فى قوله (يا ويلنا من بعثنا) وليست هذه منـــاط دراستنا. والثانية بكسر الميم وهى التى نعنى هنا.

فـــ (من بعثنا) مرتبط بالويل. فالويل من البعث(٢).

فـــ (من) ابتدائية تعليلية.

وفى آية ص~ يقول الألوسى:" من : ابتدائية أو بيانية أو تعليلية كمـــا فـــى قوله: ' فويل لهم مما كتبت أيديهم" ونظائره. وتفيد على هذا عِلِّيَه النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الإشعار بعِلِّيَة ما يؤدى إليها من ظنهم وكفرهم. أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم.

قيل: " والكلام على تقدير مضاف أى من دخول النار"(٣).

وفى صيغة (قبل) ما يوحى إلى أن هذا التقدير لا داعى إليه فهـــو: تكـــدير وهناك من يجعل (من) بمعنى (فى) يقول الجـــلال فـــى آيـــة الـــذاريات: " مـــن بمعنى: فى"(٤).

---

(١) البحر المحيط ١٩٠/٦.

(٢) انظر الكشاف ١٥/٤.

(٣) روح المعانى ٣٤٥/٧.

(٤) الجلالين بحاشية الجمل ٢١١/٤.

أقول: إن (من) تثبت هذا المعنى فلست أدرى سِرًّا لجعلها بمعنى (غيرها) هل قوله تعالى: " فويل للذين كفروا من النار". لا يثبت أنهم فيها ؟!!

وخلاصــة القــول وزبدته أن (مِنْ) فى هذه الآيات ابتدائية تعليلية ولذا قال الكرخى فى آية الأنبياء: " من: تعليلية وهذا وجه وجيه"(١).

ولا يخفى أنها – مع ذلك– ابتدائية. والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم.

هذا: وقد وصل عدد مرات هذا الفصل الخاص بـــ (من) الابتدائية التى تكون للتعلــيل ١٣٢ اثنتــين وثلاثين ومائة مرة. مع ملاحظة أن آيات القرآن يعجز عن إحصائها البشر مهما كانت دقتهم. فالقرآن معجز والبشر عاجزون.

والله ولى التوفيق

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١٢٣/٣.

خاتمـــــة

بإحصاء عدد مرات (مِنْ) الاسمية فى الجزء الثانى ثبت أنـــه: ١٧٩٠ مـــرة تسعون وسبعمائة وألف مرة.

ثم ثبت بإحصاء عدد مرات (مِنْ) غير الاسمية فى الجزء الثالث: ١٦٨٥ مرة خمس وثمانون وستمائة وألف مرة.

وبذلك يكون عدد مرات (مِنْ) فى القرآن كلـــه : ٣٤٧٥. خمســاً وســبعين وأربعمائة وثلاثة آلاف مرة.

هذا ما أثبتته إحصائية (مِنْ) فى عملنا الذى جمعنا فيه عدد (مِــنْ) الاســمية وعدد (مِنْ) الحرفية.

ولكن هناك إحصائية أخرى قام بها أحد العلماء لـــ (مِنْ) الواردة فى القرآن كله دون تمييز الاسمية من الحرفية. وأثبتت هذه الإحصائية أن (مِنْ) – ٣٢٢١ – إحدى وعشرون ومائتان وثلاثمائة مرة.

وبطرح هذا العدد من الأول: ٣٤٧٥ – ٣٢٢١ = ٢٥٤ ثبت أنه يزيد : ٢٥٤ أربعاً وخمسين ومائتى مرة.

وأغلب الظن أننى كنت أحياناً أخلط بين (من) الاسمية و (من) الحرفيـــة. إذ القرآن غالب لا مغلوب فهو معجز فى كل شئ من النقطة إلى الكلمة ثم إلى الجملة. فسبحان الذى لا تنفد عجائبه. ولا تحصى مزَايِدُه.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٢١ يوسف.

المصادر والمراجع

أولا:

١- القرآن الكريم. كلام الله عز وجل.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، جمع محمد فؤاد عبد الباقى، ط. الشعب، سنة ١٣٧٨هـ.

ثانيا: المخطوطات:

٣- الإعـراب عن قواعد الإعراب: جمال الدين بن هشام، رقم ٤٥ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

٤- الاقتراح فى أصول النحو: جلال الدين السيوطى، رقم ٨٠ المكتبة الأحمدية بطنطا.

٥- الجنـى الدانـى فى حروف المعانى: ابن أم قاسم النحوى، رقم ٨١ المكتبة الأحمدية بطنطا.

٦- الجامع الصغير: جمال الدين بن هشام، رقم ٦٨ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

٧- داعـى الفـلاح لمجنـيات الاقتراح. محمد بن علان، رقم ٨٠ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

٨- رسالة مشتملة على تفسير حروف المعانى: على بن محمد الأشمونى، رقم ٧ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

٩- رسـالة تتعلق بأفعل التفضيل: أحمد بن محمد الميدانى، رقم ٨٣ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

١٠- شـرح الإعراب عن قواعد الإعراب، المسمى: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهرى، رقم ٤٥ المكتبة الأحمدية بطنطا.

١١- غزوة أحد فى الكتاب والسنة: رسالة دكتوراه بقلم الأستاذ الدكتور الحسينى أبو فرحه رحمه الله.

١٢- فتح الرءوف فى معانى الحروف، مؤلفه غير مذكور، رقم ٨٤ نحو المكتبة الأحمدية بطنطا.

١٣- المثل السائر: ضياء الدين الأثير، رقم ٢٨٤ المكتبة القصبيه بطنطا.

ثالثا: المطبوعات:

١٤- أبو الأسود الدئلى: للأستاذ على النجدى ناصف ٨٩ من دراسات فى الإسلام.

١٥- ابن تيمية: للدكتور محمد يوسف موسى، ٥٠٠ أعلام العرب.

١٦- ابن قتيبة: الدكتور عبد الحميد الجندى ناصف، ٨٩ من دراسات فى الإسلام.

١٧- ابن رشيق: الأستاذ عبد الرؤوف مخلوف، ٤٥ أعلام العرب.

١٨- إتحــاف فــضلاء البــشر فى القراءات الأربعة عشر. الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى الشافعى، المطبعة العامرة سنة ١٢٨٥هـــ.

١٩- الأفعال فى علوم القرآن: جلال الدين السيوطى، ط. ثالثة، مصطفى الحلبى.

٢٠- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية للشيخ أحمد حسن الباقورى، دار المعارف

٢١- أحكــام القرآن: أبو بكر بن العربى، تحقيق على البنجاوى، ط. أولى عيسى الحلبى.

٢٢- إحياء النحو: الأستاذ إبراهيم مصطفى، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٣- أدب الكاتب: عبد الله بن قتيبة، تحقيق الشيخ نحيى الدين عبد الحميد.

٢٤- إرشــاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود بن محمد العمادى، مطبعة صبيح، ونسخة ثانية على هامش الرازى.

٢٥- أسرار البلاغة، للإمام عبد القاهر الجرجانى. تحقيق المراغى.

٢٦- الأسلوب: للأستاذ أحمد الشايب، مطبعة الاعتماد بمصر.

٢٧- أساس البلاغة: للإمام محمود بن عمر الزمخشرى، ط. الشعب.

٢٨- أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب: للأستاذ عباس العقاد، دار المعارف.

٢٩- إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلانى، هامش الإتقان.

٣٠- إعـــراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، حققه الأستاذ إبراهيم الإبيارى وأسنده إلى :مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى.

٣١- الألغاز: جمال الدين بن هشام.

٣٢- الألفـــاظ الكتابية: عبد الرحمن بن عيسى الهيرانى، نشر الأب لويس شبنجو اليسوعى.

٣٣- الألفـــاظ المتـــرادفة: علـــى بن عيسى الرمانى، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١هـــ.

٣٤- الألفية نظم: أبو عبد الله جمال الدين بن مالك الطائى.

٣٥- إلى القرآن الكريم: الشيخ محمود شلتوت، مطبعة الأزهر.

٣٦- إمـــلاء مـــا من به الرحمن من وجو الإعراب والقراءات فى جميع القرآن، تأليف: محب الدين أبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى.

٣٧- الأمالـــى للزجاجـــى: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى، ط. أولى ١٣٢٤هـــ.

٣٨- أمالى المرتضى: الشريف أبو القاسم على بن الظاهر ط. أولى ١٣٢٥هـــ

٣٩- الانتـــصاف مـــن الكـــشاف: الإمـــام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندرى.

٤٠- الإنسان فى القرآن الكريم: الأستاذ عباس محمود العقاد، دار الهلال.

٤١- الإنــصاف فــى مسائل الخلاف. عبد الرحمن الأبيارى تحقيق الشيخ محيى الدين، ط.صبيح.

٤٢- أنمــوذج جليل فى بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل، تأليف: محمد بن أبى بكر الرازى، هامش إملاء ما من به الرحمن.

٤٣- الأنموذج فى النحو: الإمام محمود بن عمر الزمخشرى.

٤٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام ناصر الدين بن سعيد البيضاوى.

٤٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد.

٤٦- الإيجاز شرح دلائل الإعجاز. للأستاذ أحمد المراعى.

٤٧- الإيضاح: لجلال الدين أبى عبد الله محمد القزوينى، تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدى. المطبعة النموذجية.

٤٨- البحــر المحــيط، تألــيف: أبى حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطى الأندلسى.

٤٩- البرهان فى علوم القرآن: للإمام محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق الأستاذ أبى الفضل إبراهيم، عيسى البابى الحلبى.

٥٠- بغية الإيضاح: للشيخ عبد المتعال الصعيدى هامش الإيضاح.

٥١- بغية الوعاة لجلال الدين السيوطى، ط. أولى ، عيسى الحلبى.

٥٢- البهجة المرضية فى شرح الألفية، ط. أولى، عيسى الحلبى.

٥٣- تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن قتيبة، تحقيق السيد صقر عيسى الحلبى.

٥٤- التبيان فى تصريف الأسماء، د: أحمد حسين كحيل، ط. ثالثة.

٥٥- تحت راية القرآن: الأستاذ مصطفى الرافعى، ط. سادسة.

٥٦- تــسهيل نــيل الأمانى فى شرح عوامل الجرجانى، أحمد مصطفى القطافى، عيسى الحلبى.

٥٧- تعليقات الشيخ محمد محيى الدين على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

٥٨- تعليقات على شرح الشافيه للأساتذة محيى الدين، الزفزاف، نور الحسن.

٥٩- تعليقات الأستاذ عبد السلام هارون على كتاب سيبويه.

٦٠- تعليقات الشيخ محيى الدين على أدب الكاتب.

٦١- تعليقات أ.د أحمد حسن كحيل على الرسالة التى صار عنوانها: " معنى (من) واستعمالها فى القرآن" للأستاذ الدكتور: محمد يسرى زعير.

٦٢- تفسير سورة الفاتحة: للإمام فخر الدين الرازى.

٦٣- تفسير القرآن الحكيم: السيد محمد رشيد رضاء ط. ثالثة.

٦٤- تفسير جزء تبارك: الشيخ عبد القادر المغربى، ط. الشعب.

٦٥- التفسير الحديث: الأستاذ محمد عزة دروزة، عيسى الحلبى.

٦٦- التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن، الأستاذ حنفى أحمد دار المعارف.

٦٧- تقريرات السيرافى على الكتاب لسيبويه، أبو سعيد السيرافى.

٦٨- تقرير الإنبابى على حاشية أبو النجا. الشيخ محمد الإنبابى.

٦٩- تلخيص البيان فى مجازات القرآن. الشريف الرضى تحقيق الأستاذ عبد الغنى حسن.

٧٠- التلويح فى شرح الفصيح: محمد بن على الهروى، تحقيق الأستاذ عبد المنعم خفاجى.

٧١- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، التجارية ط.أولى.

٧٢- تاريخ للغة العربية أستاذ جرجس زيدان، ط. الهلال ١٩٠٤م.

٧٣- تفسير الجلالين: الجلال المحلى والجلال السيوطى، هامش شرح الجمل.

٧٤- جمع الجوامع: جلال الدين السيوطى.

٧٥- جامع البيان فى تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبرى، المطبعة اليمنية.

٧٦- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبى، ط. الشعب.

٧٧- حسان بن ثابت: د. سيد حنفى حسنين، ٣٠ أعلام العرب.

٧٨- حاشية الأمير على المغنى: الشيخ محمد الأمير هامش المغنى.

٧٩- حاشية الأمير على: شذور الذهب، الشيخ محمد الأمير.

٨٠- حاشــية الــصبان على: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونى، مطبعة الاستقامة ١٣٦٦هـ.

٨١- حاشية الجمل على الجلالين: للشيخ سليمان الجمل.

٨٢- حاشــية الــشهاب علــى البيضاوى: الشيخ أحمد بن محمد الملقب بالشهاب الخفاجى.

٨٣- حاشية زاده على البيضاوى: شيخ زاده.

٨٤- حاشــية الشمنى على المغنى المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام الإمام أحمد بن محمد الشمنى.

٨٥- حاشــية يــس على التصريح: الشيخ يس بن زين الدين الحمصى، ط. أولى التجارية.

٨٦- حاشية الخضرى على ابن عقيل: الشيخ محمد الخفرى.

٨٧- حاشية أبى النجا على شرح الشيخ خالد للأجرومية. الشيخ أبو النجا.

٨٨- حاشية الشيخ عليش على الرسالة البيانية للصبان: محمد بن أحمد عليش.

٨٩- حاشية الحاج محرم أفندى على شرح الكافية للرضى.

٩٠- حاشية الغزى على ألغاز ابن هشام. سيف العزى الحنفى.

٩١- حاشــية الــسيد علــى المطول، السيد لشريف الجرجانى المطبعة العثمانية ١٣١٠هـ.

٩٢- حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقى على الكشاف.

٩٣- خـزانة الأدب الكبرى: عبد القادر المغربى ط. أولى. ونسخة أخرى، تحقيق الأستاذ هارون.

٩٤- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق الشيخ النجار، ط. دار الكتاب.

٩٥- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان آيات الله المتشابهات فى كتاب الله، الإمام أبو عبد الله بن عبد الله الخطيب الإسكافى، ط. أولى ١٣٢٧هـ.

٩٦- درة الغـواص فـى أوهام الخواص. لأبى القاسم بن على الحريرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٩٧- الـدرر اللوامـع علـى جمـع الجوامع، أحمد بن الأمير الشنقيطى، مطبعة كردستان ١٣٢٨ هـ.

٩٨- درء مظاهـر مـن الجرآة في تفسير اكتاب العزيز (لا) التى يقال إنها زائدة وليست كذلك، فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج، مجلة الأزهر.

٩٩- دعـوات الإصـلاح للنحو العربى قبل ابن مضاء: أحمد مختار عمر، مجلة الأزهر.

١٠٠- دراسـات معاصـرة عن الإسلام والمسلمين، د محمد غلاب، ع: ٩٣ش. مسلسلة دراسات فى الإسلام.

١٠١- دفاع عن البلاغة الأستاذ أحمد حسن الزيات.

١٠٢- دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجانى.

١٠٣- الدين: تأليف الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز.

١٠٤- ديـل فـصيح ثعلب: لأبى محمد عبد اللطيف بن الحافظ البغدادى النحوى تحقيق الأستاذ عبد المنعم حفاجى.

١٠٥- الـرد على النحاة لابن مضاء القرطبى، تحقيق د شوقى ضيف ، دار الفكر العربى.

١٠٦- رسالة الغفران: لأبى العلاء المعرى.

١٠٧- الرسالة البيانية: لمحمد بن على الصبان.

١٠٨- روح المعانى: لشهابا لدين السيد محمود الألوسى البغدادى.

١٠٩- سر صناعة الإعراب: لأبى الفتح عثمان بن جنى، مطبعة الحلبى.

١١٠- سراج المقارئ المبتدئ (شرح ابن القاصح للشاطبية) أبو القاسم على بن عثمان.

١١١- شرح كافية ابن الحاجب. محمد بن الحسن الرضى.

١١٢- شرح سافية ابن الحاجب. محمد بن الحسن الرضى.

١١٣- شرح شذور الذهب: جمال الدين بن هشام.

١١٤- شرح قطر الندى وبل الصدى. لجمال الدين بن هشام.

١١٥- شرح المفصل للزمخشرى، لموفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية.

١١٦- شرح ألفية ابن مالك بهاء الدين عبد الله بن عقيل تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

١١٧- شرح المعلقات السبع: لأبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى.

١١٨- شرح الدماينى على المغنى المسمى (تحفة الغريب) محمد بن أبى بكر الدماينى الشمنى.

١١٩- شرح الألفاظ المترادفة، الأستاذ محمد محمود الرافعى.

١٢٠- شرح شواهد ابن عقيل، الشيخ عبد المنعم الجرجاوى.

١٢١- شرح أمالى الزجاجى، أحمد بن الأمين الشنقيطى.

١٢٢- شرح أنموذج الزمخشرى المسمى (عمدة السرى) للشيخ إبراهيم سعيد الخصوصى، ط. أولى.

١٢٣- شرح شواهد الشافية عبد القادر المغربى، مطبعة حجازى.

١٢٤- شرح الشواهد الكبرى: للإمام العينى محمود هامش خزانة الأدب.

١٢٥- شرح منهج البلاغة: الإمام محمد عبده، ط. الشعب.

١٢٦- الصناعتين: أبو هلال العسكرى، ط. ثانية صبيح.

١٢٧- الطبرى: الدكتور أحمد محمد الحوفى، ١٣ أعلام العرب.

١٢٨- الطراز يحيى بن حمزة العلوى اليمنى.

١٢٩- عبد القاهر الجرجانى للدكتور أحمد أحمد بدوى، ٨ أعلام العرب.

١٣٠- علم أصول الفقه، الشيخ محمد عبد الله أبو النجا، ط. ثالثة.

١٣١- عوامل الإعراب: للإمام عبد القاهر الجرجانى، عيسى الحلبى.

١٣٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد العمى لنيسابورى الطبرى.

١٣٣- غيث النفع للقراءات السبع على النورى السفاقسى، هـ ابن القاصح.

١٣٤- الفتاوى للشيخ محمود شلتوت، ط. ثانية، دار القلم.

١٣٥- فجر الإسلام: للدكتور أحمد أمين.

١٣٦- فى أصول الأدب: للأستاذ أحمد حسن الزيات.

١٣٧- فى الأدب الجاهلى: الدكتور طه حسين.

١٣٨- الفراء ومذهبه فى اللغة والنحو للدكتور أحمد مكى الأنصارى.

١٣٩- الفصيح لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق الأستاذ عبد المنعم خفاجى.

١٤٠- فقه اللغة وسر العربية: لأبى منصور الثعالبى، المكتبة التجارية.

١٤١- فقه اللغة، للشيخ إبراهيم نجا.

١٤٢- فقه اللغة للأستاذ محمود احمد ناصف.

١٤٣- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جرجس زيدان، ط. ثانية.

١٤٤- فلسفة اللغة العربية، محاضرة للدكتور عثمان أمين، مطبعة الأزهر.

١٤٥- الفلسفة القرآنية للأستاذ محمود عباس العقاد، دار الهلال.

١٤٦- الفائق فى غريب الحديث للإمام محمود بن عمر الزمخشرى.

١٤٧- القيروزج فى شرح الأنموذج للشيخ محمد عيسى عسكر.

١٤٨- القرآن واللغة: للشيخ عبد الجواد رمضان، مجلة الأزهر.

١٤٩- القرآن وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم.

١٥٠- قصة الفلسفة الحديثة للدكتورين: أحمد أمين وزكى نجيب محمود.

١٥١- القاموس المحيط: مجد الدين القيروزباذى. ط. خامسة المكتبة التجارية.

١٥٢- الكتاب لسيبويه لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ط. أولى، ونسخة ثانية تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

١٥٣- الكشاف للإمام محمود بن عمر الزمخشرى.

١٥٤- الكافية لابن الحاجب.

١٥٥- الكليات لأبى البقاء الحسينى الكفوى الحنفى.

١٥٦- الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس المبرد.

١٥٧- لباب النقول فى أسباب النزول لجلال الدين السيوطى.

١٥٨- لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر.

١٥٩- لسان العرب. جمال الدين الإبقى (ابن منظور)، ط. بيروت.

١٦٠- لغة منطقية للأستاذ عباس العقاد، مجلة الأزهر.

١٦١- لغويات للشيخ محمد على النجار.

١٦٢- اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن، دار المعارف.

١٦٣- مجلة المجمع اللغوى الجزء الأول ١٩٣٤م.

١٦٤- مجلة الآداب البيروتية، ع ١١ ١٩٥٩م

١٦٥- مجمـــع الأمثال: لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى، تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد.

١٦٦- مجمـــوعة رســـائل ابـــن تيمية لأبى العباس أحمد بن عبد الحليم الدمشقى، ط.أولى.

١٦٧- محاضرات فى علم النحو للشيخ عطية الصوالحى.

١٦٨- محاضرات فى النحو والصرف والعروض للأستاذ على السباعى.

١٦٩- محاضرات علم الصحة التربوية للطبيب محمد سيد عبد العال.

١٧٠- مختصر المعانى لسعد الدين التفتازانى.

١٧١- المختصر الناقع فى فقه الإمامية نجم جعفر بن الحسن الحلى ط. الأوقاف.

١٧٢- المخصص لأبى الحسن على بن اسماعيل الأندلسى (ابن سيده).

١٧٣- المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف، دار المعارف. ط. أولى الأميرية.

١٧٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لعبد الله بن أحمد النسفى صبيح.

١٧٥- المزهر فى علوم اللغة لجلال الدين السيوطى، عيسى الحلبى.

١٧٦- مطلع النور للأستاذ عباس العقاد، دار الهلال.

١٧٧- معجـــم مقايـــيس اللغـــة لأحمـــد بن فارس الرازى تحقيق الأستاذ هارون، ط.أولى.

١٧٨- مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين للشيخ عبد المتعال الصعيدى.

١٧٩- معاهد التنصيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق الشيخ محيى الدين.

١٨٠- مغنى اللبيب لجمال الدين بن هشام، ط. حجازى بالقاهرة ١٣٧٢هـ.

١٨١- مفتاح العلوم. لأبى يعقوب يوسف بن بكر الكالى، ط.أولى.

١٨٢- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى، المطبعة اليمنية ١٣٢٤هـ

١٨٣- المفصل فى النحو، للإمام محمود بن عمر الزمخشرى.

١٨٤- المقتضب لأبى العباس المبرد، تحقيق الشيخ عضيمة.

١٨٥- المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون.

١٨٦- مقدمة فجر الإسلام للدكتور طه حسين.

١٨٧- مقدمة خصائص ابن جنى. للشيخ محمد على النجار.

١٨٨- مقدمة إلى القرآن الكريم للدكتور محمد البهى.

١٨٩- مقدمة لدراسة بلاغة العرب للأستاذ أحمد ناصف، ط. أولى ١٩٢١م.

١٩٠- مقدمة تلخيص البيان للأستاذ محمد عبد الغنى حسن.

١٩١- مقدمة فى نشأة علوم البلاغة للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٩٢- من أسرار اللغة. للدكتور إبراهيم أنيس، مجلة الأزهر.

١٩٣- منطق أرسطو والنحو العربى للدكتور إبراهيم مدكور، مجلة الأزهر.

١٩٤- من قضايا اللغة والنحو للأستاذ على النجدى ناصف.

١٩٥- من مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازى.

١٩٦- منهج الإمام محمد عبده فى التفسير للأستاذ عبد الله شحاته.

١٩٧- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للشيخ على بن محمد لأسمونى.

١٩٨- المنهج المقارن فى اللغة العبرية للدكتور محمد الجرح.

١٩٩- من هدى القرآن للدكتور أمين الخولى.

٢٠٠- مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى، ط.الحلبى.

٢٠١- مهد العرب: للدكتور عبد الوهاب عزام، دار المعارف.

٢٠٢- الموازنة بين أبى تمام والبحترى: للحسن بن بشر الآمدى، تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد.

٢٠٣- النبأ العظيم للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز.

٢٠٤- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: للشيخ محمد عرفة.

٢٠٥- النحو الجديد: للشيخ عبد المتعال الصعيدى.

٢٠٦- النحو الوافى للأستاذ عباس حسن، دار المعارف.

٢٠٧- نزهة الألبا وتاريخ الأدبا: لعبد الرحمن بن محمد الأنبارى.

٢٠٨- نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى.

٢٠٩- النشر فى القراءات العشر: لمحمد بن محمد الدمشقى (ابن الجزرى).

٢١٠- نقد كتاب الشعر الجاهلى للأستاذ محمد فريد وجدى.

٢١١- نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر.

٢١٢- نهج البلاغة للإمام على بن أبى طالب، ط. الشعب.

٢١٣- النهر الماد لأبى حيان الأندلسى هامش البحر المحيط.

٢١٤- النوادر لأبى على القالى.

٢١٥- هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

٢١٦- هل وضع النحو على أساس صحيح؟؟ الأستاذ كامل شاهين مجلة الأزهر.

٢١٧- همع الهوامع لجلال الدين السيوطى.

٢١٨- وحى الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات.

٢١٩- الوحى المحمدى للسيد رشيد رضا.

٢٢٠- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى.

٢٢١- الواو التى يقال إنها زائدة وليست كذلك لفضيلة الدكتور: عبد الرحمن تاج.

٢٢٢- اليهود فى القرآن للدكتور محمود بن الشريف.

٢٢٣- يونس بن حبيب: للدكتور حسين نصار، ٧٥ أعلام العرب.

رابعا: كتب مترجمة:

٢٢٤- دائـــرة المعـــارف الإسلامية: ترجمة إبراهيم خورشيد، وأحمد السدناوى، وعبد الحميد يونس، مجلد ١، ٢ ط. الشعب.

٢٢٥- دور الكلمة فى اللغة لـــ (ستيفن أولمان) ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢م.

٢٢٦- العربية: دراسات فى اللغو واللهجات والأساليب: يوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار مطبعة دار الكتاب العربى ١٩٥١م.

٢٢٧- العلم والعمران: محاضرات إنجليزية ترجمتها دار المقتطف ١٩٢٨م.

وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة بتصويب أخطاء فى بعض كلمات الجزء الأول من كتاب "معنى (مِنْ) واستعمالها فى القرآن – جمعاً ودراسة

رقم الصفحة والسطر	خطأ	صواب
ص٣ س٣	عنوانها	عنوانه
ص٤س١٨	دافعه	دامغة
ص٥س١٠	يخضعونه	يخضعونه
ص٦ آخر سطر	الرائع لذى	الرائع الذى
ص٧ س٣	مبتدأ	مبتدئا
ص٧ س١٧	٤٩ مريم	٥١ مريم
ص٧س١٩	وإمَّاماً	وأما ما
ص٧ س٢٠	أو أسلم وجه لله	وأسلم وجهه لله
ص٧ هامش ١	الكشاف ١٧/٢	٣/ ١٧
ص١١س١٠	الأسمية	الاسمية
ص١٧هامش٣	ثورة الأدب ص ٤٥	النبأ العظيم ص٩٥، ص٩٦
ص١٨هامش١	دفاع عن البلاغة ص٨٣، ٨٤	ثورة الأدب ص٤٥
هامش ٢	المفردات فى غريب القرآن ص٦ وانظر البرهان ١٧٣/٢	دفاع عن البلاغة ص ٨٣-٨٤
ص١٨ من آخر س٣	سقط رقم ٣ للمرجع فلابد من ذكره ثم يكتب فى خانة الصواب	٣ المفردات فى غريب القرآن ص٦ وانظر البرهان ١٧٣/٢
ص٤٧- س١٧	على قوله بهاء الدين	على قول بهاء الدين
ص٤٨ – س١٠	وجه	وجهه
ص٨٨- س١٠	ومن يستبيح	ومن يستبح
ص١٢١-س١٤	للشهرة الحقة ذلك	للشهرة ألحقه: ذلك: أن...إلخ
ص١٣٦ آخر سطر	بكون الغزى	بكون الغزّى
ص١٤٤ س٦	السالفى	السَّالِفِي
ص١٥٣ س١١	ولذا	ولنا

رقم الصفحة والسطر	خطأ	صواب
ص١٧٤س ١٤	فى حذف (من) للدلالة (من) عليها	في حذف (مَنْ) لدلالة (مِنْ) عليها
ص١٧٤ س١٥	اللذين	الذين
ص١٧٩ س١٢	محكوم عليه	محكوما عليه
ص١٩١ س١٧	إذا يتربت	إذ يترتب
ص١٩٤ س٨	هذه واحد	هذه واحدة
ص٢٠١ س٧	أن الكشاف مؤلص	أن الكشاف مؤلف
ص٢٠١: س٩	وحد	وُجِدَ
ص٢٠٧: س١٢	بأداة	بأداء
ص٢٠٩: س١	آن (من) تمتاز على (من)	أن (مِنْ) تمتاز على (مَنْ)
ص٢١٩:س٨	دريته	دريئة
ص٢٣٤: س٩، س١٠	أولا.أولا	أوّلاً. أوّلا
ص٢٣٨ أخر سطر	له نفس	له نَفَس
ص٢٤٦س ١٥، ١٦	خبريا نحو	خبريا نحو (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ١٤٣ آل عمران أم طلبيا نحو قوله تعالى: (قم الليل إلا قليلا) ٢ المزمل
ص٢٤٩: س١٥	هذا الفا	أليس هذا لفًا ودَوَرانا
ص٢٥٠س١٨	المنون	الممنون
ص٢٥٥:س١٠	زب فى القسم	ربَّ فى القسم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصويب الأخطاء فى الجزء الثانى من كتاب: "معنى من واستعمالها فى القرآن" جمعا ودراسة

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١	أوّلا	تلغى
١٢	١٠	ثانيا	تلغى
١٢	١٥	وهو (إنا)	وهو (وإنما)
٢٣	١٤	وهو العلم	وهو العالم
٢٥	(ز) ١٠	وسط الصفحة خطأ	(و)
٢٥	٢١	هذه النقاط الست السبع	هذه النقاط السبع
٢٧	س١٠	ومما يجدر بنا	أولاً : ومما يجدر بنا
٢٧	س١١	بعض الآيات. ويقول	بعض الآيات. يقول
٢٧	س١٢	رب من أنضجت	رُبَّ مَنْ أنضجت
٣٤	س٨	وخبر (من)	وخبر (مَنْ)
	س١٢	وكانت حجة	وكانت حَجَّة
٣٧	س١٣	أنتهى على	أنتهى إلى
٣٩	١٤	دافعه	دامغة
٤٠	١٥	حالها أمم	حالها أَمَمُ
٤٢	١٢	فمنزل	فَمُنْزِل الوحى
٤٤	٦	قوله: (ونادى .....)	وقوله: (ونادى .....)
٤٤	١٥	أن ذك	أن ذكر الشقى
٤٥	١٢	ويعرفونهم	ويعرفوهم
٤٩	١٢	وعند	واعترض
٥٢	١٣	المعدل	المُعْتَدِل
٥٢	١٥	لما عرف	لَمَّا عُرِف
٥٢	١٧	وإحجام	وإحكام
٥٢	١٩	من تدير	من تكدير
٥٤	وسط الصفحة	رقم ٤ وهو خطأ	١٠ هو الصواب
٥٥	١٤	للبنات النص	للبنات النَّص
٦٣	١٢	لا لذاتر	لا لزائر
٦٣	١٩	وإنا يراد	وإنما يراد
٦٤	١٢	وحلة كونهن	وحالة كونهن
٦٤	س١٧ وسطه	-٦-	١٢
٧٥	٩	كل والوضوح	كلّ الوضوح

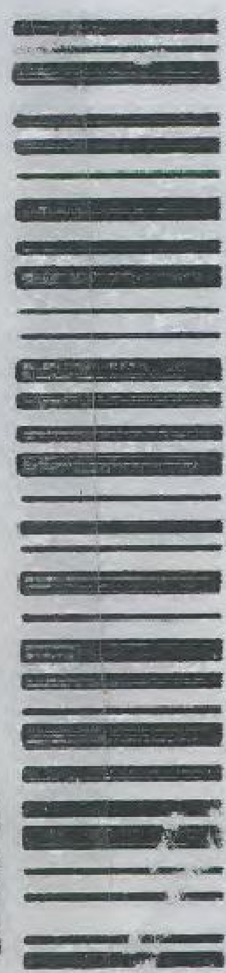
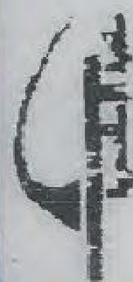
الصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
مُسِفَة مُسْرِفه	رذائل مسفه مسرفه	١٣	٧٥
أُبَىَ	من قراءة أبى	١٧	٧٥
ابن رَجُلٍ جَلاَ	ابن رجل رحلا	٩	٨٤
جادت بكفَىْ كان	جادت بكفى	آخر سطر	٨٩
-١٣-	-٨-	وسط الصفحة	٩٠
وما مِنَّا أحد	معا أحد	٩	٩٤
فكلُّهِم مُوَحَّد	فكلهم موحد	٨	٩٥
فى مَحَل نصْبِ حالا	نصب حال	٢	٩٧
المتأوِّلين	التأويلين	٥	٩٩
كل منهما	كل منها	١٢	٩٩
لم يَئِيم يفضُلُها	لم معهم يفضلها	٣	١٠٠
مكرر مع أخر سطرين ص١٠٣	وأما الحذف فهو حيف وأما التقدير فهو تكدير	السطر الأول	١٠٤
آية النساء	آية الناس	س٩	١٠٤
غِناهم سَتْراً	عناهم شرا	٧	١٠٦
منها	منا	١٨	١٠٧
اسم (إنَّ)	اسم (ان)	١١	١٠٩
الأُخرين	الآخرين	١٦	١٠٩
أن يُعدِّلوا	أن يعدلون	١٠	١١٠
ومَيَّزَ	وميِّزا	١٧	١١٢
وممن	ومن	٣	١١٤
إن حرا سنا أسداً	إن حراسنا أسد	١٤	١١٥
ولا تفضن من نَغْمته الوزنيه	ولا تفضن من نعمته	آخر سطر	١١٥
إلى عمقه	إلى عمق	٥	١١٦
جُنَح	نسبح	٨	١١٨
تخالف	تحالف	١٢	١١٨
أُبَىَ	أبى	١٥	١١٨
أو أرادوا	أو أراد	٢	١٢٠
خلْق	خلقه	٥	١٢١
يُجَوِّز	يجوز	١٢	١٢٢
بَعَّض	وإنما بعض	٣	١٢٣
أىْ بَعْض	أبِّى بعض	١٩	١٢٤
والدَّدَا	والدَّه	آخر سطر	١٢٩
يحتمل فَقْدَ معظم ما فيه	يحتمل فقد معظم	١٥	١٣١
صَيَّر لكم الشجر الأخْضَر ناراً	الشجر الأخضر نار	١٤	١٣٣

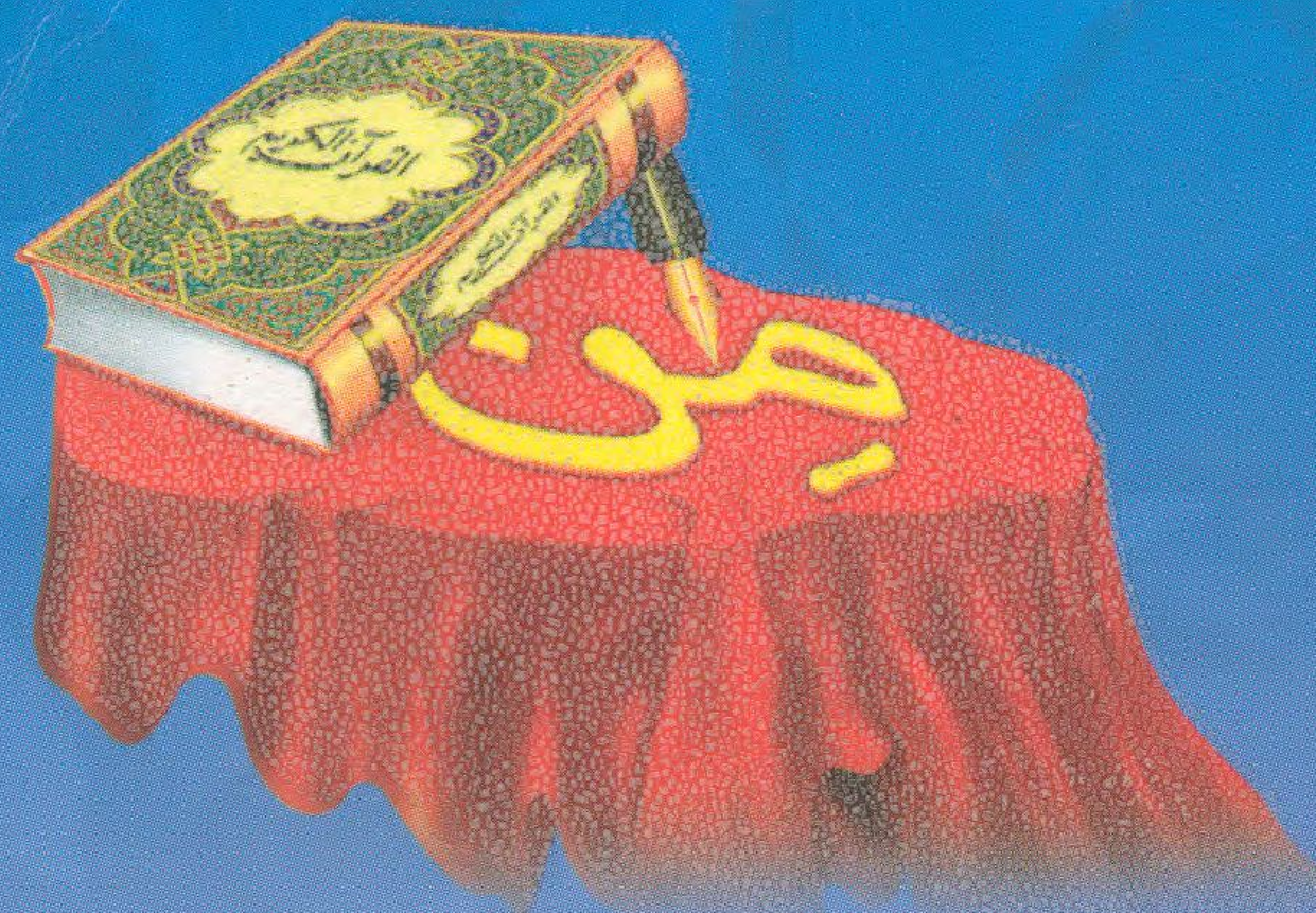
رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٣٧	١٣	لحولنا	لحَوْلنا
١٣٧	١٤	ساس	مَساس
١٥٠	١٧	ونعلمك	ونُعَلِّمُك
١٥١	٩	القرى المهلكة	المُهْلِكة
١٥٧	٧	لأنهم حوزوا	جَوَّزوا
١٥٧	١٠	قسوة القلب وغلظ الحي	قسوة القلب وغلظ الحس
١٦٦	١١	أن جرم امرأة لوط	أن جُرْمَ امرأة لوط
١٦٦	١٢	قسوة القلب وغلظ الحس	وغِلَظ الحس
١٧٥	٥	خبران	خبر إنَّ
١٧٦	١١	من المُلاَعنة بين الزوجين	بين الزوجين في سورة النور
١٧٨	٩	كلا	كلاٌّ
١٨٠	٣	فيم	فيما أخبر به
١٨٤	١٩	بدلا ونينا	وبَيَاناً
١٨٧	٦	لتردين ى	لتردين أى تهلكنى
١٨٩	٨	بصفة العلوم	بصفة العُلُوّ
١٩٣	١٣	فما يعلمون	مما يعملون
١٩٣	١٥	وهما وقوله	وهما قوله
١٩٤	١٣	عزمات	عزائم
١٩٨	٤	رأى قميصه	فلما رءا قميصه
٢٠٠	١١	المائدة ... وغد	المائدة أى العدل.. وغير
٢٠٣	٩	متعلق بـ (قال) المحذوف	بـ (قال) المحذوف
٢٠٣	١٣	العبكرى	العكبرى
٢٠٣	١٦	فذى أبا حيان	فهذا أبو حَيَّان
٢٠٤	١٤	قد ذُكِرَ ... والمتكلم	قَدْ ذُكِرَا والمتكلم
٢٠٨	٩	وغنما	وأمَّا
٢٠٨	١٠	نصب حال	نُصِبَ حالاً
٢١١	١٥	(غد)	(غَدٌ)
٢١٢	٥	والمتعجب	والمتَعجُّب
٢١٢	١٨	تعسره	عُسْرِه
٢١٤	١	فى هاتى	هاتين
٢١٧	١٣	أن نصروا	أن نُصِروا

الصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
مُتَعَدياً	متعَدّ	١١	٢١٩
فغشاهم من اليمِّ ما غشّاهم	فغشاهم	٤	٢٢٥
مَنْ يُسُّر القَول ومَنْ يَجْهَرْ به	من يسرا القول ومن يجهر	٣	٢٢٧
ثُمَّ فَصَّل هذا البعض بـ (مَنْ) أنفق	ثم فصل هذا البعض بـ (من)	٢	٢٣٠
فِرقة أى جماعة كثيرة	يقول الألوسي مزقه	٨	٢٣٠
مأخوذان من السياق	مأخوذ من السياق	١٠	٢٣٠
و (أمَّة)	و (أمة)	١٠	٢٣٣
مُكّنوا	مكنوا	١٥	٢٣٥
لَمْ نألف من أسلافنا	لمنَ نألف	٧	٢٣٦
ما نعِيه	ما نعيه	١٢	٢٣٧
يُنْكر أنْ نكون	ينكر آية تكون	١٧	٢٣٨
من مُبَيَّن	من مبين	١٩	٢٣٨
مخفوضين	مخفوفين	١٣	٢٤٢
فكيف نُخَرِّج	فكيف تخرج	١١	٢٤٣
لأنه يُجَوِّز	لأنه يجوز	١٦	٢٤٥
مُوَرِّثهم	مورثهم	١٤	٢٤٦
ورّاثاً	أى وراثا	٦	٢٤٧
لا يتناولهم الوالدان	لا يتناول الوالدان	٣	٢٤٨
حالاً قُدِّم بـ	حالا قدم	١٩	٢٤٩
صوافن من صُفُون	صوافن من صفون	٢	٢٧٧
عن شر أصاب حبّه	عن شر أصاب حبه	١٦	٣٠٦
لأذخلنَ	لأ دخلن	١٦	٣٩٩
ويُدرّ أخلافه فصَحّ	ويدر أخلبافه فصح	١٠	٤٢٨

وبالله التوفيق

محتويات الكتاب



مركز آيات للطباعة والكمبيوتر ٠١٢/٣٧٩٧٦٤٧